موسى صبرى

وثائق حرب أكتوبر

المكتب المصرى الحديث

الطبعــة الأولى

رمضان ١٣٩٤ هـ ــ سبتمبر ١٩٧٤ م

الغلاف بريشة الفنــان مصطفى حسين

الناشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
الاسكندرية : ٧ شارع نوبــار ت ٢٦٦٠٢
القــاهرة : ٢ شارع شريف ت ٥٣١٢٧

موسى صبري

وثائق حرب أكتوبر

هذا الكتاب.. لماذا؟

أستطيع أن أزعم أننى عشت حرب أكتوبر على أعصابى ! .. ما قبل الحرب ، وخلالها ، وبعدها أيضا !

كنت واثقا منذ اليوم الأول لتولى أنور السادات مسئولية رياسة الجمهورية أنه سيحارب . وكنت واثقا أن كل قرار سوف يصدره داخليا أو خارجيا ، هو من أجل الاعداد للحرب .

وعندما أتيح لى أن ألقى الرئيس السادات ، بعد وفاة جمال عبد الناصر بيومين ، كان حديثه مركزا على شيئين فقط : الديمقراطية .. والمعركة .

وأنا أعرف أن الرجل فيه كل أعماق رجل السياسة ، والقدرة على المناورة ، والصبر الذى لا ينفذ منه الصبر .. وأعرف أيضا أنه مقاتل .. بطبيعة المناضل التى لم تفارقه منذ شبابه ، ولم تؤثر فيها المناصب ومظاهرها .

أعرفه منذ عام ١٩٤٣ .. عندما رأيته لأول مرة داخل أسوار معتقل الزيتون . وكنت قد تخرجت فى كلية الحقوق .

شاب هادىء ، كثير التأمل ، قليل الكلام ، ملىء بالأسرار .. يحب الموسيقى والطرب ! أنه اليوزباشى محمد أنور السادات ، المفصول من الجيش بقرار بريطانى ، لأنه كان يسعى من خلال اتصالات دولية سرية مع هتلر زعيم المانيا ، الى ضرب القوات البريطانية فى مصر .. نضالا ضـــد الاحتلال .

وكان يتحدث معنا فى تاريخ مصر ..

ولم يكن يتحدث أبدا عن الأسباب الخطيرة التى دعت الانجليز الى الأمر باعتقـــاله ، باعتباره عنصر خطـــر كبير على الوجود البريطانى فى مصر .

وكان مرنا ، فى تعامله ، مع كل المعتقلين ، من كل الاتجاهات السياسية ..

وكان بسيطا فى كل سلوكه ، يعنى بملابسه ونظافتها وأناقتها عنـــاية شديدة ..

ودبر خطتين للهرب من المعتقل .. على الرغم من أن بناء المعتقل محاط بحراسة مسلحة ، من الداخل والخارج ، تتغير كل ٦ ساعات ، ولا ينفصل الجندى المسلح عن زميله أكثر من ثلاثة أمتار ، والأوامر له باطلاق الرصاص على الفور ..

ولكن المعتقل أنور السادات ، استطاع أن يكتشف موقع ضعف فى الحراسة ، كان أساس خطة الهرب التى وضعها ، ونفذها ٥ معتقلين هو على رأسهم ، فى سرية تامة ، دون أن يشعر باقى المعتقلين وهم أكثر من ثلاثمائة شخص يضمهم مبنى واحد .. ومن المستحيل أن يبقى فيه سر واحـــد !

وجرت الأيام .. واشترك أنور السادات فى أكثر من عمل سياسى خطير تحت الأرض . ولم يكن ليقع انفجار فى القاهرة ، أو حادث اغتيال ، الا وكان أنور السادات أول من يقبض عليه . ولم تصل أجهزة الأمن ، الى دليل واحد ضده ، فى كل الأحداث التى كان فيها أنور السادات ، المتهم الأول ، بأنه العقل المدبر لـــكل ما جرى !

وجرت الأيام .. وكان أنور السادات هو الصوت الذى يذيع اعلان ثورة ٢٣ يوليو من اذاعة القاهرة ..

وفضل أن يعمل فيما يهواه .. فضل أن يعمل كاتبا .. عن أن يتولى منصبا رسميا . غير عضوية مجلس الثورة . ثم كان لابد أن يواجـــه مسئوليات عديدة .. الى أن أصبح نائبا لرئيس الجمهورية .. ثم شاء له القدر أن يحمل الأمانة الثقيلة ..

وطوال كل هذه السنوات .. لم يتغير أنور السادات .

ان ما يشتغل به وراء الستار ، أكثر كثيرا جدا ، من عمله على المسرح .

واحتفظ بالطبيعتين .. الحياة النضالية .. والعمل الصامت .

ولذلك تحمست فى تأييد أنور السادات منذ اللحظة الأولى لمسئولياته رئيسا للجمهورية .

وتصور البعض أننى أبالغ .. وتصور الكثيرون أننى أنافق .. ونصحنى البعض بأن هذا التأييد المندفع لأنور السادات ، سيعيدنا الى حكم الفرد المطلق .. وارشيف رسائلى يحتفظ بآلاف الخطابات التى هاجمتنى واتهمتنى .. وتلك التى أشفقت على .

ولم أتردد لحظة فى مسلكى ..

ولم اتخلف يوما عن الدعوة للحرب . طريقا وحيدا ، للخلاص ..

وكنت واثقا من طريقى ..

وأكد ثقتى ، فرص قليلة ، عندما كان يتاح لى أن أتحدث الى الرئيس بالتليفون ، أو فى لقاء خاص .. وكنت خلالها أزداد ثقة ، فى أن أنور السادات رئيس الجمهورية ، هو بعينه المعتقل أنور السادات . المناضل

الشرس ، ذو الطبيعة القتالية الشجاعة ، القادر دائما على الكتمان ، الذى يتمتع بطاقة صبر لا تنفذ ، والسياسى المرن ، الذى يهوى الكتابة والمناورة !

. . . .
. . . .

وكنت أتحدى فى مجالسى الخاصة .. أن أنور السادات سيحارب .

وكنت ألقى بعض السخريات .. ابسطها اننى أريد أن أدافع عما أكتب ، ولا أريد أن أظهـــر بمن له رأيان .. رأى يكتبه . ورأى مناقض يظهر فى المجالس الخاصة .. وكانت هذه بكل أسف ظاهرة منتشرة فى العشر سنوات الأخيرة .

. . . .
. . . .

ولكننى لا أنكر أن ضراوة الحرب النفسية التى تعرضنا لها فى كل صحف العالم .. وتعقيد الموقف الدولى ، وتعاسة الموقف العربى ، وآلام الموقف الداخلى .. كلها كانت تتراكم بين الحين والحين فى وجدانى .. وأهتز .. وأتساءل فى مرارة .. كيف يمكن أن يخرج أنور السادات من هذا المأزق .. وأتصور أننا نسير فى الطريق المستحيل . وأعذر الرجل . فالتركة ثقيلة . والصراعات الدولية قاسية . وكان جمال عبد الناصر قد رتب سياسته فى رأيى ، على أنه سيصل الى حل سلمى . ولكن الحلقات بدأت تضيق فى عهد أنور السادات .. ولم يكن من مخرج الا القتال . فالاعداد العسكرى تطور اذن الى المجرى الطبيعى . لم يكن اعادة لبناء القوات المسلحة للدفاع ، كما بدأ بعد الهزيمة فى حياة جمال عبد الناصر .. ولكننا وصلنا الى الحدود التى يجب فيها أن نحصل على أسلحة تصلح لقتال هجومى . وهنا كانت العقبات الصعبة .. بل البالغة الصعوبة أمام أنور السادات . والموقف الدولى ، تدرج الى توثيق سياســة التقارب بين المعســكرين الكبيرين ، والجميع مستريح الى حالة الاسترخاء العسكرى .. وتحولنا الى جثة فى نظر العالم . والداخل لا يرحم . والأمة العربية تتفرج ! .. وشريعة الانسان فى كل زمان ومكان ، لا تحترم الا الأقوياء .

. . . .
. . . .

ولكن ثقتى فى أنور السادات لم تهتز لحظة واحدة ..

وكل مشاعرى تحولت الى خوف على الرجل الذى شاء له قدره أن يرأس الأمة ، فى هذه العاصفة القاتلة !

. . . .
. . . .

وجاءت الحرب ..

وعايشتها لحظة بلحظة ..

ثم فاجأنا العبور المسرحى الاسرائيلى الى غرب القناة ..

وليس من ينكر أنها كانت أياما قاسية ، اضطربت فيها كثير من العواطف ، وحل الارتباك فى كثير من المواقع .. وكان يمكن أن تنجح هذه الحركة التليفزيونية الاسرائيلية وتحقق أهدافها الدعائية .. لولا أن قيادة أنور السادات كانت فى قمة احتفاظها بطبيعتها النضالية ، وبالقدرة على اتخاذ القرار المؤسس على تفكير هادىء ، وحساب متزن عميق ، وبموهبة الرؤية الصحيحة لحقائق الأمور .

وأسجل هنا .. أن المشير أحمد اسماعيل واجه الموقف بأعصاب هادئة متماسكة .. وكانت مسئولية جبهة الداخل برياسة الدكتور عبد القادر حاتم فى لجنة تضم رئيس مجلس الشعب وأمين اللجنة المركزية ونواب رئيس الوزراء ومستشار الرئيس للأمن القومى ، وكانت هذه اللجنة فى حالة انعقاد مستمر منذ بدأت الحرب ، وأسجل هنا للدكتور حاتم حنكته وسيطرته العقلية الكاملة ، وأسجل لممدوح سالم تماسكه وتفكيره الرصين .

وتم الاستعداد الكامل ، لمحاصرة التسلل الاسرائيلى ، والقضاء عليه .

ثم كان الفصل بين القوات والانسحاب الاسرائيلى .. والعمل السياسى من أجل السلام .

. . . . . .
. . . . . .

ورأيت اليوم من واجبى كصحفى عايش هذه الأيام ساعة بساعة .. أن أسجلها فى سطور .

والجزء الأول من هذا الكتاب ، يتضمن حديثـــا تاريخيا للرئيس أنور السادات : اختص به الرئيس هذا الكتاب . ان هذا الحديث يكشف لأول مرة عن أسرار عسكرية خطيرة كان يجب أن تحجبها الأحداث ، كما يروى القصة الكاملة لاتخاذ قرار ٦ أكتوبر . كما يكشف عن خطة دفاعية ســابقة لم يعلن عنها من قبل ، اسمها الخطة ٢٠٠ !!

ويشمل هذا الجزء فى فصله الثانى ، وثيقة تاريخية عسكرية خطيرة ، من أهم وثائق حرب أكتوبر . انها المحضر الكامل لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى أكتوبر ١٩٧٢ ، الذى أعلن فيه السادات لقواد الجيوش أن قرار الحرب مصيرى ولا رجعة فيه .. وكان بعض القـــادة يرى أن اسرائيل ستنتصر وستدمر مصر .

أما الفصل الثالث من الجزء الأول ، فهو وثائق تاريخية أخرى .. انها نصوص رسائل الرئيس السادات قبل الحرب الى زعماء وقادة العالم التى يحذر فيها من اشتعال الحرب وتفجر الموقف .. ولكن أحدا لم يصدق !

واخترت أن يكون الجزء الثانى من هذا الكتاب ، خاصا بالجانب السياسى محليا وعربيا ودوليا .. حتى اتخذ أنور السادات قرار الحرب . وأننى أعرض فيه فكر أنور السادات منذ هزيمة ٦٧ . فقــد أتيح لى أن أسجل آراءه التى لم تنشر ، فى مذكراتى الخاصة ، بعد كل لقاء معه فى تلك الأيام . وبعد أن قامت مظاهرات الطلبة . ثم أعرض لكل القضايا التى واجهها بعد رياسة الجمهورية .. معتمدا أساسا ، على أحاديث الرئيس الخاصة ، وفى الجلسات المغلقة التى كان يدعو اليها عددا من الكتاب ، وفى الاجتماعات المغلقة للقيادات السياسية .

واخترت أن يكون الجزء الثالث من هذا الكتاب ، خاصا بالمعركة العسكرية على الجبهة المصرية . وأعتذر بأن ظروف عملى لم تسمح لى أن أسافر الى الجبهة السورية ، للكتابة عن معاركها الرائعة . وقد اعتمدت فى هذا الجزء ، على أحاديث خاصة بهذا الكتاب للمشير أحمد اسماعيل معى . وعلى لقائى بقادة المعارك الرئيسية فى القتال ، وزياراتى للجبهة . وقــد ركزت على معارك الجيش الثانى ، ثم ملحمة السويس ، وقصة الثغرة .. وأرجو أن تتاح لى الفرصة فى مؤلف آخر أن أسجل معارك الجيش الثالث ، وحرب القوات البحرية .

. . . . . .
. . . . . .

ولا أستطيع أن أدعى أن هذا الكتاب ، يغنى عن مؤلفات عديدة صدرت عن حرب أكتوبر ، ومؤلفات عديدة يجب أن تصدر . هذا الكتاب لا يغنى ، لأن جوانب حرب أكتوبر السياسية والعسكرية ، وآثارها المحلية والعربية والدولية ، سوف يزداد وضوحها يوما بعد يوم . وعاما بعد عام ، لأنها متشعبة وعميقة وشاملة ، وستظل مؤثرة على المسرح العربى والدولى لأكثر من خمسة وعشرين سنة ، مقبلة .

ولكننى أردت فقط .. أن يكون لى حظ ، كتابة بعض السطور القليلة ، فى تاريخ أكتوبر .. الضخم ، المجيد .

موسى صبرى


الجزء الأول

الفصل الأول

السادات قال لى ..

... ((هــذا حــديث خاص للرئيس أنور السادات استمر ثلاث ساعات اختص به المؤلف . شرح الرئيس لأول مرة سر التغييرات فى المناصب العسكرية التى أمر بها الرئيس فى ديسمبر ١٩٧٢ . ماذا دار فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى تقرر بعده عزل صادق .ماهى الخطة الدفاعية ٢٠٠ التى وضعها القادة وناقشها عبد الناصر والسادات معهم ؟ ثم استكملها السادات عندما تولى المسئولية . ما هو التكليف العسكرى الذى لم ينفذه صادق فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ ، رغم أنه أعطى الرئيس ((تمام)) بتنفيذه التكليف .. وأن كل شىء ســيكون جاهزا فى أول نوفمبر .. الشهر الحــرج الذى كان يمكن لليهود فيه أن يوجهوا ضربة قاصمة لقواتنا المسلحة . كيف اتخذ السادات قرار ٦ أكتوبر . سر الكشكول الذى كتبه الفريق الجمسى بخط يده من نسخة واحدة وقدمه الى الرئيس . لمــاذا لم نبدأ الحرب فى مايو ، رغم استعدادنا . ماذا دار فى اجتماع مجلس الأمن القومى فى الرابع من رمضان ، ثم فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى العاشر من رمضان . اليوم الأول فى غرفة العمليات . قصر الطاهرة تحول الى غرفة عمليات بديلة تحت الأرض .. أول طلب من السوفيت لوقف النار . أول لقاء مع كيسنجر)) .

أسرار عسكرية خطيرة يكشفها أنور السادات

قلت للرئيس أنور السادات :

ــ أعتقد أن الاعداد الفعال للمعركة ، بدأ بعد اعفاء الفريق صــادق من وزارة الحربية والقيادة العــامة .. وقد تسربت الى الجماهير فى ذلك الحين ، قصص كثيرة عن ظروف هذا الاعفاء ، وسيادتك اكتفيت حينئذ بتصريح واحد قلت فيه أنه لم ينفذ تكليفات معينة أصدرتها اليه بوصفك القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وربما كانت ظروف الكتمان العسكرى لا تسمح فى ذلك الوقت ، بالتصريح عن حقائق الموقف .. ولكن ها قد قامت الحرب .. وحققنا الانتصار .. فهل يمكن أن نسجل هذه الحقائق للتــاريخ ؟ ..

قال الرئيس :

ــ ان محضر جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة التى قررت بعدها اعفاء الفريق صادق موجود . وكل مناقشات الاجتماع واضحة وتحــدد تماما كل المواقف .. ولكننى أعود بك الى ما قبل ذلك ، عندما أصدرت قرار انهاء خدمات الخبراء السوفيت . وبعد أن أصدرت هذا القرار الذى كان فعلا أول الخطوات العملية ، لدخول الحرب .. ولم يفهم أحد ذلك ، لأنه لم يكن من الطبيعى أن أدخل الحرب وعلى أرضى خبراء عسكريين سوفيت .. كما أننى أسقطت حجة اسرائيل التى كانت تضلل بها ، وهى أنها ستواجه الحرب مع السوفيت لا مع المصريين ..

بعدما أصــدرت هذا القرار .. استدعيت أربعــة أشخاص . حافظ اسماعيل بوصفه المستشار لشئون الأمن القومى . والمهندس سيد مرعى

بوصفه أمين أول الاتحاد الاشتراكى . والفريق صادق بوصفه وزير الحربية وممدوح سالم بوصفه الوزير المسئول عن الدفاع المدنى .. وطلبت من كل منهم تكليفات معينة للاعداد للقتـــال .

قلت لهم أن قرارات انهاء خدمات السوفيت ، سوف تكون لا قيمة لهـــا فى نوفمبر المقبل .. اذا جاء نوفمبر وهو شهر الانتخابات الأمريكية .. ستبدأ الادارة الأمريكية الجديدة .. ويجب أن نكون مستعدين سياسيا وعســكريا .. وقد اطمــأنت القوى الكبرى الى حــالة وقف النـــار .. ولابد أن نثبت وجودنا . والاتصال السياسى لا جدوى منه الا اذا اعتمد على استعداد عسكرى جاد . فماذا يطلب منى وأنا ضعيف .. الا ... الاستسلام ؟ ..

بالنسبة لحافظ اسماعيل .. قلت له .. جهز نفسك . أمريكا لو تقدمت بشىء بعد الانتخابات فلن تتقدم الا بالحل الجزئى ، وسيحاولون استغلال مبادرتى . ويجب أن نكون جاهزين للرد .

بالنسبة للفريق صادق .. قلت له أن القوات المسلحة يجب أن تكون جاهزة فى ١٥ نوفمبر لأننا اذا لم نكن جاهزين عسكريا لاثبات ارادتنا فسيبقى الشرق والغرب .. يتفرجوا علينـــا . الانتخابات الأمريكيـــة ستنتهى فى ٧ نوفمبر . ولا فائدة فى رأيى فى أى اتصال سياسى ، بدون أن يتغير موقفنا العسكرى . وهذه هى نقطة حوارى وخلافى مع الزعماء السوفيت فى رحلاتى الأربعة الى موسكو .

وطلبت من الفريق صـــادق أن ينفذ قرارى مع القيادات العسكرية .

وبعد يومين .. وكنت فى الاسكندرية .. أبلغنى صادق بالتمام .

وفى لقـــائى مع سيد مرعى أعطيته الخلفية السياسية والعسكرية ، كما أوضحتها لحافظ اسماعيل . وصادق .. وقلت له .. نبقى جاهزين فى الداخل لمواجهة هذه العملية .

وكان هذا تبليغى أيضا لممدوح سالم بوصفه مسئولا عن الدفاع المدنى كله ، ولا يزال مسئولا حتى الآن .

ونسيت أن أقول أن الفريق صادق أبلغنى أن التمام فى أول نوفمبر .. أى قبل الموعد الذى حددته بـ ١٥ يوما . ولكننى قلت له .. خذ وقتك حتى يوم ١٥ نوفمبر .

وفى ٢٤ أكتوبر عقدت المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، لأراجع مع القيادات استعدادهم .. وأستمع منهم إلى ما أنجزوه ..

وفوجئت فى هذا الاجتماع ، بأن الفريق صـــادق لم يبلغ تكليفى الى المجلس الأعلى !

وفوجئت بمن يتحدث عن نقص فى نوع معين من الســـلاح . ويعلق التجهيز العسكرى على وجود هذا السلاح .. وهل اذا لم نحصل على هذا السلاح نقف .. ونستسلم ؟؟ ..

قلت لهم وجهة نظرى ، وهى التى طبقناها فى حرب أكتوبر .. المهم أن نعد أنفسنا للقتال ، بما نملكه من سلاح فعلا .. فى حدود امكانياتنا فقط .. ونكمل النقص بالتخطيط السليم الدقيق العلمى .. وبقدرة المقاتل المصرى على القتال . السلاح شرط واجب طبعا . ولكن اذا لم يتيسر لنـــا كل أنواع السلاح .. هل نقف ؟ .. لابد أن نفكر ونخطط ونعوض هذا النقص .

وفوجئت أيضا بأن على عبد الخبير قائد المنطقة المركزية .. يتحدث بنفس الأسلوب .. وهو بعد ذلك تآمر .. وحوكم ..

وفوجئت أيضا بالفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية . بنفس المنطق . وهذا معناه بكل بساطة ، أن نستسلم .

ولكن الأخطر من هذا كله . أن قرارى بالاعداد لعملية عسكرية الذى أبلغنى صادق فى أغسطس أنه تمام .. وأن الاعداد سيكون فى أول نوفمبر بدلا من ١٥ .. هذا القرار لم يعرف به القادة العسكريون .. ووجدت أحد القادة وهو المسئول عن الشئون الادارية فى الجيش كله .. يرفع يده فى الاجتماع ، ويسأل : هو القرار كان ايه ؟ !

يعنى أنه لم يجر أى استعداد وتجهيز • لأنه كيف يمكن أن يتحرك جيش بغير أن تكون الشئون الادارية على علم كامل ، وأن تهيىء له كل المتطلبات الادارية للجيوش •

واذا بأحد أعضاء المجلس الأعلى — اللواء عبد المنعم واصل — يقول فى الاجتماع : كل اللى سيادتك عاوزه ننفذه اذا كان الأمر ندخل الحرب •• ندخل •• وننفذ الأوامر • بس أحب أقول اننا مكشوفين أمام العدو • خطة الدفاع مكشوفة • هوه شايفنا واحنا شايفينه • وأية خطة ستنفذ ستعطى اليهود فرصة لضربنا ونحن مكشوفين •

ثم قــال الرئيس :

وقد أذهلنى هذا الكلام فعلا •• لأننا كنا دائمــا ، متقدمين على الاسرائيليين فى ستر الجبهة • اذا طلعوا اليهود متر •• نطلع احنا متر ونصف • وكان هذا من عمل الفريق محمد فوزى • ولهذا أنا أفرجت عنه بعد الحرب ، تقديرا للدور الذى ساهم به فى الاعداد العسكرى • وهنا أذيع لك سرا عسكريا لم يذع من قبل •

منذ وقت جمال عبد الناصر ، كانت لدينا خطة عسكرية دفاعية ، أطلقنا عليها اسم « الخطة ٢٠٠ » • وقد عقد جمال عبد الناصر اجتماعا سريا استمر ٦ ساعات مع القيادات العسكرية حينئذ ، ولم يحضره الا أنا مع عبد النــاصر • حضرنا ، وسمعنا تقارير القادة ، وناقشنا جزئيات عديدة• وكانت الخطة كاملة مستكملة • والجميع كان مقتنعا بها مائة فى المــائة •

وبعد أن توليت رياسة الجمهورية ، كررت الاجتماع السابق ، فى القيادة العامة للقوات المسلحة •• اجتمعت بقادة القوات المسلحة •• وتسلمت منهم خطة الدفاع كاملة •• وهى الخطة ٢٠٠ •

واتضح لى مما جرى فى اجتماع المجلس الأعلى مع الفريق صــادق وباقى القيادات أن « الخطة ٢٠٠ » قد انهارت • وأن اليهود تفوقوا علينا • وأصبحنا مكشوفين !

رأيت أننى أمام وضع خطير •

وزير الحربية والقائد العـام لا ينفذ تكليفاتى العسكرية !

الخطة المعتمدة من جمال عبد الناصر •• ثم منى بعد أن توليت •• قد انهـارت •

بعض القادة العسكريين يضع شروطا جديدة • للدخول فى الحرب •• ويطلب أسلحة ليس فى طاقتنا أن نحصل عليهـا ••

وكان لابد أن أتحرك بسرعة • والموقف أخطر مما يتصور أحد • ان هذا يعنى أن القوات الاسرائيلية لو هاجمت فى ذلك الوقت •• صيف ٧٢ •• وقبل أن يتسلم أحمد اسماعيل القيادة •• كانت من الممكن أن تنفذ ما تريد وتعود •• كما تفعل فى لبنـان •

وانتشرت خزعبـلات عن الاستعدادات الاسرائيلية وراء السـاتر الترابى ، صدقها البعض •• وقيل وقتها أن اليهود لديهم أجهزة الكترونية •• وخلافه وراء السواتر تستطيع أن تفعل كذا وكذا •• مما كان له أثر طبعا على الروح المعنوية ••

كان الموقف يحتاج الى علاج حاسم جدا •• وسريع جدا ••

ولا يستطيع انسان أن يتصور كيف أمضيت هذه الأيام ••

كان تكليفى الأول للفريق أحمد اسماعيل تغطية خطة الدفاع ٢٠٠ •

وقد أبلغنى أنه تمت تغطيتها فى ٣٠ نوفمبر •

وأقول أننى لم أنم ليلة واحدة •• منذ ٢٨ أكتوبر ، عندما أعفيت صادق وعينت أحمد اسماعيل •• حتى ٣٠ نوفمبر عندما أبلغنى بتغطية الخطة ، وأنها استكملت تماما ، وعدنا الى التفوق على العدو •

نعم •• لم أنم •

فلم أكن لأقبل أبدا ، أن يضرب اليهود ضربة مسرحية •• وهم يهوون هذا النوع من الحرب الدعائية •• للتأثير على نفسية الجماهير ••

بدأت أشعر بالراحة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ •

قلت : وكيف جرى الاعداد العسكرى بعد ذلك •• كيف تطورت الخطة ٢٠٠ الى خطة الشرارة ••

قال الرئيس : هذه حكاية طويلة •• وليس من الممكن أن يذاع كل ما فيهـا ••

قلت : أطمع فى أن أعرف أكثر ما يمكن أن يذاع ••

قال الرئيس : بدأنا على الفور التطوير الهجومى للخطة • بدأنا تطعيم الخطة الدفاعية بخطوات الهجوم •• وكان أولها انشاء المصاطب الترابية الضخمة على امتداد الشاطىء •• لقد سخر منها الاسرائيليون وقالوا أن المصريين دائما من هواة بناء الاهرامات •• ولكن هذه المصاطب كانت خطوة أساسية ، لكشف العدو ولاستخدامات عسكرية بالغة الأهمية ، لم يفطن اليها العدو •• كان تكليفى للفريق أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا ابتداء من أول ينـاير ١٩٧٣ • وعلى مدى ثلاثة أشهر تم انشـاء هذه المصاطب بعد دراسة عسكرية دقيقة •• وتكلفت وحدها عشرين مليونا من الجنيهـات • وأصبحت سيطرتنا كاملة على الضـفة الشرقية بهذه المصاطب • وقد أمكن الانتهاء منها فى أواخر فبراير ••

وهنا يبتسم الرئيس السادات فى سخرية • وهو يحـاول أن يشعل « البايب » ثم يدعها على المنضدة •• ويأخذ رشفة شاى من كوب صغير •• ويرفع قليلا كم الجلباب الريفى الأبيض الذى يرتديه •• وقد نسيت أن أقول أن الجلسة كانت فى منزله بقرية ميت أبو الكوم •

يبتسم الرئيس ساخرا ، وهو يقول مسترجعا ذكريات عديدة ••

ـــ فى أثناء هذه الفترة ، وأنا أحترق لاستكمال الاعداد العسكرى ، والتطوير الى خطة الهجوم ، واسترجاع تفوقنا ، وضمان سيطرتنا على

فى الأيام الثلاثة الأولى ــ على الجبهة المصرية ــ زبدة طياريه ↔ وأكبر عدد من الطائرات ↔ ان الكفاءة فوق العالية ↔ نعم ↔ فوق العالية ، لأطقمنا فى حائط الصواريخ ، حققت هذه النتيجة التى تحدث السيادة لا التفوق •

وهنا تعود الى وجه الرئيس ابتسامة السخرية الممتزجة بشعور بالارتياح الكامل ، يظهر على قسمات وجهه ↔ وعيناه تبرقان بالثقة ↔ ثم يقول بعد أن استعاد فى يده « البايب » الخالية من الدخان ↔ يقول وهو ينظفها :

ــ والطريف ، أنه فى ذلك الوقت ، تسرب تقرير الى اسرائيل ، يقول أن خروج الخبراء السوفيت ، جعل الصواريخ المصرية لا قيمة لها ↔ ولعلهم اعتمدوا على هذا التقرير ↔

قلت : سيادة الرئيس ↔ ألم نضع فى حساباتنا أن تضرب اسرائيل فى العمق ؟ •

قال الرئيس : طبعا ↔ كان هذا محسوبا • وكنا مستعدين للرد فى عمق اسرائيل أيضا •

وأعلنت هذا بعد ذلك فى خطابى أمام مجلس الشعب أثناء القتال ↔

قلت : ولكننى أعرف أن الخلاف على هذا النوع من أسلحة العمق ، بيننا وبين السوفيت كان يستغرق حله وقتا طويلا ↔

قال الرئيس : هذا صحيح • المشكلة أن أصدقائنا السوفيت يبدأون بالرفض عندما نطلب سلاحا جديدا • وبعد الالحاح ، والأزمات ، والخلافات ، واستمرارى فى الضغط ↔ يوافقون • ثم يقدموا لنا الكميات التى يقدرونها • وفى المدى الذى يحددونه ↔ مع اشتراطهم فترة تدريب طويلة جدا • وكان أبناؤنا يستوعبون دائما السلاح الحديث فى ربع المدة التى يحددها الخبراء الروس ↔ وأحيانا كثيرة فى أقل من هذا الوقت ↔

قلت : وقد أعلنت سيادتك أننا نملك الصاروخ الظافر الطويل المدى ..

قال الرئيس : هذا صحيح . وكانت صواريخنا موجهة الى ثلاث مدن رئيسية فى اسرائيل ، استعدادا للضرب الفورى فى العمق .. اذا هم لجأوا الى حرب العمق .

قلت : قال الاسرائيليون أنهم أسقطوا صاروخا عابرا طويل المدى فى أول أيام الحرب قبل أن ينفجر ..

قال الرئيس : هذا غير صحيح ..

قلت : تردد أننا أطلقنا سلاحا جديدا .

قال الرئيس : هذا صحيح . وكان يوم ٢٢ أكتوبر قبل وقف النار ، وهو سلاح له قوة تدميرية فظيعة . ولكن الصواريخ فقط لم تلعب الدور الأول . ان المدفعية المصرية الرهيبة لعبت أخطر الأدوار . ان قائد المدفعية فى الميدان اللواء الماحى الذى يعمل معى الآن كبيرا للياوران رجل رهيب فعلا مثل مدفعيته .. انه هادىء صامت يتحدث فى همس .. وقد تلقى منى التعليمات بضرب العمق فى اسرائيل اذا بدأت اسرائيل . وكانت تعليمات تفصيلية حاسمة . ولكنه رجل رهيب فعلا .. كنا فى غرفة العمليات .. وكنت أصدر اليه الأمر بضرب المواقع المحددة بآلاف الأطنان من القذائف .. ويتلقى الأمر فى هدوء .. ويعود لى بعد دقائق .. وفى هدوء هامس يتقدم بورقة صغيرة .. ويقول بصوت غير مسموع : تم التنفيذ .. وينصرف ، وكأنه لم يفعل شيئا ! .. وكأنه لم يقلب مواقع الاسرائيليين رأسا على عقب ..

وردا على سؤالك الأول عن الضرب فى العمق .. أقول أننا استطعنا فعلا تحييد ضرب العمق .. بالتخطيط الذى وضعناه . وقد أفلح .

قلت : حتى الآن لا تزال قصة القرار غير واضحة .. لقد نشرت عن اتخاذ القرار أخبار متفرقة .. ولكنها ليست متصلة الحلقات .. وهذه مناسبة أن تعرف الجماهير القصة الكاملة لاتخاذك أخطر قرار فى تاريخ مصر .. وتاريخ الأرض العربية ..

قال الرئيس : طلبت من أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا كما قلت لك فى أول يناير ٧٣ • الخطة • تجهيزات الهجوم • كل شىء • وعالم العسكرية يتطور تطورا سريعا •التكنولوجيا فى العلم العسكرى أصبحت شيئا خرافيا •• ولذلك فاننى فى شهر فبراير طلبت بحثا عن أنسب الأيام لساعة الصفر من واقع التكنولوجيا الحديثة •وقد قام بعمل هذا البحث اللواء الجمسى رئيس العمليات حينئذ • وكتبه بخط اليد ، التزاما بالسرية وقدمه لى فى كشكول صغير • البحث عن جميع الأيام ابتداء من فبراير الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ ، طوال الليــل والنهــار • كل الظواهر الطبيعية ، والمناسبات ، والتقلبات الجوية ، وحركة الكواكب •• والتكنولوجيا فى هذا متاحة من ٥ أو ٦ علوم عسكرية • فعلا كان هذا البحث على أعلى مستوى تكتيكى فنى علمى •

ووضح من البحث أن هنــاك ٣ مجــاميع أيام •• تعتبر أنسب الأيام للهجوم •

المجموعة الأولى •• فى النصف الثانى من مايو •

المجموعة الثانية •• فى شهر سبتمبر •

المجموعة الثالثة •• فى شهر أكتوبر •

وقاطعت الرئيس : أذكر يا سيدى أننى سمعت أخبار الحرب فى أبريل ٧٣ •• واتصلت بسيادتك فى ذلك الوقت •• وأنا أخشى أن القرار فيه تعجل •• وأذكر أن سيادتك قلت لى •• ما لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فلن ندخلهــا أبدا •

قال : أذكر هذا •• وفعلا •• أعددنا العدة لكى تكون ساعة الصفر فى مايو • وقد أطلعت الرئيس حافظ الأسد على هذا البحث الذى يحدد ساعة الصفر •• وكان مبهورا فعلا بدقة البحث • وكنت أنوى فعلا بدء العمليات فى مايو • وكان السوفيت قد حددوا موعد مؤتمر القمة الثانى مع نيكسون فى واشنطن فى شهر مايو • ولظروف سياسية ، لا داعى للكشف عنها الآن ، قررت تأجيل الموعد الى المجموعة الثانية فى سبتمبر أو المجموعة

الثالثة فى أكتوبر •• وخلال ذلك كان الأسد قد سافر فى رحلة سرية الى موسكو •• وعاد من هناك •• وحصلنا على صفقة سلاح جديد ، كان السوفيت يرفضون اعطاءه لنا • وكان أحمد اسماعيل قد اتفق على صفقات مع السوفيت فى فبراير ٧٣ ، وأرسلوا جزءا منها ، وتلكأوا فى الباقى •• ولكن جاءت لنا صفقة جديدة بعد ذلك •

ولعلك تذكر فى ذلك الوقت •• تصريحات الاسرائيليين باحتمال الهجوم المصرى لأنهم لا شك يعلمون أن النصف الثانى من مايو مناسب للهجوم • أنهم أيضا يدرسون ويتحركون ، على أساس التكنولوجيا ••

بعد ذلك عقد اجتماع المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية فى أغسطس فى الاسكندرية •• ودار النقاش فيه بين القادة حول تحديد المعركة •• وخلال ذلك كنت قد سافرت فى رحلة الى السعودية وسوريا وقطر •• واجتمعت بالرئيس الأسد فى دمشق وطلبت أحمد اسماعيل •• وطلاس وزير الدفاع السورى ••

وانتهيت فى القرار مع الرئيس الأسد، أن تكون ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر وتركت دمشق مستريح النفس والضمير •

ومضى أغسطس فى الاستعداد اليومى ، ومواجهة أى مشكلة فى الاعداد العسكرى •• وكان أحمد اسماعيل على اتصال مستمر بى •• حتى اقتربنا من ساعة الصفر •• فقررت أن أدعو مجلس الأمن القومى للاجتماع •• لكى أستفيد بآراء أعضاء المجلس •

وتم الاجتماع فى ٤ رمضان • حضره نائبا رئيس الجمهورية •• والمستشارون •• ونواب رئيس الوزراء •• ومدير المخابرات •• وعدد من الوزراء المختصين فى الاعداد للحرب •

وكان سؤالى لهم عند بدء الاجتماع ••• ما رأيكم فى الموقف الآن •• وكيف الخلاص ؟ ••

وتحدث فى الاجتماع الدكتور محمود فوزى وحسين الشافعى وعزيز

العدو فى الضفة الشرقية •• فى هذه الأثناء وقعت حوادث الطلبة •• ورزالة بعض المثقفين • والفتنة الطائفية ! ••

ولكننى تركت كل هذا على جنب •• وأعطيت كل وقتى وجهدى لمواجهة العدو • وكان عملا شاقا قام به رجالنا على أروع صورة • واستطاعوا به أن يقدموا نظريات عسكرية قلبت الاستراتيجيات العالمية • لقد أثبت أبناؤنا أن المشاة يستطيعون قهر المدرعات • كان هذا الكلام مضحكا اذا قيل أمام خبير عسكرى عالمى • وجاءت حرب أكتوبر لتحقق هذه النظرية الجديدة عمليا • انقلاب فى العالم العسكرى • وجاء هذا نتيجة الدراسة • ثم التدريب الشاق العنيف ليل نهار • وقبل ذلك الايمان • روح المقاتل المصرى ، التى أسقطوها من حساباتهم •

قلت : ولكننى سمعت يا سيادة الرئيس أنه حتى ٥ أكتوبر كانت ترد لنا أسلحة • فكيف دخلنا الحرب •• ولا تزال الأسلحة ناقصة •• ؟

قال الرئيس : اذا كان على وصول الأسلحة • فقد كانت تصل فى الأيام السابقة على القتال •• وخلال المعركة وبعدها •• ومن دول كثيرة • وكانت تنفيذا لتعاقدات •

ولكننا وضعنا خطتنا ونفذنا ، على أساس ما كان فى أيدينا فعلا من سلاح • ولكننى كما قلت لك لم أغفل أبدا ، عنصر المقاتل المصرى • قدرة الانسان المصرى الذى حقق أرقاما قياسية فى حرب أكتوبر •• كل صاروخ بدبابة ! ••

نعم •• لقد دخلنا الحرب أمام تفوق اسرائيلى تكنولوجى •• ولكن من استرجاعى لشريط الحرب فى ٦٨ •• كان قرارى •• قد يكون لديهم التفوق التكنولوجى •• ولكن حسن استخدام السلاح ، وروح العسكرية فى الانسان المصرى •• وايمانه بتطهير أرضه •• قادرة على التغلب •

ولماذا نذهب بعيدا ؟

أسطورة سلاح الطيران الاسرائيلى • لقد كانت لهم السيادة لا التفوق ولكن ماذا حدث لهذه الأسطورة ؟ •• لقد فقد سلاح الطيران الاسرائيلى

صدقى وحافظ اسماعيل وغيرهم .. وكان موضوع كلماتهم .. حرب أو لا حرب .. وكيف ! ..

.. ولم يشأ الرئيس هنا ، أن يعرض ماذا دار فى هذا الاجتماع من مناقشات . ولكننى سألته : وماذا كانت آراء من تكلموا فى هذا الاجتماع .

وقال الرئيس : آراء مختلفة .

فقلت : لقد سمعت أن وزير التموين أعطى صورة للوضع التموينى ، ونقص بعض المواد ، مما يتعذر معه الدخول فى معركة ..

قال الرئيس: الحرب ليست مجازفة قدرية . لابد أن يكون كل شىء محسوبا . ولكن هناك ما يسمى بالمخاطرة المحسوبة . ولو حسبنا بأسلوب أننا سندخل حربا مكسوبة مائة فى المائة .. من كل شىء .. لما دخلنا الحرب . ولما دخل أحد الحرب أبدا . هناك موازين ، وحسابات ، وتعويضات ، واحلالات ، وابدالات .. قرار الحرب يعتمد على صورة عامة محسوبة . لقد كنت أقول دائما ، عبارة فى شكل نكتة .. هى « والسبب رقم ١٧ — كما يقول المثل التركى القديم — أنه حتى نهاية ١٩٧٣ لن تكون لدينا عملة صعبة لشراء القمح » .. هذا السبب وحده كان كافيا لقرار عدم الحرب .. ولكن يقابل ذلك ، أن التغيير فى الأوضاع العالمية الذى ستحدثه الحرب يمكننا من مواجهة نواقص كثيرة بعد الحرب .. وهكذا فحسابات الحرب لها طبيعة خاصة . لقد كانت أمامى عشرات الأسباب التى يمكن أن أتعلل بها لتأجيل الحرب ، حتى تنتهى مدة رياستى . كان من الممكن أن أناور وأتفادى احتمال خسارة الحرب ، .. ولكننى كنت أعتبر نفسى خائنا لو فعلت ذلك . لقد اخترت قدرى ..

قلت : هذا صحيح . وقد سمعنا منك نص هذه الكلمات فى جلسة مغلقة قبل الحرب بأشهر . ولكننى أريد أن أسأل .. ماذا كانت نتيجة اجتماع مجلس الأمن القومى ..

قال الرئيس : لقد ختمت الاجتماع بأن شكرتهم على الآراء التى أبديت .

قلت : ألم تبلغ مجلس الأمن بقرار ساعة الصفر بعد يومين ..

قال الرئيس : لا .. السرية كانت تقتضى الكتمان . وكنا قد بدأنا فعلا تنفيذ العمليات . وكانت القوات البحرية قد تحركت فى هدوء الى المواقع التى حددتها الخطة قبل هذا الاجتماع بأربعة أيام .. وكانت العجلة قد دارت بحيث لا يمكن أن تعود .

قلت : ماذا كان شعورك فى هذه الساعات الفاصلة .. ؟

قال الرئيس : عادى جـــدا .. كنت صايم رمضان ..

قلت : هل كنت تنام الليل ..

قال الرئيس : كنت أنام الليل ملء جفونى . كنت مستريح النفس . أنتهت فترة اللا سلم واللا حرب . تحدد الموقف بالحرب فاسترحت ..

قلت : أذكر أنك قاسيت من الأرق والتفكير .. قبل اتخاذك قرار الخبراء الروس ..

قال الرئيس : هذا صحيح .. وبمجرد أن أتخذت القرار .. استرحت واستغرقت فى النوم .. وقد حدثتك اليوم عن فترة لم أنم فيها ، عندما اكتشفت أن صـــادق لم ينفـــذ التكليف .. وأن التفوق أصبح للاسرائيليين .. ولم أسترح الا عندما قدم لى أحمد اسماعيل التمام ..

قلت : ولكن اتخاذ قرار الحرب .. وتحديد ساعة الصفر ، لا يمنع يا سيدى من التفكير فى احتمالات الخسارة .. ألم يكن هناك احتمال ١٠٪ أن تفشل الخطة ..

قال الرئيس : كان هناك احتمال ٣٠٪ .. أو أكثر .. ولكن الموقف هو أننا قد بذلنا كل جهدنا ، ولم نضيع دقيقة من الوقت فى الاعداد الجاد .. واذا حدث لاقدرالله .. أننا لم ننتصر ، فأننا نكون قد أدينا واجبنا الوطنى والقومى بذمة وأمانة وشرف .. ويتسلم الأمانة جيل بعدنا ، يثق أننا أدينا واجبنا ولم نفرط .. كنت سأقاتل وأسقط فى ميدان القتال .. كنا سنكبد الاسرائيليين خسائر فادحة .. كنا سندافع عن

شرفنا وعرضنا وترابنا المقدس • وليكن بعد ذلك ما يكون • أما استمرار الخنوع والمذلة •• فكان هذا هوالمستحيل • وقد كان أشرف لى ألف مرة أن أموت فى هذه المعركة ،وأصاب بهزيمة بعد أن أقاتل وأسبب للعدو خسائر قاصمة •• من أن أبقى حيا ، فى موقف مشين لا هو حرب ولا هو سلم •• والعالم كله مقتنع بأننا أصبحنا جثة غير قادرة على الحركة ••

ولكنها كما قلت لك •• لم تكن مجرد مغامرة •• ليست قمارا أو مجازفة غير محسوبة •• كانت استراتيجيا قائمة على أربع نقاط :

١ — أن تحارب اسرائيل على جبهتين •

٢ — أن تصاب اسرائيل بخسائر لا قبل لها باحتمالها ••

٣ — أن تستمر اسرائيل تحت التعبئة لأطول مدة ممكنة لا تقوى عليها •

٤ — أن يتحقق التضامن العربى •• وتستخدم الأسلحة العربية الاقتصادية والعسكرية ••

وكان عندى يقين أن هذا كله سوف يتحقق •• وقد تحقق بارادة الله •

قلت : عرفت من المشير أحمد اسماعيل أن سيادتك عقدت اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر (الخامس من رمضان) •• وكان اجتماعا حاسما استمر ١٠ ساعات •• ما هى مشاعرك عن هذا الاجتماع ••

قال الرئيس : روعة ••

ثم كررها الرئيس : بصوته العميق وهو يضغط على كل حرف : نعم •• روعة •• روعة •• يجب أن نفخر بهؤلاء الرجال • لقد حضر هذا الاجتماع حوالى ٢٠ ضابطا من قيادات القوات المسلحة • وعرض كل واحد فيهم الخطة النهائية التى سينفذها فى موقعه •• ولم تخرج كلمة

واحـــدة عن هذا الاجتماع الخطير •• رجال مرتفعون الى أعلى قمم المسئولية • أبطال • وفى هذا الاجتماع باركتهم ، وقلت لهم أننى أتحمل المســئولية أمام التاريخ •• وصـــدقت على الخطة ، كتابة ، بالتاريخ ١٠ رمضان •• خطة الشرارة ••

ــ وشربت القهوة الرابعة وأنا أتأمل أعماق أنور الســادات ، وهو يتحدث عن القرار الخطير •• كان اتخاذ القرار •• البطولة الأولى •• اتخاذه من أرض مسئولية لا من أرض مزايدة أو مغامرة • ان أعماق هذا الزعيم تحتاج الى دراسة متوغلة •

عندما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، كان يسبح فى ترعة القرية •• وتعرض للغرق • وسأله أصدقاء القرية بعد أن أنقذوه ، كما اعتـــادوا دائما أن يسألوا كل من يواجه محنة الغرق •• ماذا رأيت وأنت تغرق •• فقال •• لم أر شيئا ! •

فسألوه ألم تفكر فى شىء وأنت تغرق •• وقال الشاب الصغير : نعم •• فكرت فى أن مصر ستخسر أنور السادات !

ولم تكن هذه الاجابة معبرة عن غرور • فهو أبعد الناس عن ذلك • ولم يكن رفاق القرية يعرفون عنه الا التواضع ونكران الذات •• كانت الاجابة تعبر فعلا عن حبه لمصر • كان ســيفقدها لو غرق •• وكانت ســتفقده ••

تأملت وجه أنور السادات ، وأنا الذى أعرف عشرات القصص عن حياته وطفولته وشبابه •• وأعدت سؤالا سابقا ، بتعبير آخر ••

قلت للرئيس : ولكن •• ليلة ٦ أكتوبر بالذات •• أين أمضيتها •• وكيف ؟ ••

وابتسم وهو مدرك للهدف من سؤالى : لم أنم فى بيتى •• كنت قـــد أخترت قصر الطاهرة لاقامتى وقت المعركة •• وأعددنا به غرفة عمليـــات كاملة تحت الأرض بديلة لغــرفة العمليات القريبة من قصر الطاهرة • ومنها نتابع العمليات دقيقة بدقيقة مثل الغرفة الأصلية تماما •

وكنت أعرف أن الموقف سوف يقتضى لقاءات سياسية دولية •• ولذلك اخترت هذا المكان القريب لمباشرة عملى السياسى •• وفى الوقت نفسه لم يكن أحد يدرى أنه يشكل مركز قيادة عسكرية •• وأذكر فى تلك الليلة أننى آويت الى فراشى فى موعدى المعتـــاد •• وكنت قد أمضيت يوم الجمعة عادى جدا •• وصليت الجمعة فى كوبرى القبة فى الزاوية التى تعلمت فيهـــا الصـــلاة منذ خمسين عاما ! •• وعدت الى قصر الطاهرة •• وأعطيت تعليمات يوم ٥ •• واتصل بى الفريق أحمد اسماعيل ، وسألنى متى سأحضر فى الصباح الى غرفة العمليات ، فطلبت منه أن يمر على فى اليوم التالى الساعة الواحدة والربع بعد الظهر •• أى قبل ساعة الصفر بـــ ٤٥ دقيقة •• ونمت ملء جفونى • واستيقظت فى الصباح كعادتى ••

قلت : الساعة كام ! ••

قال الرئيس : الساعة ٨ صباحا •• أنا لا أنام بعد هذه الساعة •• وبدأت بقراءة الصحف كالمعتاد •• ولعبت بعض التمرينات السويدى •• وأخذت حمامى •• ثم ارتديت ملابسى ••

قلت : العسكرية••

قال الرئيس : نعم •• ثم باشرت عملى كالمعتاد •• ومر على الفريق أحمد اسماعيل فى الساعة الواحدة والربع تماما •• وبعد ١٠ دقائق كنت فى غرفة العمليات •• فالمسافة قريبة ••

الساعة ١٫٣٠ صدر البيان الخاص باعتداء اليهود علينا ••

وهنا حدث شىء لطيف •• أنا كنت عاطى أوامر لأولادى فى القوات المسلحة أنهم يفطروا •• كثير من الأولاد الشياطين دول ماسمعوش الكلام ودخلوا المعركة صايمين • أنا فى القيادة مش واخد بالى •• مش شايف واحد فيهم بيدخن •• متحرجين لأننى لم أدخن أو أطلب أى شىء • رحت طلبت فنجان شـــاى •• وجابولى « البايب » من العربية •• وبدأوا بعد كده كلهم يدخنوا ••

قلت : وما هو أول بلاغ تلقيته عن القتال ؟ ..

قال الرئيس : أول بلاغ .. كان الساعة ٢ بالدقيقة .. أبلغت جميع قوات الخط على مسافة ١٧٥ كيلو مترا من بور سعيد الى السويس بعبور الطيران . وقد كان من أقوى حوافز العبور أن ترى القوات ٢٤٠ طائرة تمر فوقها فى موجات وعلى ارتفاع منخفض ، مثل الوحوش المنقضة .. هل تعلم أن كثيرين لم ينتظروا أمر العبور .. وبدأوا بمجرد رؤية الطيران ..

بعد ضربة الطيران .. جاء بلاغ الخسائر .. لم يذكروا لى أن أخى أستشهد .. لقد كان واحدا من الطيارين الذين حققوا الضربة الأولى . والحقيقة لو قالوا لى .. ما كنش الأمر يختلف .. أنه ابن مصر .. مثل كل زملائه أبناء مصر .. قبل أن يكون أخى .. والحقيقة أن نتائج الضربة كانت رائعة .. وأكثر مماتوقعنا بشكل خارق .. استمرت الطلعة ٢٠ دقيقة .. وبعد ١٥ دقيقة طلبت تكرار الضربة مرة أخرى . أربعة آلاف موجة انطلقت تزمجر وتدمر .

وبدأ النمل يدخل ..

استدركت : النمل ؟ ..

قال الرئيس : ولادى .. كانوا زى النمل .. آلاف .. وراء آلاف .. وجاءت أول بيانات عن غرس العلم المصرى على الضفة الشرقية .. اللواء السابع كان أول من أبلغ على ما أذكر .. الكل كان منفعلا .. توالت البيانات .. والمدفعية الرهيبة اشتغلت ..

والحقيقة أنه بعد ٤ ساعات .. من ضربتى الطيران .. وضرب المدفعية كان واضحا أن اسرائيل فقدت توازنها كاملا .. وبعد ٦ ساعات تأكد أنها تعانى هزيمة منكرة . لم تكن المدرعات قد عبرت .. المشاة والقوات الخاصة بالصاروخ المضاد للدبابات ، قدموا أشجع معركة فى تاريخ الحروب .. وهم يتصدون للواءات مدرعة كاملة من العدو .. ويبيدونها .. فرقة لواء ١٩٠ الاسرائيلى أبيدت فى ٢٠ دقيقة .. لواء يعنى ١٢٠ دبابة ..

قلت : ولذلك سمعتك تقول يا سيدى ، عند زيارتك للفرقة الثانية فى الجبهة ، أنه عليهم أن يحافظوا على هذه الأرقام القياسية •• تدمير اللواء المدرع فى ٢٠ دقيقة •

قال الرئيس منشرحا : فعلا •• أولادى •• سجلوا أرقاما قياسية عالمية •• وفى الساعة الثامنة مساء ، أبلغت بأن السفير السوفيتى يطلب مقابلتى •• وكانت الخطة ماشية كما خطط لها وأروع •• المشاة جميعهم عبروا •• بدأ عبور المدرعات • •فيما عدا كبارى الجيش الثالث •• كل شئ كان رائعا •• ذهبت الى قصر الطاهرة •• وجاء السفير السوفيتى ليقول لى أن سوريا تطلب وقف النار غدا ! •• الى آخر القصة المعروفة التى انتهت برفضنا لوقف النار ••

« ثم تناول الحديث مع الرئيس السادات القصة الكاملة ، لوقف النار •• حتى اتفاق فصل القوات • وصـول كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى مصر • طلبه وقف النار •• رفض الرئيس ذلك الى أن تتحقق أهداف الخطة عسكريا •• واليوم الثانى لكوسيجين فى القـاهرة ، لم يقابله السـادات ، وكان كوسيجين على اتصال مستمر بموسكو طوال اليوم • ثم مجئ مبعوث الرئيس تيتو لنفس الهدف •• ثم رسالة رئيس وزراء بريطانيا هيث الى الرئيس •

قلت للرئيس : متى قابلت السفير البريطانى •• وماذا كان يحمل لك ؟

قال الرئيس : طلب السفير البريطانى لقائى عند الفجر ! •• كان يحمل رسالة عاجلة جدا من رئيس وزراء بريطانيا عن وقف النار ، وانسحاب اسرائيل ، وفك حصار باب المندب •• لقد اتصل كيسنجر بمستر هيث رئيس الحكومة البريطانية ، وقال له أن السوفيت أبلغوه أن مصر قبلت وقف النار •• وطلب كيسنجر من هيث أن يتصل بى ، لأن علاقاتنا مع أمريكا مقطوعة •• وقال لهأن أمريكا أقنعت اسرائيل بوقف النار على الخطوط الحالية للقوات عن الجانبين •• وكانت اسرائيل تطالب من قبل بعودة القوات الى أوضاعها السابقة •• والحقيقة أننى لم أبلغ السوفيت بالموافقة •• وكان جوابى على هيث أننـا لن نوقف اطلاق النـار الا بالانسحاب الاسرائيلى ، وعندما نستكمل خطتنا •• وأبلغته أيضا أن سوريا ردت على بأنها لم تطلب وقف النار ••

وسألت الرئيس : وجاء كيسنجر الى القاهرة ، وبدأ الاتفاق على وقف النـــار يأخذ طريقة العملى •• كيف كان لقاؤك الأول مع كيسنجر ؟ ••

وأجاب الرئيس:لقد بدأ كلانا اللقاء بتحفظ فىالحوار••ولكن بعد الساعة الأولى من حديثنا استطعت أن أقتنع بأن كيسنجر رجل يوثق به •• كان يتكلم بمنطق ، ورؤية واضحة ، وعلى أساس استراتيجية محددة المعالم • كان يتكلم عن واقع جديد لسياسة أمريكا ••

وكانت الساعتان التاليتان لجلستنا ، تعبران عن اتفاق كامل فى وجهات النظر •• وكان حوارنا ، ماقشة تحليلية على مستوى الرؤية الشاملة ، والاستراتيجية ، أكثر من الدخول فى التفصيلات •• وقد كنا ــ نحن الاثنان ــ سعداء حقا بهذه المناقشة •• وانتهينا الى النقاط الست ، والى البند الثانى منها الذى نص على فض الاشتباك ••

قلت : سمعت أنه قال لك أمام اسماعيل فهمى وزير الخارجية ، أنك أول من غلبه فى الاستراتيجية ••

وقال الرئيس : لا داعى لنشر هذا الكلام •• أنا لا أحب أن أتحدث عما يدور فى الاجتماعات الخاصة،وليس له طابع عام ••

قلت : سمعت أنه روى لك ما جرى فى الأيام الأربعة الأولى للحرب •• فى واشنطن وفى اسرائيل •• وكيف تصور أننا سنحترق فى القناة خلال ٤٨ ساعة •• ثم كيف طلبت اسرائيل النجدة فى اليوم الثالث ••

قال الرئيس : لا أريد أنأخوض فيما قاله لى كيسنجر • هذا حقه اذا أراد التحدث عنــه ••

* * *

وانتهى هذا الحديث التاريخى الشامل مع الرئيس السادات بعد ثلاثة ساعات وكان يمكن ألا ينتهى فى عشرات الساعات ، فأسرار أكتوبر تحتمل حديثا لا يتوقف أبدا •

وقد أفاض الرئيس فى الحديث عن الموقف الرائع للرئيس هوارى بومدين •• والموقف الرائع لجلالة الملك فيصل والموقف الرائع للرئيس تيتو •• مما أفردت له فصلا خاصا فى هذا الكتاب ، عندما استعرض الموقف العربى قبل وبعد حرب أكتوبر •

ولعلنى لا أستطيع أن أنسى أننى خرجت من لقاء الرئيس •• وقبل أن أسطر هـذا الحديث التاريخى •• وذهنى يغلى باسترجاع بعض ما كشف عنه الرئيس ••

كانت أحداث الطلبة •• « ورزالة » بعض المثقفين كما وصفها الرئيس •• وأحداث الفتنة الطائفية •• وكلها ضرب لجبهة الداخل ، وكان الرجل فى هذه الأيام القاسية لا ينام الليل ، لأن تهاون القيادة العسكرية فى ذلك الوقت جعل الجبهة المصرية مكشوفة امام اسرائيل •• وكان يمكن للعدو أن يقوم بضربة تحطم كل شىء •• وترك السادات كل طعنات الداخل ، وتفرغ بكل جهده ، لاسـتعادة التفوق العسكرى على الجبهة المصرية ، ولضمان السيطرة المصرية على الضفة الشرقية حيث يربض العدو ••

خرجت من لقاء الرئيس •• وأنا أسترجع فى ذهنى أسرار « الخطة ٢٠٠ » الدفاعية التى لا يعرف أحد عنها أى شئ حتى الآن •• وكيف أعدت فى حياة عبد الناصر •• وكيف استكملها أنور السادات بمجرد تولية المسئولية •• وكيف طورها الى خطة هجوم •• ثم اكتشف فجأة أن التكليفات التى أعطاها للقائد العام للتنفيذ •• لم ينفذ منها شىء !

* * *

ولكنه استطاع بعد ذلك أن ينـام الليل ملء جفونه •• مطمئنا •• مستريح البـال ومتى ؟ •• فى ليلة ٦ أكتوبر ! فى الليـلة التى سيتقرر فى صباحها ، مصير مصر كلهـا •• ومصير الأمة العـربية •• ومصير أنور الســادات ! ••

الفصل الثانى

المحضر السرى لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

... « ان اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ الذى انعقد فى مكتب الرئيس بالجيزة فى الساعة التاسعة من المساء ، واستمر ثلاث ساعات وربع الساعة .. يعتبر أخطر اجتماع تاريخى ، اذا أردنا أن نقيم الوثائق العسكرية لحرب أكتوبر .

لقد حدد الرئيس السادات فى هذا الاجتماع ، الموقف بحسم ، دون أن يسمح باى تراجع او تشكيك . الموقف هو الحرب . تحريك القضية عسكريا . وأعلن للقادة فى هذا الاجتماع ، أنه ليس الرجل الذى يناور لكى يحتفظ بكرسى الرياسة .. وأعلن أنه لن يستسلم وأن الموت فى سبيل الأرض ، أشرف من هذه الحياة المهينة . وقال لأعضاء المجلس الأعلى أنه يستدعيهم ، ليبلغهم هذا القرار المصيرى . لا مناقشة فى قرار الحرب . ولكن يجب الاستعداد بالتخطيط والدراسة ، والاعتماد على ما نملك من تسليح .. وعلينا أن نعوض التفوق الاسرائيلى بروح العسكرية المصرية .. بروح المقاتل المصرى .. بشجاعة الانسان المصرى .

وفى هذا الاجتماع اتضح أن بعض القادة لا يريدون الحرب . وقد كونوا تفكيرهم على أن اسرائيل ستنتصر ، وتضرب فى الاعماق ، وستكون النتيجة خرابا .. وذلك بسبب موقف الاتحاد السوفيتى من ناحية التسليح .

وغضب أنور السادات فى هذا الاجتماع . وأصر على قرار الحرب ، وأعلن أنه مؤمن بالعسكرية المصرية . واذا كانت اسرائيل متفوقة فى الجو .. فلن تتفوق أبدا على الأرض . وأنه علينا أن نواجه قدرنا ومصيرنا بشجاعة .. ان الاتحاد السوفيتى لن يحارب من أجلنا ونحن نرفض أن يحارب أحد من أجلنا . هذه معركتنا . اما أن نكون أو لا نكون هذا قدرنا التاريخى . ويجب أن نواجهه .

كانت جلسة عاصفة ..

ولكن غالبية أعضاء المجلس الأعلى ، أعلنوا أنهم مصرون على المعركة .. ومستعدون للتضحية .

وبعد هذه الجلسة .. صدرت قرارات الرئيس باعفاء الفريق صادق .. واللواء عبد القادر حسن مساعد وزير الحربية .. واللواء محمود على فهمى قائد البحرية .. الذى كان قد تدخل فى المناقشة العنيفة لتهدئة الجو .. ولكن كلماته صدرت وكأنها مؤيدة لقرار عدم الحرب .

قال السادات لهؤلاء : لو أخذت بمنطقكم .. انشاء الله نقعد ٥٠ سنة فى هذا الموت .. لقد سمعت هذا الكلام كثيرا .. والرجولة .. والوطنية تفرض علينا أن نحرر الأرض .. ونواجه امتحان التاريخ .

وليعذرنى القارىء اننى اضطررت لحذف فقرات قليلة من هذه الجلسة التاريخية ، حفاظا على أسرار عسكرية ، عندما ناقش الرئيس القــادة فى الاستعدادات العسكرية)) ..

أخطر اجتمــاع تاريخى

فيما يلى النص الكامل لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسـلحة برياسة الرئيس السادات فى مكتبه بالجيزة مساء ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ :

الرئيس : فى سلسلة الاجتماعات اللى بأعملها علشان الموقف النهاردة .. الحقيقة .. كان لابد أن أجتمع بيكم .. لأننى أعتقد أن المرحلة تحتم أن نقعد ونستعرض الظروف والموقف بالكامل .. وخصوصا وان السنة الماضية منذ اجتماعنا فى أكتوبر الماضى لغاية اليوم حصـلت تطورات كثيرة جدا تؤثر على الموقف . وتكاد ترسم خط السير الذى لا مناص منه .. فى أكتوبر الماضى (١٩٧١) لما جمعتكم فى الواقع كان بعد زيارتى للاتحاد السوفيتى وكان فيه لو تذكروا وقفة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى طول صيف ٧١ .. وانتهت بأن احنا اتفقنا على النقاط فى موسكو ١١ و ١٢ أكتوبر .. وبعد اجتماعى فى موسكو جمعتكم وقعدنا اتكلمنا وشرحنا الموقف كله .. ولم أكن سعيدا فى ذلك الوقت . هذه هى الحقيقة . ولكن كما قلت لكم كان فيه نقطةخلاف أساسية مع السوفيت منذ رحلتى الأولى فى مارس ١٩٧١ الى موسكو . ولو عدنا الى محاضر اجتماعات ١ و ٢ مارس مع الزعماء السوفيت ، نجد اننا لم نتحرك فى نقطة الخلاف الأساسية . كانت النقطة الأساسية فى الخلاف .. كما قلت لهم : أنتم حاطينى وراء اسرائيل بخطوتين . ومع أنه المفروض أن أكون متفوقا على اسرائيل .. فاننى لا أطلب هذا . أطلب أن أكون متساويا معها .

وســاعة ما بنيجى للنقطة دى .. دائما بنقع فى خــلاف ، وبيجى جريتشكو ويطلع النوتة ويقول : عندكم كذا دبابة وكام طيارة .. الكلام اللى بيلجأوا ليه دائما .. وندخل برضه فى مناقشات وعلى خصائص الطيارات اللى عندنا . يعنى دائما كنا نيجى فى النقطة الأساسية دى ويطلعوا كشف السلاح .. زى ما قلت لكم فى ١ ، ٢ مارس ١٩٧١ واضح تماما فى المحضر نحن مختلفون .. قلت لهم مش معنى اننا بكتب كده فى

المحضر اننى هارجع مصر وهاأقول أنا مختلف مع الاتحاد السوفيتى .. لأ قلت لهم ان احنا أصدقاء .. وممكن نختلف وممكن بعد فترة نتفق سوا المهم ان كل واحد منا يفهم موقف الثانى .. وجيت فعلا أنا بعد الرحلة دى بتاعة ١ ، ٢ مارس جمعت اللجنة التنفيذية العليا فى ذلك الوقت وبعديها اجتمعت بيكم .. وكان معايا منهم محمد فوزى وشعراوى جمعة .. كانوا معايا فى الوفد .. حضروا المباحثات كلها .. وقلت لهم اللى جرى بصراحة .. وقلت لهم " ولكن ليس معنى هذا ان احنا بنقطع .. أو انه الخلاف نطلعوا على السطح .. دلوقتى لأ .. ماجاش أبدا هذا الأوان .. ومش مصلحتنا .. ومش مصلحة لا شعبنا ولا قواتنا المسلحة ان احنا نطلع الخلاف على السطح النهاردة .. لأن ده خلاف يكفى ان احنا بنحطه قدامنا فى اتصالاتنا الجارية مرة واثنين وثلاثة .. يا اما بنعدى هذا الخلاف يا اما .. ولكن أنا باعتبر انه بالحاجات اللى أعطوها لنا فى ذلك الوقت فى ١ ، ٢ مارس انه من الممكن نخش جولة أخرى وجولة أخرى لصالح المعركة ولصالح البلد .. فى أكتوبر كانت أحداث السودان وقعت فى الصيف زى ما أنتم فاكرين .. وكان فيه وقفة تماما بيننا وبين الاتحاد السوفيتى .. وبعدين اختلفنا فى أكتوبر وواضح فى المحضر .

ولكن جه بريجنيف وقال انه حوالى ٨٠٪ من الصفقة يسلم قبل نهاية ٧١ .. وأنا قلت لكم فى ذلك الوقت على الحاجات اللى وافقوا عليها والحاجات اللى هاتجيلنا قبل نهاية ٧١ والحاجات اللى هاتجينا فى ٧٢ وقلت لكم (exactly) (بالضبط) جهزوا أنفسكم علشان زى ما أنا كنت بنادى ان ٧١ لابد نحسم فيها .. وكانت محل مناقشة معاهم برضه فى اجتماع أكتوبر وفى اجتماع مارس أيضا .. وبقول لهم منطقى . ان شعبنا لا يستطيع الانتظار .. ولا شعوبنا أكثر من كده .. والنتيجة وخيمة عليكم وعلينا .. كانوا بياخدوا الحاجات دى بشىء من الاستخفاف شوية .. يعنى هما متصورين كانوا انه ممكن الأمور تمشى بالطريقة اللى هم بيفكروا بيها ..

فات أكتوبر ونوفمبر ودخلنا فى ديسمبر .. وجات وقعت معركة الهند وكان واضح لى يوم ما حصلت معركة الهند يوم ٨ أو ٩ ديسمبر ٧١ كان واضح لى تماما انه مش ممكن نقدر نعمل أى عملية فى سنة ٧١ خاصة

وان الصفقة اللى اتفقنا انها جاية لنا •• هتيجى قبل نهاية ٧١ وكنا ساعتها فى ٩ ديسمبر • وحتى التعاقد لم يتم عليها •• أنا تصورت انه مش هايستنوا التعاقد زى ما حصل فى سنة ٦٧ •• هايبعتوا على طول وبعدين نبقى نتعاقد •• فكان و اضح فى ديسمبر وســاعة ما ابتدت معركة الهند كان واضح ان الموقف مش ممكن هانقدر نواجهه •• وهو انه هايحصل حاجة قبل نهاية ٧١ •• فيوم ١٠ ديسمبر مباشرة استدعيت السفير السوفيتى عندى وقلت له واضح تماما أن ٧١ انتهى خلاص •• احنا النهاردة ١٠ ديسمبر • ابتدأت امبارح معركة الهند عمليا انتهى ٧١ •• طيب وبعدين ؟ •• أرسلت للقادة السوفيت •• كل ده وأنا فى حسابى بأحسب أنه احنا أصدقاء •• وممكن أن نختلف ولكن الخلاف ممكن أن احنا نحصره بقدر الامكان ونكمل المشوار •• فقلت له ابعت للقــادة السوفيت وقلهم أنا عايز أجى لكم موسكو قبل نهاية ٧١ •• ليه ؟ علشان نحاول نعالج الموقف فى بيان نطلعه • فى اجراء نتخذه علشان نعدى سنة ٧١ لأننى ارتبطت بذلك •• وأنا كنت عندكم فى موسكو مرتين •• بل فى أكتوبر السنة دى وبأعلن وأنتم سامعين كلامى واتناقشنا فى هــذا ان ٧١ حسم ومحصلش حسم •• افترضت بقيام معركة الهند مافيش حسم •• مش هاقدر أعمل حاجة فى ٧١ وأنتم داخلين فيها طرف •• قل لهم قبل نهاية ديسمبر سنة ٧١ أنا عايز التقى بهم فى موسكو وماكنتش عندى حرج أبدا أنى أسافر لثالث مرة موسكو مع أنى كنت قبلها فى أكتوبر •• جانى الرد من هناك فىآخر ديسمبر •• أواخر ديسمبر أن الاجتماع فى ١ ، ٢ فبراير ٧٢ •• لأنه جدول مواعيد القادة السوفيت من هنا لغاية ١ ، ٢ فبراير كذا وكذا وجاب لى جدول المواعيد و ••• و ••• و ••• الخ •• الكلام ده كان فى أواخر ديسمبر •• الحقيقة أنا كدت فى أواخر ديسمبر أن أصدر القرارات اللى طلعتها فى ٨ يوليو •• كدت فى أواخر ديسمبر أنى أقول للسفير طيب شكرا وأعلنه بالقرارات •• لكن يعنى الواقع زى ما قلت لكم •• أنا حريص على المعركة من ناحية •• وحريص على صداقة الاتحاد السوفيتى من ناحية تانية •• لسه فيه أمل يعنى ماقطعتش الأمل •• الحقيقة •• ليه ؟ •• أنا فى تفكيرى قلت الناس دول مستنين اجتماع موسكو بتاع عشرين مايو ٧٢ •• وأنا عارف أسلوبهم فى هذا •• وأنا طول الخمس سنين اللى بعد العدوان •• من ٦٧ بأتعــامل أنا شخصيا معاهم فى قضيتنا •• اكن فى أثنــاء وجود عبد الناصر •• كنت أنا متولى المسألة بالكامل وماكنتش بتخرج عنا احنا

الاثنين •• بس •• فأنا عارف أسلوبهم يعنى لعلمكم برضه عشـــان تكونوا على بينة •• لمـــا عملت المبادرة أنا فى فبراير ٧١ • عملت المبادرة الحقيقة أساسا •• لعدة عوامل •• العامل الأول فيها كان أنى عارف أن الاتحاد السوفيتى مش هيسعفنى •• مش هايدينى فى الوقت الكافى •• وكان أيامها احنا بنتكلم على وقف اطلاق النار من عدمه فى فبراير •• وكان مؤتمر الحزب الشيوعى بتاع موسكو سينعقد فى ٣١ مارس ٧١ فأنا عارف ببساطة وبحساب عارفه بقالى أربع خمس سنين معاهم أن قبل انعقاد هذا المؤتمر مش هيدينى حتى من اللى احنا متفقين عليه •• وكان فى ذلك الوقت القســـم الرئيسى من الاتفاقات هى بطـــاريات الصواريخ عشان الصعيد •• ومش ممكن ابتدى أكسر وقف اطلاق النار وسدود الصعيد •• ماجاتش لسه بطاريات الصواريخ عشان أدافع عنها ومعروف عمقنا فى الصعيد • ؟

فوزى جانى يوم وقال لى خلاص يافندم •• الروس بعتوا لنا • قالوا ان المركبين اللى جايين بالبطاريات واحدة فى ١٨ فبراير وواحدة فى ٢٢ فبراير •• قلت له « لا •• آسف يا فوزى مش هايجى قبل مؤتمر الحزب الشيوعى اللى هايعقد فى ٣١ مارس وقبل ماينتهى المؤتمر فى ابريل •• بعد ذلك تيجى البطاريات •• قبل كده مفيش حاجة أبدا •• » قال لى يا أفندم ده أخطرونى رسميا بميعاد ١٨ و ٢٢ فبراير • قلت له « ولا حاجة جاية •• وده أسلوبهم أنا عارف • وهذه طريقة تعاملهم » •• فالحقيقة كانت مبادرتى أساســـا تهدف الى أنه •• طيب أنا أيه اللى تاعبنى ؟ •• أنا اللى تاعبنى أن أنا مش عايز خسائر فى العبور •• وعشان كده عملت المبادرة • أنه اذااسرائيل انسحبت مرحلة أولى بتعبر قواتنا •• بنفتح قناة السويس • بندى ٦ شهور وقف اطلاق النار رسمى •• بعد الـــ ٦ أشهر اذا اسرائيل مانتهتش الى حل معانا • قواتنا الى عبرت تقاتل وتكمل واجبها •• اللى أنا بأقصده من هذا ، انه كارت ناجح مع أوربا الغربية وللعالم كله بالنسبة لفتح قناة السويس •• الحاجة الثانية انه أنا عايز أخلص من عملية السيف اللى محطوط على رقبتى •• فى العبور •• وأرى أننا سنتعرض لخسائر ضخمة اذا كان لابد أنى أعبر قبل الروس مايدونى الحاجات اللى أنا عايزها •• وقلت يعنى يمكن تانى الأمريكان يسعوا و ••• و ••• و ••• لولا أنهم بعد ذلك ضحكوا عليهم اليهود وأنا بعت لنيكسون هذا الكلام •• وقلت له ضحكوا عليك

اليهود لأنهم قالوا للامريكان ان المبادرة ليست الا بدء التنازلات المصرية •• استنوا عليهم هايكملوا باقى التنازلات •• قلت لنيكسون أنا بعت لك قلت لك ان المبادرة ارتباط كلام وما صدقتنيش وعليه النهاردة أنا مش مستعد أبدا أتكلم فى هذا الموضوع •• الحقيقة أنا أيامها عملت هذه المبادرة علشان فى العبور أتجنب الخسائر الضخمة اللى لازم تحدث نتيجة عدم امدادى بما أريد •• الشىء الثانى كان •• أو السبب الثانى للمبادرة الحقيقة •• انه ضاق الوقت •• أنا عارف أنه زى ما قلت لكم أنه فى ٣١ مارس كان مؤتمر الحزب الشيوعى •• قبل هذا التاريخ مفيش حاجة حتى من اللى اتفقنا عليها هاتيجى •• وبطاريات الصعيد وغـــير بطاريات الصعيد •• حتى أى قطع غيار أو أى حاجة مش هاتيجى قبل ما ينتهى المؤتمر بتاعهم فى ابريل •• وده اللى حصل فعلا •• البطاريات ماجتش الا فى ابريل أظن ••

أحد الأعضاء : ابريل ••

الرئيس : آه ماجاتش الا فى ابريل •• مع أنه زى ما قلت لكم أخطروا فوزى بأن مركبين واحدة فى ١٨ وواحدة ٢٢ فبراير فأنا قلت باكسب وقت شوية•• برضه••منها بتغير الصورة السياسية للقضية كلهاواسرائيل بتقول انه مفيش حد فى العرب يقبل اتفاق سلام Peace agreement حقيقى يعنى لو قالت Peace treaty لو قالت معاهدة ســـلام كانت تبقى خطر •• لكن لما تقول اتفاق سلام •• طيب ما هو اتفاق الهدنة بتاع ٤٩ لـــا تقروه تلاقوه اتفاق سلام • ولذلك أنا قلت اتفاق سلام مفيش مانع ••

قلت أيضا أكسب الوقت برضه مجاملة لصديقنا الاتحاد السوفيتى أنه ياخد وقته معلش •• أنا عارف ساعة الحزب الشيوعى ما يعمل مؤتمره فى ٣١ مارس وياخذ راحته هو وأقرص عليهم شوية •• معلش فرعت المشكلة شوية •• وأهيه ماشية وفعلا المبادرة مشيت وغيرت شكل القضية السياسية بره فى العالم و •• و •• و •• الخ •• وحركت شوية و •• و •• و •• لكن كان تأثيرها على الروس عكسى •• أروح لهم يقولوا ما فى حل الا حل سلمى •• ولازم تتصل بالامريكان •• طيب ما أحنا عرضنا المبادرة وبناء على مبادرتى الامريكان هم اللى جم وأنا مارحتلهمش •• بعتو لى روجرز •• الأولاد المتآمرين اللى كانوا هنا

فى اللجنة العليا راحوا للاتحاد السوفيتى وقالوا لهم أنور السادات باع البلد للأمريكان خلاص واتفق معاهم وصفى القضية و ••• و ••• و •• والناس دول بيفكروا بطريقة غريبة ••

أنا لم أطلب من الأمريكان •• دول همه اللى جم وقالوا وزير خارجيتنا يجيلك •• قلت لهم ييجى ما عندى مانع أبدا •• يعنى بس ييجى يقولى عايز ايه •• هايجينا ليه أو هايعمل ايه •• فضلنا بعد المبادرة فى الموقف اللى برضه المايع الى أن حصلت أحداث السودان فى صيف ٧١ •• وقلت لكم فى زيارة أكتوبر بعد كده برجع لحديثى الأصلى •• الحقيقة كدت فى أواخر ديسمبر ٧١ لما جالى السفير السوفيتى يقولى على الموعد فى ١ ، ٢ فبراير كدت آخد موقف معاهم •• لكن فى الحقيقة ماكنتش أنا فى هذا الوقت جاهز لأى حاجة • ليه لأن مقدرش آخد المسائل لا بعاطفة ولا بانفعال ولا بغضب ولا حاجة أبدا لأنها مسائل مصيرية •• وأنا الى ذلك الوقت زى ما حكيت لكم عارض أنى أروح موسكو لثالث مرة فى ديسمبر مع أنى كنت لسه فى أكتوبر عندهم •• أنا اللى عارض •• وقلت للسفير قلهم أنا عايز أدرس الأمر على طول علشان نقدر نطلع حاجة نغطى بيها الموقف بتاع ٧١ • ونخش على ٧٢ لأن واضح بعد معركة الهند مفيش حاجة •• حتى ده مش قادرين يفهموه. ان احنا لازم نغطى موقفنا •• وأنا بغطى موقفهم هم • لأن أنا ممكن زى ما حصل ، وقلت باطلع وباحكى القصة كلها • وبأقول أن الناس دول اتفقوا معايا على أنه يدونى صفقة قبل نهاية ٧١ على أساس أنا كنت عايز أخطط وأشتغل ما أدوينش •• مضطر أقف مش عايزه مناقشة •• ولكن محبتش ألقى اللوم عليهم ولا حاجة فى ذلك الوقت وقلت لهم عليها كأصدقاء وأنا عارف ماذا سيحدث فى موسكو بينهم وبين نيكسون •• هم عايزين يهدئوا كل شىء وهم •• الشىء المؤسف اللى أتصوروه ان احنا جماعة مجانين أو ناس ما بنفكرش •• متصورين أنه يوم ما أن نحصل على الأسلحة التى نريدها نروح راكبين راسنا ونقول أضرب يا جدع ! •• مش قادرين يفهموا •• أو يعنى متخاذلين •• بيقولك لأ •• طريقة تفكيرهم عنا •• حقيقة لغاية النهاردة مانيش عارف أوصل لها كويس •• انما فيه شىء واحد لازم نعرفه انه ده قوة كبرى وله سياسته كقوة كبرى وله مصالحه وله أوضاعه •• بيفكر على هذا الأساس •• صبرت على مضض حتى اجتماع ١ ، ٢ فبراير وسافرت • وقامت الدنيا كلها خلال هذا •• الطلبة

قاموا •• الجماعة الحاقدين كلهم اتحركوا •• وفاهمين انه دى فرصة وزى مانتم شفتم •• أنا تركت الطلبة ٧ أيام ••

واجهت البلد كلهـا وواجهت العرب كلهم • ودافعت عن الاتحـاد السوفيتى •• على أمل ان احنا هنتقابل فى فبراير •• فعلا •• فى فبراير اتقابلنا • وشرحت لهم صورتهم وحالتهم وقلت لهم أن الوضع خطر عليكم دلوقتى فى المنطقة وعلى العرب كمـان يعنى أحسـبوا معايا •• طيب أمتى الحاجات دى ستنفذ •• طبعا حاسين البلد كانت بتغلى ازاى •• وكان فيها ايه •• قلت لهم ده كله نتيجة لكل التصرفات اللى فاتت واللى حكيت لكم عنها واللى قلت لكم عنها من مارس ٧١ •• فى محضر مارس ٧١ تلاقوا الكلام ده كله •• وقلت لهم لا يمكن شعوبنا تستنى ولا يمكن المنطقة تستنى •• مش ممكن بالأسلوب ده وبالشكل ده هانمشى الأمور •• ردوا على بكلام عن الرجعية واليسار •• قلت برضه هانرجع للكلام •• الرجعية واليسار •• مفيش عندى لا يسار ولا يمين فى البلد بالنسبة لتحرير الأرض أبدا •• مفيش خلاف اطلاقا •• ويسار ايه ويمين ايه النهارده •• سيبوا الكلام ده كله احنا فى معركة مجروحين كل انسان يمينى يسارى رجعى تقدمى كل واحد مجروح عشـان الأرض اللى محتلة •• ما نفرعش المسائل ونفسرها غير تفسيرها الحقيقى ••

جيت من اجتماع فبراير فات مارس ، ابريل ، أواخر ابريل لقيتهم جايين •• جاء السفير فى أواخر ابريل وقال القادة السوفيت بيلحوا ويترجوك أنك تسافر لهم •• بس ما أنا كنت عندكم فى فبراير •• أنا الثلاث مرات السابقة •• مارس — أكتوبر — فبراير أنا اللى طلبت •• ابريل أنا مطلبتش •• ليه يعنى ما أنا كنت عندهم فى فبراير وانتهينا واتفقنا حتى فى فبراير ان احنا مستنين نتيجة اجتماع موسكو فى ٢٠ مايو •• وانهم يخطرونى بنتيجة الاجتماع ونتصرف على أساس النتيجة بعد ذلك •• جانى فى أواخر فبراير وقالى بأى ثمن •• يا خبر •• أنا كنت عندهم ثلاث مرات فى أقل من سنة •• بيترجوك •• مش ممكن فى ٤٨ ساعة • كانوا محددين ومجهزين لأنهم هم اللى عاوزين • والطيارة تحت أمرك وكذا وكذا •• ورحت فى أواخر ابريل •• عيدنا الكلام كله من الأول •• هم كانوا تعبانين جدا من الوضع فى المنطقة والوضع فى بلدنا بالذات •• طيب ما أنا من مارس ٧١ من سنة وشوية وأنا بقول.

لكم هذا الكلام هايحصل •• طيب هاتكلم فى حل •• الحل مفيش حل ••
الحل أنكم تدونا اللى احنا عايزينه • بس •• واللى أنا طالبه منكم من
مارس ٧١ •• وكان الكلام بيننا أنه احنا عايزين نتساوى مع اسرائيل •
ماتخلوناش •• ورا اسرائيل النهارده يمضى وقت من سنة ٧١ لغـــاية
النهارده •• اسرائيل بدل ما أبقى وراها بخطوتين بقيت وراها بعشرة
دلوقتى •• طيب ليه ؟ •• ده شعر به شعبنا وحسه الناس •• طيب
ايه هو سبب اللى بيجـرى ده •• قـــالوا التحــرك اليمينى •• يا ناس
مفيش لا يمين ولا يسار عندنا فى تحرير الأرض •• ومع ذلك قلت لهم
والله أنا مستنى اجتماع موسكو •• فى الشهر الجاى مايو •• واتكلمت
مع بريجنيف فى الجلســـة دى بالـــذات بتـــاعة ابريل ٧٢ عن الخـــط
الاستراتيجى •• قلت له حصل حاجتين : حصل معركة الهند فى ديسمبر
٧١ وحصل الهجوم الكبير بتاع فيتنام وكان ابتداء منذ شهر تقريبا ••
قلت له معلوماتى عن الهجوم بتاع فيتنام انه بيتجهز له قبلهـــا بست
أشهر •• بدليل انه بتقولوا حصار هايفونج وتلغيم الميناء و •• و••• و•••
قلت له أنا قعدت أضحك لمـــا قرأت هذا الكلام لأن بتلغموا الميناء عشان
اللى جاى ؟ طيب ما هى المعركة متجهزة من قبلها بست أشهر وكل شىء
متشون جوه •• والهجوم الكبير لم يبدأ فى فيتنام الا بعد تشوين كامل
لكل حاجة •• و ••• فيه أطقم سوفيتية على الصواريخ وعلى مدفعية ••
وأطقم سوفيتية أخرى على باقى الأسلحة •• قلت له طيب ما ناخد درس فى
هذه العملية ونطلع بالخلاصة الآتية :

أولا : هل تعتقدوا أنتم أن القضية تتحرك سياســـيا ما لم تتحرك
عسكريا •• قالوا لأ • قلت لهم مثلا عندنا فيتنام •• نيكسون جاى لكم
الشهر الجاى •• قلت له نيكسون جاى لكم بعد عشرين يوم •• وأنتم
عاملين هجوم كبير عليه وسايجون مهددة ٦٠ ألف عسكرى •• حتى أيامها
طلع خبر ان فيه ٦٠ ألف عسكرى أمريكى مهددين أنهم يتمسكوا فى
سايجون •• ومع ذلك نيكسون جاى لكم •• برغم هذا كله نيكسون
جاى لكم لغاية موسكو •• ليه •• لأن القضية اتحركت عسكريا فسياسيا
بيحصل استجابة على طول •• ما لم نحرك قضيتنا عسكريا مش هايحصل
استجابة بريجنيف قال ١٠٠٪ موافقك على هذا التحليل ••

قلت له طيب معـــاك ••• طيب ناخـــد درس من فتنام زى ما شونتم

قبلها بست أشـــهر للهجوم الكبير • بعد اجتماعكم فى عشرين مايو اللى جاى •• والى ٣١ أكتوبر قبل انتخابات الرئاســة بخمس ست أيام هايكون باقى خمس أشهر • قلت لهم مش صعب اننا نتكهن بنتيجــة اجتماعكم فى موسكو بالنسبة لقضية الشرق الأوسط •• بالنسبة للأمن الأوربى ما بيهمنيش كتير ومابيعنينيش وجايز توصلوا فيه لحلول مع بعضكم •• بالنسبة لقضيتنا فى الشرق الأوسط •• قلت له •• لن يحصل تقدم كثير ومن دلوقتى وأنا قاعد معاكم فى ابريل أهوه ممكن أقول ايه اللى هاتسفر عنه المباحثات لماذا ؟ •• لأنه بحساب سياسى بسيط • السنة دى سنة انتخابات فى أمريكا سنة ٧٢ •• أمريكا ان ماكانش موقفها هايكون للأسوأ هايفضل سىء زى ما هوه لأن دى سنة انتخابات سنة المزايدات بين الحزبين الاثنين •• وهى (already) من الأول أمريكا متورطة متعهدة لاسرائيل •• طيب يبقى لن يتغير الموقف بالنسبة لنا • يعنى أحسن موقف هايكون هو السيىء اللى احنا فيه النهاردة •• ده الخوف أنه يروح للأسوأ • ليه ؟ لأنه اسرائيل قاعدة مستنياهم بعد اجتماعكم هاتحاســبهم •• ايه اللى عمله نيكسون عشــان تؤيده أو متأيدوش •• وهوه واخد فى حسابه هذا •• وقلت لهم مش صعب التكهن بنتيجة اجتماعكم الشهر الجاى مع نيكسون •• فقالوا نشتغل باستراتيجية بعقل شوية •• والخمس أشهر اللى باقية بعد اجتماع موسكو تنتهى فى ٣١ أكتوبر تشوفوا لى فيها الحاجات بتاعتى اللى أنا

عايزها للمعركة زى ما حصل فى فيتنام بالضبط •• بحيث أنتم عارفين نيكسون وعاملين حسابه •• وأنتم طالبين ان احنا من هنا لغاية نوفمبر ٧ نوفمبر وانتخابات نيكسون مانعملش حاجة •• أنا معاكم •• قلت لهم أنا موافق •• لأن احنا من مصلحتنا أيضا أن نيكسون يعاد انتخابه بدل ما ييجى واحد ديمقراطى جديد •• ونيكسون هايبقى له أربع سنين بس • ومافيش تجديد ثانى فيمكن يعمل حاجة • ماعملش هايكون أقل سوء من أى رئيس تانى •• أنا معاكم •• مقرر أننا مانتحركش ما نعملش حاجة أبدا قبل الانتخابات •• وقلت لهم عمليا من مصلحتى هذا • ليه ؟ •• لأن أنا لسه لازم أحصل على العمليات اللى أنا عايزها •• الدعم كله اللى أنا طالبهلازم يوصل لى •• وتعالوا نعمل زى فيتنام •• ناخد الخمس تشهر من بعد اجتماع موسكو ٣١ أكتوبر لسه خمس أشهر كل كام يوم مركب بتجينى بتجيب كل الحاجات المطلوبة للمعركة بتشون وبنستنى الانتخابات الأمريكية بينتهى الكلام ده كله فى ٣١ أكتوبر ••

الانتخابات الأمريكية فى ٧ نوفمبر بنيجى بعد ٧ نوفمبر • اسرائيل وأمريكا هايعرفوا ايه اللى وصلنا لأنه ماعدش حاجة بتتدارى •• اللى عندنا واللى عند اسرائيل • كل واحـــد عارف أيه اللى عند الثانى • سيعرفوا ان احنا داخلين داخلين الجولة الثانية ، اللى أنتم بتقولوا عليها بعد الانتخابات من أرض صلبة فى الحل السياسى •• فيه سؤال هل ممكن يكون فيه حل سياسى من غير اليهود والأمريكان ما يحسوا ان احنا واقفين على أرض صلبة ؟ قالوا لأ مش ممكن •

خلاص يبقى اتفقنا •• يبقى اذن من هنا لحد ٣١ أكتوبر نخلى الأرض صلبة بأنه يجينا امدادكم •• خلاص •• خلاص • ده الكلام اللى اتفقنا عليه فى ابريل •• واجتماع ابريل ٧٢ •• فى مايو قبل الاجتماع بأيام بسيطة جاه جريتشكو هنا وجابوا الطيارة اللى كانت عندنا M 500 . والكلام ده كله وجايب معاه بيان من اللجنة المركزية من موسكو بشأن زيارته عشان اذاعته •• طبعا واضح ان البيان مكتوب مخصوص علشان عملية سياسية لانجاح زيارتهم هناك •• مع نيكسون يعنى •• ويكونوا فى موقف قوة •• قلت لا مانع من نشر نص البيان ومتعدلوش ولا كلمة •• يطلع البيان •• وجريتشكو كمان بياخد نياشين هو والناس اللى معاه •• مش مشكلة • سياسيا أصدقاؤنا وعايزين يقفوا وعايزين يتكلموا من مركز قوة أنا من مصلحتى يتكلموا من مركز قوة فى عشرين مايو •• بس لـــا خلصت مع جريتشكو •• وكان عندى فى البيت هنا وقلت له يعنى يمكن أنت حضرت معايا الكلام مع بريجنيف على التجهيز فى الخمس أشهر التالية •• خد بقى منى ••• مش التجهيز مجرد كلام بقى •• لأ •• خــد ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٦ ــ ٧ •• ابتــداء بالميج ٢٣ أو الــ M 500 اللى كانت هنا دى اللى هى الطيارة القاذفة الجديدة •• فيه عقد بالموتورات أيضا وعرضت عليهم مبلغ بالعملة الصعبة كمان علشان يبقوا بسرعة يجيبولى العدد والآلات ونلحق نخلص الموتورات عندنا بتاعة الطيارات كلها •• بقيت الحاجات للحرب الالكترونية اللى ناقصـــانا •• بقيت الحاجات اللى ناقصـــة فى فروع كثيرة من القوات المسلحة •• حاجات من هذا القبيل •• حاجات عشان البحرية عشـــان معدات وغيره •• **وانتهت بالبند نمرة ٦ « القيادة والسيطرة » •• وقلت فى هذا البند •• أنا لا أسمح مستقبلا ولا فى المعركة أن يكون فيه وحدات سوفيتية هنا ليست تحت القيادة المصرية •• كده صريح •• هذه رسالتى**

مع جريتشكو فى أوائل مايو ٧٢ •• قال لى حاضر هابلغ كل هذا لبريجنيف وكان سعيد جدا أن زيارته نجحت وأدت الغرض اللى مطلوب منه من موسكو • والبيان بتاعه أذيع وخد نياشين وعملنا له ده كله وكان سعيد وراح •• جه عشرين مايو الزيارة •• زى ما حكيت لكم هنا واضح ان أنا ابتداء من انتهاء زيارتهم فى ٢٥ مايو •• كل يوم بحسبه لأنه خمس أشهر عصيبة •• يدوبك زى أنا ما بعت لهم على الطيارة الجديدة يدوبك الخمس أشهر يكونوا على قد الطيارين ما يتدربوا •• بقيت الحـاجة الالكترونية •• مثلا •• عمرة الموتورات و •• و •• و •• كل الحاجات التفصيلية اللى أنا بعتها فى البنود المحددة يدوبك الخمس أشهر لـ ٣١ أكتوبر بالعافية هاتكفى وهانزنق العملية قوى •• فأنا بعد ما أنتهى اجتماعهم فى ٢٥ مايو •• الحقيقة قعدت مستنى يجينى التحليل بتاعهم زى ما احنا متفقين •• واللى بناء عليه سوف أتلقى التواريخ • ابتداء من كذا هاتجيلك الحاجات اللى أنت طلبتها بالشكل الفلانى لغاية ٣١ أكتوبر آخر مركب تقوم من عندى •• وحتى ضربت لهم على سـبيل المثال قلت مثلا من ناحية موضوع زى الذخيرة ما نصفى المشكلة ونخلص وتبعتوا خمس ست مراكب عشر مراكب مرة واحدة يفضوا المشكلة •• بس مرة واحدة •• وتنتهى مشكلة الذخيرة نهائيا •• قعدت بعد ٢٥ مايو مستنى يجى لى التحليل •• زى ما حكيت لكم وأنا بتكلم مع بريجنيف فى أبريل ومتكلم مع جريتشكو وبعت رسالة لبريجنيف فى مايو محددة بنقاط محددة •• وقاعد مستنى عشان يحددوا لى التواريخ •• ونحط احنا برامجنا هنا على أننا نكمل نفسنا بحيث ٣١ أكتوبر نبقى جاهزين •• فات ٢٥ مايو وفات مايو كله وفات يونيه •• دخلنا فى يونيه •• يوم ٦ يونيه جالى التحليل رسـالة منه •• طيب •• ٦ يونيو •• بعد التحليلات بتاعة الرجعية والاسـتعمار والكلام ده كله و •• و •• فى الآخر ظل موقف أمريكا كما هو تماما •• طيب ما هو ده اللى أنا قلته فى أبريل قبل الاجتماع مش هايحصل حاجة •• مش هايحصـل تغيير فى الموقف الأمريكى •• ولو أنهم ضغطوا وقالوا احنا ضغطنا وقرار ٢٤٢ ومهمة يارنج •• ده كله كلام شكلى •• لأن ما احنا عارفين مين اللى واقف فى القـرار ٢٤٢ والا فى مهمة يارنج والا فى اجتماعات الأربعـة الكبار •• مين اللى واقف ؟ ما هى أمريكا •• مش مشكله •• المهم لما أرانى السفير الرسالة قعد ويايا فى الجلسة دى يوم ٦ يونيو أربع ساعات الا ربع وكان حافظ اسماعيل موجود •• قال لى يعنى هل فيه رد على

الرسالة .. قلت له الصبر .. لأن انتم تأخرتم على .. دحنا النهارده دخلنا يونيه مع ان يونيه ده شهر من الشهور اللى كان من أوله لازم نبدأ عملية التشوين وكان لازم يجينى الكلام ده فى أواخر مايو مباشرة بعد الاجتماع . أنما ــ دلوقتى نبحث . قلت له طبعا فيه رد منى . التحليل بتاعكم ده أنا موافق عليه فى كذا وكذا وكذا . يفضل بقه اطلع من نتيجة تحليلكم ووجهات نظرنا احنا الاثنين وكلامنا فى أبريل اللى قلناه بالآتى وحكيت القصة اللى قلتهـا لكم دلوقتى عن ان القضية لن تتحرك سياسيا . ما لم نكون جاهزين عسكريا . وان ده اتفاقنا احنا الاثنين انه بناخد درس من حرب فيتنام .. والقادة السوفيت وبرجنيف على رأسهم كان متحمس أكثر منى أنه لابد نعمل عملية استراتيجية . نعملها بأن نشوف كل حاجة محتاجينها .. بعد الانتخابات الأمريكية بندخل من أرض صلبة .. كررت اللى أنا حكيت لكم هنا ده كله لأنه لازم التكرار . وبعدين رسالة محددة من سبع نقط اللى اديتها لجريتشكو .. تانى قلت له بأكد رســالتى لجريتشكو .. وبابعتها لك محــدده .. ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٦ ــ ٧ ــ وهذه مسائل لازم ننتهى فيها قبل ٣١ أكتوبر فردوا على ، وقولوا لى المواعيد ايه ؟ وها تتنفذ ازاى ؟ راحت الرسالة فى ٦ يونيو . انا متصور انهم مثلا أربع خمس أيام ونتيجة انهم اتأخروا على فى التحليل ودخلنا فى يونيو هايلحقوا بسرعة يردوا .. لأن الكلام ده زى ما حكيت لكم كده متفق عليه مع برجنيف . من أبريل متفقين أنه فعلا لازم نخش من أرض صلبة . وأرض صلبة يعنى معناها كل حاجة بقــدر الامكان يعنى مش ١٠٠٪ لكن على الأقل الحاجات الأساسية لازم تكون عندنا قبل ٣١ أكتوبر بحيث تتم الانتخابات الأمريكية .. جولة ثانية حل سلمى .. ونخش كلنا . لكن نخش من أرض صلبة .. فات ١٠ يونيو . فات ٢٠ يونيو جاه ٢٥ يونيو مش تمام .. فى الوقت ده كنت فى مرسى مطروح وكان مجلس رياســة اتحاد الجمهوريات منعقد هناك .. اما جه ٢٥ يونيو الحقيقة .. معناها ان يونيو فات خلاص راح .. ولسه ما جاش رد والمفروض أنه كان يجينى رد يقولولى .. ده انا مستنى تواريخ المراكب والــ Items (البنود) . وأيه الحكاية ؟ .. مفيش رد خالص . وأنا فى مرسى مطروح قلت لعزيز صدقى أول ما ينزل مصر .. هات السفير السوفيتى وقول له ليه الرد السوفيتى ماجاش وعملين أيه .. فنزل عزيز وجاب السفير السوفيتى فعلا .. وقال السفير ما جانيش رد من القادة السوفيت لسه .. وأنا

بعت استعجل و •• و •• و •• بعدها بأربع خمس أيام •• انا مستعجل بعدها لمـــا رجعت أنا هنا القاهرة •• ندهت مراد غالب وزير الخارجية : قلت له اطلب السفير السوفيتى وعنفه •• جاب مراد غالب السفير واتكلم وياه •• حاضر •• حاضر •• انا باعت استعجال لموسكو • و •• و•• دخلنا على يوليو •• فات الخمس أيام الأولى من يوليو وضح تماما ان العملية مش ماشية •• انا الحقيقة حاطط فى ذهنى زى ما قلت لكم من نهاية ٧١ أنه موقف الفصل بينى وبينهم هو اجتماع موسكو مع نيكسون •• أنا عارف انهم بيجهزوا له وبيهدئوا الدنيا كلها •• ومتصورين ان احنا مجانين ما عاقلين مانا عارف • بيفكروا ازاى أو هم خايفين • أى سبب • على أى حال هم بيهدئوا الموقف •• قلت فليكن • انا كصديق بأديهم لغاية اجتماع مايو ولهم على هذا الحق •• لكن بعد ذلك لازم يكون موقف •• اما جه ٥ يوليو •• المسألة ما كانتش جديدة بالنسبة لى •• المسألة زى ما قلت لكم من نهاية ٧١ وهى بتتفاعل جوه •• العملية كانت فى رأسى الحقيقة •• جاهزة زى ما قلت لكم مش أواخر ٧١ لكن شكل القرارات ما كنتش انتهيت اليه لسه •• يمكن الجمسى ادانى مفتاح فى مايو •• لما كان عندى فى القناطر وما كانش فيه المجلس •• كان جزء منكم وذكرت فى الاجتماع ده موضوع « القيادة والسيطرة » • كان فى مايو عندى فى القناطر •• كان شكل القرارات لسه •• فى العقل الباطن عندى • فى ٥ يوليو كنت جاهز بالقرارات بشكلها الكامل ومعرفش •• فات ٥ يوليو هايجولى امتى •• الحقيقة انا جهزت بقة وقلت خلاص ده موقف وبانتهى منه وخصوصا زى ما حكيت لكم « القيادة والسيطرة » •• فى رسالتى لبريجنيف مع جريتشكو فى مايو وفى رسالتى أيضا فى ٦ يوليو وفى بند محدد •• واشرت لها فى رسالة ٣١ أغسطس الأخيرة اللى بعتها لبرجنيف قلت له احب أنك تراجع رسالة ٦ يونيو تلاقى فيها « القيادة والسيطرة » مش جديدة • الكلام ده مش جديد •• دنا قايل لهم عليه من رسالة ٦ يونيو •• ده مبدأ أساسى لأنى لن أسمح بوجود قوات سوفيتية هنا •• ولا تكون تحت القيادة المصرية •• لا يمكن • فى ٥ يوليه أنا كنت جاهز بالقرارات وعارف الرد اللى هيجيبنى بعـــد المطوحة دى كلها •• الرد اللى هايجينى ايه •• اصبح عادى عندى جدا لأن زى ما حكيت لكم انا با ستنتج خطواتهم زى ما حصل واستنتجت خطواتهم بالنسبة لبطاريات الصواريخ بتاعة الصعيد •• وغيره فى أول ما دخلنا فى يونيه قلت خلاص يونيو معنـــاها يوليه وأغسطس وسبتمبر

شهور القرم عند القادة السوفيت •• ودول دائما بياخدوهم احتياطى كل سنة •• القادة السوفيت فى القرم ويرحلك لاكتوبر •• تقوم تيجى لأكتوبر تتكلم معاهم يبقى فاضل على السنة شهرين تعدى السنة •• خلاص •• عايز يدخلنى فى ٧٣ •• بنفس الصورة والوضع اللى احنا فيه •• وبغض النظر بقة عن الكلام اللى احنا اتكلمناه •• فقلت يعنى هو ده الرد اللى هايجينى •• وقدامه انا بكون جاهز بقراراتى كذا وكذا وكذا •• وماقلتش لحد •• ما تكلمت مع حـــد الحقيقة •• يوم ٦ يوليو كان يوم خميس قالوا السفير السوفيتى جاب رسالة وطالب ميعاد اقابله •• مرضتش أقابله فى هذا اليوم الحقيقة •• قلت اجلوه للسبت •• (٨) •• الحقيقة كنت مشدود جدا وعصبى جدا جدا •• ومنفعل جدا •• أنا رسيت على القرارات ولكن اللى تاعبنى كان هذا الاهمال •• وعدم الاهتمام يصل الى هذا الحد •• أخذت الخميس والجمعة راحة •• علشان أكون أحسن شوية ما كنتش عصبى •• يعنى انا كنت فى شدة الانفعال من الاهمال وعدم الاكتراث اللى واضح تماما يعنى •• يوم الجمعة •• الكلام دم الخميس • (٧) يوليو ندهت لصادق عندى •• وقلت له يا صادق بكره انا هاشوف السفير السوفيتى وقراراتى هى كذا •• مش عايز حد من القوات المسلحة يحس بهـــذه القرارات الا اثنين قـــائد الطـــيران وقـــائد الدفـــــاع الجوى • ليه لأن دول اللى عندهم مشكلة •• قائد الطيران •• الطيارين الـــ ٦٤ طيار اللى موجودين عندنا فى بنى سويف وفى جاناكليس وفى غيرها اللى كانوا بيساعدوا فى الدفاع الجوى •• ولكن ما يحصلش فراغ •• وبتاع الصواريخ علشان استلام المواقع •• بحيث أيضا ما يحصلش فراغ أو فجوه يدخل منها لينا •• الاثنين دول اللى فى القوات المسلحة اللى يعرفوا ولأن بكره ٨ يوليو هاقول للسفير وأبلغه •• لن أعلنها الا بعد ان ينفذ فى ١٧ يوليو •• وعليه مش عايز القوات المسلحة تعرف بيها •• وقلت له حتى تقول لقـــائد الطيران والصواريخ أنه مش عايز كلام اطلاقا فى هذا الموضوع الى ان أعلنه فى ١٧ بعد الانتهاء •• يوم السبت ٨ يوليو شفت السفير السوفيتى •• سمعت الرســـالة زى ما قلت لكم ما كنتش جديدة على حتى لدرجة لمـــا الرسالة خلصت أنا كنت قاعد بأسمعها •• أما الرسالة خلصت اندهشت حتى ماجبوش سيرة رسالة ٦ يونيو اللى انا باعتها ورسالة جريتشكو اللى فيها ٧ نقط محددة •• الاتفاق اللى احنا عملناه على الاستراتيجية •• ماكنتش فيه حاجة أبدا •• كلام عـــام وعارف انا طريقتهم وان الهدف ان احنا نخش فى عملية الصيف

لغاية ما يخلص سبتمبر ونخش على أكتوبر ونوفمبر وديسمبر خلصت الرسالة •• وأنا ذهلت وسألت السفير • الرسالة خلصت •• قال لى آه •• هى كده قال لى آه •• قلت له مرفوضة شـكلا وموضوعا بالكامل •• وأسلوبكم مرفوض وانتم •• وما خليتلوش وفى النهاية قلت له قراراتى هى كذا •• المستشـارين والخبراء •• من يوم ١٧ انتهت مهمتهم •• وكنا فى ٨ كنت مديهم لغاية الاثنين •• الوحدات السوفيتية اللى هنا تحت القيادة المصرية من يوم ١٧ أو تتفضل تروح •• املاك الحكومة السوفيتية اللى هنا •• ياتبيعوا لنا اللى عايزين تبيعوه •• اللى مش عايزين تبيعوه اتفضلوا اسحبوه •• انما كله ينتهى يوم ١٧ الصبح •• النقطة الثالثة قلت له بناء على معاهدة التحالف •• معاهدة الصداقة اللى بيننا يحصل جولة مفاوضات جاية بقه لأنه عايزين نشوف المرحلة اللى جاية فيها ايه •• فالراجل افتكر ان القرارات بتاعة المستشارين والخبراء تخضع للمفاوضـات • قلت له لأ • دى قرارات للتنفيذ صباح ١٧ كله ينتهى يوم ١٧ الصبح • ووزير الحربية ها أخطره بيها للتنفيذ • بكره ان شاء الله •• اما جولة المباحثات اللى جايه بناء على المعاهدة واللى أنا طلبتها فى البند نمرة ٣ بتاع قراراتى فهى للمستقبل فى المرحلة اللى جاية هانعمل ايه فى المرحلة اللى جايه •• لكن دى قرارات انتهى أمرها يوم ١٧ ووقعوا فى ذهـول وحيص بيص •• وحاجات • قلت لعـزيز يا عزيز مفيش مانع روح لهم •• وقول لهم بدلماندى فرصة لتأويلات نطلع بيان سوا قبل ما أعلن أنا يوم ١٨ فى اللجنـة المركزية •• نطلع بيان سوا ونقول كلمة فيه أن بمناسبة انتهاء مهمة المستشارين والخبراء فحكومة جمهورية مصر تشكر الاتحاد السـوفيتى •• شىء من هـذا القبيل •• يفهم منه العالم ان العملية متفق عليها ونغطى موقفهم وأنا لغاية اللحظة دى برضه عايز أغطى موقفهم •• اللى احنا عايزين نعمله عملناه •• انتهت خلاص •• يعنى ماحناش عاجزين •• بنعمل اللى احنا عايزين نعمله •• مافيش داعى للقطع••راح لهم عزيز ماقدروش يفهموا — بطريقة تفكيرهم رفضوا قالوا لأ ذى قرارات مانقدرش نطلعها احنا الاثنين دى تصدر من جانب واحد •• خلاص •• عزيز قال لهم والله دى نهـاية الكلام اللى عندى السلام عليكم • ورجع لى •• وقال لى مارضيوش • خلاص •• قلت له خلاص انتهى •• صادق بلغته قلت له يوم الأحـد •• هى كانت القرارات تتفـذ يوم الاثنين قلت له يوم الأحـد يا صـادق تعلن كبير الخبراء وفى الوقت نفسه تكون جامع القادة علشان ياخـدوا

للتنفيذ صباح الاثنين •• وقلت لعزيز يا عزيز برضه ادى خبر للسفير السوفيتى أن وزير الحربية هايكلم كبير الخبراء يوم الحد بالليل ، للتنفيذ صباح الاثنين وهايكلم القادة المصريين •• الى هذا التاريخ يظهر كانوا فاهمين انها تهويش •• ويظهر السفير السوفيتى هنا بعت لهم وقال لهم دى عملية يظهر للضغط ـ والقرارات مش هتتنفذ ويعنى طمنهم شويا فى موسكو •• ولما راح لهم الخبر من عزيز ان صادق هيتكلم مع الخبراء يوم الحد بالليل وبعدها هايكلم القادة •• جم هم يوم الحد الظهر وعملوها منهم وبعتوا •• بعتوا لكم أظن فى الوحدات •• المستشارين كلهم بلغوا القادة ان مهمتهم انتهت يوم الحد الظهر قبل صادق ما يشوف السفير •• حتى صادق حب يغطيها يعنى •• لأن يوم ما أنت سافرت المحلة يا محمد ••

الفريق صادق : ـ ايوه ••

الرئيس :

حب يغطيها •• ولكنه لقى ان المستشارين راحوا بلغوا القادة •• فضلوا فى ذهول تام بعد ذلك •• الحقيقة أنا يعنى بصدور هذه القرارات أكملت حسبتى •• زى ما قلت فى اللجنة المركزية لأول مرة الحقيقة فى الخمس سنين بعد عدوان ٦٧ حسيت أنى با أتنفس بسهولة •• حقيقى يعنى •• ليه •• الصورة عندى فى يونيو ويوليو قبل ما يجينى ردهم كانت الآتى •• **احنا واقفين فى رمال ناعمة من اللى بتشفط •• وايدينا متكتفه •• والمعسكرين الاثنين الكبار الروس والأمريكان الاثنين الروس بيقولوا دول خلاص فى جيبنا الأمريكان بيقولوا لأ دول فى جيب الروس خلاص وانتهت •• والروس ولى أمرهم ••**

بالنسبة لنا احنا واقفين متكتفين والرملة الناعمة تشفط فينا واحنا مش عارفين نتحرك •• طيب صورتنا ايه بعد انتخابات أمريكا اللى جايه •• بالوضع الى احنا فيه •• الروس هيفضلوا برضه يؤجلونى كمان على طريقتهم لغاية أكتوبر وتيجى لأكتوبر يقولوا طيب بس يعنى الانتخابات الأمريكية يتفقوا على صفقة زى بتاعة ٧١ اللى حصلت فى أكتوبر • ويقولوا هاتوصلك بعد ١٥ يوم ولا عشرين يوم ولا شهر •• ولا توصل ولا حاجة ويستنوا الانتخابات الأمريكية وتعدى السنه برضه •• نفس الحكاية •• مؤكد هانقف الموقف ده غرقانين فيه • وفى نفس الوقت اللى **احنا موقفنا كده اسرائيل تتلقى بالكامل امداد من أمريكا بتعربد فى**

المنطقة •• والتعبير أنا استعملته من قبل اسرائيل ما تعربد بســنة ••
وقلته للروس قلت لهم اسرائيل هاتعربد وده فيه اهانة لنا ليه •• ليه تسمحوا بهذا •• ليه تحطونى فى هذا الوضع المريع ؟ •• حتى فى مارس ٧١ قلت لهم انا أفهم ان الأمريكان عايزين يعملوا لنا اذلال •• طيب انتم ليه ؟ •• ليه عايزين تذلونا زى الأمريكان ؟ •• قالوا •• ازاى أحنــا أبدا ؟ •• **قلت لهم لأ الواقع يقول هذا •• ألعدو يقدر يدخل عمقى فى أى حته وأنا مابطولوش طيب ما أنا حتى الردع •• أنا ما بقلش أمحو اسرائيــل •• أشيلها وأوديها البحر أنا عارفأنكم انتممعترفين بيها والأمريكانمعترفين بيها •• لكن ليه حاطينا فى موقف الدفاع • انضرب • أتلقى الضربات وما أقدرش أرد عليها •• ليه ؟ •• فقلت لهم أنا الكلام ده أنا مستنيه من زمان •• وقايل لكم من سنة ان اسرائيل هاتعربد وتقول مفيش فى المنطقة غيرى ولا حد ها يرفع رأسه •• وده لا نقبله ولا يقبله أحــدا أبــدا ••**

وهكذا كانت الصورة فى يوليو كده زى ما حكيت لكم صورة كئيبة •• المعسكرين •• الأمريكان خلاص •• داخلين على مراحل الانتخابات بتاعتهم •• وراحوا اتفقوا فى موســكو مع الروس •• الروس على طريقتهم تخــدير وتهدئة و •• و •• و •• لغاية ما يعدى الصيف كله ونخش على أواخر ٧٢ ونعدى على ٧٣ •• بنفس الأسلوب اللى اتبعوه معايا فى ٧١ •• فى نفس الوقت أمريكا طلعت من اجتماع موسكو بتقول للعالم وبعتوا لى أنا شخصيا أنه ريح نفسك •• الحل عندنا احنــا •• ده بعد اجتماع موســكو •• الدعاية الأمريكى عمالة تزن •• وبعدين الصفقة والكلام اللى احنا اتكلمناه عن الاستراتيجية السليمة توصلنا فى ٣١ أكتوبر لموقف أو أرض صلبة ننطلق منها ؟ •• مفيش •• مردوش علينا خالص •• ومش جاى بحسابى انا بقى وزى ماظهرلكم وزى ماشفتم مش جايه خالص •• ده انا مؤجل الى بعد الانتخابات والى انتهاء ٧٢ •• وده الكلام عن ٧٣ كله •• ده كمان غير انه وضح ان سياسة الحرب الباردة اللى موجودة بين الكتلتين اللى هم أمريكا وروسيا دخلوا فى سياسة وفاق •• مش منافسه حتى •• ليه •• زى ما جانى من موسكو أخيرا من قلب اللجنة المركزية بتاعة الحزب الشيوعى ثبت ان الزراعة السوفيتية بعد ٥٥ سنة فاشلة مفيش حبوب من الاتحاد السوفيتى •• السنة دى واخدين حبوبهم كلها من أمريكا •• ميادين كثيرة فى التكنولوجيا اتفقوا

عليها حيخدوها من الأمريكان •• صحيح هم سابقين الأمريكان فى بعض الميادين •• وطلعوا القمر زى الأمريكان وودوا لونوخود فوق فى القمر • وغيره •• ميادين سابقين لكن فيه ميادين كثيرة اتفقوا انهم يتعاونوا هم والأمريكان سوا لأنه زى ما قال مدير معهد فى لينىنجراد لواحد كان بيزورهم أنا أعرفه •• قالوا احنا سابقين فى ميادين لكن فيه ميادين ما فتحناش فيها خالص واتفقنا معاهم الدور ده ان احنا هناخد الحاجة دى منهم وسياسة الوفاق دى لمدة ٢٠ أو ٢٥ سنة مقبلة •• انتهت الحرب الباردة نهائيا بين الكتلتين •• ودخلوا فى سياسة وفاق طيب والله لو دخلوا فى سياسة وفاق الصغيرين اللى زينا احنا تحت الرجلين هانندهس ••

كل دى كانت الصورة أمامى فى يونيه ويوليو وده السبب انى اتخذت القرارات عشان ناخد حرية حركة كاملة •• بالنسبة ليهم •• وقد كان مباشرة بعد قراراتى هم ولو انهم فى حالة ذهول الا أنهم بيحاولوا بكل الطرق كى يتصلوا بى وقلت انا واخد أغسطس (قرم) عملت (قرم) زيهم مرة • قلت أنا فى القرم ما بردش على حد وفعلا مردتش الا فى ٣١ •• الأمريكان ما ضيعوش الوقت اتصلوا بى فورا •• الانجليز اتصلوا فورا •• الفرنسيون اتصلوا فورا •• الطليان اتصلوا فورا •• حركتنا القضية •• طلعنا من الرمال اللى بتشفطنا ووقفنا على أرض سليمة والناس كلها بتتكلم معانا •• وبيتكلموا معانا بالمفهوم السليم ان احنا أولياء أمر نفسنا محدش ولى أمرنا •• واتحركت القضية •• يعنى لغاية هذه اللحظة القضية بتتحرك •• سواء بالنسبة لهم هم فى زيارة عزيز صدقى الأخيرة •• سواء بالنسبة للأمريكان وطالبين يتكلموا •• وآخر كلام للامريكان بيعرضوا المبادرة بتاعتى بس بوجه آخر عايزين يعملوها حل جزئى •• لكن اذا كان ده اللى بيبتدوا بيه كويس •• كابتداء أنا مستعد اتكلم معاهم ولكن بالشروط اللى انتم عارفينها وبالاوضاع بتاعتنا •• مش مستعد اتنازل عن حاجة •• الانجليز حسنوا موقفهم وحاولوا وعمالين بيشوفوا الأسلوب اللى بيستطيعوا بيه يعاونونا ازاى • ولسه الاسبوع الماضى كان عندى ناس من عندهم وفى الصيف •• وفى أغسطس بالذات بعت لى هيث رسالة وبعث مع الرسالة وكيل وزارة الانتاج الحربى بتاعه علشان يناقش معايا المواضيع كلها •• الدنيا اتحركت •• القضية مشيت •• جه برجنيف فى ٣١ يوليو بعث لى رسالة

تجاهلتها تمام التجاهل . لأنه يعنى اذا كنت عايز اقطع معاهم كان ممكن احطها محل نقاش وأقطع لأنها تســاوى انى اقطعها .. انما اعتبرت انهم لسه بيفكروا بعقلية ما قبل ٨ يوليو وعلى ذلك قلت لأ .. انا باتجاهل دى ما بردش عليها خالص .. وجيت فى ٣١ أغسطس بعت بعدها بشهر كامل زى ما هو عمل شهر بالضبط جيت فى ٣١ أغسطس وبعت له رد .. بعت له جواب شخصى منى لبرجنيف شخصيا .. ومن عشر نقط حطيت له فيه الموقف كاملا وراعيت فيه ان ده يبقى وثيقة للمستقبل .. بنحط كل شيء بوضوح ومن غير لا عصبية ولا حاجة ابدا .. يعنى .. يعنى قــد كده يظهر كان الخطاب عنيف عليهم .. أنه ما قدروش يردوا عليه أبدا . واشتكوا لحافظ الأسد .. واشتكوا لكل الناس اللى راحوا لهم ان ده ما يتردش عليه الجواب فى الحقيقة .. بعد ذلك زى ما قلت لكم يعنى أنا لغاية ما بلغتهم بالقرارات فى ٨ يوليو .. وبعت لهم عزيز صدقى عشان نغطى العملية وانا عايز اغطيهم برضه .. ووقفه مع صديق .. فعلا وقفه مش أكتر .. الا اذا هم حبوا يقطعوا .. اما جات لى الرسالة اللى قلت لكم عليها فى ٣١ يوليو اهملتها على أساس انه أنا مش عايز اقطع .. لأن دى رســالة ممكن يعنى اذا كنت عايز اقطع اتخذ منها سبيل . مجرد ان اعلنها بس وأقول جات لى الرسالة دى كافية ان نقطع وننتهى .. المهم تجاهلتها وبعت رسالتى فى ٣١ أغسطس رسالة شخصية منى لبرجنيف .. وقلت له انت راجل مشاعرك كويسه وعشان كده انا ببعت لك انت شخصيا هذه الرسالة علشان تعمل على وقف هذا الكلام كله .. وآدى عشر نقط وضحت له فيها بمنتهى الهدوء والشرح والبساطة .. وضحت له الموقف كاملا .. مش ممكن نتراجع عن الرسالة .. فلجأوا لحافظ الأسد .. علشان يخش فى النص . جانى حافظ الأسد .. طلب انه يجى .. يوم قالوا لى أشارة جاية من موسكو ان الأسد ها يوصل والاشارة جايه من موسكو .. حتى لمــا حافظ اسماعيل بلغنى فى بيتى .. انا ما كنتش اعرف أنه فى موسكو .. ولا قلش حافظ الاسد .. انا افتكرت ان الرسالة جايه عن طريق موسكو لأنى فى مرة حاولت اتكلم بالتليفون مع سوريا ما أمكنش الا عن طريق موسكو . .فكانت الخطوط مش تمام وعن طريق موسكو اتكلمت .. انا افتكرت ان الاشارة جاية عن طريق موسكو وحافظ جاى من سوريا .. فحافظ اسماعيل قال لى لأ .. ده الرئيس حافظ بعت الاشارة وهو فى موسكو فى زيارة خاصة غير معلنه .. وجاى هنا على طول بكره الصبح .. قلت له مفيش مانع

يعنى •• وجه الراجل وحكى لى القصة •• وانا رسالة ٣١ أغسطس اللى قلت لكم عليها الى بعتها لبريجنيف تانى يوم أو ثالث يوم كنت باعت صورتها لحافظ الأسد •• فحافظ على علم بالعملية كلها وماشى يتابع الموقف •• وحافظ له ظرف بيدولوا معونات ومساعدات ورحلته الأخيرة خد فيها ٧٠٠ مليــون دولار وكذا •• يعنى له ظروف •• وانا حتى لمـــا كلمنى هنا لأنه جانى بعد عملية أكتوبر يوم ٩ بعد انا ما اديت قراراتى لهم يوم ٨ فجانى وقال لى طيب موقفى هيكون ايه ؟ •• قلت له ولا حاجة انت بتاخذ منهم ٧٠٠ مليون دولار وواقفين وياك وماله •• مافيهاش حاجة يعنى •• استمر فى علاقتك معاهم ولكن •• قلت له خـــد بالك من لعبة سوريا العراق كبديل لمصر يعنى •• مش هاتنفع قلت له حتى يعنى اذا تمت مش هاتنفع بديل لمصر •• فقال لنـــا •• بالنسبة لى مش ممكن هايحصل محور ومش ممكن هاعمل معاهدة معاهم اطلاقا •• قال انا رفضت هذا الكلام •• احنا هاجمنا معاهدة العراق وجم يطلبوا منى معاهدة بعد ذلك انا رفضت بالكامل وده موقفى الأســـاسى مبدئى لنـــا •• وما لم يتفاهموا هنا مع مصر انا مش مستعد يعنى اخش معاهم فى أى حاجة •• وسافر على هذا الأساس وكان بيتابع الموقف •• يظهر أنهم لقوا ان الحل الوحيد يوسطوا حافظ الأسد اتفقوا معـــاه على الزيارة •• وهو قال لى ان المبادرة جات منه هو شـــخصيا •• وان هوه اللى طلب يسافر موسكو •• المهم راح واتفقوا وجالى وحددوا ١٦ للعرض على أنا • وجالى واتكلم معايا قلت ما عنديش مانع •• لأنه أصله يوم أنا ما عملت قرارات ٨ يوليو •• بناء على المعاهدة اللى موجودة بيننا بيحصل تفاهم ومفاوضات على المرحلة اللى جايه •• انا معنديش مانع أبدا •• قلت له بس أوعه يكون عندهم شبهه •• سألت حافظ الاسد •• قلت له اوعى يكون عندهم شبهه بالنسبة للقرارات أو بالنسبة للمستشارين والخبراء قال لى لأ •• لأ •• اطلاقا •• ده انته حتى لو طلبت خبراء ومستشارين ها يقولوا لك لأ •• كفاية اللى فات انما هو الكلام بالنسبة للمرحلة اللى جايه •• قلت له لأ معنديش مانع اطلاقا يعنى •• ده موجود فى البنـــد نمرة ٣ وأنا معنديش مانع أبدا واتفقت مع عزيز على الكلام ده كله •• واتفقت مع عزيز صدقى وقلت لعزيز تروح الدور ده مانيش عايز كلام لا فى سلاح ولا غيره احنا بنتكلم فى مبادىء •• هل انتم مستعدين تقفوا معانا وتعادلوا اللى بتاخده اسرائيل •• بالنسبة لنا والا لأ •• ده نمرة

واحد •• نمرة اثنين هل انتم على التحليل اللى عملنـــاه فى ابريل اللى
فات لازلتم معانا فى أنه ما لم نكون على أرض صلبة يعنى نكون جاهزين
عسكريا •• مش ها يحصل أى تطور سياسى والا لأ •• فراح عزيز ••
واتكلم وياهم دخلوا فى مناقشات عنيفه •• فالسؤال الملح اللى كانوا
بيسألوه •• ليه الشــــكل (form) اللى تمت بيه العملية •• العملية فى
ذاتها أمر يخصنا •• سيادتكم وانتم احرار تتخذوا القرارات اللى انتم
عايزنها •• لكن الشكل (form) الاخـــراج اللى اخرجت بيه ليـــه ••
فرد عليهم عزيز قال لهم •• طيب ويعنى والشكل الى انتم عملتوه لمـــا
يبعت لكم وتؤجلوه وتسيبوه شهر وهو قاعد يحسب باليوم وبعدين حتى
الرد بعد شهر ما يذكرش فيه شىء عن الرسالة اللى بعتها لكم •• والنقط
اللى طلبها وانتم بتكلموه فى الموقف •• هل ده (form) كمان يعنى ••
فمردوش فى هـــذه النقط يعنى •• هوه ده اللى مزعلهم كله (form)
هم حريصين اشد الحرص •• زى ما قال لى حافظ الاسد •• أن يحافظوا
على علاقتهم بمصر لأنه •• ثبت لهم أنه ضياع مصر مش مصر بس ••
ضياع مصر معناها المنطقة كلها ولا بديل لمصر •• لا سوريا والعراق ••
حتى لو تمت المعاهدة •• و •• و •• ولا أى شىء تانى ممكن يكون
بديل •• وخصوصا وأنه حصل حاجة عمرهم ما حسبوها أبدا •• لأول
مرة فى التاريخ من أيام القياصرة تحصل روسيا على اعتراف من أمريكا
فى اجتماع عشرين مايو بوجودها ومصالحها فى الشرق الأوسط •• بدل
ما كانت سياسة الاحتواء والحصار لحلف جنوب شرق آسيا والاطلنطى
•• الرابطة اللى عملها دالاس زمان عشان يكتف الاتحاد السوفيتى لأ ••
نيكسون وهو هناك رســـميا •• الكلام ده رسمى مش تكهنات اعترف
للاتحاد السوفيتى بوجود مصالح له فى منطقة الشرق الأوسط •• واتفقوا
أكثر • •انه كل منهم يحترم وجود الآخر •• طيب •• الحلم ما تمش
الا فى اليومين دول وخذوا هـــذا •• أقـــوم أنا آجى اروح قايل لهم
لأ لا وجود ولا مصالح لكم فى الشرق الأوسط • فدى تعباهم جدا •
بس مش قادرين يتكلموها • مش قادرين يقولوها •• من هنا حرصهم
الشديد على الرد أو على ابقاء العلاقات مع مصر •• وقالوا لعزيز بصراحه
سياستنا لم تتغير •• سياستنا هى المساندة الكاملة لمصر •• القرارات
لم تغير من موقفنا بالنسبة لمصر •• احنا حريصين على مصر •• كل هذه
التأكيدات قالوها وسجلوها على نفسهم •• وبالأسلوب الجديد اللى احنا
عاوزينه •• وهو انه زى ما قلت لكم أنا كان دائما فى الأربع مرات اللى

قلت لكم فيهم وزى ما اعلنت فى اللجنة المركزية واعلنت فى كل مكان انه فى الأربع مرات اللى رحت فيهم كنت زى ما بقول لكم فيه مبدأين .. ارجوا ان احنا ما ننساهمش .. **أنا مش عايز عسكرى سوفيتى نمرة ١ يحارب لى فى معركتى ولن يحاربها غير العسكرى المصرى بتاعى .. الحاجة الثانية احنا لا نسعى لمواجهة بين الكتلتين لأن اللى يسعى الى هذا مجنون بلا شك .. مش عايزين مواجهة بينهم وبين الأمريكان .. فعلى أساس المبدأين دول .. علاقاتنا قائمة ..** همه ما كانتش الصورة واضحة فى ذهنهم شوية .. واحنا من جانبنا كان حصل أنه خليناهم تجاوزوا الحد اللى لازم يقفوا عنده .. نتيجة الفترة السابقة ما بعد ٦٧ .. ونتيجة التصرفات أو الفهم اللى كان موجود فى ذلك الوقت الحقيقة من ناحية القوات المسلحة انها محتاجة لخبراء ومستشارين ومعاونة وكذا وكذا .. وحجم الهزيمة وحجم النكسة .. كل هذه كانت عوامل هى اللى ادت الى تواجد الخبراء والمستشارين لغاية المستويات اللى تواجدوا فيها .. وبعد ذلك حدث تجاوز أيضا فى مهمة المستشارين والخبراء وكان التجاوز بيتم حته بحته .. على فترات طويلة الى ان وصلنا للوضع اللى احنا فيه .. النهارده خلاص .. خلصنا من الكلام ده كله .. وهم داخلين المرحلة اللى جايه معانا وواضح تماما لأن عزيز كان حريص فى المحضر .. وانا قرأت المحضر كله بالكامل .. كان حريص ان يقول لهم فضونا بقه من الكلام فى اليمين واليسار .. وكل حاجه نعملها تقولوا اليمين واليسار وتقدمية ورجعية .. واستعمار .. والحاجات دى احنا عندنا معركة وتحرير أرض بس .. معندناش لا يمين ولا يسار ولا أى حد خالص اطلاقا .. ولاأى داعى .. واحنا كده بوضعنا اشتراكيين مش عشان خاطركم احنا اشتراكيتنا عملناها لأن ده لصالح بلدنا ولصالح شعبنا وحل حتمى لظروفنا اللى احنا فيها .. كنا بنحارب الاستعمار من قبل ما نعرفكم يوم ما قامت ثورة ٢٣ يوليو فى ٥٢ . كنا بنحارب الاستعمار من قبل ما يكون لنا صلة بالاتحاد السوفيتى .. يوم ما ضربنا حلف بغداد ٥٤ ، ٥٥ كنا لسه ما عملناش صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتى ولا دخلنا فى تعامل ولا نعرفه ولا يعرفنا .. وهدينا حلف بغداد .. شرح لهم كل هذا الكلام وقال لهم لا احنا مستعدين للكلام فى اشتراكيتنا ولا كلام فى وضعنا ولا نظامنا ولا حاجة .. عايزين تساعدونا على كده أصدقاء أهلا وسهلا .. مش عايزين انتم احرار .. معاكم واصدقاء .. و .. و .. وفى تقديرى انا ان النقطتين الايجابيتين اللى طلعوا من

زيارة عزيز همه النقطتين الأثنتين النقطة الأولى هى : الاتحاد السوفيتى دخلنــاه الفورمة والقــالب اللى احنا عايزينه • •وهــو انه تعــاون أصــدقاء على قدم المســاواة •• اللى بيعجبنا بنقول آه •• واللى ما بيعجبناش بنقول له •• لأ •• وعملية الاوضـــاع الســابقة الى كانت موجودة بالنســبة لقواتنا المســلحة أو بالنســبة حتى للداخل هنــا كل ده انتهى بالقرارات بتاعة ٨ يوليو والى غير رجعة •• وفهم الاتحاد السوفيتى هذا •• وسعيد ان احنا بنقبل انه يخش معانا على أساس من هذا الفهم للمرحلة دى •• دى النقطة الايجابية الأولى •• الحقيقة •• النقطة الايجابية الثانية انه عشــان يثبت انه فعلا متجاوب دخل فى تعاقدات فى المرحلة اللى جايه بناء على هذا الكلام •• بقى انا قلت لعزيز أنه لاثبات حسن النيه اذا كان صحيح حريصين انهم يثبتوا حسن النيه للمرحلة اللى جايه •• احنا ما بنتكلمش عن القديم لأنه زى ما قلت لكم عزيز ما كانش رايح عشان يناقش القديم أبدا •• حتى ابتدى جلسة المفاوضات معاهم قال لهم مفيش داعى نتكلم على القديم •• نتكلم عن المرحلة الجديدة •• نشوف هاتمر على ايه •• فقلت انه لأثبات حسن النيه والله الكلام اللى طلبناه قبل كده وبالحاح ولا جاشى رد عليه عايزين رد عليه •• اذا كان صحيح بيثبت انكم ناس عايزين تتعاونوا معــانا بالنسبة للمرحلة اللىجايه •• فبالتحديد الميج(••••) اللى هى القاذفةيعنى •• و •• وسرعة التوريد والتدريب هنــا فى مصر لأن خلاص مش مستعد تانى اخش فى عمليات مجهلة بالنسبة للتدريب هناك اتأخر •• فحلفوا اغلظ الايمان أنه الطياره لسه فيها اخطاء وكذا •• ولسه ما هيش جاهزة •• و •• و •• وسيبدأ الانتاج فى مايو اللى جاى •• وانهم فى الربع الثالث من ٧٣ الربع الأخير مش الثالث •• مش كده •

عضــو ــ الثــالث ••

الرئيس :

الثالث •• يعنى سبتمبر •• الربع الثالث من ٧٣ بيدوا سرب وسرب وأنا كنت قايل لمبارك •• فمبارك معطاشى كلمة عن حاجة •• لأنه قال لهم

ابعتوا لى المواصفات بتاعتها قبل ما نتكلم فى أى حاجة فيها ..
لازم تيجى المواصفات كاملة ونشوف الطيارة وكان هذا موقف
حافظ الاسد لأنهم عرضوها عليه وحافظ برضه تراجع الحقيقة
ما استعجلش فى هذا الكلام معاهم على أساس أنه قال لهم لازم اشوفها
الأول .. لأنه هو طيار حافظ .. قال لهم نشوفها الأول لأننا مش
مستعدين نخش فى حاجة لسه ماشفنهاش .. فى الربع الثالث سرب قام
عزيز قال لهم طيب سربين .. قالوا طيب يعنى ده أول كلام بس لأنهم
كانوا بيتكلموا من الورقه زى العادة المكتوبة فى المكتب السياسى .. يعنى
سرب من سربين الحكاية مش مشكلة .. انما التحديد .. الربع الثالث ..
من ٧٣ على ان الطيارين يسافروا فى مايو ٧٢ عشان يخلصوا تدريب
ويجيبوا الطيارات وييجوا .. ليه لأن التدريب فى مصر زى ما طلب عزيز
قالوا له مستحيل لأن مفيش ميادين تدريب ولافيش تجهيزات تدريب
ولا حاجة لازم فى الاتحاد السوفيتى .. ومايو بالذات ليه لأنه طيارة
التدريب مش هاتكون جاهزة عندهم قبل مايو ..
ففى مايو يقوم الطيارين بتوعنا يتدربوا هناك ويجيبوا الطيارات ويجوا
.. حاجة تانية قالوها . احنا كنا وعدنا بصاروخ (أرض ـ أرض) وكنا
قلنا ان الصاروخ الأرض ـ أرض بنعمل عليه تجارب .. والتجارب
دى خدت وقت .. التجارب خلصت ونجحت واحنا جاهزين وفى أوائل
سنة ٧٣ هانخطركم بمواعيد استلام صاروخ (أرض ـ أرض) ..
طيب .. نلاحظ هنا بقى ايه .. زى ما قلت لكم النقطتين الايجابيتين
فى الزيارة كانت نمره ١ دخل الاتحاد السوفيتى الفورمه اللى احنا
عايزينها بالكامل بالشروط اللى احنا عايزينها .. النقطة الثانية دخل فى
تعاقد جديد . .ما بيهمنيش التواريخ دى كلها لأن ما عولتش
كثير عليها .. انا بيهمنى بس الشكل انه قبل ان يدخل فى تعهد
جديد اثباتا لحسن نيته انه عايز يتعاون معانا .. ليه لأن
انا كنت محدد ٣١ أكتوبر فى رسالتى لبريجنيف اللى راحت فى
٣١ أغسطس قلت له .. بالتحديد وبالنص .. قلت له فى ٣١ أكتوبر
موقف فاصل بيننا .. فهل بيتفادى هذا الموقف الفاصل عشان .. لأن
كانوا فاهمين هم كويس ان المعاهدة والتسهيلات وكل ما هو باقى لهم
.. يعنى لما هانخش فى سياسة القطع .. هايبقى المعاهدة والتسهيلات
تخلص وينتهى وخلاص .. فهم مش عايزين هذا .. اللى بيهمنى بقول
الشكل أنه دخل فى تعهد جديد لكن المضمون وهى التواريخ .. طبيعى

الأمر ببســاطة كده لمــا نحلله •• نلاقى انهم برضه بياخد الاسراع فى ايديه مرة أخرى •• أنه لسه فى أول ٧٣ يقولك امتى هايديك الصاروخ ويمكن يقولك على الربع الثـــالث أو الرابع ولو أنه بيقول ان الصاروخ خلص مابيقولوش ان الطيارة خلصت •• بيقول ان الصاروخ انتهى خلاص وكامل وجاهز •• اما مواعيد التوريد اديها لكم فى أول •• برضه بيحتفظ فى ايده بالاسراع سواء بالنسبة للصاروخ أو بالنسبة للطيارة •• وأنا ما كنتش باعت عزيز علشان يتفق لى على سرب أو سربين مش دى النقطة الجوهرية •• النقطة الجوهرية اللى هى محل نقاش بينى وبينهم هتكون فى المرحلة اللى جايه •• قبل اجتماعى ببرجنيف هتكون انه أنا ما بعتش عزيز علشان سرب أو سربين •• كويس انك تعهدت بسرب أو سربين كويس •• انا ما أرفضشى هذا •• وهى مش مشكلة يعنى •• لكن لا التاريخ يناسبنى ولا هو ده اللى بطلبه •• دنا عايز اعرف هل انت مستعد لتقف معايا وتخلينى •• كل سلاح بيجى عند اللى قدامى بيجيلى زيه •• مثلا الصـــاروخ بتاع الطيـــارات اللى هو (شرايك) •• جه الشرايك •• بكره الصبح فوجئت بسلاح جديد •• هل انت جاهز انك تقف معايا وكل ما تيجى حاجه قدامى جديدة بتقف معايا فيها وتعوضنى أو نوجد لهـــا حل ولا لأ •• بس هو ده الأساس اللى انا عايز اتكلم معاهم فيه •• انما انا بأعتبر ان زيارة عزيز نجحت للنقطتين الاجابيتين دول•• ولشىء أساسىمتفرع عن النقطتين الايجابيتين •• انه الـ (flow) الامداد •• معدش مقطوع لأن انا كنت بأجهز نفسى على ٣١ أكتوبر ان أواجه بظرف ان الامداد الــ (flow) العادى بتاع القوات المسلحة العادى يقف •• ليه نتيجة المقاطعة •• نتيجة للنقطتين الايجابيتين •• أنا بأعتبر الشىء الأساسى اللى انا حصلت عليه هو الــ (flow) العادى بتاعكم ماشى وماشى بقه بطريقة غير بتاعة زمان اظن انتم لمستوها هناك يا مبـــارك ••

قائد القوات الجوية : أيوه ••

الرئيس : ماشى غير طريقة زمان •• لأنه دلوقتى خايف جــدا انه يتعهد بشىء ومايبعتوشى فى وقته أقـــوم أعلنهـــا أنا زى ما حصـــل وكشفت الموقف •• ومقدروش لغاية النهاردة ينفـــوها أمام العـــالم ولا أمام أى حد •• لأن الوعود والتعهدات كلها التى أعطوها لى ••

هم ان كان بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين معاهم •• لم تنفـذ • آدى نتيجة زيارة عزيز •• نيجى بقه للموقف النهاردة اللى أنا جامعكم علشانه • **وأنا اتكلمت ويا صادق •• وكلامى مع الفريق صادق كان انه ما أقدرشى أخش أبدا الجولة التالية اللى هى المضادة بعد الانتخابات الأمريكية •• ما أقدرشى أخش أبدا الجولة اللى جايه واحنا فى الموقف اللى احنا فيه •• بدون تحريك الموقف عسكريا •**

طيب ليه ؟ •• ببساطة وأنا داخل الجولة التالية لازم أكسبها •• ليه السر فى أمريكا فعلا روجرز راح للزيات وزير خارجيتنا وهو هناك •• وقعد معاه •• وكاد يرتمى فى أحضانه •• انه موافق على كلام السادات احنا مابنقولشى حاجة •• كلامه مهتمين بيه جدا •• وكل ما قاله بننفذه بالحرف •• يبقى ايه اعتراضكم بقى •• لكن ده مجرد كلام **زى ماحكيت لكم المبادرة •• أمريكا بتلويها علشان بتعمل منها حل جزئى •• مش زى ما أنا ما قلتها •• أنا بأقول المبادرة لمـا عرضتها** •• وبأقولهـا وقلتها ومتمسك بيها •• انه انسحاب مرحلة أولى ــ ٦ أشهر ايقـاف اطلاق نار رسمى يعلن من جانبنا • عبور قواتنا بلا قيد ولا شرط •• فى نهاية ٦ أشهر •• اذا لم يتم الحل النهائى يبقى على قواتنا ان تكمل واجبها لتحرير الأرض واحنا لا يبقى لينا أى وقف اطلاق نار •• وكمان القناة تنفتح •• والكلام ده كله •• يبقى الكلام بتاعنا •

كلام أمريكا ايه النهارده اللى ابتدأت بيه ؟ • كلام أمريكا •• المبادرة احنا جهزناها •• فتح قناة السويس •• عبور قواتكم •• واسرائيـل جاهزة لعبور قواتكم •• بس بيجى بقه يقول ايه ؟ • وقف اطلاق النار وتحديده •• طيب ما دام حنخش فى جو السلام •• والاسرائيليين داخلين مسافة كبيرة جوه سيناء ــ وده الاغراء ــ وحتفتحوا قنـاة السويس •• طيب ما يعنى نخلى العملية بتاعة الحل النهائى لمفاوضات فى المرحلة الثانية •• اللى هى ممكن تقعده سنين و ١٠ سنين و ١٥ سنة و ٢٠ سنة •• ونبقى فقدنا فلسطين وفتحنا قناة السويس وراحت القضية على طول •• يقلبوا المبادرة علشان يعملوها حل جزئى •• والكلام ده حيلاقى اذن صاغية فى أوروبا الغربية •• ليه ؟ •• لمـا يقولوا لأوربا الغربية •• فتح قناة السويس •• وعبـور القـوات

المصرية ٠٠ أوربا الغربية حتقول انت مش موافق ليه ٠٠ ولو عبرنا فعلا وفتحنا قناة السويس فعلا ٠٠ ووقفنا فى نص سيناء فعــلا ٠٠ يبقى انتهى نص سيناء التانى ٠٠ والقضية ماتت ٠٠ وفى الرأى العام العالمى خلاص فقدت أهميتها نهائى ٠٠ وتيجى تتكلم ٠٠ يقولوا لك انت بتتكلم فى ايه ؟ ما أنتم خلاص ابتديتم فى العمليــة مع بعض ٠ خلاص ٠ يعنى مشوا خلاص وتفقد أهميتها ٠٠ ده التحايل الجــديد **اللى داخله بيه أمريكا وده اللى أنا تنبأت به فى أغسطس الماضى حتى حافظ وهو عندى : قلت له يا حافظ الأمريكان حيثيروا المبادرة بتاعتى بعد التطورات الأخيرة ٠ نكون صاحيين وجاهزين لهذا الكلام ٠ لأنهم عايزين يقلبوها ٠٠ أنا الحقيقة فى أغسطس اتكلمت مع الفريق صادق وقلت له ما أقدرش أخش فى نوفمبر اللى جاى الجولة التالية اللى بيتقال عنها ديه ٠ يعنى نكون واضحين مع نفسنا ٠٠ ونكون صرحاء مع نفسنا ٠٠ مافيش حاجة اسمها حل ٠٠ ده احنا بس علشان عايزين نكسب وقت نستنى لمــا تيجى الفرصة ٠ وكمان عايزين ضغط عالمى ٠**

ولكن من بكره من بعده من النهاردة فى كل وقت ٠٠ مافيش حاجة اسمها حل سلمى والحل السلمى معنــاه ٠٠ الاستسلام على طول ٠ ليه ٠٠ لأن الشىء المؤسف اللى لازم تعرفوه انه بعد سياسة الوفاق اللى تمت وانتهت ومعروفة فى العالم ٠٠ انتهاء الحرب الباردة وسياسة الوفاق بين الكتلتين مين اللى فى ايده مفتاح القضية ؟ الكتلتين ٠٠ أمريكا هى اللى بتدى اسرائيل كل حاجة ٠٠ وهى اللى متعهدة بكل بشىء ٠٠ وهى اللى واقفة ٠٠ وهى اللى حتحل ٠٠ وهى اللى بتحل ٠٠ الاتحاد السوفيتى لا دور له فى هذه العملية ٠٠ عملية اجتماع موسكو اللى حصل فى ٢٠ مــايو ٠٠ المصــيبة كبيرة ٠٠ ان الحــلول اللى هاتيجى من أمريكا بعــد الوفاق حتكون بمبــاركة الاتحــاد السوفيتى ٠ ويســتنى لمــا نقبل احنا ٠٠ **وعلى ذلك أنا قلت للفريق صادق فى أغسطس الماضى ٠٠ القرارات ما تكملش الا بأننا فى الجولة اللى جاية بعد الانتخابات الأمريكية ٠٠ ماندخلش أبدا من موقف السكون اللى احنا فيه ده لأنه موقف الضعف ٠ لابد أن تتحرك القضية عسكريا ٠٠** الصورة ايه ؟ بما نستطيع ٠٠ بما نملك بالمناورة اللى نستطيع نعملها بما لدينا ٠ أنا قلت هذا الكلام وأنا فى يقينى التام فى ذلك الوقت ان الاتحاد الســوفيتى أنا هأقطع معاه فى ٣١ أكتوبر ٠٠ وما كنتش متصور انه حيلقط ويفهم

ان مصر معناها المنطقة مش مصر لوحدها . لكن لقط وفهم .. ووفر على أو على الأقل حط نفسه فى الوضع اللى أستطيع أنا النهاردة ان أبلغه فيه أكتر ما بلغته فى المرة اللى فاتت . انه ما يقدرش يقطع الامداد عنى .. دلوقت فيه تعهد جديد .. وداخل فى تعهد جديد غير (flow) العادى بتاعنا . برغم انى أنا ماكنتش متوقع هذا من الاتحاد السوفيتى وأنا بأتكلم مع الفريق صادق فى نقطة البدء الا أن كمالة القرارات . طيب عملت أنا القرارات وخلصنا من المستشارين والخبراء .. وأخذنا حريتنا فى كل شىء وأنتهى و .. و .. لكن ماذا بعد .. وضعنا اللى احنا فيه . طب ما هو أمريكا حتعرض عليك المبادرة .. زى ما حكيت لكم كده بالشروط اللى هيه بتقولها دى .. وتلاقى اذن صاغية فى العالم . نقطة ضعف . ازاى ما أنتوش قابلين والعالم يقول واضح ان القوات عبرت . واضح ما بتقبلش ليه .. والعملية مفاوضات .. ومناقشات بينكم بقه .. و .. والكلام ده كله .. وبعدين طيب ما أقدرتش .. طيب نحيى مهمة يارنج .. طب ٧٣ فاتت .. ٧٤ تفوت .. المهم ان كل هذا سيتم لأنى أنا ماحركتش شىء .. وقاعد . طيب وهو يتحرك ليه .. الأمريكان والاسرائيل ياخدوا فى بالهم . **طيب خلاص ما قبلتش عنك ما قبلت . خلاص .. أهى تفضل رايحة جاية فى كلام .. والاتحـــاد السوفيتى اللى هو واقف معانا .. موقف الصديق زى ما قلتلكم يهمه جدا ان هذه القضية تنتهى بحل سلمى .. لأن دى استراتيجيته لكن بس ماعندوش الشجاعة علشان يقولها . حتى ولو بتنازلات من جانبنا .. ليه .. لأنه والله بدل وجع الراس .. لأنه ما يعرفش حنورطه فى ايه على حسب تفكيرهم . وهو عمل سياسة وفاق الاخلاص ده فى فيتنام اتفق .. فى الأمن الأوربى اتفق .. فى الأسلحة الاستراتيجية اتفق .. فى كل شىء أتفق .. وعمل سياسة وفاق .. وحبوب أخذ .. واستثمارات لسيبريا أخذ كله خلاص . ورتب نفسه لعشرين سنة جايه مع أمريكا .. طيب وجع الراس ييجى له مننا ليه . أدى خطورة المرحلة دى اللى احنا داخلين فيها .**

من هنا زى ما قلت لكم .. فى تصورى الكامل .. والأحداث تثبت هذا الكلام .. كمالة هذا ان احنا مانخشش الجولة الثانية اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه . ماخدش هذا الأمر أنا بأعرضه أو بأقوله علشان أخذ رأيكم فيه . ده أمر حتمى لمصير هذا البلد خلاص

••ماعدش أمامنا فكاك ــ وادى أنتم شايفين النهاردة •• العربدة اللى بتعملها اسرائيل فى المنطقة •• بهدف حملة نفسية شرسة علشان تقول ايأسوا يا عرب لا فائدة منكم فى شىء نحن متفوقون الى الأبد •• ونستطيع أن نضرب أينما نشاء •• وقتما نشاء •• ولا تستطيعوا أن تعملوا شىء لنا أبدا • واحنا قاعدين كأن اسرائيل دى طلسم أمامنا •• ومافيش حركة أبدا • واذا قبلنا هذا الوضع يبقى مافيش ما يدعو للتكاليف اللى احنا بنتكبدها ونختصر الطريق •• ويعنى نلم نفسنا ونقبل حل أمريكى •• ومبادرة •• وبحل مقلوب وحل معووج ونروح نعمر مدن القناة •• ونفتح القناة ونخش سيناء وتعبر قواتنا وندخل زى ما بعض السياسيين العرب ما بيدجلوا • أنا لا ألجأ لهذا الأسلوب •

ان جيتوا للصراحة •• نحن اليوم أمام امتحان كقوات مسلحة •• فى الفترة الماضية أنا عملت كل ما أستطيع •• صبرت على الاتحاد السوفيتى بالكامل • وغطيت موقفهم • وفى يناير وفبراير ومارس من ٧٢ اللى احنا فيها دى النهارده لما كانت البلد كلها •• المنطقة كلها قايمة ــ كنت أنا واقف فى ١٤ مايو فى البرلمان تذكروا •• ١٤ مايو وبأدافع عن الاتحاد السوفيتى بشراسة •• وكنت مستعد أخش معركة كمان مع اللى عايز يخش علشان أغطيه أملا فى أن احنا كنا عاملين استراتيجية اللى حكيت لكم عنها بتاعة ٥ أشهر • وحنيجى ونجهز نفسنا ونقف •

ده ما حصلش • وضع تانى •• قلت له لأ •• زى ما دافعت عنه بشراسة •• ووقفت معاه لآخر الشوط • قلت له قف مكانك مهما كان • الموقف مع الأمريكان • خدت ٧١ كلها • شفت روجرز قابلته هنا واتقال عليه من المتآمرين أنى بأبيع القضية وبأبيع البلد للامريكان •• ماهيش مشكلة يعنى •• الهدف كله هو المصلحة •• مصلحة هذا البلد قبل كل شىء مجردة من أى حاجة • وأنا عملت مع الأمريكان كل ما يمكن عمله • وقدمت المبادرة بتاعتى وأنا كنت مخلصا فيها • هم يتصلون بى الآن •• قلت لهم أنا معتمد على حاجة اسمها سياسة الباب المفتوح •• اللى عنده حاجة يتفضل •• لو كان عند الروس حاجة بيجوا •• الأمريكان عندهم حاجة تعالوا قولوا لى •• الأنجليز عندكم حاجة اتفضلوا قولوا • وأنا أول ما ألقى أنه ممكن بالنسبة لى ولبلدنا ولشرفنا بأقبله • اللى ما هوش

مناسب ما بأقبلوش •• فأنا معتمد على سياسة الباب المفتوح •• لكن تذكروا فى هذه القاعة •• وفى القيادة فى كوبرى القبة لما كنت بقعد معاكم •• تذكروا كويس أنى أنا كنت كل مرة بأجتمع فيها مع القادة السوفيت بأقرأ فى عينهم تساؤل ؟ بيقولوا أمتى حتحاربوا •• امتى حتبقوا رجالة بس مش قادرين يقولوا لى • الدور ده قالوا بصراحة لعزيز صدقى • عزيز صدقى سأل سؤال لكسيجين وبودجورنى فى الجلسة أمام الوفدين •• فى المناقشة وهى محتدمة •• طيب لو فيه حته عندكم محتلة زى سينا ما هى عندنا محتلة تعملوا ايه ؟ •• قالوا نحارب ولو بالبندقية • هو عايز يقول أكثر من هذا • لأنى أنا عارف الكلام اللى بودجورنى شتمنا بيه كعسكريين فى تركيا نتيجة الهزيمة بتاعة ٥ يونية بأبعادها المؤلمة اللى احنا كلنا عارفينها كعسكريين ماهياش تايهة عنا •

النتيجة ان المعسكرين شرقا وغربا صديقنا وعدونا الاثنين لا ثقة لهم فينا ان احنا نقدر نتحرك •• أو نعمل عمل اطلاقا •• أو نتقبل تضحيات •• أو نناضل علشان نحرر أرضنا •• وناخذ حقنا • علشان كده بأقول لكم مافيش حاجة اسمها حل سلمى الا اذا كنا عايزين نستسلم •• كل العروض اللى جاية مبنية من منطق واحد •• هو انك خلاص ألقيت السلاح •• وعليه فاستعد أنك تقبل أى حاجة • لأنك ألقيت السلاح ومافيش معركة تانية • هذه الحقيقة عند الاتنين عند الامريكان وغرب أوربا كله •• وعند أصدقاءنا الروس •• عبر عنها الروس وقالوا : — العرب مافيش فايدة منهم •• مهما أديتهم سلاح مش حيحاربوا دول مش بتوع حرب •• وقالوا ما هو أكثر من هذا فينا وده يمكن من الأسباب التى خلتنى عجلت الآن ••

لعلمكم برضه كان لا يمكننبتدى نعمل أى حاجة والمستشارينالسوفيت السوفيت فى وسطنا •• فى وسط قواتنا •• أبدا ده مستحيل •• ده كان مبدأ أساسى عندى •

من ضمن الحاجات اللى خلتنى الحقيقة أتخذت قرارى وأنا سعيد •• أن معركتنا نعملها احنا • ونتقبل كل ما هو مقدر علينا •• لأن هذه هى الحقيقة والفشل والنجاح علينا احنا مش على حد تانى اطلاقا • يعنى

نحط الأوضاع السليمة فى محلها .. ونقف فى الخندق السليم بتاعنا احنا بنحارب معركتنا .. بس ..

النهاردة زى ما قلت لكم .. نتيجة هذا .. نتيجة الموقف اللى احنا وصلنا اليه .. اسرائيل تعربد فى المنطقة كما تشاء .. وبلا أى رادع من أى جهة كانت .. النهاردة اعتدت على لبنان وبتكسر حاجز الصوت فوق المدن اللبنانية كلها . بتكسر لهم القزاز .. قبلها كانت فى سوريا .. منتهى الوقاحة .. برضه الروس سألوا الأسد وهو عندهم ؟ طب لما ضربوك اليهود فى ٧ أماكن فى سوريا .. مصر لماذا لم ترد ؟ الأسد قال لهم حترد فين ؟ توصل لعمق اسرائيل ازاى ؟ هو أنتم اديتوهم اللى يوصلوا بيه عمق اسرائيل والناس أتأخروا ؟ يعنى اتضح لى أننا نوضع اليوم أمام مسئوليتنا وأمام الامتحان .

زى ما قلت لكم أنا غير مستعد أنى أقبل حلول الاستسلام . مش أنا اللى أقبلها أبدا . ولا أتكلم فيها مع أى فرد من الأفراد .. لأن الجلوس على طاولة مع اسرائيل معناه وأنا فى هذا الوضع المهين معناه أنى بأسلم . ماذا يبقى أمامنا ؟ .. يجب أن نثبت للعدو والصديق أننا نستطيع أن نناضل وأن نتقبل التضحيات .. ونحرك الموقف . بالتخطيط مش بنرفزة ولا بعصبية ولا انفعال .. لا .. بالتخطيط تمام .

وده ميعادنا .. حتى فى كلامى مع الروس فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع الأمريكان فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع العرب فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع الشعب هنا فى المرحلة اللى جاية .. لن يكون له قيمة مع أى جهة من الجهات دى واحنا قاعدين فى السكون اللى احنا قاعدين فيه . **الكلام انتهى وقته ووصلنا الى نقطة التشبع . بما لدينا يجب أن نحكم أمرنا نخطط .. لغاية ما نحرك القضية . بمعنى نولع حريقة .. عندئذ الكلام له معناه الكامل وله قيمة وسيظل الموقف العربى كما هو واقع الآن تماما . طالما ان احنا زى ما حنا فى موقف السكون . لن يتحرك بل سيسوء أكثر مع العرب .. مع الأمريكان .. مع الروس .. مع شعبنا .. أو فى تقديرى أن القضية بتنتهى الى السكون والموت .. انتهت .. انتهت .**

أنا قلت مرارا وحأقول أنه لا أمريكا ولا روسيا ولا أى حد حيحارب لنا معركتنا • أو حيدينا اللى احنا عايزينه •• أبدا احنا اللى لازم نحرك لازم نحرك الروس علشان يدوا ولازم نحرك الأمريكان علشان يحلوا • احنا قوة الدفع • وصلنا الى المرحلة اللى القضية فيها مهددة •

لقد اتخذت القرارات •• **وقلت للفريق صادق على الجــولة اللى جاية • ماتدخلنيش الجولة اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه •• والا القضية تنتهى • واذا القضية انتهت على جبهتنا ، فانها تنتهى على الأمة العربية كلها •• وعلى الجبهات كلها •• لأنه مافيش هنا جبهة لها قيمة عسكرية غيرنا احنا** • اسرائيل عارفة اذا صمتت جبهتنا انتهت القضية •• وانتهت الثقة اللى فى شعبنا بالتدريج حتنتهى •• النهارده بنينا وضع وثقة •• وبنينا أوضاع •• كل ده حينتهى كله بالتدريج •• **للتاريخ •• أنا بأعتبر ان هذه جلسة تاريخ** •• لازم نفكر أيضـــا فى المستقبل •• واحنا بنفكر فى الحاضر •• والتجارب لازم تتحضر •• المعركة تنتهى على أى وضع •• وبارادة الله وبارادة هذا الشعب •• لن نخسر •• ولن يكون الوضع أسوأ من ذلك أبدا على أى وضع •• وعلى أى ظروف كانت •• أبدا •• ستنتهى المعركة •• طب ماهو الحل بالنسبة للمستقبل •• أنا بيهمنى •• فى قيادة القوات المسلحة بتاعتنا •• أنا جامعكم النهاردة •• لأنه مثل ما بيشغلنا المستقبل دائما •• بيهمنا الحاضر كمان • ونشتغل بقى بتخطيط وبعقل مانشتغلش زى زمان زى ما حصل فى معركة ٥٦ •• وطلعنا من معركة ٥٦ وقلنا انتصرنا صحيح انتصرنا سياسيا •• عبد الناصر قلب الهزيمة العسكرية الى نصر سياسى• بس ماكانش لازم نقوله لقواتنا المسلحة • ولا احنا فى تخطيطنا يجرى لنا اللى جرى ونسيب العملية مثل ما حدث بعد ٥٦ بالشكل اللى جرى • لأنه اللى حصل بعد ٥٦ •• انتصرنا •• انتصرنا • وقيادة القـــوات المسلحة صدقت اننا انتصرنا عسكريا فى ٥٦ وناموا وسابوا العدو •• فى نفس الوقت اللى اليهود قعدوا يحضروا من أول ٥٧ عشر سنين بالكامل العدو لغى وغير كل تكتيكاته •• وغير كل شىء •• والنص جنزير وراح فيتنام وطور وجدد واشتغل ليل نهار •

واحنا هنا مافيش مابنعملش أى حاجة •• الا أن صدقى محمود الله يكرمه •• كل نوفمبر يقول •• أكبر قوة جوية فى الشرق الأوسط ••

وقعدنا عايشين على التهريج ده •• لازم نفكر بأسلوب علمى للمرحلة الجاية • بالنسبة للمستقبل •• علشان تكونوا أمناء على هذه الرسالة •• للتاريخ •• لازم يكون لنا استراتيجية ونستطيع ان احنا نعمل على ٤ أسس : بالنسبة للجو وهو الأساسى •• ليه •• صحيح ليس هو الحاسم فى المعركة •• لأنه زى ما احنا عارفين كلنا وعلمنا على عامر الله يرحمه فى الكلية الحربية •• أنه فى النهاية المشاة (ضحك) والدبابة علشانك (ضحك) •• لكن وضح من الاستراتيجية اللى قدامنا •• ما احنا كمان لازم نتعلم •• هى كل المشكلة اللى احنا فيها النهاردة ايه •• ان أمريكا عاملة من اسرائيل حاملة طيران •• بعيدة المدى •• وكمان جايبة لها طيارات من التى تمون من الجو علشان تدى مدى كمان فوق ٢٠٠٠ كيلو وهو مدى الطيارة •• كمان ألفين زيادة •• علشان توصـــل زى مابتقول لآبار البترول ولا جنوب السودان ولا لطرابلس وتونس يعنى يوصل لأى حته •• أدى المشكلة بالنسبة للجو عندنا •• معمول من اسرائيل حاملة طائرات فى المنطقة •• وده مصدر التهديد الوحيد النهارده •• هو التفوق الوحيد •• أنا ما بأعترفش لاسرائيل بأى تفوق على الأرض •• أنتم أكثر ناس تقدروا تقرروا على الأرض • العسكرى الاسرائيلى شكله ايه •• واجهتم •• كثير منكم واجهوا هذا الكلام •• لكن التفوق الوحيد هو فى الجو يبقى بالنسبة للمستقبل فى المرحلة اللى جاية •• القاذفة المقاتلة والهليوكوبتر • تصنيع وليس شراء • كفاية بقى •• لأن اسرائيل بتعمر •• (الفوجا) ماشية اللى بتشتغل من ٢٠ سنة بتشغلها اسرائيل لغاية النهاردة •• لأنها بتعمر •• بتعمل كل شىء جوه عندها فى اسرائيل •• ووقت اللزوم •• هنا بعد ما ضربوا طيرانا فى ٦٧ لو تذكروا •• دخلت الفوجا ماشية فوق القاهرة •• كانت الفوجا ماشية •• بس تدريب •• ما هو مافيش حاجة •• دخلت فوق القاهرة • ما لم يكن لنا صناعة عســكرية •• مافيش •• يبقى بنحرت فى البحر •• وما نكررش غلطة ٥٦ • قاذفة مقاتلة •• وهليكوبتر •• ده بالنســبة للجو • بالنسبة للبحر •• بندور نشوف محمود فهمى بيعمل ايه •• استراتيجية العالم بعد ضرب ايلات كلها أتغيرت •• محمود فهمى بيعمل زورق يعطيه قوة نيران مدمرة بالكامل • العالم كله بيتجه لهــذا مفيش داعى للقطع الكبيرة الضخمة دى اللى بتضرب وعليها أطقم كذا •• وكذا • فيه زورق عنده (عملت فيه تجديدات عسكرية فنية) •• زورق •• ده بالأسلوب اللى ماشى فى العالم كله •• ونتيجة الخبرة والدراسة ونتيجة

معركة احنا عملناها •• معركة ايلات •• تغيرت استراتيجية البحرية فى العـــالم الآن •

ده بالنسبة للبحر •• وبالنسبة للجو •

بالنسبة للأرض •• الجنزير والنصف جنزير لابد يصنع هنا •• لازم •• مايبقاش مسرح العمليات عندى فى الشرق •• صحراء فى الجنوب •• صحراء •• فى الغرب صحراء وفى الشمال بحر •• كله صحراء •• واشتغل بالكاوتش •• كان نوع من السفه الحقيقة مش عارف سره أنا مش فاهم ــ ماكنتش عايزه ذكاء •• فى الفترة الماضية ــ وكانت بعد الحرب الثانيـــة كان النص جنزير فى أوربا معروف مرمى بتراب الفلوس ــ بالتراب مرمى ــ وخدته اسرائيل ــ واحنا ماخدناش اشترينا الكاوتش علشان الصحراء ! ••

ويبقى البند الرابع وهو الحرب الالكترونية اللى هى سمة العصر الجديد اللى احنا فيه •• وبدخولنا الحرب جهات كثير ممكن تعاونا فى هذا •• مش الاتحاد السوفيتى •• يعنى انجلترا جايز تعاونا فيه فرنسا جايز تعاونا فيه ••

بأعتقد أنه اذا غطينا الأربع بنود دول كأستراتيجية لنا فى البر والبحر والجو والحرب الالكترونية نستطيع ان احنا نقف فى بلدنا على رجلين ثابتة ــ وعلى أرض ثابتة ــ ونواجه أى حاجة ــ وبعد ذلك بنتطور مع العالم فى كل ما يتطور ومش حنقف أبدا •• ده بالنســـبة للحاضر • وبالنسبة للمستقبل •• ودى كل الصورة اللى حبيت أقولها لكم •• واذا احتجتم الى أسئلة أنا مستعد لكم •

اللواء الجمسى : ما هو موقف سوريا بالنسبة للمعركة ؟

الرئيس : موقف سوريا أولا باعتبارها مواجهة ويانا موقف سوريا ــ كان عندى حافظ الأسد فى اجتماع مجلس الرئاسة •• واتكلمت مع الفريق حافظ الأسد •• حافظ الأسد كل يوم بيزيد اقتناع عن اليوم

اللى قبله أنه لابد أن تتحد الجبهتان وتصدر الأوامر من هنا بأى عمل ٠٠ وعن قناعة أنه أى وضع حنحرك فيه العمل ٠٠ حيكون أحسن من الوضع اللى احنا فيه النهاردة مهما كانت التضحيات اللى حناخدها ٠٠ واضحة جدا فى ذهنــه علشان كده أنا كلفت الوزير صــادق علشان يســافر ان شاء الله ٠٠ وينسق فى هــذه الناحية ٠٠ وهما جاهزين ٠٠ لسبب بسيط ٠٠ مصيره كله متعلق بالعملية دى ٠٠ ولا يستطيع أن مصر تتحرك وهو يقف يتفرج وبعدين هو يعلم انه لوحده يتاكل ٠٠ لكن مع مصر ممكن يكون فيه حاجة ٠٠ سوريا متمسكة أنه لازم يتم التنسيق مع هنا بالكامل وفورا ٠٠ وحتى كان الأسد بيلح عليا ان الفريق صادق يسافر له مباشرة بعد الاجتماع ٠٠ وأنا وعدته بس لما جت رحلة عزيز صدقى ٠٠ أنا قلت أحسن استنى برضه لغاية ما ييجى عزيز من موسكو وأتكلم مع الفريق صادق ٠٠ وبعدين يسافر لهم ان شاء الله ٠٠ ده بالنسبة لسوريا ٠٠ الخلاصة فى كلمتين ٠٠ يعنى مرد الوضع فى سوريا الينا ٠

بالنسبة لليبيا ٠ ليبيا عندها النهاردة طائرات ٠٠ رئيس الأركان هناك أبو بكر قال لى أنه عمل خطة علشان فى ٦ ساعات تكون الطيارات عندنا هنا فى مطار من مطاراتنا ٠٠ فى قاعدة من قواعدنا ٠

اللواء الجمسى : بس عايزينها بطيارين ليبيين يا فندم ؟

الرئيس : ماعرفش أنا مدخلتش فى التفاصيل ٠

اللواء الجمسى : أبو بكر يونس قال لى أن على أن تعمل بطيارين ليبيين ٠٠ انما فكرة القوات الجوية بتاعتنا ٠٠ ان الطيارين الليبيين مستواهم منخفض ٠

الرئيس : والله أنا لا أبحث هــذا هنا ٠٠ أنا كل ما عندى الآن أن أبو بكر يونس جه قال لى أن فى مدى ٦ ساعات عاملين خطة فى ٦ ساعات تكون فى قاعدة مصرية ٠ ده بيبحث بالتفصيل بقى ٠٠ ده أمر عايز بقه المختصين يقعدوا بالتفصيل ويحطوه على الورق وواحد + واحد = ٢ اللى أنا عايز أقوله حاجــة ٠٠ يوم ما يتحرك الموقف مافيش حــد حيتأخر عنا ٠٠ كل شىء عند أى حد من اخوانا ٠٠ مش حيتأخروا اطلاقا

لكن حالة السكون اللى احنا فيها بيتضعفنا داخليا •• بيتضعفنا عربيا بتضعفنا أمام الصديق وأمام العدو •• أمام العالم كله •• بتدى عدم ثقة •• حتى الليبيين فى وقت من الأوقات ماكانوش مصدقين ان احنا ناويين نعمل معركة ونحرر أرضنا أبدا •• دول فاهمين ان احنا ماشيين فى عملية الحل السلمى •• حنخش فى الدوامة اياها ومافيش جدية •• لغاية قريب كانوا فاهمين هذا الكلام ••

اللواء حسنى مبارك : ياأفندم أقول حاجة عن موقف طرابلس أضيف عليها يعنى احنا سبق واتفقنا والفريق صادق موجود ان احنا حنشترك فى المعركة وحتكون مصيرية •• وعملنا دراسة عن هذا الموضوع •• وبعتنا لهم •• هنا لما جم مصر آخر مرة وكان أبو بكر موجود قلنا له فيه أسرار لا تذاع •• قال لا العقيد قال مافيش حاجة اسمها سر المعركة •• الأخبار كلها معلنة الناس اللى مسئولين موجودين هناك اللى هما بيشرفوا على التدريب هناك ماجوش على الاشارة الأخيرة •• حتى بعت اشارة للفريق أول صادق عن الموضوع •• يعنى أنا ما أعرفش دلوقت أنده الطيارين اللى هناك حتى لو كانوا طيارين مصريين ! ••

الرئيس : يا حسنى ده مش شغل المجلس بتاعنــا واحنا فيه حقيقة واضحة قدامنا •• اذا كانوا ممتنعين •• اذا كانوا بيناوروا •• بيزايدوا ده وضع آخر •• ده يبقى وضع سياسى •• اذا كان فيه هرجلة •• المفروض نوقف الهرجلة دى •• مافيش حاجة حناخدها بالساهل أبدا •• مافيش شىء جاهز حنلاقيه جاى قدامنا وحناخده ••

ايه يا اخوانا أخبار الجيوش ••

اللواء سعد مأمون : أخبار الجيوش من انهى ناحية ؟

الرئيس : من كل ناحية .

اللواء سعد مأمون : ماشى التدريب حسب السياسة الموضوعة والحمد لله كويسة •• كان فيه تخفيض بالنسبة حتى لعمليات كنا مجهزينها •• وكانت هيئة العمليات درستها •

اللواء عبد المنعم واصل : من الناحية التدريبية •• التدريب ماشى تمام الروح المعنوية تمام •• اذا كنا حنخش المعركة بالتسليح اللى موجود فى أيدينا •• يجب أن احنا نقبل أى كمية خسائر •• لأن زى ما سيادتك النهاردة عارف •• وضع الساتر الترابى وارتفاعه ١٨ر٢٠ متر •• وعمل مصطبة متصلة أمام واجهة الجيش على كامل مواجهته •• لضرب الهجمات عليها بحيث تضرب أى قوات تعمل على العبور •• ده هيحصل خسائر كبيرة بيهـــا ••

اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين : هوه فيه خطة موضوعة ؟!

الرئيس: الدفاع الجــوى •

اللواء محمد على فهمى : (تحدث عن أسرار عسكرية لا يجوز نشرها عن بطاريات الصواريخ) •

الرئيس : نسيت أقول لكم ان عزيز اتفق معاهم على أن فيه وفد عسكرى هايجى من ١٠ الى ١٥ نوفمبر ••

ــ (ثم دارت المناقشة بين الرئيس وقائد القوات البحرية حــول تفصيلات عن المدمرات والغواصات والصواريخ ، وكلها أسرار عسكرية لا يجوز نشرها) •

ثم أثار اللواء سعد مأمون موقف الاتحاد السوفيتى وسأل الرئيس :

ــ أنا لا أناقش سيادتك عن واقع المعركة •• ان تحريك القضية عسكريا أمر حتمى •• لا أناقشه •• الموضوع بتاعنا من الناحية العسكرية بنعمل ايه ونناقش ايه والموقف ايه وشكله ايه •• لا أناقشه •• بس أنا عاوز أستوضح حته من الناحية السياسية من ناحية الاتحاد السوفيتى

•• فهمت من سياق الحديث اللى سيادتك شرحته لنا كلنا واضح •• بس عاوز أستوضح نقطة •• رأى الاتحاد السوفيتى فى تحريك القضية عسكريا بعد الانتخابات الأمريكية ايه ؟ •• ومتفرع منه سؤال آخر •• هم قالوا ووجهوا الكلام للرئيس حافظ الأسد •• لينقل لنا •• لما سوريا انضربت فى سبع مواقع ولبنان •• مصر عملت ايه •• ما سألوش سوريا ماضربتش عمق اسرائيل اللى جنبها ليه ؟ •• الحته دى •• أنا قمت بزيارة مع سيادة الفريق أول صادق فى يونية سنة ٧٢ للاتحاد السوفيتى •• كان الكلام لمـــا كنا بنقول ان فيه أسلحة هجومية مطلوبة للقوات المسلحة كانوا بيعتبرونا برجوازيين وكانوا بيعتبرونا ان احنا ـــ جبناء ـــ وكانوا يعتبرونا ان احنا •• مهرجين •• ولأول مرة فى المباحثات الرسمية مع جريتشكو •• ثم مع أنه فى الحديث اللى دار بين بريجنيف والفريق أول صادق أنهم اعترفوا لأول مرة أن القوات المسلحة المصرية أسلحتها دفاعية ومن الآن حننظر فى موضوع الطلبات الخاص بالخطط الهجومية للقوات المسلحة •• وأن السياسة الواضحة أنهم عازين الأمور تمشى ٧٢ ويمكن ٧٣ النهاردة فيما يختص بالقرار بعد زيارة سيادة رئيس الوزراء للاتحاد السوفيتى •• هل الاتحاد السوفيتى يبارك تحريك القضية عسكريا أم لا ؟

الرئيس : هو بالنسبة للحته بتاعة حافظ الأسد هو الفريق حافظ أنا اللى سألته •• قلت له أنت خسرت الثلاثة ليه •• طيب مادخلتش جوه ليه وضربت عمق اسرائيل والثلاثة السوخوى خسرتهم •• خسرتهم •• وكنت خسرتهم أحسن جوة فى عمق اسرائيل زى ما دخلوا فى عمقك •• اللى أنا عارفه بقه ان حافظ كان طول هذه الفترة قاعد فى غرفة العمليات •• فى قاعدة •• وطنى حافـــظ أى والله •• قال لى أنا اللى رجعت الطيارين •• أنا اللى خليت الطيارين ضربوا على الجولان ورجعوا •• ليه ؟ •• قال لى قدامى على شاشة الرادار لقيت ناموس •• أسراب ناموس مش طيارات طالعين مستنيين •• قال لى قلت للأولاد الضباط ارموا فى الجولان وارجعوا •• أما لقى أسراب ناموس ومع ذلك ضربوا ٣ طيارات سوخوى ••

لمـــا نيجى للنقطة الأساسية وهى السؤال بتاع الاتحاد السوفيتى •• الاتحـــاد الســـوفيتى لن يغير موقفـــه الا اذا أرغمنـــاه وأحرجناه ••

بمعنى الاتحــــاد الســوفيتى لا يريد أى حــركة عســكرية ••
وممكن أن يقف بس ما بيصرحش انما اللى فى قلبه أنه •• شوية تنازلات
ونفض المشكل وبلاش هوسة •• ده سياسة الاتحاد السوفيتى الثابتة
المقررة •• طيب أنا سعيد بزيارة عزيز صدقى ليه •• مش عشان تعاقدات
جديدة زى ما قلت لكم أبدا اطلاقا •• تعاقدات جديدة ده لسه وضع أنا
هأبحثه بقى مع بريجنيف ولمــا هانشوفه وقبل ما شوفه لســه هاخد
كلام طويل •• هو العملية بتنتهى بسرب أو سربين •• العملية مش
سرب والا سربين العملية مبدأ •• ايه موقفهم معانا •• بالنســبة
للتطور اللى بيحصل فى المعركة •• اللى سعدت به أنا الــ (flow)
رجع •

استراتيجية الاتحاد السوفيتى لعلمك •• هى •• هى لن تتغير ••
ولكنها ستتغير اذا احنا اتحركنا وأجبرناهم وحطيناهم فى الوضع الحاسم
لن يتغير •• واذا لم يتم شىء فى موقفنا •• نرجع نلف •• نلف •• نلف••
مع الاتحاد السوفيتى •• زى مع أمريكا زى مع العرب •• زى مع
أوربا الغربية زى مع الكل •• أثبت وجودك •• أثبت أنك موجود يعترف
الكل وغصب عنهم •• متثبتش وجودك فى اليوم اللى احنا فيه محدش
هايعترف بك •• وهاتبقى زى مانت •• دلوقتى خلاص مفيش معركة
ثانى انتهى •• زى الصورة اللى فى ذهنهم •• ان المعــركة فى الشرق
الأوسط انتهت •• ودى مهابرة •• والكلام اللى بيسمعوه ده مهابرة بس
من العرب لحفظ ماء الوجه ولكن مفيش حاجة تانى والعرب ليسوا أهل
حرب ولا كفاح ولا تضحيات ولا حاجة أبدا ••

الفريق سعد الشاذلى ــ هل سيادتك ستقوم بتحرك عربى لحشــد
القوى العربية أو أن المعركة ستكون قاصرة على دول الاتحاد ؟ ••

الرئيس : حدد كلمة حشد القوى العربية •

الفريق سعد الشاذلى ــ التحرك العربى على ضوء المناقشات القديمة
اللى سيادتك عارفها وموقف الجزائر وموقف الدول الأخرى ••

الرئيس ــ لأ •• أنا مش شايف موقف عربى ولا حاجة •• زى ما قلت لك مفتاح الموقف يا سعد ان ماحدش واخد مجال للرد لا فى العرب ولا فى غير العرب اطلاقا ••

(ثم تحدث الرئيس عن تصريحات غير صحيحة لأحد الرؤساء العرب) •• ثم قال :

ماحصلش كلام من ده أبدا اطلاقا •• مش بس احنا بنواجه موقف متفكك فى العرب وغير جاد •• احنا بنواجه مزايدات وكلام عارفينه ••

ثم أعرب الرئيس عن وجهة نظره فيما عرضته الجزائر من أنها ترسل سلاحا وقوات قبل بدء المعركة بثلاثة أشهر • وقال ان هذا غير عملى ، ولا يمكن أن يحدث فى الحروب •

* * *

ثم قال الرئيس : أنا قدامى اسرائيل ضاربة سوريا وضاربة لبنـــان وممكن قوى تضرب فى مصر وتعاقب زى‌ما هى عايزة فى المنطقة وتفرض علينا معاهدة •

وحسنى مبارك كان فى الجزائر بناء على طلب الرئيس بومدين • أنت كنت هناك أمتى يا حسنى •

اللواء حسنى مبارك : ما بقاليش شهر •

الرئيس : الشهر اللى فات •

الفريق سعد الشاذلى : على اعتبار ان المعركة لسه لم تتحدد يعنى انما لو سيادتك تكلم الرئيس بومدين على أن المعركة خلاص بدأت والتحضير لها وحتكون فى هذه الحدود •

ثم قال الرئيس : مغزى كلامى لكم كله النهاردة نحملش بقه مشكلتنا على حد • اللى نقدر نعمله نخطط بعقل ونعمله •• ونتحرك نولع حريقة

للكل •• للعرب للصديق للعدو ولاسرائيل •• لكله •• ونقف فى موقفنا السليم •• وزى ما قلت لعزيز صدقى وهو مسافر موسكو •• حيكون موقفنا ايه يعنى •• أسوأ من اللى احنا فيه النهارده •• مش حيكون •• فى أى وضع من الأوضاع مهما واجهنا من تضحيات مش حيكون أسوأ من اللى احنا فيه النهاردة لأنه هنقدم تضحيات وحنحط فى اسرائيل تضحيات •• هى ما تستحملش •• احنا نستحمل •• مش حنكون أسوأ مما نحن فيه •• وأشرف لنا نموت واحنا واقفين على رجلينا أحسن ما نكون بنرتعش أو بنسلم •• بس مش هنموت •• مش الشعوب •• الشعوب ما بتموتش أبدا •• أبدا ••

عضو : أنا فى تقديرى للموقف بأقول ان حتى بالفـــرض الأمريكان اذا كانوا حيفكروا فى حل سلمى أو ناويين يحلوا همه واسرائيل فالأمريكان من مصلحتهم واسرائيل مش حاقول حد تانى •• أحسن بقى يمكن اتهم بالمغالاة •• كلهم لهم مصلحة فى تدمير مصر أو القوات المسلحة المصرية اللى هى خطر مخيف اللى اسرائيل بتعمل حسابه فى المنطقة •• حتى لو حصل أنه فيه حل سلمى يكونوا فى وضع همه مستريحين فيه احنا نكون فيه تعبانين وياخدوا فترة بتاع عشر سنين راحة زى ما عملوا سنة ٥٦ وزى ما عملوا سنة ٤٨ وخلافه اللى هى الفترات •• اللى هو استريح فيها من وجود قوة كبيرة موجودة على حدوده الطويلة ولذلك لازم نفكر كويس جدا انه يصح أنه هو قبل احنا ما نبدأ أى حاجة أنه هو يقوم بأى تلكك •• أنا جمعت اخوانى أيام ما ضربنا الطيارة بعد ما رجعت من بره ويذكروا هذا الكلام أنا قلته لهم •• قلت لهم فيه احتمال كبير جـــدا ولازم نحطه ان احنا نفاجأ بأن اسرائيل تبـــدأ هى علينا ضربة وحيمارس هذا الموضوع الأمريكان •• مش عايز أقول ناس ثانيين كمان • لأن الكل مصلحته حيشترك فى تدمير القوات المسلحة المصرية •• فى هذه الفترة • من قبل المفاوضات وقبل يعنى ما نتكلم من مصدر قوة • يعنى لازم برضه نحط فى اعتبارنا ان احنا لازم نخوض قريبا معركة دفاعية عنيفة جدا ستستخدم فيها اسرائيل سلاحها الرئيسى اللى هو سلاح الجو لأن أنا ما أعتقدش من الناحية العسكرية انها تقدم على عملية عبور برية أبدا • واللازم نكون حذرين جدا من ضربة جوية مفاجئة أو من تركيز عنيف على مواقعنا أو على مواقع داخل أراضينا فى عمق أراضينا فجائى •

مش لازم يعنى مانقعدش بقه فاهمين ان احنا نحصر الوقت المناسب بتاعنا والحتة المناسبة بتاعتنا والكلام اللى احنا بنفكر فيه دلوقتى بس ؟ •

الرئيس : أنا قلت هذا الاحتمـــال من زمان •• دا أنا بأحكيه لـــكم وأقولكم يعنى من فترة •• من الصيف وأنا متهيأ لى أنه قبل الانتخابات يعنى لو أنا محلهم هناك قبل الانتخابات لازم أضرب • ليه ؟ •• لأن اسرائيل النهاردة من بعد قرارات الروس وخروجهم من المنطقة بدأت تطنش مع أمريكا شوية •• تحليلهم هكذا على المدى الطويل الأمريكان وغرب أوربا ••• الاثنى اللى كانوا بيشتغلوا عليه وهو أن الاتحاد السوفيتى هنا وهمه قاعدين عشان يقاوموه وعشان كده بيسحبوا من أمريكا ومن غرب أوربا ومن كله تأييد •• خلاص •• خلص • تحليل من داخل اسرائيل جانى أنه بيقولوا •• على المدى الطويل ان احنا حنكسب أمريكا وغرب أوربا الاثنين وعليه يعنى العملية اللى عملوها فى لبنـــان وكسروا القزاز وعملية لبنان و •• و •• و •• كل ده بيعملوه ولا هاممهم ولا هم سائلين •• ليه •• يعنى لو يفكروا صح لازم قبل الانتخابات علشان يحطوا أمريكا والكل فى Corner أنه يبقى الكلام •• الحل بيجى على اللى جرى فى الضربة دى مش بتاع يونيو ٦٧ •• ينقلوا الكلام بدل ما نتكلم على حل القضية •• لا •• على اللى جرى فى الفترة الأخيرة ويوقفوا اطلاق النار •• عدونا خبيث •• بيشتغلوا بمخطط واسع كبير قوى قوى قوى وقاعدين يحسبوا براحتهم •• عندهم كل اللى همه عايزينه وبراحة •

اللواء على عبد الخبير : اذا كان سيادتك تسمح أسأل •• يعنى نقطة أستوضحها •• سيادتك بتحدد ميعاد اجراء الانتخابات الأمريكية كموعد محتمل سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحيتنا فى جمهورية مصر •

الرئيس : بعد الانتخابات بالنسبة لنا •

اللواء على عبد الخبير : بالنسبة لنا بعد الانتخابات••وهذا الموعديجوز بالنسبة لاسرائيل •• فى الوقت نفسه الموقف بالنسبة لروسيا لم يتغير من ناحية التسليح •• بيتهيأ لى خلال السنتين الأخيرتين لا يوجد أى

نوع من التغيير اطلاقا • أو أى نوع من الزيادة • فيه تأثير نتيجـــة استهلاك بعض المعدات واستهلاك الذخيرة أو أى استهلاك خلال الفترة •• نواحى النقص الأساسية اللى هى موجودة وقائمة بيننا وبين اسرائيل فى نواحى الطيران لم يتعدل الموقف فيها حتى الآن • فى خلال المدة دى • الاتفاقية اللى تمت وكلها هتم فى خلال ٧٣ وما بعدها ولن تؤثر على الموقف الحالى •• هل ده ما يكونش له تأثير على موقف القوات المسلحة فى حالة دخولها ، مع حساب موقف الطيران الاسرائيلى ، وموقف قواتنا وما يترتب عليه من خسائر •

الرئيس : برضه ما فهمتش التحليل الأولانى يا على أما نيجى أمام قدر •• يعنى لو أنا خدت بهذا التحليل فى ٨ يوليو وحسبت على هـــذا النمط ما كانش لازم آخذ قرارات ٨ يوليو خالص •• بتيجى لحظات عليك أن تواجه قدرك فيها •• اذا خدنا بتحليلك ولا سنة ٨٠ هنتحرك •• بيعوض هذا الكلام اللى أنت بتقوله تخطيط سليم لسد الفجوات اللى عندنا بيعوضه أن نفهم طبيعة المعركة اللى احنا بنواجهها ونفهم الناس اللى حتخش المعركة طبيعة المعركة وانه الروح •• روح القتال وروح الجندى وروح الاستبسال والتشبث بالأرض و •• و •• وكل ده أسلحة لازم نستخدمها علشان نعوض النقص اللى عندنا لازم •• كقائد سياسى أنا النهاردة وبأواجه الظروف اللى احنا فيه •• فى سنة ٧١ أنا أديت براح كبير وأمام الوضع اللى أنا فيه خدت وقت واتكلمت مع الأمريكان •• واتكلمت مع الروس وطولت • وزرت روسيا ٤ مرات وتحركت فى كل الاتجاهات وبذلت كل ما يمكن بذله •• تلخص الموقف فى الآخر انه هل أنت موجود ولا مش موجود •• كشعب وكقوات مسلحة •• ده اللى أنا بأواجهه النهاردة ••

العضو ــ أنا من سنة ٦٧ وأنا أعلم أن الروس موقفهم لم يتغير •• من يوم ما عملنا اتفاقية معاهم •

الرئيس : بس أنا مش معاك فى أنى أحمل الروس المسئولية يا على •

العضو ــ لا أنا ما أحملهمش المسئولية •

الرئيس : عايز ايه أكثر من واحد سلح لك جيشين سلح لك جيشين بس بالسلاح اللى هو عايز يديه لك ٠٠ لكن سلح لك جيشين حقيقة واقعة ولا لأ ٠٠ ؟؟

العضو ــ الروس بيقرروا سياسة لهم وبينفذوها واحنا عاطفيين من بعض النواحى فبنطلب منهم أكثر من السياسة بتاعتهم ما بيستجيبوش ٠

الرئيس : طيب ايه دخــل ده فى انك أنت تكون أو لا تكون ٠ ايه يعنى ٠٠ ؟ همه الروس اللى بيخلونى أكون أو لا أكون ٠

العضو ــ لا احنا على أساس نكون أو لا نكون هو ده (الوضع) ٠ انما علشان نكون لازم يكون كل شىء من أجل أن نكون ٠

الرئيس ــ لا كل شىء بقه أنا مش معاك مفيش قائد عسكرى ابتدأ معركته بكل شىء قدامه ٠

العضو ــ لا مش كل شىء معايا يا فندم ٠٠ بأقول كل شىء فى الدولة ٠٠ كل فرد زى أى دولة تدخل الحرب وتجند كل امكانياتها فى ســبيل المعركة ٠٠

الرئيس ــ ملكش دعوة بالدولة ٠٠ ده شغلى أنا ٠٠ الدولة بتطلع من بقها لقمة العيش والدولة يوم ما تتحرك أنت ٠٠ أنا بأقولك مش على موقف العربى ومش للروس ومش للامريكان ٠٠ لشعبنا قبل دول كلهم ٠٠ يوم ما تثبت انك موجــود أن شالله تقلعهم الهــدوم هايقلعوها ويدوهالك ٠ لكن شعبك شأنه شأن أى حد تانى النهاردة ٠ فيه معركة ولا مفيش ٠ التساؤل ده موجود عند ناس طيبين ٠٠ مش عند الجاقدين ٠٠ لا ٠٠ فيه معركة ولا مفيش ٠٠ عاملين ايه ٠٠ احنا بنواجه القــدر وساعة الانسان ما بيواجه ظروف وقدر يبقى فيه خطر محسوب ٠٠ نخش ٠٠ بنقبل الخطر ونخش المحسوب ٠٠ اذا ترددنا ٠٠ بنقبل ٠٠ ما بنقبلش ٠٠ الحال هيبقى على ما هو عليه بل أسوأ بتآكل الوضع عندى فى الداخل قبل ما أكون بأتكلم على العرب ولا على الروس ولا على الأمريكان ٠

العضو ــ نقبل الخطر المحسوب ••

الرئيس : آه طبعا ••

العضو ــ مفيش بدل •• انما نعمل على تلافى الخطر •• يعنى ••

الرئيس : أمال بأقول تخطيط يغطى الفجوات ليه ؟ ما عادش أمامنا من سبيل يعنى حاولنا •• وعملنا كل ما يمكن عمله وأمامى لحظة من لحظات القدر النهارده • هل احنا موجودين ولا مش موجودين بس •

الفريق عبد القادر حسن : (نائب وزير الحربية) ــ الحقيقة يعنى احنا من وقف اطلاق النار واحنا أملنا جميعا ان كان يستمر الوضع • أحسن وضع وصلنا له كان هو الوضع بتاع يوليو سنة ٧٠ هل المطلوب • أو التركيز •• من الكلام اللى سيادتك قلته ــ ان احنا نقوم بعمليات نشطة ومحدودة أو بمهمة تحرير الأرض • هنا فيه فرق • الهدف الأول المحدود هو للتنشيط عسكريا وليكون فيه أساس سياسى أو قاعدة نتحرك فيها • طبعا مختلفة عما اذا كان التخطيط أو الهدف هو تحرير الأرض •

الرئيس : فى أغسطس اديته للوزير •• وهو •• كسر وقف اطلاق النار •• كسر وقف اطلاق النار •

الفريق عبد القادر حسن : هو بس فيه نقطة •• انه عملية الدخول فى الأرض •• تحرير الأرض فيه •• موضوع الاستهلاك المستمرة •• والاستهلاكات المستمرة لازم يكون الاحتياطات الموجودة كافية باعتبار أن اعتمادنا على الصديق أحيانا فيه بعض احتياجات استراتيجية مش هايدينا •

انما اذا كان بالغرض اللى سيادتك حددته •• يبقى شىء آخر •

الرئيس : محددة من أغسطس •

حسن عبد القادر : المعركة حتى لو أردنا أن تكون محدودة قد لا تكون محدودة .

الرئيس : طبعا مفيش شك .. ده طبيعى ..

الفريق عبد القدر حسن : انما هى قد تبدأ من هجوم مننا طبعا . وطبعا سيادة الوزير يظهر عنده خطة .. انما احنا مش حنمتلك انها تكون محدودة أو فى مكان أو فى مدة محددة . بمعنى أنى أنا فى تخيلى للعمليات أن على قدر الامكانيات الموجودة عندنا نقدر نبدأ عملية محدودة لكن حتتقلب العملية بشراسة من اسرائيل . وحتتقلب نهايتنا الى معركة دفاعية . حنخوض معركة دفاعية مع تعديل فى بعض القوات الموجودة فى سيناء . فى بعض المواقع اللى هى كسبناها باذن الله . لكن حتتقلب الى وضع دفاعى واسرائيل حتستمر فيها لأنها ما زالت عندها التفوق الجوى .. الورقة اللى بتلعب بيها ..

هنتعرض لموقف أن العمق بالذات هو الكلام بتاع محمد على فهمى اللى قاله ليس جميع أهدافنا الحيوية تدخل ضمن خطة الدفاع بالصواريخ . وطبعا حتى الأهداف اللى فى خطة الدفاع بالصواريخ معرضة أنها لو ركز عليها حتصاب .. ففيه احتمالات كثيرة أن أهداف كبيرة من عندنا فى العمق هتتدمر .. سواء كانت قناطر أو مصانع كبيرة .. هو ده التأثير بالنسبة للعمق ..

بالنسبة لوضعنا فى نهاية المعركة الدفاعية طبعا فى نهاية المعركة الدفاعية لازم العدو هيتحرك وحيوقف المعركة الدفاعية وهنشوف بقه وضعنا احنا حيبقى ايه ووضع اسرائيل ايه ؟ . النقطة بس الوحيدة .. ان اسرائيل حتصل فى معركتها الدفاعية اللى حتتوقف بعد كده الى أنها أصبحت صاحبة حق فى كل ما تملكه من بقاء جزئى فى سيناء فى ايديها . وحتعتبر ان هذا هو الواقع الاسمى اللى تتمناه ـ يعنى مثلا الخطة اللى احنا بنفكر فيها أو بنحضر لها .. لا تشتمل .. على (كذا) .. وقد تصل الى أقصى ما نتمناه الى (كذا) وحتحتفظ اسرائيل (بكذا) أو كذا على الأقل .. هتعتبر هذا حق اكتسبته بعد معركة أخرى تانية بعد ٦٧ .. احنا ما هيكونش عندنا الطاقة ان احنا نستغل نجاح قواتنا اللى عبرت

عشان نكمل فى تحرير الأرض لأن امكانياتنا فعلا غير (موجودة) • يقابل هذا أن اسرائيل هتتمسك وممكن بقه تبقى بعد كده عشرة ١٥ ، عشرين سنة فى وضع هى تتمناه أو بتتمنى النهارده جزء منه •• أنا نفسى يتبع العملية ايذاء باسرائيل انى أنا أضرب عمقها بعنف وبقسوة سواء كان من سوريا أو بواسطة أى حاجات أنا حاجيبها • اذا لم يكن هذا يتبع العملية بتاعتنا •• يبقى اسرائيل فى الواقع هينتهى بيها المطاف انها فى وضع أحسن مما هو الآن •• هتخسر بس خسائر •• انما هتمتلك جزء من سينا كبير والوضع كما هو ومنا بيقاش فيه مجال بعد كده انها تتفاوض حتى ويانا ولا أية حاجة •• اذا كنا عندنا مقدرة فى أى وقت نطردها من سيناء بالكامل تقدر فى الواقع مهما كانت العملية محدودة لا بد أن تكون ••

الرئيس : اذا تصورنا أنه فى هذه العملية المحدودة مش هنضرب عمق اسرائيل نبقى واهمين ويبقى مفيش فعالية فى هذا ••

الفريق عبد القدر حسن : تماما

الرئيس : وبعدين أنا كان دايما لى رأى مع عبد الناصر الله يرحمه •• أنا كنت بأقول عشرة سنتى جوه سينا •• عشان أعمل ثغرة لى جوه سينا •• وأشرف ألف مرة أن القضية تقعد عشر سنين ولا أطلع ولادى من القاعدة يشتغلوا طول الليل ويرجعوا لى الفجر •• من موقف السكون اللى احنا فيه اللى القضية بتنتهى فيه نهائيا مش بقه نص سينا • لا • ده كل سينا •• واحنا وجودناكوجود انتهى •• فبالنسبة للنقطة الأولى ما حدش بيشك فيها أبدا واذا كنا احنا مش بانيين على هذا نبقى واهمين• ممكن أن نضرب عمق اسرائيل وبعنف •

الفريق عبد القادر حسن : ضرب عمق اسرائيل بقه يستوجب حاجات الحقيقة مبدئية لازم احنا نأخذها من الاتحاد السوفيتى أو سوريا تأخذها يعنى أرض سوريا لا يمكنها أن تضرب اسرائيل اذا لم تؤمن سوريا بخطة صواريخ ودفاع جوى كامل •• هم ماشين فيها وأنا بأقول لسيادتك أنا مطمئن لهذا وصحيح فيه أكثر من ظيران بيشتغل من سوريا وهو ده اللى هيقدر يضرب عمق اسرائيل من السوريين •

الرئيس : كل الصعوبات اللى بتقولها وهتقولوها بقالى سنتين من يوم ما توليت .. بقالى خمس سنين من يوم ٦٧ وأنا عايشها ووصلت فى الآخر ان احنا بنواجه لحظة قدر .. يبقى تكملوا لى كل الفجـوات بالتخطيط السليم .. يتبعه تجميع وتركيز لكل امكانيات ممكنة .. وتبدأوا فى التنفيذ ونتوكل على الله .

الفريق عبد القادر حسن : طيب نقطة ثانية يا فندم بالنسبة لسوريا برضه .. التوقيت بتاع نوفمبر ده أو بعد الانتخابات لما نبص للاوضاع فى سوريا تملى همه يبقى عندهم Execuse انهم مش حيقدروا يتحركوا .

الرئيس : مش شغلى أنا .. ده مش شغلى ده شغل القائد العام بتاع الجبهتين .

الفريق عبد القادر حسن : فيه نقطة ثانية يا أفندم مع احترامى برضه لسيادتك طبعا .. ان فى حالة ضرب العمق أو أى بهدلة فى العمق عندنا .. احنا مش عايزين نصل الى موقف يضطرنا أن نقول للاتحاد السوفيتى ولع .. مرة ثانية ..

الرئيس (بلهجة حادة) : يا عبد القادر دى تانى مرة انت بتغلط فيهـا قدامى .

الفريق عبد القادر حسن : لا يا فندم بس ..

الرئيس (أكثر احتدادا وغضبا) : دى تانى مرة انت بتغلط فيهـا قدامى وأنا لا أسمح بهذا .. مش انت الحريص على استقلال البلد دى .. انت اللى خدت القرارات ؟

الفريق عبد القادر حسن : لا يا فنـدم .

الرئيس : انت اللى جيتنى اقنعتنى بيها ؟ أنا لا أسمح بهـذا أبدا أنا مسئول عن استقلال البلد وأنا عارف أنا باعمل ايه وما احبش تتدخل فى شغل غير شغلك .. دى تانى مرة تغـلط فيها . الثالثة حا أقولك

روح •• أنا عارف أنا بأعمل ايه • وأنا وقفت للاتحاد السوفيتى لأحاسبه لغاية ما أكمل المعركة •• انما أنا مش محتاج انك تنبهنى لشغلى يا عبد القادر أبدا • لأن فى مرة انت غلطت •• الغلطة الأولانية كانت فى الطيارة •• وأنا يومها أنا فكرت أشيلك •• عيب الزم حدودك •• أنا ما عندى حد يتخطى حد •• أبدا ••

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف قوى •

الرئيس : انت شغلك عسكرى بس •• مش سياسى •• والدعم •• عايز تنبهنى لواجبى دعم ايه •• بتتكلم عن ايه ؟

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف خلاص •

الرئيس : للأسف •• يعنى فترة فاتت كل واحد تصور فيها انه يتخطى حده •• لا •• أنا اذا كنت سمحت فى الفترة اللى فاتت فى الوقفة انه يحصل غلط •• المرة دى مش مستعد اسمح أبدا ان انسان يجاوز حده أبدا •• مهما كان •• يكون ده واضح (فترة صمت طويلة)

اى أسـئلة •

اللواء محمود فهمى قائد البحرية : هو قطعا كل واحد فينا بيتمنى أن القضية ما تتحلش سلميا وتتحل عسكريا لكرامة الضابط والعسكرى المصرى •• وكل واحد مستعد يبذل كل جهده يعنى وحياته •• فى سبيل المعركة المصيرية بتاعت مصر وتحرير الأرض •• انما لو فيه أى سؤال فهو برضه من الحرص على مصر ومصلحة مصر ••

الرئيس : أيـوه •

اللواء محمود فهمى : ده بس •• يعنى كنت سيادتك زعقت شوية يعنى احنا كلنا بنحرص قطعا ان احنا ••

الرئيس : انت بتدافع عن عبد القادر حسن •

اللواء محمود فهمى : لا أبدا ••

الرئيس : أمال ايه يعنى معنى كلامك •• دى وجهة نظرك ؟

اللواء محمود فهمى : لا

الرئيس : أمال ايه يعنى ما معنى الكلام ده يا محمود •

اللواء محمود فهمى : أنا بأقول ان كل واحد فينا مستعد انه يقــدم حيــاته للقضية المصرية •

الرئيس : فى حدود شغلك مش فى حدود شغل حد تانى •• يعنى فى حدود البحرية عندك اعمل • ما عندى مانع أبدا • وبأديكم كل الصلاحيات ومديكم كل الصلاحيات • وفى البلد •• مدى لكل واحد فى مكانه كل الصلاحيات •• رئيس الوزراء بيشتغل رئيس وزراء •• مجلس الأمة بيشتغل مجلس الأمة •• كل حته بتشتغل ومدى صلاحيات كاملة بس كل واحد ما يتجاوز القدر بتاعه •• ومش عايز حد يفهمنى واجبى •• أو يخرج عن حده أو يعمل بطل ••

اللواء محمود فهمى : تمام •• وكل واحد فينا بيبذل كل جهــده فى التدريب عشان اليوم بتاع المعركة •

(صــمت طــويل)

الرئيس : اذا كان فيه أى حاجة •• ان شاء الله ربنا يوفقكم •• زى ما قلت لكم بأعيد كلامى لحظات قدر واتحطينا أمام التحــدى •• صعب •• فيه تضحيات وآلام ودم • ولكن يعلم الله أنه مفيش أمامنا حل غيره • يعنى عملت بكل ما أستطيع فى السنتين اللى أنا أتوليت فيهم عشان أحاول أخففها ما أمكنش •• وواجهنا الظرف •• والنهاردة زى ما قلت لكم احنا أمام اختبار قدر •• هل احنا موجــودين ولا مش

موجودين •• بعد كل اللى عملناه اللى بنيناه ووقفنا فيه •• هل احنا موجودين ولا مش موجودين •

بالنسبة لشعبنا •• بالنسبة للعرب •• بالنسبة لأمريكا •• بالنسبة لروسيا صديقتنا •• بالنسبة لغرب أوروبا بالنسبة للعالم كله ••

هل احنا موجودين ولا مش موجودين ؟

وكفاية سمعنا كلام كتير •• وتجريح كتير •• ولحظة لازم نواجهها •• محكوم علينا من الكل ان احنا ناس لا قدرة لنا • خلاص مشلولين •• بنقبل هذا بنفضل مشلولين •• بنقبل هذا بنفضل مشلولين وهيتحول الشلل الى عجز مطلق •• نهائى •• ما بنقبلوش •• بنقبل قدرنا ونخش ونشتغل على أحسن ما يمكن أن يعطينا العقل اللى ربنا اداه لنا •• والتخطيط السليم •• واستخدام الامكانيات أمثل استخدام • وفى الحدود اللى نستطيع ان احنا نعمل فيها بعد ذلك •• يفعل الله ما يشاء •• عملنا كل اللى علينا •• وبعد ذلك نواجه قدرنا •• معنديش لكم حاجة أقولها النهاردة غير هذا اطلاقا •• مفيش •• ياريت كان قدامى شىء •• أنا قلت فى وقت من الأوقات أنا مستعد أروح لآخر الدنيا عشان عسكرى مش ضابط •• عسكرى واحد ما يتعورش ولا زلت لحد النهاردة مستعد لآخر الدنيا أروح مستعد أروح موسكو تانى ويعلم الله أننى لا أريد •• لقد فاض من كل قلبى مش عشان عبد القادر حسن وحماسه وبطولته •• يعلم الله أنا مستعد أدوس على كل شىء آخر وأخشها برضه بس لما أعرف انى حاعمل لكم حاجة •• مفيش •• النهاردة مفيش •• لكن واحنا أمام امتحان •• نخش الامتحان اللى بأرجوه بالنسبة لكم وبالنسبة لكل الأولاد اللى معاكم •• لازم يكونوا عارفين ان احنا بنعوض نقص كثير بايماننا بقوتنا •• من استبسالنا من استماتتنا بنعوض كثير •• ودى حيكون لها قيمتها ان شاء الله •• ولن يخذلنا الله سبحانه وتعالى أبدا ما دمنا مؤمنين وعلى حق مش حنخذل أبدا أبدا •• وزى ما قلت لكم مش حيكون أسوأ من اللى احنا فيه ده •• انتوا مش حاسين بيه •• لأ •• أنا قاعد

أحسب احنا فى وضع سىء مصيره ابتداء من العام القادم الى لا شىء ·· نهـــائى ··

أنا اللى يهمنى فى المقام الأول هو بلدى ·· احنا فى وضع سىء ·· وبعدين أنا قلت للفريق صادق وهو عندى وممكن يعنى اذا كان المسألة ميئوس منها · والله خلاص · معروض على حل جزئى ·· معروض فعلا علــى حل جزئى ·· بس أنا مش حاقبله ·· وييجى حــد غــيرى يقبله · أنا بتكوينى وبطبيعتى ما أقبلش حل جزئى ولا زلت مؤمن بالعسكرى المصرى ·· ومؤمن بأننا نستطيع نعمل حاجة ·· وانه أشرف لنــا ان احنا نموت واحنا واقفين وراسنا فى سابع سماء ·· من اننا نتخـــاذل ونقبل أى حاجة ·· وخاصة بعد ما بذلنا كل ما نستطيع وباخلاص ·· وبليالى طويلة « مابينامش الانسان » اطلاقا ·· الناس كلها مسافرة برة فى الصيف ·· وأنا قاعد فى المعمورة ··

وبالليل كنت أقول لابنى طلعنى يا ابنى برة المعمورة اشم هوا · وأنا أرجع ماناماش ·· بيانات طويلة ·· الشعب طيب ·· وأصيل ·· واداك اللى عنده ·· لحظة ثمنها غالى ·· ثمن كبير ·· ممكن الواحد ينام طويلا خلاص واذا كانت العملية على الكرسى نقبل أى حاجة وندخل فى عقول الناس أى تهريج وأى مزايدات وخلاص · أنا ما أعملش هذا أبدا ·· ولا قيمة للكرسى عندى اذا ماكانش فيه كرامه ·· أبدا ··

كان عندى ناس ديك النهار بتكلمنى وقلت والله القرارات ·· قرارات ٨ يوليو ما تساوى أى شىء · القرار بأكتبه من ثلاثة أسطر لرئيس مجلس الشعب ·· يوم ما أحس انى مش كفء أو يوم ما أحس ان احنا مش قادرين أقول لهم ·· دوروا على حد تانى يمشى · لأنى أنا غير كفء انى امشى فى هــذه المهمــة · ما بيســاوى عندى شىء · ولا بيزود ولا بينقص عليه حاجة ·· احنا أمام امتحان قدام شعبنا فى المقــام الأول قدام رجولتنا · تاريخنا كله · قدام أجيالنا اللى جاية · هل احنا موجودين ولا مش موجودين ·

ربنا يوفقكم وشـــكرا ··

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى بعد منتصف الليل بربع ساعة ••

وهنا يجب أن ننحنى تقديرا لموقف الرئيس السادات القائد الأعلى •• ان أهم القيادات العسكرية أمامه كانت تخشى من الحرب • كان تقديرها أننا سنتحول الى موقف دفاعى ، وأن اسرائيل ستضرب فينا كما تشاء • هذه القيادات التى تدافع عن هذا الرأى هى المحيطة بالفريق صادق وزير الحربية • نائبه الفريق عبد القادر حسن •• اللواء على عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية ••

ثم يسمع القائد الأعلى من اللواء عبد المنعم واصل ، ان اسرائيل متقدمة عنا فى السواتر الترابية •• وأننا مكشوفون ، وأننا سنواجه خسائر فادحة •• وهذا يعنى أن الخطة الدفاعية ٢٠٠ لا تنفذ !

ثم يسمع القائد الأعلى ــ اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين، الذى لا يمكن أن يتحرك أى جيش الا اذا كان ملما بكل تفصيلات الخطة •• يسمع القائد الأعلى منه ، تساؤلا : هل توجد خطة ؟ •• معنى ذلك انه لم يخطر بأى شىء ••

ويصمت وزير الحربية فى هذا الاجتماع ، ولا يتكلم •• والرئيس يعرف رأيه • ويعرف ما كان يتحدث به الى قيادات الجيش ، بأن الحرب مستحيلة ، بالأسلحة السوفيتية التى نملكها ••

كل هذا •• ويقف أنور السادات كالعملاق •• ويؤكد قرار الحرب • ويؤكد ثقته فى المقاتل المصرى والعسكرية المصرية •• ويعلن عن ايمانه بأن الموقف هو أن نكون أو لا نكون ••

ويسرع على الفور فى اجراء تعديلات فى القيادة •• ويعين وزير الحربية الجديد •• ويبدأ الاعداد الجاد للقتال •

هذا هو موقف التاريخ ، الذى لن ينسى لأنور السادات ••

بطولة اتخاذ القرار •

كان من الممكن أن يستند الى آراء هؤلاء القادة •

كان من الممكن أن يجد العذر ولا يتخذ القرار •

ولكنه قرار زعيم مسئول عن شعبه •• لا قرار رئيس جمهورية يتمسك بالمقعـــد •

قرار التاريخ لأجيال الأمة العربية كلها ••

قرار لا يتخذه الا زعيم بطل •

الفصل الثالث

رسائل السادات
الى قادة العــالم

... ((كان التحرك السياسى لمصر قبل حرب أكتوبر ، مستمرا ، وفعــالا على نطاق المسرح العالمى الكبير شرقا وغربا، وكان مواكبا للاستعداد العسكرى . لم يتوقف أيهما انتظارا للآخر . ولعل النشاط الكبير الذى وضح فى تحركنا السياسى ، أقنع الكثيرين، أن احتمالات دخولنا الحرب ضعيفة، بل مستحيلة .. والا فلماذا نبذل هذا الجهد المكثف فى السعى السياسى والدبلوماسى .

وكانت وجهة نظر الرئيس السادات ، أنه يضع زعماء العالم أمام مسئولياتهم ، وأنه يضمن بذلك التأييد السياسى العالمى لقرار الحرب .

ونرى فى رسائل السادات الى قادة العــالم خطين متوازيين . أنه يستحث بكل الاصرار على جهود تؤدى الى سلام عادل مشرف .. وهو فى الوقت نفســه يحذر من أن مصر ستضطر الى استخلاص حقوقها بوسائل اخرى .. مؤكدا أن الموقف متفجر .

فنقرأ فى رسالته الى السيدة أنديرا غانــدى رئيسة وزراء الهند فى ٥ مارس ١٩٧٣ ـــ أى قبل الحرب بسبعة أشهر ـــ نقرا قول الرئيس لهــا : ((لقد جاوز الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس سنوات ، وهذا موقف كما ولاشك تقدرين ، لايمكن السكوت عليه أو استمرار تحمله بكل ما يلقيه من أعباء نفسية ومادية على شعبنا)) . ويشرح

لها مراوغات اسرائيل لقتل جهود السلام ثم يقول ((.. ومما سبق يتضح بجلاء أن سياسة اسرائيل تقوم على اغلاق جميع المنافذ والأبواب أمامنا ، عدا باب واحد وهو باب الاستسلام لمطالبها والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التى تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ، ولكى تملى علينا الشروط التى تقبل بها تعديل خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو مالا نقبله ونعلن أمام العالم رفضه ، وأن مسئولية ما يترتب عليه يجب أن تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما أننا واثقون من قدرتنا — بمساعدة جميع الدول الصديقة والتى تؤمن بعدالة قضيتنا — على ازالة العدوان الاسرائيلى بكافة آثاره)) .

ويؤكد السادات مرة أخرى فى ختام رسالته الى أنديرا غاندى .. ((اننا نرجو مخلصين بأن يتحقق هذا السلام وبالوسائل السلمية ، ونرجو مخلصين ألا نضطر الى الالتجاء الى وسائل أخرى أمام الغطرسة الاسرائيلية من أجل استعادة حقوقنا الأساسية المشروعة)) ..

وفى رسالة السادات الى موبوتو رئيس زائيرى فى ٢٢ مارس ١٩٧٣ ، يستحث الرئيس التضامن الأفريقى ويطالب ((بضرورة تضافرجهودنا واتخاذنا المواقف الحاسمة من أجل ارغام اسرائيل على أن تكف عن سياستها الغاشمة)) .

والرئيس السادات يحذر فى رسالته الى هيث رئيس وزراء بريطانيا فى ٣١ يوليو ١٩٧٣ ، من خطورة التعنت الأمريكى فى المساندة الكاملة لاسرائيل على السلام .. ((لقد أصبح واضحا أن الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة ، هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق أمام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ، ويعرض السلام والأمن الدوليين لمخاطر شديدة فى منطقتنا)) .

ثم نقرأ فى رسالة الرئيس السادات الى قداسة بابا روما فى مارس ١٩٧٣ ، موقفا مصريا يسجله الرئيس ، وهو أننا ((بالرغم من المجهودات المضاعفة التى نبذلها فى سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان والطغيان)) .

***

... وفى فصل مقبل من هذا الكتاب ، سيجد القارىء قولا للرئيس السادات يحدد فلسفته .. « ان المعركة العسكرية يجب أن تكون فى خدمة المعركة السياسية .. كما أن المعركة السياسية يجب أن تكون فى خدمة المعركة العسكرية » ..

ورسائل السادات السياسية الى زعماء العالم، كانت خدمة فعلا لتهيئة الرأى العـــام العالمى للمعركة العسكرية ..

وفى الصفحات المقبلة نصوص من بعض رسائل الرئيس الى زعماء العالم ...

رســالة الرئيس
الى أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهنــد
فى ٥ مارس ١٩٧٣

عزيزتى السيدة أنديرا غاندى

رئيسة وزراء الهنــد

لقد كنت آمل أن تتحقق رغبتى فى لقائك أثر لقائى مع صديقنا وزميلنا العزيز الماريشال تيتو ، ولكن مشاكل ملحة طرأت وألقت بكامل ثقلها على الموقف فحرمتنى مما كنت أرغب فيه ، بل وأتطلع اليه من تبادل الرأى معك والتشاور سويا بشأن الموقف العصيب الذى تمر به مصر والبلاد العربية . والواقع أننى كنت آمل أن أشرح لك شخصيا الأبعاد المختلفة لهذاالموقف لنفكر سويا فى الوسائل المتاحة لمعالجته بكل ما يستحق ذلك من جدية وحسم وعلى أساس المبادىء التى آمنا ومازلنا نؤمن وبأصرار بأنها يجب أن تكون أساس العلاقات الدولية .

ســيدتى العزيزة :

لقد جاوز ، الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس سنوات وهذا موقف كما ولا شك تقدرين . لا يمكن السكوت عليه أو استمرار تحمله بكل ما يلقيه من أعباء نفسية ومادية على شعبنا ، فلقد أصبحت ميزانية الدولة تنــوء بأعباء الدفاع الثقيلة التى تتزايد يوما بعد يوم وتعطل بذلك والى حــد كبير جهودنا التى نحرص على ادائها كاملة من أجل التنمية ، كما اضطررنا الى أن نبقى فىميدان القتال مئات الألوف من الشبان طوال هذه السنوات بكل ما يستتبعه ذلك من آثار نفسية واجتماعية واستنزاف لجهود هذه النخبة الممتازة من ابناء مصر وبغير طائل . ولقد تمادت اسرائيل فى صلفها فأخذت تخطط وتعمل لتغيير واقع أراضينا ومعالمها لتجابه العالم بما تسميه الحقائق البديلة . وأننى واثق أنك تتفقين معى فى الرأى على أن هذه الأوضاع هى بطبيعتها مما لا يمكن السكوت عليها أو تركها سنوات أثر سنوات بغير علاج فعال أو رد حاسم تجند له كافة الطاقات والامكانيات من سياسية واقتصادية وعسكرية .

سـيدتى العزيزة :

لقد تعددت جهودنا من أجل السلام سواء عندما قبلنا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ أو عندما تعاونا مع سكرتير عام الأمم المتحدة ومع ممثله الخاص أو عندما عرضنا عليه اقتراحاتنا الخاصة بجدول زمنى يتم على أساسه تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وكذلك عندما قبلنا وشجعنا مباحثات الدول الأربع الدائمة العضـوية فى مجلس الأمن ولم نتردد فى مساعينا هذه فى الاستماع والاستجابة لأى جهة كان لديها ما تقترحه فى سبيل التوصل الى تسوية شريفة • فلقد استمعنا الى فرنسـا عندما اقترحت المباحثـات الرباعية والى الولايات المتحـدة عندما تحدثت عن احترام الحدود الدولية وتقبلنا بل وشجعنا زعماء افريقيا عندما نهضوا لصيانة العدالة الدولية الى جانب صيانتهم للحرية والكرامة الافريقية ، كما أعلنا قبولنـا لمبادرة السـفير يارنج فى فبراير ١٩٧١ ، الا أن كل هـذه الجهود والخطوات من جانبنا قوبلت ، وكما كنا نتوقع ، برفض قاطع وعناد وصلف من جانب اسرائيل بل وبكل أسف بتردد وتراجع من جانب الولايات المتحـدة التى أصرت فى نفس الوقت على مساندة المعتدين •

وأننى أود أن أؤكد لك يا سيدتى العزيزة أننا اتخذنا هذه المواقف كلها حرصا منا فى المقـام الأول على أن يلمس العـالم ايماننا بالسلام ورغبتنا الأمينة فى أن نعيش فى ظل المجتمع الدولى وشرائعه •

ومما سبق يتضح بجلاء أن سياسة اسرائيل تقوم على اغلاق جميع المنافذ والأبواب أمامنا ، عدا باب واحـد هو باب الاستسلام لمطالبها والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التى تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ولكى تملى علينا الشروط التى تقبل بها تعديل خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو ما لا نقبله ونعلن أمام العالم رفضه وأن مسئولية ما يترتب عليه يجب أن تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما أننا واثقون من قدرتنا بمساعدة جميع الدول الصديقة والتى تؤمن بعدالة قضيتنا على ازالة العدوان الاسرائيلى بكافة آثاره •

وازاء تعنت اسرائيل ورفضها الاستجابة لأحكام النظام الدولى فاننا نعتقد أن على دول عدم الانحياز عدم الاكتفاء بشجب موقف اسرائيل واستنكاره ، فمجموعة عدم الانحياز أخذت فى أكثر من مناسبة مبادرات

ايجابية وفعالة لحماية السلام العالمى وكان دائما لسياسة دول عدم الانحياز تأثير مباشر على مسرح السياسة الدولية كلما تعرض السلم والأمن الدولى لأخطار الحروب • ولا شك أن العالم اليوم يتعرض لتهديد مباشر وشديد بسبب الموقف المتوتر المشحون بالأخطار فى الشرق الأوسط • ولذلك فاننى آمل أن تتمكن دول عدم الانحياز من مباشرة دور قيادى وتقوم بنشاط مكثف بين مختلف الدول لتأكيد مسئولية المجتمع الدولى نحو ازالة آثار العدوان الاسرائيلى والعمل على اقرار السلام العادل فى الشرق الأوسط •

وفى ختام خطابى هذا أود أن أؤكد أننا نرحب دائما بكافة الجهود الأمينة من أجل التوصل الى حل سلمى عادل ومشرف ينتهى بانسحاب اسرائيل من كافة الأراضى العربية التى احتلتها أثر عدوانها فى يونيو ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وأننا نؤمن بأن اقرار السلام العادل هو مسئولية المجتمع الدولى وان هذا واضح من تصرفاتنا بما لا يدع مجالا لأى شك **واننا نرجو مخلصين بأن يتحقق هذا السلام وبالوسائل السلمية ونرجو مخلصين ألا نضطر الى الالتجاء الى وسائل أخرى أمام الغطرسة الاسرائيلية من أجل استعادة حقوقنا الأساسية المشروعة •**

سيدتى العزيزة :

أننى اذ أبعث اليك خطابى هذا مع السيد وزير الخارجية الدكتور محمد حسن الزيات لكى يضع امامك كافة حقائق الموقف الراهن وتفصيلاته ويوضح تفكيرنا ازاءه من أنك شخصيا والحكومة الهندية والشعب الهندى الصديق سوف تبذلون كما عودتمونا دائما أخلص الجهود وأقواها لمساندة قضيتنا العادلة فى هذ الموقف الدقيق الراهن •

القاهرة فى ٥ مارس ١٩٧٣

محمد أنور السادات

رســالة الرئيس
الى موبوتو .. رئيس زائير
فى ٢٢ مارس ١٩٧٣

عزيزى الرئيس موبوتو سيسى سـيكو

رئيس جمهورية زائـير

أبعث اليكم بخالص تحياتى مقرونة بأطيب تمنياتى لـكم بالصحة والسعادة والهناء والتوفيق ولشعب زائير الصـديق بمزيد من التقدم والازدهار تحت قيادتكم الرشـيدة .

لقد تابعنا بأهتمام ردود فعل الدول الافريقية الشقيقة ، كما لاحظنا بصفة خاصة ، بالتقدير موقفكم العـادل والمشرف من حادث العدوان الاسرائيلى الاجرامى ضد الطائرة المدنية الليبية وهو عدوان يمثل حلقة جديدة من استخفاف اسرائيل بكل المبادىء الانسانية والقانونية التى تتمسك بها شعوبنا فى سعيها لبناء عالم أفضل . كما أن هذا الحادث يؤكد **اقتناعنا جميعا بضرورة تضافر جهودنا واتخاذنا المواقف الحاسمة من أجل ارغام اسرائيل على أن تكف عن سياستها الغاشمة** وتستجيب لأحكام القوانين الدولية بأن تنسحب من جميع الأراضى العـربية التى احتلتها غدرا وعدوانا . وأن تعترف بحقـوق الشعب الفلسطينى السـياسية والانسـانية .

ان موقف الدول الافريقية الشـقيقة التى قررت قطع علاقاتهـا الدبلوماسية باسرائيل لخطوة هامة لاسماع صـوت قارتنا عاليا وابراز تصميمها على التضامن فى وجه العدوان الاسرائيلى والاطماع الصهيونية التوسـعية .

ان هذا القرار يعد تعبيرا عن الادراك العميق لافريقيا بأن التضامن الفعال بين شعوبها هو وحده الكفيل بتحقيق النصر لهـا .

مع وافر تحياتى واحترامى ..

القـاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٧٣

أخـوكم
(محمد أنور السادات)

رسـالة الرئيس
الى هيث رئيس وزراء بريطانيـا
فى ٣١ يوليـو ١٩٧٣

عزيزى المستر أدوارد هيث
رئيس وزراء المملكة المتحـدة

لقد رأيت أن أكتب اليكم ـ بعد انتهاء اجتماعات مجلس الأمن بناء على طلب مصر لبحث مشكلة الشرق الأوسـط ، لأعبر لكم عن خالص الشكر والتقدير للموقف الذى اتخذته بلادكم خلال مناقشات المجلس وما اظهره مندوبكم فى المجلس من تعاون مع وزير خارجيتنا ، وما أبداه من تأييد واضح وصريح لمشروع القرار الذى يؤكد ضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ بالمخالفة لأحكام ميثاق الأمم المتحـدة ، ويؤكد ضرورة احترام حقوق وآمال الشعب الفلسـطينى •

ولقد كان هذا الموقف ـ فوق أنه يعكس علاقات الصداقة بين بلدينا وتأييد أوربا لموقفنا ـ تعبيرا عن المبادىء السامية التى تؤمن بها جميع الشعوب والدول المحبة للحرية ، والعدل والسلام •

ولقد أصبح واضحا أن الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية لتحول دون صدور القرار الذى صوتت لصالحه ١٣ دولة ـ هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق أمام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ـ ويعرض السلام والأمن الدوليين لمخاطر شديدة فى منطقتنا التى تتطلع الى تحرير أراضيها وأسترداد حقوقها وبناء سـلام عادل تستطيع فى ظله الاسهام بطريقة ايجابية وبناءة فى تحقيق الأمن والرخاء فى العـالم •

وليس من شك فى أن المجتمع الدولى فى مواجهته هذا الموقف الأمريكى المعوق والذى يتناقض مع مسئوليات دولة كبرى عليها مسئولية خاصة تجاه السلم والأمن الدوليين ـ سوف يواصل ـ داخل الأمم المتحـدة وخارجها ـ دعم جهودنا من أجل حقوقنا التى تقرها الغالبية الساحقة من دول العـالم •

وانى اذ أبعث بأطيب تمنياتى بالصحة والسعادة لشخصكم ، أرجو للشعب البريطانى اطراد التقدم والنجاح والازدهار •

القـاهرة فى ١٩٧٣/٧/٣١ **محمد أنور السـادات**

رســالة الرئيس
الى بابا رومــا
فى ١٩ مارس ١٩٧٣

قداســة البــابا

تسلمت بكل تقدير واعزاز رسالتكم التى وجهتموها بمناســبة يوم السلام العالمى فى شهر يناير عام ١٩٧٣ ، وقد وقعت من أنفسنا موقعا حسنا لأننا نشارك قداســتكم ولاءكم واخلاصكم لقضية السلام اذ أننا فى هذه المنطقة من العالم نواجه عدوا يبدى اصرارا على الغزو والعنف واراقة الدماء ، عدوا لا يعرف الا لغة الحرب •

ونحن نعلم جيدا من خبرتنا المرة خلال الخمس سنوات الأخيرة أن استتباب السلام ليس بالأمر الهين ، فبالرغم من المجهودات المضاعفة التى نبذلها فى سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان والطغيان •

اننا نشارك الآمال التى تحدو قداستكم نحو مستقبل أفضل للأمم المتحدة ، مستقبل تكون فيه المنظمة الدولية أداة لاقرار النظام وتتركز عليها آمال الشعوب نحو عالم يسوده العدل والحق حتى تصبح المنظمة فى حد ذاتها قانون سلام يحكم العلاقات الدولية • وقد أبدينا من قبل ثقتنا بالمنظمة كمؤسسة تعبر عن أمل الانسان فى البقاء وقد توجهنا اليها ننشــد معونتها فى جميع مراحل أزمة الشرق الأوسط والتزامنا بجميع قراراتها منذ انشائها •

ونحن نعتقد أن السلام يجب أن يقوم على العدل والمســاواة وأن يحتوى الانسانية جمعاء بغض النظر عن العقيدة واللون والجنس أما التمييز والتعصب السياسى الذى تمارســه بعض الدول فهو من أهم أسباب الحرب والصراع •

ودعاؤنا الى الله أن يلهمنا جميعا للعمل من أجل أن يكون صراع الانسان فى سبيل العدل والتفاهم الذى بدونه لا يمكن اقرار السلام •

القــاهرة فى ١٩٧٣/٣/١٩

محمد أنور الســادات

الجزء الثانى

الوثائق السياسية

الفصل الأول

ذات مساء
من ابريل ١٩٧٣

●●● « فى مايو تمت آخر تجربة كاملة للعبور . اتخذ القرار الخطير . السادات يوفد وزراء فى مهمات سرية . أسرة الرئيس ترفض تغيير المنزل مع أنه هدف معروف للاعداء . نصائح للرئيس بالعدول عن الحرب نهائيا ، واعلان المفاوضات المباشرة مع اسرائيل . الرئيس يؤكد فى حديث خاص — للمؤلف — أننا اذا لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فاننا لن ندخلها ابدا . حسابات دقيقة عن قوة اسرائيل . بورقيبة يائس . القذافى يؤكد أننا لن ندخل حربا . وفجأة بدأت الحرب » ●●●

ذات مساء من أبريل عام ١٩٧٣ •• وجدت من واجبى أن أتحدث الى الرئيس أنور السادات ، بكل ما يؤرق نفسى •• وبكل الوضوح •

لقد أمضيت أكثر من ليلة عاجزا عن النوم حتى يشرق النور • كان قد تأكد لى من أكثر من مصدر ، أننا مقبلون على الحرب فعلا ، وخلال وقت قصير جدا • لقدتصورتهحينئذ •• ربما أسبوعين أو أقل •

وعرفت أن الرئيس استدعى أحد الوزراء ، وكلفه بمهمة سرية سافر اليها الوزير ، خاصة بتوفير مادة استراتيجية هامة من مواد الحرب •

وقال الرئيس للوزير :

سأبلغك بساعة الصفر قبلها بوقت كاف ، لكى ترتب نفسك •

وأذكر أننى أثرت هذا الموضوع ، فى اجتماع لمجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم ، وطالبت باستكمال كل استعدادات الدفاع المدنى وكنت أؤكد أننى أشم بأنفى الصحفية أن المعركة تقترب جدا •

وزاد يقينى ما سمعته من مصدر ثقة عن هذا الحوار الهام الذى دار ـ حينذاك ـ بين الرئيس أنور السادات والسيدة جيهان قرينته ••

قال لها الرئيس :

ـ عليكم من الآن أن تبحثوا عن منزل غير هذا المنزل • ان المعركة ممكن أن تبدأ فى أية لحظة • ولا شك أن منزلنا مطمع محدد لطائرات العدو •• وموقعه معروف • وأنا لن أكون معكم •• مكانى سيكون فى قيادة القوات المسلحة وأماكن أخرى ليل نهـــار ••

ولكن السيدة جيهان اجابته •• بأنها ستبقى فى المنزل ، وما يحدث ، سوف يحدث ، وهى تفضل أن تعيش أيام الحرب كأية أسرة مصرية ••

وقد سعد الرئيس السادات بهذه الاجابة ، وهذا الاصرار .. وقال لها أنه كان متأكدا تماما ، من أن هذا سيكون موقفها .. ومع ذلك فقد أراد أن يعطيها الخيـار .

عندئذ قلت لنفسى .. اذا كان الرئيس يتحدث هكذا مع السيدة قرينته .. فلا شك أن القرار قد اتخذ تماما . ولم يبق الا التوقيت .. ولا شك أيضا أنه قريب جدا !

وكان الرئيس قد أدلى بحـديث الى « بورجريف » كبـير محررى النيوزويك ، أكد فيه بصراحة كاملة ، أن الحرب على الأبواب .. وخلال وقت قصير ، وتحدى فى اجابته لمحرر النيوزويك ــ بقوله .. انتظروا وسترون أن هذا سيحدث وفى وقت أقرب مما تتصورون .

وأذكر أننى اتصلت بالدكتور أشرف مروان المستشـار الصـحفى للرئيس ، وقلت له أن لهجة الحديث عنيفة جدا .. وأحسست منه بأسلوبه الدبلوماسى أن يؤيدنى ..

وكان « بور جريف » قد اتصـل بى أكثر من مرة ، قبل أن يقـابل الرئيس أنور السادات وتناقشنا فى الموقف طويلا . وهو صحفى عالمى على أوثق الصلات بأكبر الساسة فى دولهم .. وله صداقة مقربة بالدكتور كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية . وهو الصحفى الأمريكى الوحيـد الذى كان له لقاء خاص معه عندما حضر كيسنجر الى القاهرة لأول مرة . ..وكان « بورجريف » يرى أن دخولنا الحرب مسألة خاسرة علينا ألا نفكر فيهـا ...

وقال لى :

ــ لو كنت الرئيس أنور السـادات .. لأستطعت أن أقضى عـلى جولدا مائير باعلان سياسى واحـد ..

قلت :

ــ كيف ؟ ..

قال :

ـ لقد أخرج الرئيس الخبراء الروس • والخطوة التالية هى أن يعلن الغاء المعاهدة مع السوفيت •• وأن يعلن للعالم كله ، أنه لن يدخل الحرب ، وأنه يعرض مفاوضات مباشرة مع جولدا مائير من أجل السلام •

قلت :

ـ وماذا بعد ؟ ••

قال :

ـ عندئذ يكسب الرئيس السادات العالم فى صفه •• وتنهار كل حجج مائير •• فهم يقنعون العالم الآن بأن أمن اسرائيل معرض للخطر ، لأن السادات لا يريد السلام •• ودليلهم أنه يرفض المفاوضات المباشرة وكل مشكلات العالم الآن تحل بالمفاوضات المباشرة ••

وقلت لبورجريف :

ـ أن ما يقوله مجرد خيال • أولا لأنه ليس من صالحنا أولا أن نتخلى عن صداقة الاتحاد السوفيتى •• وقرار اخراج الخبراء السوفيت ، هو قرار وطنى مائة فى المـــائة ، قد اتخذ بعد أن استنفذ الخبراء مهمتهم •• وأصبح وجودهم ، وكأنه اتهام لنا بأننا سوف نحارب بقوات روسية •• وقد جاء الخبراء بناء على طلبنا فى عهد عبد الناصر •• ومن ناحية أخرى ، ليست هناك جدوى على الاطلاق ، من المفاوضات المباشرة مع اسرائيل •• فما معنى المفاوضة وأنا عاجز ؟ •• وبالعكس سوف يكون ما تتصوره أنت قاضيا على جولدا مائير وكل الصقور •• مدعاة لمضاعفة غرورهم •• وستفشل المفاوضات طبعا لأننا لن نحرر شبرا واحـــدا من أرضـــنا •• ونعود مرة أخرى مائة سنة الى الوراء ••

وقال بورجريف :

ـ اذا أفشلت اسرائيل مفاوضات السلام ، فهذه ورقة فى يدكم أمام العـــالم •• وهذا أيضا يضعف القوى السياسية الأمريكية المدعمة

للصهيونية ، بحجة أنكم لا تريدون مفاوضــات السلام •• ويمكن أن تنصرفوا الى مشكلاتكم الداخلية الاقتصادية والاجتماعية ••

قلت :

ــ اذا كنت مخلصا لمصر فأنت تعيش فى أوهام •• ولا طريق أمامنا الا الحرب • ولن ترعوى اسرائيل الا اذا ذاقت مرارة الحرب ••

قــال :

ــ وما فائدة الحرب اذا لم تنته بانتصاركم ••

قلت :

ــ لا أريد أن أقول أننا سوف ننتصر • ولكننا لن ننهزم • سوف نلحق باسرائيل خســائر فادحة فى الأرواح والعتــاد •• وسوف تلحق بنا اسرائيل أيضا خسائر فادحة •• ولكننا نحتمل الخسائر ونستطيع أن نستوعبها •• أما اسرائيل فلن تقدر ••

وبدا « بورجريف » أنه غير مقتنع • لقد زار اسرائيل أكثر من مرة • ويعرف قادتها واحدا واحدا •• ويعرف مدى قوة اسرائيل العسكرية •• وهو هناك ليس شخصية محبوبة من مائير •• وقد أحرجته مرة مائير فى مؤتمر صحفى ، وعتبت عليه ، أنه لا يقــدر معنى أمن اسرائيل الذى يواجه الأخطار ••

فقلت لورجريف :

ــ لاتنس يا بورجريف أن الحرب ليست مواجهة عسكرية بين جيشين فقط •• هناك أساليب أخرى عديدة ، سوف نلجأ اليها ••

قــال : ماذا تقصــد ؟ ••

قلت :

ــ لا أعرف كيف يمكن أن تحدث ، ولكنى واثق أنها لابد أن تكون فى تخطيطنا •• وليس أمامنا الا أن نخرب جميع المصــالح الاقتصــادية الأمريكية فى المنطقة العربية من أقصاها الى أقصاها ••

قـــال :

ــ كيف ؟ ••

قلت :

ــ لا أعرف كيف •• ولكننى أعرف أن الدول الصغيرة قادرة على الحاق أخطر الأضرار بالدول الكبرى التى تملك الصواريخ الذرية ••

ولم يقتنع بورجريف •• وكان مصرا على رأيه أن دعوة السلام من السادات ، ونبذ فكرة الحرب •• هى الطريق الوحيد أمام الرئيس •

واستقبله الرئيس السادات • وأجرى معه ذلك الحديث المثير ، الذى أكد فيه أن الحرب على الأبواب • وقد وصف أحد وزراء المانيا الاتحادية الذين جاءوا الى مصر ــ بعد قطع البترول العربى ــ هذا الحديث بقوله : لقد قرأنا كلمات السادات فى النيوزويك فى أبريل • •ولكننا لم نفهمها الا فى ٦ أكتوبر !

وأذكر أن النيوزويك ، نشرت فى نفس العــدد مع الحديث ، تحليلا سياسيا ، مؤداه ان مصر عاجزة • كما نشرت قصــة خبرية ، تقول أن طائرة هيلوكبتر اسرائيلية هبطت فى موقع مصرى على الضفة الغربية ، وأسرت عددا من الجنود والضباط المصريين ، وعادت بهم •• دون أن تتعرض لطلقة واحدة مصرية ••

وأنزعجت من هذا الخبر •

واتصلت بالدكتور محمد حافظ غانم أمين أول اللجنة المركزية • وكان حديثا فى منصبه ــ وأبلغته بما نشرته النيوزويك •• وقلت له أنه يحتاج

الى توضيح •• واذا كان حقيقيا •• فلماذا لا تكتب الحقائق •• وليس من العيب أن تتسرب طائرة للعدو • هذا يحدث كثيرا • وبعد دقائق •• عاود الدكتور غانم الاتصال بى ، وقال لى أنه تحدث مع الفريق أحمد اسماعيل وزير الحربية فى هذا الخبر •• فأكد الوزير أنه كذب •• وأنه جزء من الحرب النفسية •• بل قال فى لهجة الواثق :

— لو أخذوا منى جنديا واحدا •• لأخذت منهم بدله على الفور عشرين •

* * *

وكان صدى حديث الرئيس الســادات الى النيوزويك •• مختلف الاتجاهات فى أمريكا •• ولم يصدق أحــد ••

فى اسرائيل •• خرجت التعليقات كالعادة على كل تصريح للرئيس بأنه حاكم يفتقد الى الشعبية والتأييد •• وأن هذه الكلمات للاستهلاك المحلى •• وللرد على الأحداث التى تطالب بالاستعداد الحقيقى للحرب •

فى أوروبا •• لم يغير من الموقف شيئا •

أمافى الداخل ، فقد اختلفت الآراء ••

المؤيدون للسادات الذين يرون أن الرجل تسلم تركة مثقلة ، لا ذنب له فيها ، يجدون أن من حقه أن يناور ، وأن يلعب بكل الأوراق التى بين يديه •• وماذا يمكن أن يفعل ؟ •• ان أمامه مشكلة لا حل لها الا بالحرب •• فاذا كان غير قادر عليها ، فليس خطأه ••

المتحفزون لتأليب المشاعر ضد السادات ، وهم قلة لها نوعية خاصة ، وهذا موقفها منذ ١٥ مايو •• يرون أن السادات لن يحارب •

الواثقون من صلابة أنور السادات ، وقدراته ، ووطنيته ، ومصريته • فى قلق كبير عليه • بل يخشون أنه يتعجل قرار الحرب ، وأن نفاد الصبر ربما كا له تأثير على القرار •• ولذلك فانهم يضعون أيديهم على قلوبهم

قلقا على رجل سيصنع لمصر الكثير •• لو أنقذه الله من محنة احتلال الأرض •

قلة لا يعرفها الناس واثقة من القرار ، وتنفيذ القرار •• وهؤلاء هم قيادات القوات المسلحة • ولكنهم كانوا يعملون فى صمت كامل •

وكنت من القلقين •• لعدة أسباب ••

كنت مقتنعا بأن من حق أنور السادات أن يأخذ الوقت الكافى فى الاستعداد •• عاما آخر أو عامين أو ثلاثة أعوام • فمشكلات حصولنا على السلاح الكافى ليست بالهينة •

كنت مقتنعا بأن الحملة ضد أنور السادات من هذه « النوعيات » فى مصر وبعض البلاد العربية ، هدفها دفع الســادات الى حرب سريعة خاسرة •• ومن ثم يمكن أن تكون أمامهم الفرصــة لتحقيق أطماعهم السياسية فى الحكم •

لقد كنت مؤمنا ، تماما ، بأن الحرب هى سبيلنا الوحيد • ودعوت الى هذا فى كل ما كتبت • ولكننى لم أكن أتعجل القرار أبدا •

ولذلك أمضيت ليالى عديدة ، يهدنى الأرق •• وأنا أفكر •• بعد أن تجمعت لدى المعلومات ، بأن الحرب على الأبواب •• ووجدت من الأمانة أن أعبر عن أفكارى بصدق ، للرئيس ••

وتحدثت اليه ••

وقد بادرنى الرئيس بتوجيهه أن الأقلام يجب أن تتجه كلهــا الى توعية الناس بالمعركة •• ويجب أن نركز تماما على أنها حرب تضحيات وأنها ستكون حربا شرسة •• وأنها ستصل الى كل موقع ••

ومن هنا وجدت فرصة النقاش ••

قلت للرئيس :

— الشعب معك •• والشعب يثق فى كل قرار تتخذه سيادتك • ولكن أحدا لا يتعجل القرار • فليكن بعد عام •• بعد عامين •• لنـــا قدرة على الاحتمال •• ولكن يجب أن نأخذ وقتنا الكافى فى الاستعداد الكامل ••

قال الرئيس :

— أننى لا أتخذ أى قرار تحت أى ضغط • هذه طبيعتى • وهذا مصير بلد • وليس أمامنا الا القتال •• واذا لم نقاتل هذا العام ، فلن نقاتل أبــدا ••

قلت :

— أنى يا سيادة الرئيس ، لا أحشر أنفى فيما ليس لى فيه •• ولكننى فقط أريد أن أؤكد لك ، أن الشعب بثقته فيك ؛ يمكن أن ينتصر •• المهم أن نأخذ وقتنا لنكسب المعــركة ••

قال الرئيس :

— كل الحسابات الدقيقة عملت ، من جميع النواحى •• حتى فى أصغر التفصيلات التى ـ لا تخطر على بال •• وأنا واثق أن الله معنا •• وكل الحسابات تؤدى الى أنه لا مفر أمامنا من القتال قبل نهاية ٧٣ •• بعد هذا قد يتغير الموقف العسكرى فى غير صالحنا • ولدينا معلومات دقيقة ، عما تملكه اسرائيل الآن •• وعما يمكن أن يكون بين يديها فى العــام المقبل ••

قلت :

— ولكن •• هل من العدل أن نتحمل أعباء المعركة وحدنا ••

قــال :

— هــذا قدرنا ••

قلت :

ــ أليس من الأوفق أن نضمن مشاركة عربية ..

قــال :

ــ عندما يبدأ القتال .. ستشارك الدول العربية ..

قلت :

ــ أننى أشــك فى هذا تماما يا سيادة الرئيس .. وكل ما اتوقعه بضع مظاهرات شــعبية ..

قــال :

ــ لا .. تأكد أن الطلقة الأولى ، ستغير الموقف العربى كله ..

قلت :

ــ على بركة الله يا سيادة الرئيس .. وكلنا معك حتى آخر قطرة من دم .. وأســأل الله أن يعطيك الصحة .. يا أمل مصر ..

* * *

وقد تأكد لى بعد ذلك ، أن القرار النهائى قد اتخذ فى ابريل فعلا : ولم يكن باقيا الا التوقيت النهائى ، واللمسات الأخيرة ، فى استكمال بعض أنواع السلاح الناقص .. وبعض معدات العبور .. فقد أجريت آخر تجربة عسكرية للعبور فى شهر مايو ، واتفقت كل الآراء العسكرية ، على أننا أصبحنا قادرين فعلا على نجاح العبور . ولكن كانت تنقصنا حينئذ بعض المعدات العسكرية .

وقد صرح لى بذلك الفريق سعد الشاذلى .. فى نوفمبر الماضى .



وخلال شهر أغسطس •• كان كل شيء معدا تماما ••

عقدت القيادات العسكرية المصرية والسورية ، الاجتماع السرى ــ الذى أصبح مشهورا ــ فى العاشر من أغسطس ، وفى مدينة الاسكندرية وتم الاتفاق على حالة الاستعداد الكامل لخوض القتال ••

وكانت القيادات العسكرية السورية قد حضرت الى الاسكندرية ، بطريق البحر •

وبعد الاجتماع ، اتفق على أن يكون تحرك القيــادات العسكرية ، بين مصر وسوريا ، بالأســلوب الفردى لا الجماعى •• وقد نبه رئيس الأركان السورى الى ذلك ، بقوله •• ان وجود القيــادة كلها فى طائرة واحــدة •• أمر بالغ الخطورة •

وعاد القواد السوريون •• الى دمشــق متفرقين •

* * *

وأمضى الرئيس أنور الســادات بعض الوقت فى استراحة « برج العرب » قريبا من الاسكندرية • وتصور الرأى العــام ، أن الرئيس منشغل باجراء تعديل وزارى • والحقيقة أنه كان معطيا كل وقته للاعداد العسكرى والداخلى للقتال • ودعا فى برج العرب ، الى أكثر من اجتماع سرى ، لم يعلن عنها • ومنها اجتماع مع المحافظين وامناء المحافظات نبه غيه بشدة الى ضرورة اليقظة الكاملة ، والاشراف الدقيق من الآن على المرافق العــامة ، ومتابعة الاكتمال فى أجهزة الدفاع المدنى والشعبى •• وحذر المحافظين من امكانية وقوع أى تسلل اسرائيلى من قواتهم الخاصة (الكوماندوز) •• وقال الرئيس : انه لن يغفر أبدا هذا •• ولا أقبل أن يجرى فى مصر ، ما جرى فى لبنان •• من تسلل الاسرائيليين وارتكابهم جرائم داخل بيروت • ثم هربهم •

ولكن الرئيس لم يحــدد للمحافظين توقيتا •• ولم يتحدث بوضوح كامل •• وخرجوا جميعا من اللقاء ، وهم يستشعرون ان القتال أصبح قريبا • والغيت جميع اجازات المحافظين •

وفى اجتماع الرئيس مع اتحادات الطلبة فى برج العـرب أيضا ، اســتطاع بعضهم أن يستنتج من بعض تلميحات الرئيس اليهم أننا اقتربنا من المرحلة القتـالية ●● ولكنهم لم يفهموا تماما ما قصــد اليه الرئيس ، الا بعد ٦ أكتوبر ●● وأخذوا يسترجعون كلماته فى لقائه معهم ●● كما قال لى أحدهم ●

* * *

وخلال شهر يوليو وقع حادث غريب فى الوسط الصحفى ●●

كان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير « الأهرام » فى رحلة صحفية الى الخارج ● وفى باريس اجتمع بعدد من الصحفيين الفرنسيين الذين سألوه عن رأيه فى المسيرة الليبية التى دبرها العقيد معمر القذافى ، لتطالب بالوحدة الفورية باسم ما يطلقون عليه الثورة الشعبية ●● وقد كان موقف مصر حكومة وشعبا ضد هذا التهريج السياسى لعدة أسباب ●

١ ــ ان الوحدة لا تتحقق بتدبير مظاهرات أو مسيرات ●

٢ ــ أن الوحدة ليست مجرد شكل أو شعار ●● ولكنها تخطيط علمى ، يحقق أهدافها اقتصادا وتعليما وتشريعا ●● وأنها يجب أن تتم على خطوات راسخة ● فالوحدة لا خلاف عليها ، ولن يكون هناك خلاف عليها ● ودور أنور السادات فى هذا ، لا يمكن النيل منه ●

٣ ــ أن العقيد القذافى أتيحت له الفرصة الكاملة فى مصر ، لاجراء مناقشات حرة موضوعية فى مجلس الوزراء وفى دور الصحف ، وفى مجلس الشعب ومع التنظيم النسائى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ● وقد لمس أن الرأى العام فى مصر ، يؤيد الوحدة بكل الاقتناع ، ولكنه لا يتقبل الاندماج الفورى ، بدون اعداد حقيقى ، كما لا يتقبل التجارب الداخلية فى ليبــيا ، لتطبق فى مصر ، لأننا تجاوزنا هذه المرحلة تماما ●

٤ ــ فى مرحلة الاعداد للقتال ، لا يجوز أن ننشغل الآن باجراءات وحدة فورية ، ولابد من توجيه كل الجهود للحرب ●

٥ ـ وكان القذافى يفتح مدافعه الكلامية ، على المملكة السعودية ، ويطالب باسقاط الحكم فيها ، ويريد من مصر أن تشارك فى الهجوم على الملك فيصل •• ودول الخليج والكويت •• ويصرح بأنه لابد من تصدير الثورة الى هذه الدول •• ورفضت مصر هذا المنطق تماما •• فالاعداد للمعركة يحتاج الى توحيـد كل القوى العربية •• وقـد فشلت تماما سياسة التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية •• واتضح بعد ذلك ، أن الرئيس السادات كان على اتفاق كامل مع الملك فيصل على خطوات المعـركة •

ولكن محمد حسنين هيكل تحدث الى الصحفيين الفرنسيين فى باريس، بما يؤيد المسيرة الليبية ، واعترض على وقفها ، وقال أنها كان يجب أن تستقبل بالأحضان ، وأيد كل تخطيط القذافى • ونشرت الصحف هذه الأحـاديث •

وكان من قبل ، قد اختار خطا واحدا فى كل ما يكتبه ؛ وهو أن انتصارنا وحدنا فى الحرب هو المستحيل •• وكانت مقالاته مثيرة لمشاعر الجنود والضباط الذين أمضوا فى خنادق الجبهة ٦ سنوات •• يستعدون للحظة الحاسمة • وأذكر أننى تصديت لهذه المقالات التى رأيتها ـ تسـاند بأسلوب غير مباشر ـ حملة الحرب النفسية ضـدنا •• وتعمق الفكرة السائدة أننا عاجزون عن الحرب ••

وثارت بلبلة كبيرة بين صفوف الرأى العام •• رئيس الدولة ، يؤكد فى كل ما يقول على حتمية المعركة •• وكاتب كبير مسـئول ، يظهر فى كتاباته أنه يلتقى بالرئيس وأنه عليم ببواطن الأمور •• يؤكد حتمية الهزيمة بايماءات عديدة واضحة وغير واضحة ••

والتقى الرئيس السادات فى أغسطس بمحمد حسنين هيكل •• وخيره فعلا بين ثلاثة مواقف :

١ ـ اذا كان غير مؤمن بخط المعـركة •• فيمكن أن يسـتقيل ، ولا يكتب غير ما يقتنع به ••

٢ ــ اذا كان راغبا فى الخدمة العامة : فيمكن أن يفيد الدولة بخبراته وآرائه ولكن فى منصب رسمى .

٣ ــ اذا كان مصرا على الاستمرار ، فى التشكيك من جدوى القتال .. فهو يعرض نفسه للعزل من مسئوليته كرئيس تحرير ..

وأكد محمد حسنين هيكل للرئيس ، أنه ملتزم تماما بخط المعركة .. وأن ما نشر فى الصحف الفرنسية محرف وغير صحيح .. وأنه لا يقر بحال أسلوب القذافى .. وقال رأيا فى هذا ، يتنافى مع كل ما كتبه عن القذافى .. وبكى مؤكدا صدقه .

وتقبل أنور السادات هذا الالتزام من محمد حسنين هيكل .. وكان معروفا أن الرئيس كان قد قرر فعلا أسناد مسئولية أخرى له .. تقبل أنور السادات هذا الالتزام ، مع أن نصوص كل مانشره هيكل فى صحف فرنســا بين يديه .. ولم يكن يهم الرئيس الا التزام كل مصرى ، بالاستعداد للحــرب .. حلا حتميا لتحرير الأرض ، وتحريك القضية العــربية دوليــا ..

ولم يصدر قرار بنقل هيكل من « الأهرام » ..

وكان ذلك موضع تعليقات مندهشة فى كل الوسط الصحفى .

وبعد ٦ أكتوبر .. عرف الصحفيون السر .. كان الرئيس حريصا على تجميع كل الطاقات من أجل المعركة . وكان لا يهمه الا التزام كل المواقع المسئولة بهذا الاتجاه التاريخى الذى لا عدول عنه ، لرفع الكرامة المصرية .. وظهر ذلك فى قراره بعودة الصحفيين المبعدين من الاتحاد الاشتراكى وبالافراج عن الطلبة .. حتى تدخل مصر كلها المعركة .. بلا أى فجوة داخلية . لقد كان أنور السادات يتصرف .. فى ظل تهيئة كل الأجواء ، لليوم الحاسم . ولم يكن أحد يعرف أن الأيام تقترب بسرعة من ساعة الصــفر .

وأذكر أن شخصية سياسية قريبة الصلة بالرئيس أنور السادات .. اعتادت دائما أن تصارحه بكل رأى تراه بلا حرج . وهذه الشخصية

مؤمنة تماما بقيادة الرئيس السادات •• ولكن عندما بدأ حديث الحرب يرتفع •• وخاصة بعد تصريحات الرئيس لمجلة « النيوزويك » •• بدأ صاحبنا يسمع الكثير فى اتصالاته وجولاته السياسية •• وشعر بأن الحرب النفسية للاعداء ، توحى للنـــاس ، أن اليوم الأول للحرب ، يعنى أن اسرائيل ستدمر القاهرة وكل المدن الكبرى •• وأن أمريكا سوف تشترك بكل قوتها العسكرية لتخريب كل المرافق •• حتى يقع النظام •• وكانت الحرب النفسية تروج الاشاعات عن عدم استكمال استعدادنا العسكرى •• مما كان له بعض الأثر فى النفوس ••

وقد أسرع صاحبى وطلب لقاء مع الرئيس •• ونقل اليه الصورة كما سمعها من بعض الناس ••

وقد التقيت بهذا الصديق ــ وهو الأستاذ محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب ــ بعد اجتماع الرئيس به •• وسألته عن النتيجة ••

فقال لى :

ــ أن أنور السادات شخصية غريبة •• كثيرا ما أذهب اليه ، وأنا مقتنع تماما بالرأى المخالف •• وأناقشه بكل حرية وصدق وبدون أى حرج فى أبــداء رأيى •• ولكننى أخرج من لقـــائه دائما مقتنعا تمام الاقتناع ، بوجهة نظره •• لقد ذهبت اليه هذه المرة ، مهتز الوجدان ••

وخرجت من عنده ، وكأننى أحمل بندقية •• وكأننى مستعد للقتال فى التو واللحظة •• وبكل الثقة فى الانتصار ••

* * *

وانتهى شهر أغسطس •• وأنا اتابع انباء الاســتعداد للقتال •• والتقيت بالدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء •• وبعد حوار طويل استمر أكثر من ساعتين •• وجدته يعد بكل هدوء الاعصاب ، للخطة الاعلامية عندما تبدأ المعركة • وهذا يفسر أن الاعلام خلال فترة الحرب ، كان هادئا وناجحا ، واستطاع أن يكسب ثقة العالم •• لأن كل شىء كان مخططا له من قبل ، وفى فسحة من الوقت •

والتقيت بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء •• ووجدته ممتلئا بفكرة القتال ، مطمئنا تماما الى امكانيات الدفاع الشعبى والدفاع المدنى •• واثقا من الانتصـــار •

وكنت مدعوا للسفر الى تونس فى العشرين من أغسطس لعشرة أيام •

وشددت الرحال الى هذا البلد الجميل ••

وكان لقائى مع الرئيس بورقيبة • •الذى لم يتقبل منى أبدا ، أن مصر مستعدة للحرب بل قال لى ، وكرر عبارته أكثر من عشر مرات : انا متشائم •• انا متشائم •• انا متشائم •

بل انه ذكر لى أنه نصح الرئيس أنور السادات عندما كان فى زيارة تونس ، أن يتخلى عن شرم الشيخ •• ولا داعى لاستمرار هذه الأزمة الطاحنة ، اذا كانت قطعة أرض صغيرة ترضى اسرائيل !!

وكانت وجهة نظر الرئيس بورقيبة تتمثل كما يلى ، على لسانه :

قـــال :

● أننى أرى ان النفوذ السوفيتى يتدعم ويتسع فى مختلف بقاع العالم• والحرب بين أمريكا والاتحاد السوفيتى مستحيلة •• والاتحاد السوفيتى الآن يريد أن يستفيد من التقدم التكنولوجى الأمريكى ، لكى يدعم كيانه فى الداخل ، ويوسع نفوذه خارج أرضه • والنفوذ السوفيتى قائم الآن فى الشرق الأوسط • وأن العون السوفيتى العسكرى لمصر لن يحقق كل ما تريده مصر للقتال •

● والموقف الأمريكى واضح فى المساندة الكاملة لاسرائيل • وأصبح معروفا أن الاتحاد السوفيتى لا يؤيد نشـــوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط • ومصر لم تحصل على ما تريده من أسلحة ، والميزان العسكرى لا يزال فى صالح اسرائيل ، وقد أصبحت اسرائيل الآن تشكل خطرا على الواقع العربى كله • وسوف تحقق حلمها من النيل الى الفرات •

● السياسة الناجحة هي الترهيب والترغيب •• بمعنى أن تكون لدينا القوة لضرب اسرائيل ضربة جزئية • وبعدها يكون الترغيب •• بالتفاوض ولكن •• بكل أسف •• ليست لدينا القدرة على الترهيب ، لأن المقاومة الفلسطينية غير قادرة على مباشرة نشاطها ، بسبب ما فرض عليها من قيود خوفا من رد الفعل الاسرائيلى • كما أن مصر لا تستطيع أن تبدأ حرب استنزاف ، لأنها ستتحول الى حرب شاملة ، والميزان العسكرى فى صالح اسرائيل •

● الواقع العربى مؤلم ومؤسف • خلافات • اصطدامات • تناحر • صراعات حزبية ومذهبية • تقسيمات للدول العربية بأن هذه رجعية وهذه تقدمية وهذه ثورية • والأمة العربية تغط فى نوم التخلف •

وليس من السهل استخدام سلاح البترول العربى • وأمريكا سوف تنفذ تهديدها بالاستيلاء بالقوة العسكرية على منابع البترول ، اذا حرمت من حاجتها اليه •

● لقد أعدت اسرائيل نفسها عسكريا واقتصاديا ، بحيث تستطيع التمرد على أمريكا ، اذا اضطرت أمريكا الى مباشرة ضغط على اسرائيل لصالح العرب اذا هم استخدموا سلاح البترول (وهذا غير وارد) •• ان اسرائيل لن تستسلم لأى ضغط أمريكى ، وأصبح لديها من قوتها الذاتية فى التصنيع الحربى ما يكفيها ، وستصل الى ما هو أقوى •

حتى اننى قلت للرئيس بورقيبة :

— أننى أرى أنك تقفل كل الأبواب • أليس هناك من أمل ••

— لا أمل عندى على الاطلاق ••

— والحل •

— أن تنصرف الجهود وبسرعة لمقاومة التخلف ••

❋ ❋ ❋

كان هذا رأى الحبيب بورقيبة •• ولم يختلف معه فى هذا الرأى وزير خارجيته حينئذ محمد المصمودى • لقد دعانى الى غذاء ، جرى خلاله حوار طويل •• كان يقول أنه ليس متشائما مثل الرئيس بورقيبة ، لأن المشكلة تعقدت الى درجة لابد من أن تصل فيها الى حل • ولكن الحـل ليس هو الحرب •• لأننا غير قادرين عليهـا ••

ــ وماذا ترى ؟ ••

قـال :

ــ ان الرئيس السادات أجرى تحولا جذريا فى أسلوب الحكم الداخلى• وأصبحت مصر تشعر فعلا بالديموقراطية • أننى أرى أن الطريق الوحيد أمامه ، هو أن يعلن نبذه لفكرة الحـرب تماما ، ويترك الوضع على ما هو عليـه ،ويتجه الى البنـاء الاقتصادى • عندئذ ستساعده كل الدول ••

وحتى تقوى مصر •• وتقاوم التخلف •• تستطيع اذن أن تحارب وتحرر الأرض •

وحاولت عبثا أن أقنع المصمودى بأن الحرب هى الحل الأوحد ••

اما الرئيس الليبى معمر القذافى فكان قد أعلن عن رأيه فى خطابات علنية •

قال أنه مختلف تماما مع الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الأسد • فى الاستراتيجية التى اتفقا عليها • وأنه يرى أنها استراتيجية فاشلة فى قهر العدو الصهيونى ، ولكنه سجل أنه يقدم كل امكانيات تطلب منه (ونفذ ذلك بعد الحرب ، جزئيا) •

وقد كان القذافى يرى بعد حادث نسف الاسرائيليين للطائرة المدنية الليبية ، أن تجرى ضربة انتقامية داخل اسرائيل • ثلاث طائرات تنطلق من دمشق الى اسرائيل ، وتضرب ، وتعود الى القاهرة • أو العكس •

ولم تقر القاهرة •• ولم تقر دمشق •• وجهة نظر القذافى • لأن الحرب هى الحرب الشـــاملة • ولن نبدأ الا عندما نكون قادرين على المواجهة الشاملة فعلا • وأى جهد جزئى •• هو شىء ضائع ••

وأعلم أن القذافى طلب بعد ذلك ، أن تضرب البحرية المصرية باخرة كبيرة للركاب ، هى الباخرة البريطانية « كوين اليزابيث » التى كانت تنقل سائحين من أصحاب الملايين الى اسرائيل • وقد رفض أيضا هذا الطلب : لأن الحرب؛ ليست ضرب مدنيين سائحين ••

وأخطأ القذافى فى تحليل الوضع الداخلى فى مصر ••

كان يتصور أن النظام على شفا هاوية •• ولذلك دعا الى ما أسماه الثورة الشعبية داخل ليبيا •• وطالب بتطبيق هذه الدعوة فى مصر ، متصورا ، انها تثير الطبقة العـاملة وتحقق اضطرابا داخليا ، وتأييدا له كصاحب الدعوة •• ثم دعا الى ما أسماه النظرية الثالثة •• ولم تجد هذه الدعوة أيضا أى صدى فى مصر ••

وعلى كل ليس هذا مجال تفنيد كل ذلك •

ولكن المهم أن القذافى كان معارضا للتخطيط المصرى للمعـركة •• ثم أنه أيضا شكك فى هـذا التخطيط فى حديث صحفى نشر فى بيروت ، قال فيه ما معناه أن الرئيس السادات يتحدث عن المعركة •• والحقيقة أنه لا توجد معركة •• وعندما بدأ القتال فى ٦ أكتوبر •• أعرب القذافى أيضا ، عن معارضته ، وقال أنه لا يتوقع النجـاح ، وأنه لم يغير رأيه السابق ، وأن مصر لم تبلغه بساعة الصفر •• وأنه « برى » من هذه الحرب • يقصد « برىء » ••

وقام القذافى بعـد ذلك بجولة فى أوربا •• ودعا الى مؤتمر صحفى فى باريس ، وصف فيه انتصار ٦ أكتوبر ، بأنه هزيمة ، وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر بترول •• وقال أيضا ان الأمة العربية تفتقد الى الرجل والقائد الشجاع الذى يعترف بالحقيقة •• وقال ان جمال عبد الناصر كان هو ذلك القائد الشجاع الذى اعترف بالهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، ولكن

جمال عبد الناصر غير موجود الآن •• وأن الثغرة التى قيل انها من ٧ دبابات •• تحولت الى ٧ ألوية ••

وكان المؤلم أن يصرح رئيس عربى بذلك فى عاصمة أوربية •• فى وقت كان أى مسئول اسرائيلى لا يجرؤ على ادعاء الانتصار ••

وأسجل أن شخصية مصرية كبيرة — ليست الرئيس السادات — التقت بالقذافى عندما حضر الى القاهرة لتكريم أبطال القوات المسلحة فى مجلس الشعب •• وقالت هذه الشخصية المصرية للقذافى : أنك قدمت أكبر خدمة لاسرائيل •

ولا أريد الاستطراد فى تقديم صورة للموقف العربى ، قبل ٦ أكتوبر ، فستجىء هذه الصورة فى الصفحات المقبلة ••

ولكننى أردت أن أقول •• ان الصورة الظاهرة لم تكن تدعو الى أى تفاؤل ، عن امكان القيام بعمل حربى موحد •• أو ان الامكانيات العسكرية العربية كلها يمكن استخدامها فى القتال •• أو أن سلاح البترول سيكون له وجود بعد اشتعال القتال ••

* * *

وعدت من تونس فى أول سبتمبر ••

ثم بدأت الاشاعات تنتشر عن اعلان حالة الطوارىء فى القوات المسلحة المصرية ••

وأذكر أننى كنت فى زيارة مسئول كبير يوم الخامس من أكتوبر •

وقلت له : ان أخبار حالة اعلان الطوارىء فى الجيش •• على كل لسان ••

وابتسم وقال ممعنا فى تضليلى : وما الغريب فى هذا يجب أن تتحرك مشاعر الجماهير •• ان الحرب ممكنة فى أى لحظة • واسرائيل يمكن أن تهاجم •• فلماذا لا نجرب حالات الاستعداد • ثم أخذ هذا المسئول

الكبير ــ الذى كان يعرف ساعة الصفر ــ يحدثنى عن مشكلات التموين والمجمعات الاستهلاكية !

وفى صباح ٦ أكتوبر نقلت وكالات الانباء ، وتل أبيب ، أن اسرائيل تستدعى الاحتياطى •• وأنها اعلنت التعبئة الكاملة ••

واتصلت بأحد الوزراء وأعطيته صورة عن الموقف فى اسرائيل كما نقلته وكالات الأنبـــاء ••

فقـــال لى :

ــ فى نطاق مسئوليتى كوزير •• لقد طلب الى أن اتخذ كل الاحتياطات الممكنة منذ أيام •• ولكننى لا أعرف حقيقة ما يجرى الآن •

* * *

ثم صدر أول بلاغ عسكرى مصرى عن القتـــال •

وكانت الحـــرب !

* * *

ولكن كيف كان الموقف منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ •• وكيف كان أنور السادات يفكر منذ ذلك الحين ؟ ••

حديث خاص لأنور السادات فى نوفمبر ١٩٦٧ ، يلقى الأضواء على فكر الرجل الذى كان يعده القدر لمستقبل لم يكن أحد ليتخيله ••

وهذا ما تقرؤه فى الفصل المقبل •

الفصل الثانى

حديث لم ينشر

●●● « فى نوفمبر ١٩٦٧ جمعتنى مع أنور السادات رئيس مجلس الأمة جلسة خاصة استمرت ثلاث ساعات ، تحدث خلالها الرجل عن تقييمه للموقف بعد الهزيمة ، وعن طريق البداية لمواجهة كل آثار الهزيمة . سجلت هذا الحديث فى حينه ولم يكن للنشر .

ان قراءة كلمات أنور السادات بعد الهزيمة فى ١٩٦٧ .. تؤكد أن الطريق الذى بدأه بعد ١٥ مايو ١٩٧٤ لم يكن فكرا جديدا طارئا عليه . فى هذا الحديث يؤكد أنور السادات أن أمريكا لن تغير من موقفها المنحاز لاسرائيل الا اذا أجبرناها على ذلك » ●●●

« عد بنا يا سيدى الى ثلاثة وعشرين عاما خلت من العمـر . أنت اليوزباشى أنور السادات المطرود من الجيش ، والمعتقل بأمر السلطات البريطانية .. وأنا الشاب الذى لم يجاوز حينئذ التسعة عشر عاما ، المتخرج لتوه من كلية الحقوق ، ونزيل المعتقل معك . لم يكن بيننا حجاب فى رأى أو تعبير أو وجهة نظر ..

اليوم يا سيدى تجمعنا ساعات محنة بالغة القسوة والمرارة . كلنا اليوم فى ساحة معركة واحدة ، رئيس مجلس الأمة والوزير والصحفى والقاضى والعامل والمهندس والفلاح وطالب الجامعة .. كلنا نعانى أيام المصـير » ..

* * *

هكذا بادرت أنور السادات رئيس مجلس الأمة .. فى جلسة خاصة دعانى اليها فى مكتبه بعد هزيمة يونيو .. وبالتحديد فى صباح العاشر من نوفمبر عـام ١٩٦٧ . لم يكن الحديث للنشر .. ولكنه كان كعادته بين الحين والحين .. يدعو صديقا كاتبا أو صحفيا .. ليتبادل معه الكلمة .. يستشف منها اتجاهات الرأى العـام المختلفة ..

وانتهزت الفرصة لكى أفرغ له كل ما فى صدرى من قساوة ومرارة .. وسجلت المناقشة — التى استمرت ٣ ساعات — فى حينها .. واحتفظت بهـا فى أوراقى الخاصة .. ودعوة التاريخ تطالبنى اليوم بنشر هذه المناقشة بكل كلمة فيها .. وبعد أن أصبح أنور السادات هو الرجـل الأول .. وبعد انتصارات ٦ أكتوبر .. فاننا نرى أن الطريق الذى سار فيه أنور السادات رئيس الجمهورية حتى اتخذ قرار ساعة الصـفر .. كان ممتدا فى أعماق فكره منذ زمن طويل ..

لقد كان واضعا يده تماما على كل أوجه القصور ..

وكان مقدرا للدور العدائى الذى ستقوم به أمريكا ..

وكان عارفا أن الانتصار سينطلق أولا من قاعدة ديمقراطية فى الجبهة الداخلية ..

وكان مدركا ، أن الجهد السـياسى الدبلوماسى .. لايتنافى ابدا مع الاعداد للقتـال ..

قلت له وهو يجلس على المقعـد الهزاز بجوار شرفة تتسـلل منها شعاعات شمس دافئة .. سارحا يفكر فى دخان سيجارته ..

ــ ليست عندى لك أيها الأخ العزيز كلمة نفاق .. وأرجو الا أجد عندك لى يا رئيس مجلس الأمة الا كلمة الحقيقة ..

قال أنور السادات والارهاق يثقل عينيه وكل قسمات وجهه :

ــ وكيف يمكن أن نخطط وسط هذه الغيوم المتلبدة ، ومشكلات المصير تحاصرنا .. كيف يمكن أن نقتحم الغد الخطير ، بغير الكلمة الأمينة ، بغير صحفى يعيش بالصدق ، ومسئول لا يخفى ولا يخدع ، ومواطن يعطى ثقته عن حرية واقتناع ..

قلت :

ــ ان فلنبدأ النقاش فى حرية كاملة .. ولو كان النقد موجها اليك .. كيف يمكن أن يتأخر اجتماع مجلس الأمة منذ ١٠ يونيو حتى اليوم ؟ .. كيف تعيش الأمة أخطر أزماتها ، بغير مجلس يقول كلمة الأمة ؟ ..

أنور السـادات :

ــ أنا مسئول عن ذلك .. أنا المسئول عن ذلك .. أنا المسئول عن عدم التقاء المجلس ..

قلت :

ــ كان يجب أن يجتمع المجلس . ألم تصل اليك أصوات الجماهير تنتقد هذا الوضع ؟ .. ألم تسمع الناس يقولون فى شبه اجماع .. كيف يؤلف

مجلس الأمة لجنة تتقصى الحقائق فى مصنع السيارات ومستشفى قصر العينى •• ثم يقفل المجلس فمه ويصم أذنيه ويغمض عينيه • والأمة كلها تعانى من أزمة قاصمة ؟ ••

أنور السادات :

ـ طبعا سمعت هذا الكلام •• واحترمت وجهته •• وأنت تعرف أننى لا أزال ابن الشارع • لم أنفصل عنه ولن أنفصل • ولكن يجب أن تستمع الى وجهة نظرى • ولنعد معا الى ليلة وصبا ح١٠ يونيو • •لقد سجل التاريخ هبة الشعب الكبرى •• صوت الملايين •• اجماع المواطنين كل المواطنين •• صرخة الشارع •• نداء الضمير القومى • سجل التاريخ احماعا لم يشهده من قبل على أرض الوطن •• شعب يطالب القائد فى صوت واحد أن يبقى •• يطالب الرمز الا يسمح للأعداء بأن يسقط الرمز •• يقول لعبد الناصر •• ابق فى مكانك •

وأرجو أن تعلم ان جمال عبد النـاصر فى مســاء ٩ يونيو ، قد أعلن قــراره بالتنحى عن تصميم قاطع •• فشــلت كل القــوى التى تحيط به والقادرة على التأثير عليه أن تزحزحه قيد شــعرة عن التنحى وكان منطقه غير القابل للمناقشة •• اذا كان الاســتعمار يلحق ــ بسبب وجودى ــ اضرارا لبلادى لا أستطيع دفعها •• فلأذهب أنا •• ولتبق بلادى •

واجتمع مجلس الأمة فى صــباح ١٠ يونيو محاطا بكتل الجمــاهير الصاخبة • واتخذ المجلس قراره بتخويل جمال عبد الناصر سلطات المجلس فى اعادة البناء العسكرى والسياسى للبــلاد •

وهنا أقف لحظة لأقول لك أن جمال عبد الناصر اتصل بى تليفونيا بعد الجلسة مباشرة•• ولم يكن يعرف من قبل شيئاعنهذا القرار •• وسألنى•• ما هذا القرار • وتلوته عليه •• وسألنى ولماذا اتخذتموه دون استشارتى فقلت له •• الموقف خطير جدا وبالغ الخطورة •• واذا لم يطمئن الشعب اليوم الى أنك ستقوده فى هذه المرحلة •• فلا أحد يدرى ماذا يمكن ان

يحل بالبـــلاد من فوضى وخراب •• وابلغت الرئيس بالعرائض التى تلقيتها من مختلف طوائف الشعب تطالبه بتحمل المسئولية ••

خلاصة الموقف •• ان غضبة الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو كانت تعبر عن حقيقة واحدة ، وهى الثقة برمز واحد هو جمال عبد الناصر •• كان اعلان هذه الثقة بجمال عبد الناصر ، يحمل فى طياته اقتراعا بعدم الثقة فى كل شىء آخر أدى الى الفشـــل •• كانت صـــورة الهزيمة هى الصـــورة الحقيقية الجامعة لكل جوانب الموقف •• وكان الأمل فى القائد ان يحول هذا الفشل الى نجاح •

ولذلك اتخذنا قرارنا بتخويل جمال عبد النـــاصر سلطات مجلس الأمة فى اعادة البناء العسكرى والبناء السياسى للبلاد ••

قلت :

ــ هل تسمح لى أن أتوقف قليلا باستطرادك ••

قـــال :

ــ تفضـــل ••

قلت :

ــ كانت تلك لحظات عاطفة ساخنة •• وكان هذا القـــرار يحمل معنى يماثل المعنى الذى عبرت عنه مظاهرات ٩ ، ١٠ يونيو •• جميل جدا • ولكن ماذا يمنع المجلس من الاجتماع لمناقشة أسباب النكسة •• لدراسة عميقة فى كيفية اعادة البناء •• لنظرات مدققة الى داخل أنفسنا •• لمكاشفة حقيقية لما لنـــا وما علينـــا ••

قـــال :

ــ لقد تم هذا فى الاجتماعات التى عقدناها للمجموعات الاقليمية •• بل أن بعض الأعضاء فى هذه الاجتماعات تجاوز حدود الدراسة والمناقشة •• ولكن هل ننسى الدور الايجابى الذى أداه الشعب •• هل ننسى مناقشات

الشعب فى كل مكان •• لقد كانت هى التعبير الصادق عن الجماهير •• هى صوتها الأمين •• ان مرحلة نقد النفس التى واجهناها هى الدليل الساطع أمام التاريخ ، على أن هذا الشعب •• طيب • •أصيل • ان كل ما تردد من مناقشات ليل نهار بين كل الفئات •• حتى النكت التى رددتها الالسنة بكل سخريتها اللاذعة •• كل ذلك يؤكد أنه شعب واع •• لايفوت حقه أبدا فى المحاسبة عن الخطأ •• وفى الوقت نفسه لا ينسى أمام الكوارث والنكبات ، أن الحفاظ على نظامه ومكاسبه هى أول واجباته فى التصدى للعدو •• كان يمكن لو ألمت هذه النكسة بشعب آخر أن تشيع فيه الفوضى ، وأن تتسلل اليه النوازع الخبيثة • ولكن الشعب حافظ على تماسكه الرائع •• وقدم الدليل على أنه الشعب الأصيل الطيب المتطلع الى الخير ••

هذه واحـــدة ••

أما ما كنت سأستطرد اليــه ، وقاطعتنى ملاحظتك ، هو أن المهمــة الشاقة الجسيمة الأولى بعد النكسة كانت اعادة البناء العســكرى •• لقد كان الشروع الفورى فى اعادة البناء الســياسى مستحيلا ، والعدو فى أرضنا منتفخا فى ساعات نصره الاجرامى الانتقامى وقواتنا تعانى من انسحاب تم فى ظروف بالغة السوء يعلمها الجميع • وقسوة الاحزان والآلام تمزقنا وأمامنا قوات الطيران تتبدد فى ساعات •• ومدرعاتنا وأسلحتنا الرائعة • تتحول الى سلائب للعدو فى أيام •• أننى لا أتحدث الآن عن الاخطاء العسكرية ، ولكنى أصــور الوضع العسكرى بعــد النكسة •• الذى كان لابد من انقاذه بكل القوى ومهما كان الثمن •

وأؤكد لك أننا كنا نتصور أعادة البناء العسكرى للبلاد ، وكأنه الحلم بمعجزة مستحيلة •

وكان العدو يعرف ذلك • وقد بنى خططه السياسية بعد القتال ، على أن الحكم الثورى فى مصر لن يستمر بضعة أيام ••

ولذلك فاننى أقول ان قرار مجلس الأمة بتخويل جمال عبد الناصر كل السلطات لاعادة البناء العسكرى ، صدر فى توقيته السليم • وفى موضعه الصحيح •

ليس من الحكمة أن نخوض فى التفاصيل •• ولكننى أقول مستريح الضمير ان مقارنة الوضع العسكرى اليوم ، بالوضع العسكرى فى أيام النكسة •• تؤكد لنا أن القيادة باشرت مسئوليتها على أكمل وجه ••

بقى الموضوع الخطير الثانى •• والموضوع الأول مســـتمر بطبيعة الحال • فحالة الحرب قائمة •• والقتال متوقع والمعركة طويلة تحكمها المفـــاجآت •

الموضوع الثانى هو اعادة البناء الســـياسى •• وها نحن قد بدأنا بدعوة المجلس الى الانعقاد ليباشر مسئوليته ••

قلت :

ـــ المسألة تتحمل مزيدا من الجدل •• ولا أريد أن أضيع من وقتك الآن بعد ان تقرر اجتماع مجلس الأمة ولكن قبل أن نتطرق الى موضوع اعادة البناء السياسى •• أريد أن أسألك عن الحلول السياسية التى تجرى الآن فى الأمم المتحـــدة ••

أنور الســـادات :

ـــ لابأس •• وأريد أن أعلن بوضوح كامل ، أننى لاأعتقد على الاطلاق أن أمريكا ستعدل عن موقفها فى المساندة الكاملة لاسرائيل •• الا اذا استطعنا اجبارها على ذلك •

الذى يبدو الآن جليا ، أن أمريكا لا تساند اسرائيل بهذا الأســـلوب المفضوح الذى لا يتفق مع مكانتها كدولة كبرى ، ليس لأنهـــا أخلص حلفاء اسرائيل كما قال موشى ديان منذ أيام •• ولكن لأن أمريكا تريد فعلا أن تصفى حسابها مع ثورة ٢٣ يوليو •• وقائدها جمال عبد الناصر

لم يعد الموقف الآن فى الأمم المتحدة بيننا وبين أمريكا •• نحن نطلب السلام والحق ونلتزم بتطبيق ميثاق الأمم المتحدة وأمريكا تريد لنا أن

نحرم من السلام •• وأن نقبل الباطل راكعين •• وان نؤمن بأن أمريكا هى حاكم العــالم •• هى المعز المذل هى القــوة التى يجب أن تطاع وأمريكا أرادت هذه المعركة وصممت عليها ، ولا تزال مصرة فى عناد غــريب •

هى التى طلبت منا ألا نهاجم •• حتى تباغتنا اسرائيل بالهجوم •• وهى التى عرضت أن يحضر همفرى نائب الرئيس جونسون الى القاهرة للتباحث مع عبد الناصر •• وبعد ســفر رسولها بأيام •• وفى الموعد المحدد لسفر زكريا محيى الدين الى واشنطن •• وقع الهجوم الاسرائيلى وهى التى أرادت بعد النكسة أن تظهر براءتها من اتهام تدبير الهجوم والمشاركة فيه •• فأظهرت استعدادا للتدخل بشأن حل سياسى يحترم حقوقنا وفجأة غيرت موقفها •• وتمادت فى العناد والصلافة والاصرار !

كانت أمريكا تتصور أن هذا النظام سينهار •• وأن الحكم الثورى لا يمكن أن يستمر •• وكانت ترقب الموقف وخاصة الأحداث المرتبطة بمؤامرة أغسطس الماضى التى قام بها عدد من ضباط الجيش ولذلك أبدت جانبا من المرونة •• ثم تحولت فجأة عن هذه المرونة •• وكان خطاب الرئيس جونســـون الى الرئيس اليوغوسلافى جوزيف بروز تيتو الذى تلقاه فى اليوم السابق على مجيئه الى القاهرة ، مؤكدا أن أمريكا تبيت شرا للحكم الثورى •

ثم عادت الى المرونة بعض الشىء •• وتبنت مشروع دول أمريكا اللاتينية •• ولكنها أخيرا أصبحت تقول ان هذا المشروع يعتبر فى خبر كان •• وان الموقف قد تبدل •• وأنه لا يصلح أساسا للعمل السلمى !

المسألة اذن •• ليست هى مســاندة الرئيس جونسون لاسرائيل بسبب الانتخابات المقبلة •• ولكنه موقف محدد للحكومة الأمريكية من نظام الحكم فى بلادنا •• حتى ولو كان على حساب سمعة الولايات المتحدة الأمريكية الدولية •• حتى ولو كان على حساب صداقة سبعين مليون عربى فى الشرق الأوسط •• وتلاشت المبــادىء الخمســة التى أعلنها جونسون كأساس لحل الأزمة ••

واذا ضربنا المدمرة « ايلات » بعد استفزاز استمر يومين •• فتقرر أمريكا على الفور امـــداد اسرائيل بخمسين طائرة مقـــاتلة •• ويقرر الكونجرس مقاطعة القطن المصرى والقطن الســـودانى • وعندما تضرب اسرائيل مواقع البترول والمنـــاطق المدنية فى محـــاولة همجية لتخريب الاقتصاد المصرى •• فان أمريكا لا تنطق بحرف واحد !! •• ولعلها سكتت ، بل قاومت أن يصدر مجلس الأمن قرارا بأدانة اسرائيل فى هذا الانتهاك •• الحل السياسى الذى تريده أمريكا ، هو الاستسلام ••

ولن نستسلم •• ولن نستسلم •• ولن نستسلم •

قلت :

— اذن •• انت ترى أن الحل السياسى قـــد أصبح خارجا الآن عن الحساب والتقـــدير ••

أنور الســادات :

— لا •• ولكننا لن نقبل الاستسلام •• ؟ •• وحتى لو فرض وأصدر مجلس الأمن قرارا نرتضيه •• فمن سينفذ هذا القرار ؟ •• هل تتصور ان اسرائيل ستمتثل لقرار من الأمم المتحدة ؛ وهى ترى أمريكا تحرضها على التمرد ، وعلى تحدى دول العـــالم •• وتحميها من أى عقوبات دوليـــة ••

واذا كان هذا الموقف من أمريكا كما أسلفت ، هو موقف ضدنا نحن مباشرة • •موقف مرصود مقصود ، فهل نتصور أن أى قرار يصدر من مجلس الأمن أو الجمعية العامة فى صالحنا •• هل نتصـــور أن أمريكا ستساعد على تنفيذه ؟ • الجواب طبعا بالنفى • والجواب أعلنته أمريكا نفســـها وهى تباشر ضغوطها العنيفة على الدول الأعضـــاء •• لقـــد قال جولد برج أن أمريكا لن تتعهد بتنفيذ أى قرار الا اذا كان القرار الأمريكى ••

الحق القتيل يريدون له أن يرضى بدمه المسفوك .. والغيلان القاتلة لا تريد له أن يمسح جراحه .. أنها أبشع صور التسلط .. ان أمريكا تريد لجلسات الأمم المتحدة ان تكون مأدبة لمص الدماء .. لا يا أمريكا .. لن يكون فينا غير الرجل الحر الذى يدافع عن دمه بدمه .. وسيجيء الوقت الذى تعرف فيـــه أمريكا ، أنها تســـير فى غير طريق الصواب . وستعرف أمريكا يوما أن الاعتماد على اسرائيل ضد العرب لن يجدى ..

قلت :

ـ ألا ترى أن القوى الاشتراكية ســـتكون مسئولة عن هذا الطغيان الأمريكى .. اذا لم تتخذ موقفا متحديا له ..

أنور الســـادات :

ـ هذا أمر واضح .. فالمعركة الآن تجرى على ميدان عالمى واسع .. تفجر فيها أمريكا صواريخها فى موقعين .. فيتنام والشرق الأوسط .. ولذلك فان شعوب العالم المكافحة على ثقة من أن القوى الاشتراكية المتحررة لابد أن تتحرك خطوات جديدة ، حتى لا يؤثر هذا الاختلال فى التوازن العالمى ..

قلت :

ـ هل تقصد الموقف الدولى ؟

أنور الســـادات :

ـ أقصد أن مجال العمل الدبلوماسى على نطاق القوى الكبرى لايزال متسعا لكثير من الخطوات التى تحمى حركات التحرر فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية من أن تفتك بهـــا الضغوط السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية التى تباشرها قوى التسلط العالمى ..

ان القضية فعلا •• ليست قضية مصر فقط أو البلاد العربية •• أنها قضية القوى المتحررة فى العــالم ••

ولذلك كان طبيعيا ان يجتمع زعماء الدول الاشتراكية فى أوربا أكثر من مرة •• لمناقشة أزمة الشرق الأوسط ••

قلت :

ـــ ولكن هذا لا يعنى ان نتراخى وأن نحمل الصديق فوق ما يطيق •• ماذا فعلنا نحن فى أرضنا حتى نغير ما بأنفســنا ؟ ••

قــــال :

ـــ هذا يعود بنا الى اعادة البناء السياسى •• دعم الجبهة الداخلية ••

قلت :

ـــ نعم •• وهذا هو السؤال الكبير الذى لم تصدر عنه اجابة كبيرة حتى الآن ••

قــــال :

ـــ كان لايمكن ان نشرع فى اعاد البناء السياسى بحلول جذرية •• قبل ان نجتاز مرحلة التقاط الأنفاس •• وأعتقد أننا اجتزنا اليوم تلك المرحلة •• وعلينا أن نفكر جميعا بصوت مسموع •• أريد أن أسمع رأيك ••

قلت :

ـــ اذا كان الناس قد انتقدوا عدم اجتماع مجلس الأمة •• فهذا لايعنى رضاءهم عن مجلس الأمة بشــكله الراهن •• وأعتقــد أن من الحلول الجذرية أن تجرى انتخابات حرة جديدة ••

قــال :

ـ ماذا تقصد بشكله الراهن ••

قلت :

ـ أقصد بأعضائه الحاليين •• فقد مرت مناسبات قومية عديدة •• ولم تر الجماهير أن أعضاء مجلس الأمة قد ارتفعوا الى مستوى تلك المناسبات •• وليس مفهوما ان يكون رئيس مجلس ادارة الشركة عضوا فى مجلس الأمة •• ان المجلس رقيب على هذه الشركة •• فكيف يراقب العضو نفسه •• والناس تتحدث عن امتيازات الشقق وسيارات نصر لأعضاء المجلس •• والناس تتحدث عن رحلة أعضاء المجلس الى غزة •• كانت للدراسة فتحولت الى شراء الملابس والكماليات وأطقم الصينى ••

* * *

وتوقفت عن الكلام •• ولم يعلق أنور السادات •• كان يستمع بكل مشاعره •• ثم قال :

أنا لا أريد أن أقيد حريتك فى التعبير عن الرأى •• ولكننى أقول لك أن هناك عناصر صالحة فى مجلس الأمة •• وأن المجالس النيابية فى كل انحاء العــالم يعتمد نشاطها على عدد محدود من البرلمانيين •• ولكننى أوافقك على أن الحلول الجذرية تتطلب بدايات جديدة من الاعماق •• ان أعضاء المجلس الحالى لا يغضبون لو قلنا لهم أن المرحلة الخطيرة التى تمر بها البلاد تحتاج الى اســتفتاء شعبى جديد •• أى الى أجراء انتخابات جديدة ، يختار فيها الشعب من يمثله ليتحمل مسئولية البناء الجديد •• والكفاح الجديد •• فهذا أسلوب ديمقراطى ، لا يأباه أعضاء مجلس الأمة •• ولا تأباه التقاليد البرلمانية •• هذا صحيح • ولكن هل تعتقد ان الوقت الآن مناسب لاجراء انتخابات ؟

قلت :

ـ ولمـــاذا لا يكون مناســبا ؟ ..

قـــال :

، أنا لاأفرض رأيى .. ولكن لنقلب الأمر معا ، العدو على الابواب .. ولابد أن نتوقع منه اجراءا غادرا فى أى وقت .. والجبهة الأمريكية الخارجية التى تناصبنا العداء جبهة قوية ولها امكانياتها الضخمة وتحتاج منا الى يقظة مستمرة وحذر لا يغفل أو ينام .. والحماســـة من أجل الانتخابات قد تخرج المرشحين عن مواقف اليقظة والحذر .. ألا ترى أن انتخابات مجلس جــديد ، وان كانت واجبا ديمقراطيا ، فهو واجب يتقبل منا أن نمهله الى حينه ..

قلت :

ـــالوضع ياسيدى لاينطبق على مجلس الأمة فقط .. انه ينطبق أيضا على تنظيمات الاتحاد الاشتراكى واستكمالها .. وقد أعلنا أنها ستجرى من القاع الى القمة بالانتخاب الحر وسيلة مثلى للتعبير عن رأى الجماهير ..ولا أعتقد أننا سنجرى تغييرا جذريا فى البناء السياسى بغير صوت الجمــاهير ..

قـــال :

ـــ الواقع أن هناك مشكلات عديدة فى الوسائل الجذرية لاعادة البناء السياسى ويعترضها دائما السؤال السياسى .. من أين نبدأ ؟ وكيف ؟ .. وهذا هو موضوع البحث المستمر منذ وقوع النكسة حتى يومنا هذا .. الكلمة متفقة على أن اعادة النظر فى الجسم السياسى ، وفى وظائف أعضائه .. وفى حسن اختيار الأعضـــاء لوظائفها الديمقراطية .. كلها

من واجبات دعم الجبهة الداخلية •• ولكن المناقشة مستمرة فى كيف ؟ ومتى ؟ •• ان الهدف من المناقشات هو • كيف نسير فى الطريق الذى يكون المواطن الصالح الحر •• المواطن الذى يقدم رأيه الأمين متجردا من النفاق والخوف ومسايرة السلطة ••

قلت :

ــ هناك تعبير سياسى يقول •• سياسة جديدة تعنى وجوها جديدة ••

قــال :

ــ لقد كان يقينى دائما ولن يتغير •• ان الوجوه التى يختارها الشعب بملء ارادته وحريته هى التى ترسم وجه المجتمع فى صــدق •• وفى مراحل التحولات التاريخية فى حياة الشعوب ، فان القائمين على مسئولية هذه التحولات ، ومواجهة مشكلاتها وأزماتها ومفاجأتها ، لن يقدروا فعلا على اداء دورهم الا اذا كانوا معبرين عملا وقولا عن ارادة الجماهير ••

ونحن فعلا نواجه اليوم مشكلات التطبيق الديمقراطى ، فى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بوظائفه كتنظيم شعبى •• وفى قيام مجلس الأمة بدوره التشريعى والرقابى •• ان المزيد من الديمقراطية السليمة التى تشارك فى البناء ، وتتصدى للتحدى ، وتدعم وحدة الجبهة الداخلية وتماسكها •• هو الشعار الذى نرفعه الآن ويجب أن نسعى الى تنفيذه •

قلت :

ــ ان ذلك يتطلب أولا تمهيد الأرض الصالحة ••

قــال :

ــ مــاذا تقصــد ؟ ••

قلت :

ــ أقصد القضاء الكامل على الامتيازات التى أصابت البلاد بوضع طبقى ممجوج •• هدد ثقة الجماهير بشعار تكافؤ الفرص ••

قـــال :

ــ ان كل وطنى مخلص يتحمس م ع الجماهير فى ندائها بالقضاء الكامل على الامتيازات •• وقـــد بدأت اجراءات ذلك فعلا فى تخفيف بدلات التمثيل وغيرها ••

قلت :

ــ بدأنا بالقليل •• ولكن بقى الكثير ••

قـــال :

ــ أنت تقصد امتيازات شقق الحراسة وشركات التأمين •• أنت تقصد امتيازات الوظائف فى بعض الوزارات •• وفى بعض المؤسسات والشركات •• هذا حق •• وسعينا فى هذه المرحلة ، أن يكون وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب • حقيقة واقعة يلمسها الجميع •• لا مجرد شـــعار نرفعه بالكلام ونمزقه بالتطبيق ••

قلت :

ــ والقدرة الحسنة من القيادات •• الجماهير تسمع عن قصور تسكن •• وأثاثات تستورد من الخارج ••

قـــال :

خذ فى هذا كلمتى الواضحة •• أننا مقبلون على أيام التضحيات •• أيام أبسط ما تحتاجه منا لمواجهتها أن تكون الجبهة الداخلية كبنية واحدة

•• جسم واحد •• روح واحدة •• وهذا الشعب الأصيل الطيب ، يتقبل التضحية فى سبيل الهدف بكل التجاوب والرضا والاقناع •• ولكنه يأبى أن تقع التضحية على فريق دون فريق •• ان الشعب مستعد أن يحرم نفسه من أية مادة تموينية مهما كانت أساسية بالنسبة له •• ولكن بشرط أن يرى أنور السادات ووزير التموين ورئيس المؤسسة يشـاركه هذا الحـرمان •

ونحن الذين عشنا أمر أيام الكفاح قبل الثورة وبعد الثورة • مستعدون أن نقـدم أغلى التضحيات •• لقمة الخبز الأسود تكفى معـدة أنور السـادات ••

قلت :

ـ الجماهير تريد أن ترى اجراءات الغاء الامتيازات تنفذ بأقصى السرعة

قـال :

ـ سيحدث •• سيحدث •• ولابد ان يحـدث ••

قلت :

ـ ولماذا لا نعيش الان حالة الحرب ؟ ••

قـال :

ـ نحن نعيشها بكل أعصابنا ••

ملت :

ـ ولكن مظاهر حياتنا تتناقى مع حالة الحـرب •• أن المجمعـات الاستهلاكية بعد محنة النكسة وحتى الآن عامرة بألوان الطعام التى لم تكن موجودة بهـا من قبل •• وعندما خربت اسرائيل مستودعات البترول •• لم نتخذ أى اجراء للاقتصـاد فى اسـتخدام البترول باستثناء اجراء الكيروسين •• وهذا ما لا يمكن أن تتحمله دولة ولو كان لدينا مخزون كبـير ••

قــال :

ــ انت تجرنى الى حديث عن الوضع الاقتصــادى ••

قلت :

ــ صدقنى • لا •• أن وضعنا الاقتصادى ليس سرا فى بطون الملفات •• والعيب أن نتمهل فى اجراءات تتناسب وظروف الحاضر •• وتحمينا من احتمالات المستقبل •• الشعوب المحاربة عاشت على بيضة واحدة فى الأسبوع وعشر قطع من السكر وترقيع الملابس •• واذا اتجه دعم البناء السياسى الى تأمين المواطن على حريته وعمله ، واشراكه فى تقرير مصيره بأسلوب ديمقراطى سليم •• واذا رأى قياداته تقدم له القدوة الطيبة •• فان شعبنا الأصيل يتقبل بكل الرضا والحماسة ميزانية الحرب وتقشف الحرب ونضــال الحرب ••

قــال :

ــ هذا يعيدنا الى الحديث عن دعم الجبهة •• أننى لاأستطيع أن أخفف من احتمالات المستقبل •• بل من الحكمة أن نفرض كل ما يمكن أن يأتى به الغد •• بل يجب أن نغالى فيما نفرض •• ولا شك أن الأحداث هى التى ســتتحكم فى فرض الطريق الذى يتجمع موكبنا للســير فيه •• ولا أشك لحظة أن هذا الشعب الوفى الكريم الذى ضرب مثلا تاريخيا أذهل شــعوب العــالم فى تماســكه وترابطه •• •• هــذا الشــعب لن يبخل على أرضه بأى تضحية • أننا مستعدون دائما أن نبــدأ من الصفر •• أن نحمل السلاح من شارع الى شــارع ومن بيت الى بيت •• فلم نكن يوما الا من نبض هذا الشــارع •• واذا كنا وقعنــا فى اخطاء •• واذا كانت المرارة قد جسمت هذه الاخطاء فى نفوس البعض •• فللقلوب الحزينة كل الحق أن تقســو فى النقد •• لأنها تشعر أنها تنقد نفسها أولا •• أن قيمة أى منصب فى هذا البلد لا تسمو الا بأحترام الكيان لا عبادة المنصب •• مناصبنا الأولى هى أننا مواطنون فدائيــون •• مناصــبنا الأعلى والاكرم ، هى أننا وطنيون لا محترفون •• كل ما على الســطح هو الزيف الذى يبطل وكل ما فى الجوهر هو النبض الذى لا يذبل •• وجوهرنا هو مزيج الدم بتراب هذه الأرض •

قلت :

ـ مرحبا بانتقاضة تعبر عن روح ٢٣ يلويو ..

قـــال :

ـ بل مرحبا بالشعب كله من اقصاه الى اقصاه .. ينتقض فى صلابة روح ٢٣ يوليو .. ونحن خلفه .. ان الشعب هو المعلم القائد .. ولقد علمنا الشعب كيف نعتبر من دروس النكسة .. ربما فرضت علينا الظروف يا أخى بعض مظاهر الانعزال عن الشـــعب ولكن تأكد أن الجوهر لم ينقطع أبدا . أنا لا ازعم أننى فوجئت ببعض اخطاء النكســة .. ان الكثير من هذه الاخطاء كان يؤرقنى .. ولكن العمل السياسى الذى يحرص دائما على عدم التصدع .. كان يؤجل المواجهة الجذرية للأخطاء .. ولكن ما جرى قد جرى .. ولنبدأ من جـــديد بداية حازمة .. ولتكن رؤوســـنا متجهة الى الأمام .. ولتكن النظرة الى الوراء للاستفادة من كل ثغرة .. وليؤد كل مواطن فى المواقع الكبيرة والصغيرة دوره بلا خوف .. بلا شـــك .. بلا تردد .. ولن يضيع حق نسعى اليه بالعرق الحلال .

* * *

الذى قاله لى أنور الســـادات حاول أن يقنع به الشـــباب المتمرد على الهزيمة فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . لقد عقـــد مع قياداتهم الغاضبة الرافضة لكل شىء اجتماعا خاصا فى قاعة مجلس الشيوخ .. أذيع الآن كل ما جرى فيه لأول مرة .

وهذا هو موضوع الفصل الثـــالث ..

الفصل الثالث

سقطت جميع اللافتات

●●● « ماذا قال أنور السادات للطلبة عن المعركة فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . كيف كان يتصور الخلاص ؟ .. كيف أراد اعادة البنـــاء الداخلى ؟ .. كيف تحدث عن الحرية والاعداد العسكرى لحرب الانتصار ؟ » ●●●

اليوم الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٦٨ •• كان يوما عصيبا •

محاكمات شمس بدران وزير الحربية وزملائه المتهمون بتدبير الانقلاب مع عبد الحكيم عامر •• مستمرة • ما ينشر منها يعطى صورة مؤلمة عن فضائح فســاد الحكم •

كانت قد صدرت أحكام ضباط الطيران •• وكانت الجماهير معبأة بأن قيادة الطيران سبب الهزيمة •• فبدأت مظاهرات من أحد مصانع حلوان •• ثم بدأت مظاهرات الطلبة •• احتكاك بالشرطة • اطلاق رصاص • المظاهرات اتجهب الى جريدة الأهرام •• الهتافات ضد محمد حسنين هيكل •• « هيكل •• هيكل يا خــدام •• يا مزيف الأحــلام » •• « بتقول بصراحة •• وتكتب بوقاحة » •• « يا جمال للصبر حدود •• عشرة يونيو مش حتعود » • وهتافات عديدة أخرى تنادى بســقوط حكم الفرد وتطالب بالحريات •

وانتهى الأمر باعتصام عدد من الطلبة فى كلية الهندسة جامعة القاهرة •• واستمر اعتصامهم أياما •• حتى جاء يوم ٢٨ • واتفق على ان يجتمعوا بأنور السادات رئيس مجلس الأمة فى قاعة مجلس الشيوخ فى المساء ••

وحضرت هذا الاجتماع الصاخب العنيف ، الذى لم ينشر منه كلمة واحدة حتى الآن •• وسجلت كل حرف دار فيه •

لقد واجه أنور السادات فى هذا الاجتماع شبابا فى قمة الغضب ، بعد اعتصام استمر أياما •• وبعد ان انتشرت بينهم انباء القبض على بعض زملائهم •• وكانوا يطالبون بتغيير أسلوب الحكم وكانت كلمة الحرية هى هتافهم المستمر ••

قاعة مجلس الشيوخ صغيرة •• والزحام على أشده •• عدد كبير من النواب حضر هذا الاجتماع •• وجلس الى المائدة أنور السادات وحوله بعض الوزراء •• فى مقدمتهم شعراوى جمعة وزير الداخلية ، والمتهم من الطلبة أنه اطلق الرصاص عليهم •

وتكلم أنور السادات ليشرح الموقف للشباب الغاضب • وقد أردت ان أسجل كلماته فى هذا الكتاب عن ٦ أكتوبر •• لأنها تعطى صورة لمنطلق تفكير أنور السادات منذ الهزيمة •• وتؤكد أن قرار ٦ أكتوبر ، لم يكن وليد تجربته كرئيس للجمهورية • ان هذه التجربة تستمد جذورها من فكر أنور السادات الضابط الشاب المفصول من الجيش فى عام ١٩٤٢ والمعتقل بالزيتون بأمر السلطات البريطانية ، لأنه قرر ان يخرب على القوات البريطانية وجودها فى مصر ، وهى تحارب معارك الحرب العالمية الثانية •• ثم أنور السادات المتهم بتدبير مقتل أمين عثمان وزير المالية الوفدى ، الذى كان يفاخر بعمالته للانجليز •• وأنور السادات القاسم المشترك ، فى كل محاولات التخلص من عملاء الاستعمار فى مصر •• ثم أنور السادات احد قادة ثورة ٢٣ يوليـو ••

لقد جاءت هزيمة يونيـو ٦٧ •• وأعلن جمال عبد النـاصر تحمل مسئوليتها كاملة ••

وشـارك أنور السـادات مشـاركة ايجابية ، فى كل المحـاولات السياسية التى بذلت •• لخلق بداية جديدة •• لتثبيت النظام لكى يواجه آثار الهزيمة ، ويحاول الانطلاق الى طريق التصدى لهـا ••

ثم جاءت •• هذه المظاهرات التى كان يمكن ان تهدد القاهرة بحريق جـديد •• وكان ــ الشعب يتجاوب مع نداءات الطلبة •• وهتافهم البـاكى « بلادى •• بلادى •• بلادى •• لك حبى وفؤادى » •• وهتافاتهم الأخرى الملتهبة بسقوط حكم المعتقلات • ثم الهتاف الخطير « ٩ يونيو أيدناك •• والنهاردة عارضناك » ••

والسبب المباشر لكل هذه المشاعر فى رأيى ، ان تغييرا أساسيا فى نظام الحكم الداخلى لم يحدث منذ الهزيمة •• واستمرت الاوضاع على ما هى عليه •• وكان من المستحيل ان يتقبل أحـد هذا الاستمرار ••

ولكن كلمات السادات الى الطلبة فى تلك الليلة •• تلقى الأضواء على فكره •• وتفسر كثيرا من القرارات الجذرية الداخلية ، التى اتخذها بعد ان تولى مسئولية رئيس الجمهورية •• وبعد أن قرر أن يدخل المعركة بالسـلاح لا بالكلمات ••

قال أنور السادات فى تلك الليلة التاريخية :

بعد هزيمة يونيو سقطت اللافتات كلها .. كل أجهزة النظام بما فيها مجلس الأمة . وقد اختار الرئيس جمال عبد الناصر أن يبدأ باعادة البناء العسكرى .. لماذا ؟ .. لأن العدو على بعد ١٠٠ كيلو متر من العاصمة . وكان لابد أن نحرر ارادتنا أولا من أن تكون أسيرة للعدو .. يضرب ويملى علينا الشروط . ولم ينته البناء العسكرى بالشكل الذى يطمئن على بلدنا دفاعيا الا فى شهر ديسمبر . وقفنا على أقدامنا . حمينا ارادتنا من الخـــوف ..

ما هو الموقف الآن .. ؟ .. انتم بتصرخوا وتشتكوا .. كثير من أبناء الشعب يشارككم نفس الشعور . الكل يســأل .. ايه اللى بيجرى فى الاتحاد الاشتراكى .. فى الحكومة .. ايه اللى بيجرى فى المؤسسات .. وأنى أسلم بكل هــذا تماما . ولكننى أقول ان البناء العسكرى كان له الأولوية .. كان من المســتحيل ان اترك نفسى لضربات اسرائيل .. وأنا عاجز عن الدفاع .

تبقى الخطوة التالية .. هى اعادة البناء الســياسى . الحكومة . الاتحاد الاشتراكى . مجلس الأمة . وسائل الاعلام . المؤسسات .. الحكم المحلى . مجموع هذا كله هو البناء السياسى ..

أريد منكم أن تتصوروا معى .. معنى اعادة بناء جيش من لا شىء . اعادة بناء قوات مسلحة انتهت فى ٩ يونيو . لقد تم هذا فى ٦ أشهر على صورة معجزة بدون شــك .. اقتضت ٢٤ ســاعة من العمل المستمر ليل نهــار .

وبعدين كلنا بنصرخ .. لماذا لم يتم البناء الســياسى اللى فيه كل الحاجات التى تطالبون بها .. كما تم البناء العسكرى ؟ .. هل يمكن اعادة البنا ءالسياس ى، بنفس طريقة البناء العسكرى . هل يمكن ؟ .. البناء العسكرى يعتمد على استمرار أسلحة وتدريب .. وعمل يمكن ان يتم بالأوامر ولكن فى البناء السياسى الأمر مختلف ..

ضعوا أنفسكم فى المسئولية وانتم تحاسبوننا ..

القطاع العام •• فيه لخبطة •• آه •• صح •• ولكن هل ممكن نتول فى يوم واحد •• جميع رؤساء المؤسسات •• بره ؟ •• جميع المديرين •• بره ؟ •• البناء السياسى عملية متكاملة •• كل مكان يتأثر بالمكان الآخر • الجبهة الداخلية كلها نافدة على بعضها •• أى لخبطة فى الحكم بتأثر على الانتـــاج • وده يؤثر على العمالة • الى آخـــره • اذن لابد من خطة تستوعب ابعاد العملية كلها •• الجهاز الحكومى •• أقول على مسئوليتى أنه خرب يحتاج الى أصلاح ضخم •• القطاع العام •• متهم •• فيه اخطاء • قطاع عام بهذا الحجم الكبير لابد أن تحدث فيه اخطاء •

طيب •• الراجل اللى كلفتوه بهذا •• جمال عبد الناصر •• كل مجهوده انصرف للبناء العسكرى •• طيب علشان يعيد البناء السياسى ، مش على الأقل يفكر فى المدخل لهذا •• ويضع الخطة لهذا •• فى الشهر الماضى عقدنا اجتماعات متتالية •• وكان أمامنا نقطتان أساسيتان للبحث:

النقطة الأولى •• تقييم ما وصلنا اليه الآن •• ومن المسئول • لأنه ثبت أن الطريقة اللى كنا ماشيين عليها خطأ من أساسها • لابد من طريقة جديدة • وهذا يتفق مع ما تطالبون به • ولكن لابد من التقييم أولا •

النقطة الثانية •• هى دراسة الوضع الاقتصادى •• لماذا ؟ •• لأن الاقتصاد هو الصمود •• هو أساس معركتى • لا أستطيع أن أقول للشعب •• جوع •• وكافح •• واصبر • انتم ما نقدرش نقول لكم بعد ما تخلصـــوا جامعة ، اطلعوا عاطلين و ١٠٠ ألف عامل لازم نشـــغلهم ســـنويا •

اننا لم ننته بالعدوان •• لقد خسرنا معارك •• أمريكا خسرت معارك فى الحرب العالمية ثم انتصرت •• ولابد أن نستعد •• وأن نعيد البناء • وأن ننتصر ••

أصوات الطلبة : احنا عارفين الحاجات دى ••

الســـادات :

يجب أن تتكلموا من مستوى المسئولية •• من دلوقت ورايح انا حاحطكم فى المسئولية وعلى أعلى المستويات •

بعد كده بتقولوا الحريات •• بتقولوا الصحافة ••

أصـــوات :

آه ••

الســـادات :

اقول لكم على اعلى مستوى •• عاوزة اعادة تنظيم •• لابد من بناء ديمقراطية •• ولابد من صحافة تعبر عن آمال الشعب ••

طـــالب :

سمعتنا فى الخارج شوهتها الصحافة •

الســـادات :

الكلام اللى بيقوله الأخ •• بينقلنا الى حاجة أساسية • شرط أساسى وشروط الالتزام أن يكون المواطن على علم بما يجرى •• مش ترديد كلام •• ان يكون عارفا بالحقائق عن اقتناع • اننى أشعر فعلا •• وخاصة بعد أن قابلت بعضا منكم •• أنكم لا تعرفون حقائق ما يجرى ••

أصـــوات :

الصـــحافة •• الصـــحافة ••

الســـادات :

يعنى هيه المشكلة اللى احنا فيها •• رسيت على الصحافة بس ؟ ••

أصـــوات :

لا •• لا •••

طــالب :

الحرية هى البند الأول •• وكل شىء بعد ذلك يليها •• ومنه الصحافة •• لكى نعرف الحقائق •• لابد ان تكون هناك صحافة حرة ••

الســـادات :

الحرية •• هل هى حــرية مطلقة ؟ •• علشـــان ننظمها تبقى من خلال أيه ؟ ••

أصــــوات :

دســــــتور ••

الســـادات :

النصوص وحدها لا تكفى •• لابد من بناء سياسى متكامل • لو كان لدينا هذا البناء ، ماكنتوش وصلتم الى هذه المشاعر •• البناء السياسى ضعب •• وليس لى اعتراض أبدا أن تعبروا عن كل آرائكم •• ولكن داخل الجامعات وبنظام ••

أصــــوات :

فيه مخابرات •• مش قادرين نتكلم ••

الســـادات :

أنا أضمن لكم انه لن يمس طالب بسوء •• لكم الحق أن تعبروا عن رأيكم • كل ما أطلبه الا يخرج التعبير عن حيز الفهم والادراك للحالة التى نجتازها • نقول رأينـــا بكل صراحة فى كل شىء •• الى أن تتم خطوات البناء الســياسى •• انتم ماعشتوش اللى احنا عشــناه قبل

١٩٥٣ . المسألة الآن .. أننا كلنا كشعب نجتاز فترة من أصعب فترات حيـــاتنا ..

أصـــوات

احنا صـــوت الشعب ..

السـادات :

انتم شجعتم بالمظاهرات .. عنـــاصر كانت انتهت .. كانت دخلت الشقوق . النهـــاردة الضهر ، عربية كانت بتلف على المدارس فى مصر الجديدة علشـــان يضربوا .. واتمسكت العربية ، واللى فيها من أولاد الاقطاعيين بتوع زمان .

أصـــوات

وزير الداخلية هوه اللى اقطاعى ..

السـادات :

عاوز أخلص كلامى لأنكم تعبتونى يا أولاد . أرجو كمواطن مثلكم ، أن نضع فى ذهننا وفى تقديرنا الظروف التى تمر بها البلاد . وقد يكون هذا مدعاة للضغط على اعصابنا ونفوسنا .. الى ان نحقق الانتصار . انها معركة مصيرية .. العدو كل تركيزه اليوم على الجبهة الداخلية .. فى ديسمبر لم تكن لدينا عملة صعبة . الآن بعد مؤتمر الخرطوم الوضع تحسن . بعد الهزيمة كان العدو يتصور ان النظام سيقلب من الداخل . لم يحدث . اجتزنا مرحلة الضغط الاقتصادى . العدو لا يزال يريد تكسير الجبهة الداخلية . أريد القول بصراحة ، وبكل الهدوء .. أن موقفنا اليوم لا يدعو الى التفاؤل فقط .. ولكنى واثق أننا فى طريقنا الى تحقيق النصر باذن الله .. قواتنا العسكرية تتقدم فى الاستعداد والتدريب . الوقت فى صالحنا وصالح المعركة .. ولكن المعركة تحتاج الى نفس طويل يعتمد

على جبهة صلبة لا ينالها أى خدش • عليكم أن تحافظوا على صلابة الجبهة فى كل تصرف من تصرفاتكم •• وفى كل ما يعرض لكم •

وأنا جاهز للأسئلة ••

وأجاب السادات على أسئلة الطلبة الذين حاصروا شعراوى جمعة وزير الداخلية فى موضوع الصدام بين البوليس والطلبة ••• ثم أراد الطلبة تلاوة بيان باسم الاتحاد العام لطلاب الجمهورية وطالبوا بنشره كاملا فى الصـــحف ••

وهنا قال السادات :

أنا أرفض هذا البيان شكلا وموضوعا • كان عندى بالليل وقرأته •• مش هوه البيان بتاع الحرية تؤخذ وتغتصب •• انا بقولكم •• لا•• لا•• لأن هذا البيان بنى على عملية انفعالية •• ولم يبن على الموقف اللى احنا فيه النهاردة بعد هذه المناقشات الديمقراطية •• والمسألة ليست مزايدات • اننا نخوض معركة واحدة • وأمامنا مسئولية واحدة •

ودارت مناقشة حول البيان اشترك فيها عدد من أعضاء المجلس • وكان أحد الطلبة قد قال قبل أن تبدأ أية مناقشات : انا نشترط ان تنشر مناقشاتنا على الشعب فى الصحف •• اتفقنا أو لم نتفق • ورفض السادات وقال فى أصرار • اذا كانت المسألة فيها املاء شروط •• انا مش بتاع شروط لا أقبل هذا أبدا • وكرامة هذا المكان لا تسمح باملاء شروط • نحن هنا جالسون على قدم المساواة والمسئولية ••• نتناقش ونقتنع •• والصحافة موجوده فى الشرفة •



سجلت هذه المناقشة •• وهى خلاصة اعتقد انها وافية •• لأنها تعبر عن فكر أنور السادات •

كان يريد الاستمرار فى الاستعداد العسكرى واعطائه الأولوية دائما

كان يريد اعادة البناء السياسى ..

كان يريد مواجهة كل الاخطاء الداخلية ..

كان يرفض الضغوط .. وأهم من هذا كله : انه كان يعرف الحقائق .. ولكنه لم يتخلف أبدا عن ارتباطه الكامل ، بالدفاع عن النظام الذى أوجدته ثورة ٢٣ يوليو ..

وكان يعرف الداء الأكبر .. فى المحيطين بالقيادة .. وعندما أثار الطلبة هذا الموضوع فى المناقشات ، تجاوزه أنور السادات فى الرد عليهم . وهذا هو أنور السادات السياسى . .الذى قال للطلبة فى تلك الليلة .. « لا اعتقد أن فيه مراكز قوى » !

بل أنه عندما عقدت جلسة مجلس الأمة فى مساء ٢٨ فبراير ١٩٦٨ لمناقشة موضوع مظاهرات الطلبة ، غضب غضبا شديدا من النائب علوى حافظ ، لأنه هاجم على صبرى هجوما قاسيا .. ووجه كلمته مباشرة الى جمال عبد الناصر ، وقال بأعلى صوت : وأننى أقول للرئيس جمال عبد الناصر .. ابدأ بمن حولك !

ولا أشك لحظة أن أنور السادات ، كان يقر كل كلمة قالها علوى حافظ .. ولكنه رأى ان — انطلاقها تحت قبة مجلس الأمة ، ومن علوى حافظ القريب الى أنور السادات .. تعنى أن رئيس المجلس على اتفاق مسبق معه على هذه الاتهامات . وهذا ما حرص أنور السادات ان يتجنبه بعقلية السياسى الذى يعرف ، متى يتحرك . ومتى يجب ان يقف موقف الترقب والانتظار .. وماذا يجوز ان يناقش علنا ، وماذا يجب أن يعالج بالأسلوب السياسى على مسرحه الحقيقى .

ولم يتحرك أنور السادات للقضاء على مراكز القوى الا بعد أن تولى مسئولية رياسة الجمهورية ، بسبعة أشهر ! .. بل وبعد أن أمسك بالدليل تلو الدليل على مؤامرة !

وللتاريخ .. انشر اليوم فقرات من كلمة علوى حافظ ، التى لم تنشر أبدا بسبب الرقابة على الصحف .

قال علوى حافظ فى جلسة ٢٨ فبراير ١٩٦٨ :

ـ هى ليست نكسة فقط •• انها نكسة ونكبة •

ـ يجب ان نعترف ان النكسة هى نتيجة اخطاء فى الجبهة الداخلية والعمل السياسى وقيادة الشباب •

ـ اننا نواجه أزمة اخلاقية سببها الابتعاد عن الدين والوطنية وهما ركيزتان لأى تقدم وانتصار •

ـ يجب أن نعرف ان الولاء الصحيح هو الولاء للشعب •• الشعب كله •• وليس الولاء للأفــراد •

ـ لقد سقطت دولة المخابرات •• ويجب ان تسقط كل دولة داخل الدولة •

ـ المعاهد الاشتراكية للشباب •• يشرف عليها ويوجهها اليسار المتطرف الذى يريد أن يقضى على مصر الأزهر •• مصر الكنيســة •• مصر الانسان الطيب البعيد عن الحقد الدموى •

ـ اشتراكيتنا ليست اشتراكية ماركس وانجلز ولينين •

ـ الشعب •• يجب أن يحــكم مصر •• ولا يمكن ان نســلم مصر لدكتاتورية طبقــة •

ـ يجب ان نضع حدا للامتيازات التى حصل عليها البعض بدون وجه حق •• وأنا أقول لجمال عبد الناصر « آبدأ بمن حولك •• أبدأ بالقادة •• بالمتصدرين للعمل السياسى • القيــادات السياسية اذا لم تمثل القدوة الصالحة النظيفة •• فنحن سائرون الى الهاوية » •

ـ يجب ان يقدم الوزراء كشف حساب بما يملكون •• ومن أين ملكوه •

ـ ومن المؤسف ان بين القيادات حول جمال عبد الناصر ، من أسس قصرا بسبعين ألفا من الجنيهات •• وكأننا فى عصر المماليك •• وهو فى الوقت نفسه يتصدر القافلة الاشتراكية !

ـ التكافؤ فى التضحية مبدأ يجب أن يطبق على الجميع .

ـ أين النقاء الثورى ؟ .. اين الطهارة الثورية ؟ .. فى كل مكان شــلل .. قطيع غريب . محاسب . قرايب . يسار متطرف . ناس لفظتهم القوات المسلحة . هذه الصــورة هى التى تصنع السخط وتثير القلق . ما معنى ان يبقى وزير فى الحكم ١٥ سنة !! يجب ان يخرج قبل ان يحكم الوزارة بشــلة .

الفصل الرابع

المحاضر السرية لاجتماع الرؤساء العرب قبيل وفاة عبد الناصر

●●● « الفصول السابقة عرضت للوضع الداخلى بعد الهـزيمة وقبـل أن يتولى أنور السادات مسئولية الرياســة . ولكن ماذا كان عليه الوضع العربى ؟ .. كيف كانت العلاقات بين الدول العربية ؟ .. ان آخر الأحداث قبيل وفاة عبد النــاصر ، كانت مذبحة الفــدائيين فى الأردن . وخلالها اجتمع الملوك والرؤساء العرب فى القاهرة .. ان المحاضر السرية لهذا الاجتماع تكشف حقائق الوضع العربى المنهار عندما أصبح السادات رئيسا للجمهورية » ●●●

بعـــد أيام من الهزيمة القاصــمة فى يونيو ١٩٦٧ •• أذكر أن أنور السادات رئيس مجلس الأمة ، دعا عددا من الكتاب الى مكتبه ، لمناقشة مقفولة ، حول أسباب الهزيمة وسبيل البداية الجديدة بعدها • حضر الاجتماع يوسف السباعى واحسان عبد القدوس ومحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين وفتحى غانم وأحمـــد حمروش •• وكاتب هـــذه الســـطور •

طلب منا أنور السادات أن نتحدث بمنتهى الحرية والوضوح •

وأذكر من الآراء التى قيلت ما قاله أحمد بهاء الدين ، عن ضرورة أن تقوم المشاركة فى الرأى • لابد من شعور المواطنين بأنهم يشاركون فعلا فى اتخاذ القـــرار •

وأذكر أن أحمد حمروش ركز فى كل كلماته على الدور الذى يجب أن يؤديه الاتحاد الاشتراكى ، لكى يكون تنظيما سياسيا مؤثرا ••

وأذكر أننى طالبت بالديمقراطيـــة •

وسافرنا مع أنور السادات بعد ذلك الى السويس •• حيث تفقد آثار ضرب مصانع الزيتية •• واجتمع بالقيادات الشعبية هناك ، لكى يحثها على استمرار المقاومة ، ويشجع عناصرها التى أثبتت وطنية وشجاعة ••

وكان قد زار من قبل بور فؤاد ، واجتمع بالضباط والجنود الذين قاتلوا فى موقعة رأس العش بعد الهزيمة ، وأعادوا الثقة بجدارة المقاتل المصرى وشجاعته •

وكان بعد كل زيارة يقول بلهجته البسيطة المصرية : « أولادنا زى الورد •• شىء يفرح القلب •• لا يمكن أن تستمر الهزيمة وفى مصر هـــذا الشـــباب » •

وكنت أحس أن أنور السادات رئيس مجلس الأمة ، كان يرى الحقائق

أمامه واضحة •• وكان يدرك تماما الأسباب الحقيقية للهزيمة •• وكان يرى أن المحيطين بجمال عبد الناصر ليسوا أبدا على مستوى المسئولية ••

وعندما تولى أنور السادات مسئولية الاتحاد الاشتراكى العــربى ، بعد تنحية على صبرى ، بسبب « البضاعة » التى أتى بها من موسكو ، وأعدت لاستقبالها سيارتان لورى فى مطار القاهرة •• لجأ أنور السادات الى أسلوب « السامر » •• فتح القاعة الكبرى فى مبنى الاتحــاد ، لكى تدعى اليها الجماهير مرة كل أسبوع •• وتجرى المناقشات وكأننا فى « دوار » العمدة بالقرية •• وكانت مشاعر الناس ساخنة •• لجان المعركة لا تؤدى شيئا • استعدادات الدفاع المدنى والشعبى •• تشكو القصور الكامل •• وكانت الشكوى عامة من أن الاتحاد الاشتراكى عاجــز ••

وكان أنور السادات يركز فى هذه الاجتماعات على حقيقتين ••

* الأولى •• أنه لا مهرب من المعركة •

* الثانية •• أن المعركة ستخلق قيادات جديدة هى الجديرة بتولى المسئوليات فى مواقعها بعد الانتصار •

وكنت أتابع هذه الاجتماعات ••

وكنت ألمس مدى الجهد الذى يبذله أنور السادات ، فى اطفاء هذه الحرائق المنتشرة فى كل مكان •• وكان هدفه الأول ، أن تتجمع الجبهة الداخلية فى وحدة وطنية حقيقية •• فبغير هــذا •• لا معــركة •• ولا انتصـــار •

كانت مصر تواجه تفسخا حقيقيا بعد الهزيمة •

مؤامرة عبد الحكيم عامر الفاشلة •

محاولته الانتحار فى منزل جمال عبد الناصر •

ثم انتحاره بعد ذلك ، فى البيت الذى تحددت فيه أقامته •

قضية المؤامرة وما ظهر فيها من فضائح الذهب والفساد •

قضية صلاح نصر رئيس المخابرات العامة •• وما انتشر حولهـا من قصص التعذيب واستغلال النفوذ •

قضية قائد الطيران •• الذى اختير كبش فداء هو وعدد من ضباط الجيش ••

وكان جمال عبد الناصر قد اختار حسين الشافعى ليرأس محكمـة المؤامرة •• ثم اعتذر حسين الشافعى ، فغضب عبد الناصر ، وطلب اليه أن يعطى كل أوراق القضية الى أنور السادات ليرأس المحكمـة •• وكان أنور السادات مستعدا لذلك ، واشترط أن يجريها فى مجلس الأمة •• وعلى مشهد من الجماهير ••

ثم عدل حسين الشافعى عن اعتذاره ••

وجاءت بعد ذلك اقالة زكريا محيى الدين •

خلاصة القول أن البلاد كانت تمر بفترة حالكة السواد •• وقـد كشفت حقائق مؤامرة مايو فى عهد أنور السادات ، أن جمال عبد الناصر كان يقاسى آلام المرض الشديد •• وكان فى معظم أيامه لا يغـادر فراش المرض •• وكان يحكم مصر من خلاله لجنة من سـامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد حسنين هيكل •• وكان يحضر بعض اجتماعاتها أمين هويدى والفريق محمد فوزى •• كل هذا وأنور السادات ، لم يفقد الأمل لحظة واحدة ، بأن الغد سيحمل معه بشائر الخير ••

وتقدمت أمريكا بمشروع روجرز • وسافر عبد الناصر الى موسكو • ولم تكن مباحثاته ناجحة مع الزعماء السوفيت •• ولذلك قرر قبـول المشروع • وكان أنور السادات قد أعلن رفضه للمشروع فى اجتمـاع سياسى بالاتحاد الاشتراكى أثناء وجود عبد النـاصر فى الاتحـاد السـوفيتى •

وكان أنور السادات قد أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ، وحلف اليمين قبل سفر عبد الناصر الى موسكو • وعرف أن عبد الناصر تلقى تقارير عن مؤامرة تستهدف حياته •• فاختار أنور السادات ليكون على رأس الدولة فى غيبته •

وعاد جمال عبد الناصر من رحلته ••

وفوجئت بأحد سكرتيرى أنور السادات يبلغنى فى التليفون ، أنه يتحدث من قرية ميت أبو الكوم ، وأن نائب رئيس الجمهورية يعانى من أزمة قلبية •• وطلب الى أن أكتب خبرا بهذا المعنى ، وأن الأطباء منعوه من استقبال الزوار ••

وكتبت الخبر • وأمليته عليه • وعرضـه على أنور السـادات ، وأجاز صيغته •• وطلب منى ابلاغه لباقى الصحف ••

ومن هنا انتشرت شائعات كثيرة •• تتناول مرض أنور السادات ، وأنه مرض سياسى ، بل تتناول أيضا نزاهته بقصد النيل منه والتشهير به •• وسرت قصة كاذبة تماما — مصدرها جهاز سامى شرف — أن أنور السادات أمر بوضع تاجر كبير تحت الحراسة ، لأنه رفض أن يترك الفيلا التى يملكها •• لكى يسكنها !

ثم انتقل أنور السادات من ميت أبو الكوم الى الأسكندرية • وزرته فى منزله • وقلت له أن الاشعاعات منتشرة بأن مرضه سياسى • وأجابنى أنه سيعود الى مسئولياته بعد أيام •• وأستأذنته فى نشر هذا الخبر ، حتى نقضى على الاشعاعات •• ووافق وزاره عبد الناصر فى منزله • وتجاوز أنور السادات أزمته الصحية •• وكان يزور عبد النـاصر كل ليلة ، من الغروب حتى ساعة متأخرة من الليل •

أننى أورد هذه الوقائع لأقول •• ان تولى أنور السادات منصب نائب رئيس الجمهورية ، كان محاطا بسموم الثعـابين •• ومع ذلك استطاع أنور السادات بكل الهدوء أن يخطو بقدمه فوق كل مناورات صراع السلطة •• وأن يظل على علاقة طيبة ومباشرة بجمال عبد الناصر •

وأذكر أن فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى روى لى ، نقلا عن حديث جرى بينه وبين عبد الناصر ، قول عبد الناصر له ، وهو يستعرض معه كفاءات أعضاء مجلس الثورة — أن الوحيد من بينهم الذى يعتبره سياسيا داهية ، هو أنور السادات •

وكان ذلك فى الأشهر الأولى للثورة ••

وأذكر أيضا أن مصدرا — أفضل عدم نشر اسمه — قال لى أيضـا

أن جمال عبد الناصر قال له يوما : أننى أشعر أن أنور السادات هو الذى سيخلفنى !

ثم مات جمال عبد الناصر فجأة ..

ولو أن المخابرات الأمريكية تنكر أن موت عبد الناصر كان مفاجأة . بل أن رجلها « مايلز كوبلاند » ، الذى كان على صلة وثيقة بجمال عبد الناصر كتب فى صحيفة صنداى تلجراف فى الرابع من أكتوبر بعد وفاة الزعيم يقول : « على النقيض مما عن للرئيس نيكسون أن يصرح به فى حديث تليفزيونى أخيرا ، فان حكومة الولايات المتحدة لم تفاجأ بوفاة الرئيس ناصر ، وكذلك الحكومات البريطانية والسوفيتية والاسرائيلية . بل أن الحكومة المصرية لم تفاجأ بذلك ، اذ أن « ناصر » كان قد وطن نفسه منذ فترة من الزمن على التسليم بخطورة حالته الصحية . ان الحكومات الحديثة نادرا ما تفاجئها الأحداث التى تعنيها بصفة مباشرة ، اذ تكون لديها خطط للطوارىء لكل الأزمات تقريبا التى يحتمل نشوبها . وبالنسبة لناصر فليس سرا أنه كان مريضا بمجموعة من الأمراض مثل السكر والتهاب الأوردة .. وكان جهازه التنفسى يعانى من الضيق .. وبعد أن ألمت به نوبة مرضية خطيرة فى سنة ١٩٦٩ قال له طبيبه أنه لابد أن يكف عن عمله الذى كان يستغرق ١٦ ساعة يوميا ، لأن ذلك سيقصر من عمره .. وأن بوسعه أن يعمل أربع أو خمس ساعات ويكون لديه الأمل فى الحياة فترة أطول .

مات جمال عبد الناصر ..

واتفق من كانوا يعتقدون أنهم ورثة الحكم ، على اختيار أنور السادات .. تصوروا منهم أنه سيكون صاحب العرش الذى يملك ولا يحكم !

وفى يوم الجنازة الشعبية التاريخية .. سمعت وأنا فى مكتبى فى « الأخبار » أن أنور السادات أغمى عليه .. وأنه نقل الى فندق شبرد لاسعافه ، فأرسلت مندوبا ليتحرى الخبر ..

وفجأة دق جرس التليفون ..

فقلت : مين ..

قال : أنا أنور

قلت : أنور مين ..

قال : أنور السادات يا موسى ..

قلت : عفوا .. ان ذهنى تائه .. الحمد لله أنى سمعت صوتك .. لقد أبلغت منذ لحظات أن سيادتك فى فندق شبرد بعد أن أغمى عليك فى الجنـــازة ..

قال : الحمد لله .. الآن .. أنى أتحدث اليك من القبة . لقد شعرت بارهاق شديد فى الصباح ، لأننى لم أنم منذ يومين .. ونقلت الى هنا ..

وأعطانى الطبيب حقنة منومة .. والحمد لله .. أنا أحسن ..

قلت : الحمد لله . كنا فى غاية القلق عليك ..

قال : أريد أن ترسموا فى الصفحة الأولى من الأخبار .. صورة لجمال .. توضع فى مكان ثابت بجوار اسم الأخبار .. كرمز لمؤسس أول دولة مصرية ..

وفعلا .. كلفت الاستاذ الفنان بيكار ، برسم الصورة .. واستمررنا فى نشرها عاما كاملا ، حتى الذكرى الأولى لوفاة عبد الناصر .

وبدأ أنور السادات يتولى مسئولياته ..

وبدأ يستعد لانتخابات رياسة الجمهورية ..

وكان فى ذلك الوقت يقيم فى قصر العروبة .

ولقيته فى الصباح التالى . كان مرهقا كل الارهاق . رأيته بعد اجتماع طويل مع على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف وأمين هويدى ..

وكان يعد للقائه الأول بمجلس الأمة .

وأذكر أن الرئيس أنور السادات قال لى فى هذا اللقاء ..

أنه يشعر أن المهمة ثقيلة وصعبة بعد اختفاء زعامة جمال عبد الناصر بثقلها العربى والدولى الكبير ..

أنه يؤمن أن أول مسئولياته هى الاعداد الكامل للمعركة .. ولكنه سيستمر فى نفس الوقت فى طريق السلام .. وكان قد استقبل مبعوث

الحكومة الأمريكية فى تشييع الجنازة ،وقال له أنه مستعد أن يناقش كل شىء مع أمريكا بعقل مفتوح وقلب مفتوح ..

وأنه يؤمن تماما أن الديمقراطية هى أمل الجماهير .. وهى صمام الأمن والأمان ، استعدادا للمعركة .

وكان بعض أعضاء مجلس الثورة السابقين قد تقدموا اليه بمذكرة .. وطالبوا باتخاذ خطوات معينة لمواجهة الموقف بعد وفاة عبد الناصر .. وكان تعليقة على ذلك ، أن الموقف لا يحتمل .. وأن كل الجهود يجب أن توجه أساسا الى اعداد كامل للقتال .

* * *

لقد أردت بهذا العرض السريع أن أقدم صورة لأنور السادات منذ هزيمة ٦٧ حتى وفاة جمال عبد الناصر .. يتضح منها أن الرجل كان يرى بنظرة ثاقبة كل أوجه القصور . وأنه استطاع أن يتغلب على كل ألاعيب صراع السلطة . وأنه لم يتخل يوما عن التزامه مع جمال عبد الناصر .

وأنه كان يرى أن الحرب هى الحل الوحيد .. مع متابعة المساعى السلمية من جديد .. ومع السير فى طريق ديمقراطى .

* * *

ولكن ماذا كان عليه الموقف العربى .. والموقف الدولى فى الأيام القليلة التى سبقت وفاة جمال عبد الناصر ؟ .. والتى عايشها أنور السادات لحظة بلحظة ؟ ..

كان فى القاهرة مؤتمر للملوك والرؤساء ..

وقد بدأ انعقاد المؤتمر فى الثانى والعشرين من سبتمبر ، أثر مذبحة الفدائيين فى الأردن . قاطعت العراق المؤتمر .

وفشلت نداءات الرؤساء الى الملك حسين بوقف المذبحة .

وذهب وفدان من المؤتمر الى عمان . وفشلت كل المحاولات مع الملك حسين لوقف النار .

وحضر ياسر عرفات الى القاهرة .. وحضر بعض زعماء المقاومة ..

وأنذرت أمريكا بالتدخل العسكرى ..

ونصح الاتحاد السوفيتى بتجنب التدخل الأمريكى بكل وسيلة ..

وطالب القذافى فى المؤتمر بدخول الجيوش العربية .. لمحاربة أمريكا !

وأخيرا .. طلب الملك حسين الحضور .. وتم توقيع اتفاقية سميت اتفاقية القـــاهرة .

والأزمة بدأت منذ يوم الأربعاء ١٦ سبتمبر ، عندما أعلن الملك حسين الأحكام العرفية ؛ وألف وزارة عسكرية ، وعين حاكما عسكريا .. وأعلن الملك أن هدف الحكم الجديد اعادة مكانة الدولة .. وردت المقاومة ببيان قالت فيه : أن الحكم العسكرى مؤامرة ضد العمل الفدائى الذى سيدافع عن نفســـه ..

وطلبت الحكومة العسكرية من الميليشيا تسليم الأسلحة الى منظماتها .

الخميس ١٧ سبتمبر :

بدأت المذابح الرهيبة . ســـقط مئـــات القتلى والجرحى . اشتعلت المرافق فى عمان . كان الرئيس جمال عبد الناصر مجتمعا مع القذافى فى مرسى مطروح . وصـــل الفريق صادق الى عمان يحمل رســـالة من عبد الناصر ونميرى والقذافى لوقف المذبحة .

الجمعة ١٨ سبتمبر :

الأسطول الأمريكى يقترب . الطائرات البريطانية تتجمع فى قبرص . وصل عدد القتلى والجرحى الى ٥ آلاف . استمر القتال من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع فى٥ مدن .

السبت ١٩ سبتمبر :

الباهى الأدغم يتصل بالرئيس عبد الناصر تليفونيا ويقترح عقد مؤتمر قمة عربى فى القاهرة . عبد الناصر يرسل نداء الى الملك حسين وعرفات بوقف القتال فورا لصد المؤامرات الدولية للتدخل . القاهرة تحذر أمريكا من عواقب التحركات العسكرية وتحملها مسئولية نتائجهـــا الخطيرة . الخسائر مخيفة . آلاف الأبرياء تحت رحمة النيران فى الشوارع .

الأحـــد ٢٠ سبتمبر :

أمريكا تذيع بيانا رسميا عن تدخل قوات سورية ، وتطالب بسحبها فورا • كان البيـــان الأمريكى يعبر عن تمهيـــد لتدخل عسكرى اذا لم تنسحب القوات السورية • عمان تؤكد أن القوات السورية تقدمت فى القطاع الشمالى من الأردن • عبد الناصر يبعث برســالتين الى الملك حسين • حكومة البعث العراقى تتدخل ضد المقاومة • بدأت اتصالات عقد مؤتمر القمة •

الاثنين ٢١ سبتمبر :

الموقف يتدهور • وصل القذافى والأتاسى ونمـــيرى والأدغم الى القاهرة • تقرر الاجتماع مساء اليوم التالى •

الثلاثاء ٢٢ سبتمبر :

اجتمع الملوك والرؤساء • نميرى والأدهم ووزير الدفاع الكويتى والفريق صادق سافروا الى عمان • عدد القتلى وصل الى ١٥ ألفا • المعارك عنيفة فى الشمال • طائرات السلاح الجوى الأردنى تشترك فى القتـــــال •

الأربعـــاء ٢٣ سبتمبر :

اتصالات القاهرة بعمان مستمرة • عاد نميرى من عمان ومعه زعماء المقاومة الأربعة الذين طلبوا وقف القتال • المذبحة مستمرة • استمع الرؤساء الى تقرير نميرى • عمان تحولت الى انقاض وخرائب وجثث •

الخميس ٢٤ سبتمبر :

نميرى يسافر الى عمان للمرة الثانية • سافر حسين الشافعى والأدغم ورشاد واحد زعماء المقاومة • الهدف تنفيذ وقف النـــار •

الجمعة ٢٥ سبتمبر :

مائير تهدد بعمل عسكرى ضد مصر ، بحجة تحريك الصواريخ المصرية • نميرى عاد ومعه ياسر عرفات • اجتماعات الرؤساء مستمرة •

السبت ٢٦ سبتمبر :

الملك حسين يطلب الحضور الى القاهرة • نميرى أذاع فى مؤتمر صحفى كل أسرار الأحداث • قال أن المذبحة بدأت باخلاء عمان من الأردنيين وضربها بقوة من ٧٤ ألف جندى •

الأحد ٢٧ سبتمبر :

تم الاتفاق على وقف جميع العمليات العسكرية • وقع الرؤساء الاتفاق •

الاثنين ٢٨ سبتمبر :

مات جمال عبد الناصر •

* * *

وقد استطعت الحصول على ثلاثة محاضر لاجتماع الرؤساء •• من دبلوماسى صديق حضر هذه الاجتماعات • ولا أقول أنها محاضر كاملة ، لأن صديقى كان يسجل بقلمه •• وربما فاته الكثير • وأننى أنشرها الآن ، لكى أعطى صورة كاملة عن الموقف العربى الذى تسلم أنور السادات خلاله أمانة المسئولية •

جلسة مساء الخميس ٢٤ سبتمبر ١٩٧٠

« أمريكا تهدد بالتدخل العسكرى • الاتحاد السوفيتى ينصح بتجنب التدخل الأمريكى فى المنطقة •

القذافى ورئيس اليمن الجنوبية يطالبان بتدخل الجيوش العربية • عبد الناصر يعلن أنه يرفض هذه المزايدات • قال لهم •• أنتم تصدرون البيانات •• ومصر هى التى تحارب » ••

الرئيس عبد النـــاصر :

أرحب بالأخ سليمان فرنجيه الذى يشارك معنـــا وهو فى أول عهد رئاســـته •

الرئيس فرنجيـــه :

ياريت فى غير هذا الظرف •

الرئيس عبد النـــاصر :

معلهش •• أتمنى لك التوفيق ، حصل اليوم تضارب فى الأقوال فهناك من يقول أن اتفاق أمس قد نفذ حسب ما قال الملك حسين ، وجاءنا من سفارتنا أنه وقع اطلاق نار بعد الظهر •• ومن دمشق يقولون أن أربد معرضة للقصف • ويقولون أن الموقف سىء جداً ، وقلت للأخ نميرى أنكم تكملون مأموريتكم وتتأكدوا من وقف اطلاق النار وتتصلون بياسر عرفات ، والأخ نميرى رحب بالسفر ، كان هناك أيضا الشيخ سعد وبعد كده كان هناك الأخ الباهى الذى قال أنا مستعد أيضا وقلنا يروح أيضا حسين الشافعى والفريق صادق وأخذنا مبعوث عن الملك فيصل وقلنا يســـافروا •• لنعرف من هو على خطأ ومن هو على صـــواب ، نحن مستعدين نبعث عشرين أو ثلاثين ضابطا ليؤكدوا صـــحة ما يقـــال فى الاذاعـــات ••

كذلك فيه امبارح كلام ضد المؤتمر • وأن المؤتمر مؤامرة ، نحن فى الحقيقة لمـــا الاخوة فى تونس تكلموا معنا ومع الاخوان فى ليبيـــا قلنا أهلا وسهلا ، وكان ممكن أن أطلع أنا بيان نؤيد فيه المقاومة ، انما احنا نتآمر على مين ؟ هذا الكلام طلع امبارح ، الناس اللى عايشين فى المعركة فقدوا أعصابهم ، أن من يحكم عمان هم وصفى التل وحابس المجالى • نحن هنا لا نريد أن نزايد ، نريد وقف اراقة الدماء أنا بعثت برقية للملك

حسين قيل فى دمشق أنها شديدة اللهجة ، واحنا سوف لا نذيعها لأننــا لا نريد المزايدة ، انا عندى جواب من ياسر عرفات يقول أن كل ما يهمه هو وقف اطلاق النار • الاخوان اللى راحوا سوف يحاولون مع الملك حسين تحويل الوضع العسكرى الى مدنى ، سيحاولون أيضا ايجــاد صيغة لاتفاق يضمن عدم تجدد هذه المــأساة ، مازال هناك اطلاق نار حتى على سيارات الاسعاف •• (اعداد كبيرة من الفدائيين وافقت على وقف اطلاق النــار • برقية وردت الآن (الساعة التاسعة الا ربعــا) من سفارتنا فى عمان تقول أنه منذ الصباح والقوات الأردنية تشن حملة على الفدائيين ولم تحترم وقف اطلاق النار • ننتظر الوفد الذى سافر ويتصل بياسر عرفات ثم يصل الى نتيجة أو رأى •

الملك فيصــل :

اختلفت الروايات وليس هناك شىء واضح نبنى عليه ، هل هنــاك برقيات أخرى • « قرئت برقية الملك حسين من الاذاعات » •

الرئيس عبد النــاصر :

كل الصحف أيضــا تتكلم ضد المؤتمر ، كذلك نسعى بأن توقف هذه الاذاعات • يجب تشويشها بأى طريقة بالوسائل الدبلوماسية أو بأى وسيلة أخرى • وممكن أن يسافر الؤئيس معمر القذافى والرئيس ربيع الى دمشق •

الرئيس ربيــع :

كل الدلائل تشير الى أن الحكم فى الأردن لا يزال يمارس اطــلاق النار ، واذا كان كل ما يصلنا غير صادق ، فمن يتكلم الصدق ؟

الرئيس عبد الناصر :

أنا مستعد اصدر بيان وأستريح ، ويمكن تصفقوا لى لو أصــدرت بيــانا ، وأنا مســتعد أعطى للفــدائين اذاعة أو اثنين وأذهب الى الاسكندرية ، والناس تقول أنى ثورى ونترك الناس تذبح بعض ، فى

الواقع هناك مخطط فى الأردن وهناك مساعى وهناك فدائيين ، جورج حبش أخذ مطارا وأحضر طيارات ، هل تقبل أنت •• يا سالم ربيع أن تأتى جماعة الى اليمن ويتصرفوا هذا التصرف حتى ولو كانوا صينيين ، أن السلطة فى الأردن تستطيع أن تقضى على الفدائيين ، وكذلك السلطة فى لبنان • تدخلنا لفائدة الفدائيين • الملك حسين غير مهدد ، الناس اللى بتنضرب هم الفدائيين • وهناك فدائيون يريدون أن يشعلوها وهنـــاك المجالى وهناك التل الخ •• ، السؤال •• هل احنا مستعدين نحارب فى الأردن ؟ •• لا •• أنا بصراحة : أقول لا •• السوريون ادخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها •

الرئيس ربيــع :

القبائل هنـــاك ••

الرئيس عبد النـــاصر :

•• وجهة نظرنا أعلنـــاها أنه لا يمكن أن نقبل بتصـــفية المقـــاومة الفلسطينية ، احنا سنأخذ مواقف نتيجة لـــا يجرى ، نرســـل ضباط تراقب ، الناس تموت الآن من الجوع والعطش ، ونحن نريد ٢٤ ساعة وقف اطلاق النار وبعدين نشوف •

الرئيس ربيــع :

القبـــائل متوحشـــة ••

الرئيس عبد النـــاصر :

بصراحة هذا واقع فى الجنوب فقط ، وذلك أثر اعتداء عليهم من جماعة من الفدائيين وأنا أرسلت الى الملك حسين أن الناس اللى معاك مشبوهين، احنا لـــا جينا كان هدفنا وقف اطلاق النار وما يحصل الآن هو ما تتمناه اسرائيل ، اذا كان هناك طلب من الاذاعات أن تسكت وهذا صعب فى رأيى • احنا مجهزين الضباط • انا تصلنى أخبار منتظمة مفادها أن اطلاق النار متواصل ، تصلنا أيضا برقيات • كيف نوقف هذه المجزرة ؟

رشيد كرامى :

لا يزال وقف اطلاق النار غير محترم • لكن لتسهيل مهمة اللجنة فى رأيى •• لو صدر عن هذا الاجتماع قول : بأنه اذا لم تتوصل اللجنة اليوم أو غدا أو بعد غد • كلام من هذا النوع يعنى أن المؤتمر أصبح على وشك اظهار الأمور كما هى •

الرئيس القــذافى :

ما هو الموقف الذى سوف نأخذه ؟

محمد المصــمودى :

هذا قد يكون بعد عودة الوفد •

الرئيس عبد النــاصر :

حقيقة ما هو الهــدف ؟

محمد المصمودى :

نود أن نعرف نص الكلام الذى قيل الى الوفد لكى يبلغه هناك •

الرئيس عبد النــاصر :

أنهم خططوا على أساس أنهم يقضون على المقاومة فى ثلاث ساعات ، الحق أن الملك حسين لم يطلب منى أى شىء ، لكنى قلت للفدائيين أنكم عندما تضعون الحسابات فان الأردن لديه أكثر من ٥٠٠ دبابة عندما تقول الصحف : الملك العميل ، معناه أنه سوف يضربهم وهذا الكلام لو قيل للنبى محمد لـما سكت • أقول نحن نتوسط ، هناك ناس قالوا مافيش فايده • هذا سهل • وكذلك التحريض • والنتيجة أن الواحد يذبح الثانى والأعداء يكسبون • ماذا نعمل الآن لو أصدرت بيانا الآن ؟ وأنا فى الحقيقة أرسلت له برقية شديدة ثم ذهب الوفد •

الشــبلى (الســوان) :

أن هدف المؤتمر أنه لابد من وقف اطلاق النار • وهذا ليس بسيط •

المخطط لاشك موجود • لكن المهم ألا نتوه فى مواضيع وننسى أن الناس تموت جوعا وعطشـــا •

وزير خارجية اليمن الجنوبية :

هناك دول عربية مبررها أن اجتماعا مثل هذا قد يعقد وتكون نتائجه سلبية كالمؤتمرات السابقة • ونحن جئنا والآن مرت ثلاثة أيام ، ذهبت اللجنة ثم رجعت ولم يقع شىء ثم رجعت مرة أخرى ، فما هو الجديد حتى تعود ؟ وما هى الخطوات التى اتخذت حتى تشكل ضغطا معنويا • ونحن نتكلم عن الملك لأنه هو الذى يمثل السلطة ، وكما قال أمس الأخ الباهى الأدغم هو المسؤول لأنه هو السلطة •• لذلك فان اقتراح رئيس وزراء لبنان بأن نقوم بنوع من ••

محمد المصـــمودى :

أن أعمالنا فى المؤتمر فى ظروف دقيقة للغـــاية ، وحتما لا يمكن أن نشبهه بمؤتمر سابق للملوك والرؤساء • والرئيس عبد الناصر يعطينـــا أولا بأول أخبارا وتكاد تكون جلسة عمل متوالية • قال الرئيس القذافى وربيع اذا كان حصل اقتناع بأن الملك حسين عنده مخطط للقضـــاء على الفدائيين ، وان كان هنـــاك من له مصلحة فى أن تراق الدماء ، ونشك فيما يقولونه •• وخاصة أن هناك من قال أن هذا المؤتمر مؤامرة • وربما اجتماعنا عطل المخطط ان كان هناك مخطط • وذهب الوفد الأول ثم الثانى وعلى كل حال رجعوا باخوان أعزاء علينا وهم نفسهم حريصون على حل • هذا الوفد سوف يقابل ياسر عرفات عندما يقول الأخ الرئيس ربيع كيف يمكن أن يفشل المخطط ، فعلا هنا كما قال الرئيس القذافى لازم ضمانات والحالة معقدة • نمشى خطوة بخطوة •• ثم تحرك عربى • وسعى لعمل خير عربى على ضوء المعلومات والمعطيات وعندما تكون لدينا المعلومات الـــكاملة •

الرئيس عبد النـــاصر :

البرقية التى ارسلتها يوم ٢٢ سبتمبر الساعة الواحدة والنصف ، هناك ناس يقولون أن ـ اذاعة هذه البرقيـــة يفيـــد وأنا قلت أن المهم ليس

اذاعة البرقية بل وقف اطلاق النار • موضوع المؤتمرات •• هناك ناس لا تحب المؤتمرات • امبارح طلعت نكتة فيه نظام يســارى فى اليمن الجنوبى عايز يؤمم كل حاجة وموش لاقى حاجة يؤممها ••

يجب أن نعرف أن هناك متناقضات فى العالم العربى وهناك من يريد الفتنة أن تستمر ، وهنالك اسرائيل • اذا اسرائيل دخلت لبنان لن نستطيع أن نستردها • وهذا الكلام أقوله ليسجل للتاريخ • هدفكم الأول أن تحافظوا على لبنان وتنظموا علاقاتكم بالفدائيين • يمكن اخواننا فى اليمن الجنوبى يقولوا احنا عجزنا وهم شباب ، لكن احنا تعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧ اللى ورطونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ وهذا اللى جعلنى أمس أقول أننى غير مستعد لارسال جيوش يمكن أن نصدر بيانا • اننا ننتظر غدا •

الملك فيصـــل :

لازم كل شىء ينظر فيه على أنه موجه للجميع •

الرئيس عبد النــاصر :

يمكن أن نصـــدر الليلة شىء يمكن أن نقول أن المؤتمر يوصى بضبط النفس •

الملك فيصـــل :

نوجه الكلام للجميع •

الرئيس عبد الناصر :

أن من رأيى عودة الوفد معناه أننا عايزين نشوف الأمور على الطبيعية لو كان الهدف من المؤتمر هو ادانة الملك حسين لخلصنا الموضوع فى خمسة دقائق • لكن حاليا فى اذاعة الجزائر وبغداد ودمشق أكثر من الادانة بل بيلعنوا أبوه •• يمكن أتشجب النهارده لكن لن يكون فى امكانى أن أتدخل فى الموضوع • الاتحاد السوفيتى باعتين يقولوا لى أن العملية خطيرة ، ولابد أن تجنب المنطقة ويلات التدخل فى الأردن وفى لبنــان

وسوريا • وهم منزعجون من دخول القوات السورية • أنا أقدر أطلع بيان — وبيانات •

أنا أعمل ايه لو نزل الأمريكان فى عمان • عندى قوات فى القنال لو طلعتها يهاجمونى اليهود ، أنا حابقى أحارب الأمريكان • تقدير الاتحاد السوفيتى ان أى تدخل يضر بمصلحة العرب •

الرئيس القذافى :

بعد سنة ١٩٦٧ ما عدناش نصدق الاتحاد السوفيتى •

الرئيس عبد الناصر :

احنا سنة ١٩٦٧ لم نبدأ اطلاق النار • ان أى بيان سيقطع الطريق أمام الوفد وبكره الظهر يعودوا ونقول ما هو الواقع • الصبح جبت أبو أياد والجماعة وقلت لهم عايزين أيه انتم عايزين تقولوا ان لواء الحسين استسلم وتعملوا أغانى • فى اليمن الشعبية يقولوا ان موقف الجزائر كويس لأنها عملت بيان كويس وأنا قلت للوفد روحوا السفارة بتاعتنا فى البلد وما تقعدوش فى القصر انتم فى اليمن الجنوبى عملتم بيان ضد مشروع روجرز •• ما أنتم دوختونا ؟! انتم تقدروا تعملوا ايه ؟ •• ما هى امكانيتكم ؟ ؟

الرئيس ربيع :

أنتم مسئوليتكم ••

الرئيس عبد الناصر :

أنتم بتطلعوا بيانات •• وأنا اللى أحارب ••

الملك فيصل :

تطلع بيانات : (اننا مستعدون أن نحارب الى آخر جندى مصرى) •

الرئيس عبد الناصر :

عايزين تحرروا • تعالى قدامى • واحنا موش عايزين ندخل فى مزايدات • واللى يتكلم بالحساب ، أنا عندى ٦٥٠ ألف عسكرى

وفى ديسمبر حيصبحوا ٧٥٠ ألف عسكرى •• العراق عملت ايه • ؟؟ نقصت ميزانية الجيش • هى عملية استكراد والا ايه ؟؟ اللى يحب يحارب الملك حسين يروح يحارب هذا واقعنا • العراق شتم من اسرائيل مفيش أى تعليق على كلام اسرائيل ، وانما على ما يجرى على القناة •• يا ريت نميرى ينجح ويمكن الملك حسين يستجيب •• وأنا قلت ما فى نفسى •

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر

برقيات الى الرئيس جمال عبد الناصر ، عن ضرب السفارة العربية فى وجود نميرى بها ، واتصال نميرى بالملك حسين وو قف الضرب • وقف النار لم ينجح •

الرئيس عبد الناصر :

حصل نداء فى عمان بشأن الاجتماع ، وهناك شخص أخذ الوفد من السفارة المصرية الى لقاء مع ياسر عرفات الذى قال ان أكثر من ٢٠٫٠٠٠ قتلى فى المخيمات • وأخيرا تم التوصل الى الاعلان عن وقف اطلاق النار • بعد هذا وصلتنا معلومات أن الرئيس نميرى حينزل يلف فى المدينة • وبعدين جاءتنا برقية من الفريق صادق أنه حصل ضرب ووقع اتصال ثم انحصر الضرب حول السفارة • ونميرى طلب الملك ، وسمع الملك الضرب وبعث رئيس الديوان ورئيس الأركان ومساعده ووصلوا وأوقفوا الضرب • وآخر المعلومات أن النيران حاليا تنصب على السفارة وانهم موش راجعين الليلة وأجلوا سفرهم لبكره •

وتلا الرئيس عبد الناصر البرقيات التى تلقاها ومنها برقية من السفير الساعة الخامسة : حدث حوالى الساعة الرابعة والربع ضرب مما دفع الضيوف الى الاحتماء • اتصل النميرى بالملك حتى أن الملك سمع اطلاق النار وأوقف النار على الأثر • ولم تحدث اصابات • الساعة السابعة •• (برقية من الفريق صادق) بعد أن تحادث الوفد مع المسئولين بما يفيد تأخير السفر ، حدث ضرب شديد على السفارة بقصد حملنا على السفر والتمكن من مواصلة العمليات ضد الفلسطينيين •

ثم قال الرئيس عبد الناصر •• اذا لم ننجح فى وقف اطلاق النار ما نكونش عملنا حاجة ، اللجنة راحت مرتين وشايف مفيش أمامنا ما نقوله

حتى يصل الرئيس نميرى • وهل سينجحون فى وقف اطلاق النار ، اذا لم يلتزم أى من الطرفين بوقف اطلاق النار فنحن لازم يكون لنا موقف •• جاءت برقية وقالوا ان يكون عدد من الضباط لمراقبة وقف اطلاق النار من : مصر ، السعودية ، الكويت ، تونس •• طالبين منا نبعث من الكويتيين والمصريين صباحا على اعتبار أن فيه هناك من تونس والسعودية •

الملك فيصل :

اطلاق النار جاء من أين ؟

الرئيس عبد الناصر :

كلام الفريق صادق ان اطلاق النار جاء من الجيش الأردنى •

الملك فيصل :

المراقبون لازم يكونوا من الجهتين •

أمير الكويت :

نبعث برقية للملك حسين •

الرئيس عبد الناصر :

لازم أبعث حاجة أنا شخصيا • بدأت أفقد الأمل •• الفلسطينيون ضربوا كثيرا •

محمد المصمودى :

الشىء الذى حملنا أن نبدى لكم شكرنا هو المظهر السياسى الرائع اللى جعل الكيان العربى يتحرك • وقد أذيع وقيل انه حصل أمل كبير حتى أن الأمريكيين أعلنوا أنهم غير متأهبين للدخول • لكننا الآن معلوماتنا تختلف من الناحية الموضوعية • لقد ظهر الكيان العربى ويرجع الفضل اليكم فى هذا السبب ضبط الأعصاب •• وما دام الاخوان هنالك وصلوا مع الاخوان الفدائيين فعلينا أن نواصل ضبط الأعصاب وما دام الاخوان

طلبوا منا ارسال ضباط •• طيب نرسل ضباط ليرى العالم أجمع •• ربما نبعث للملك حسين ببرقية بلهجة أشد وبدون اذاعتها وبرقية للرئيس نميرى أننا معه • ونرسل ضباط وننتظر والعالم يعرف أين نمشى وكيف نعمل •• وليس من المعقول أن نعود بدون شيء ، وهل نعطى فرصة لمن يتهمنا ويدعى أننا متآمرون •• ليقول لهم هاهم راجعون بخفى حنين وهذا غير منصف لا لنوايانا ولا لعملنا •• وانا أطالب باستمرار السعى •

الرئيس عبد الناصر :

الكلام بتاع الأخ الأمير هو الا نذيع •• نبعث برقية لحسين وبرقية للنميرى ولا نذيع أيضا ••

أحد وزراء السودان :

يبدو أن الموقف خطير وأعتقد أنه يجب أن نكون قريبين الى الحقيقة أكثر ونفوض الوفد الموجود هناك بارسال برقيات الى الملك أو الى الجهات التى يراها ، بدلا أن نبعث نحن مباشرة ولا نذيعها وأرى أن نسرع بارسال مراقبين •

الرئيس عبد الناصر :

رايحين غدا الساعة التاسعة •

السودان :

المسائل تتطور بسرعة يمكن موش حيعملوا حاجة •

الرئيس عبد الناصر :

حسب ما أعلم النميرى اتصل بالملك حسين •

المصمودى :

نبعث برقية للملك حسين ونفوض الوفد •

الرئيس عبد الناصر :

القضية أكثر من وقف اطلاق النار فى الحقيقة ، لكننا نركز على الناحية الانسانية •

الرئيس فرنجيه :

نبعث برقية •

الرئيس القذافى :

نبعث •

الملك فيصل :

أنا ما عندى مانع ، ونحدد أننا عندنا معلومات أن وقف اطلاق النـــار لم يحترم •

الرئيس عبد الناصر :

نبعث للنميرى أيضـــا •

الملك فيصل :

بالنسبة لهيئة الاغاثة أنا تأتينى برقيات •

الرئيس عبد الناصر :

جاءنى بعد الظهر أن الصليب الأحمـــر موجود فى اسرائيل وانتقـــل الى الأردن • ونحن مستعدين نعطى بضائع بمليون جنيه مواد وأدوية وطائراتنا تعمل مجانا ، هذا ما أضعه تحت تصرف الملك فيصل •

الملك فيصل :

الجميع مستعدون وقد انقضى ثلاثة أيام وأنا مسافر وتشكل اللجنة وتبقى •

محمد المصمودى :

فى هذه المدة القصيرة ركزنا جهودنا على وقف اطلاق النار .

الملك فيصل :

ما دام هذا كلامكم لماذا عينتونى مسئولا عن اللجنة .

الرئيس القذافى :

عينا وزير الصحة عضوا فى اللجنة .

محمد المصمودى :

هل من العملى ارسال غدا ما يمكن تجميعه وتكون هى أول بادرة .

الرئيس عبد الناصر :

عندى .. ممكن أنقل ١٥٠ طن بضاعة .

الملك فيصل :

جاءتنى برقية من الملك حسين يطلب موعدا .

القذافى :

والله ملك مجنون وهذه أبسط كلمة تطلق عليه أبسط شىء أن يؤخذ لمستشفى الأمراض العقلية .

الرئيس عبد الناصر :

الموضوع عايز لجنة طبية تفحصنا جميعا وتشوف مين المجنون .. وأول واحد تشوفه القذافى .

الملك فيصل :

مستعد أقدم نفسى خليهم يعطونى شهادة وأستريح .

الرئيس القذافى :

فيه أعراض .

الرئيس عبد الناصر :

ونجيب أحمد حسن البكر .. نعين اللجنة ..

الملك فيصل :

لازم تنبثق من لجنة الاغاثة .. لجنة فرعية تسافر الى الأردن .

أنور الســادات :

ممكن تكون لجنة من السفراء العرب هناك .

الرئيس عبد الناصر :

ينتظر وصول النميرى الليلة الساعة العاشرة .

الرئيس القذافى :

نجتمع أثر مجيئه .

الرئيس عبد الناصر :

لجنة الاغاثة تجتمع بكره .

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ بعد عودة الوفد من عمــان

« تقرير الرئيس نميرى ، أن التفاهم مع الملك حسين مستحيل . وأن الموقف ليس فى يده . وأن محــاولات وقف النار فشــلت . القذافى مصمم على تحريك جيوش عربيــة لتحارب أمريكا ويقــول ان هناك

متطوعين من أمريكا سينضمون للجيوش العربيــة •• عبد النــاصر يرفض هذه المزايدات • قال : لن أحرك جيوش •• ومن عنده جنود يحركها •• فليتقدم •• أما أنا •• فلا •

الرئيس عبد الناصر :

نشكر الرئيس النميرى والاخوان على المشقة التى تحملوها •

الرئيس نمــيرى :

هذا واجب •• أود أن أسرد على مسامعكم ما قمنا به من أعمال وما وصلنا اليه من نتائج وما نوصى به من اقتراحات وبعد ذلك سيقوم الاخوان أعضاء الوفد بالحديث عن انطباعاتهم • (ثم تلا البيان الذى أذاعه فى المؤتمر الصحفى) •

ياسر عرفات :

العملية ليست عملية فدائية • والمجزرة الآن لا شىء يمكن أن يبررها الا أنه انتقام صهيونى استعمارى خطط لكل هذا الشعب ليضرب ضربة كبيرة •

المذبحة الفعلية بدأت يوم ١٦ سبتمبر • لكن ظهرت بوادرها فى ٢٦ أغسطس • وبعثت فى حينها للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل يمكن قبل الحوادث بيومين • كنت أصرخ وأقول هذه كربلاء الشعب الفلسطينى • اننا معرضون لاعتداء على اعراضنا •• نحن عندنا مناطق وقبائل نصرف عليها علاج ودواء وتعليم وزراعة • هذه القبائل ، قامت على كل من هو فلسطينى واستباحوا دمه • عندى احصائيه أن الشيكات زادت ٨٥٠ ألف دينار فى شهر واحد (شهر أغسطس) وهى رشاوى لما قام به هؤلاء المشايخ من مجازر •

فيصــل :

الشيكات من أين ؟

عرفات :

من مصادر مختلفة وسعر الدينار مرتفع • أنا أقول أرقام • يمكن تسألوا بيوت المال فى بيروت فى الشمال قاموا بعملية على ١١ قاعدة من قواعدنا • ونحن نعيش فى الكهوف • وهى قواعد عسكرية عبارة عن نقاط نتخذها مراكز •

فى يوم واحد ٦٦ قاعدة هوجمت بواسطة اللواء المدرع ٤٠ ولكن استطعنا رغم فداحة المأساة أن نغط الطرف • وأن نطلع أول اتفاقية بيننا وبينهم • من نهار كنا مجتمعين مع أعضاء اللجنة المركزية وأصيب هذا الاجتماع بـ ٨٦ قذيفة • ومع ذلك عاودنا الاتصال عندما جاءت اللجنة الخماسية (يقول الملك رئيس الوزراء وقع الاتفاقية وهو مستقيل والحقيقة أنه تم الاتصال بالملك حينذاك وحصل رئيس الوزراء على موافقته • ثم يقول الملك ان الاتفاقية وقعت بدون موافقته • ثم بدأت حوادث الزرقاء كلما تكون هناك بادرة خير تبدأ حوادث التخريب • حاولت واتصلت برئيس الوزراء وبرئيس الأركان (مشهور حديثه) مش موجود • وبعد ذلك علمنا أن حكومة جديدة شكلت • واتصل بى أخ من اللجنة وقال لى انه اتصل بهم • فقلت هؤلاء يطلبون منا تسليم السلاح وأنا لا أستطيع أن أحكم على نفسى بالاعدام • أفضل أن يقتل الفدائى وسلاحه بيده • وقد قيل لنا هذه أوامر الملك • واتصلنا بنائب رئيس الوزراء لتلافى المذبحة • شاهدت شخصيا مذابح ومجازر كثيرة من قبل لكن لا أعتقد أن ما يحدث فى عمان حدث من قبل • فهناك ثلاث ألوية مدرعات وأربع ألوية مشاة أحضرهم من الجبهة • وبقى على الجبهة سرية واحدة أى ١٢٠ جنديا فقط • اتصلت ثانية فلم أجد نائب رئيس الوزراء ولا مدير العمليات ولا نائبه الذى قيل لى انه يصلى • ولم أستطع الاتصال بالملك ولا بزيد شاكر • وبدأت المذبحة فى عمان • أول يوم كان بينى وبين الدروع تقريبا ٢٠ متر تعاملنا معها يوما كاملا حتى استطعنا أن نشق طريقنا لكن كيف نتعامل مع المدفعية • الكتيبة السادسة كانت ولا زالت تدل عمان بمدفعية الدبابات • أما الرشاشات الثمانمائة فغير محسوبة • وهذه أول مرة تظهر فيها هذه الرشاشات • اذ كان الملك يطلب منى أن أحمى مصنع الأسمنت (والسلط) وبعض مواقع بالسلاح القليل الذى أحشده ، خلينا نقول هؤلاء الفدائيين مجرمين خونة • ولكن ما ذنب مخيم الوحدات ؟ لم أستطع أن أمشى أكثر من مائة متر ، لأن روائح الجثث

فى الشوارع وتحت الأنقاض مافيش حد يدفنها • حبيت ندفنها قالوا لى حرام • ما فيش ماء فى الاحياء الشعبية اطلاقا • حتى سـمعت أن السفارات ما فيهاش ماء أيضا • أكل ما فيش حتى الأدوية لم تصل الى مستشفياتنا اطلاقا • اليوم دكوا مستشفى الأشرفية واستطاع شبابنا أن يعطلوا الدبابات ثم لجأوا الى حيلة • وضعوا أطفالا فوق الدبابات واقتحموا المستشفى وأخذوا الأطباء والمرضات • وأنا أعرف أين ستبيت المرضات الليلة • لأن عمان استبيحت كما تستباح المدن فى القرون الوسطى • دكوا مخيم الحسينى ولا زالوا يدكون • أنا مضطر أن أقدم غدا شكوى الى مجلس الأمن بابادة جنسية • والعملية فوق ان الفدائيين انحرفوا • وهذه السلطة لا تشعر بأنها من هذا الشعب • وأمس كنت فى بيت انفجرت فيه قذيفة • وفى البيت امرأة تقول لى اياك أن تصالحه لقد صالحته ثلاث مرات • أنا أعتقد أننا مقبلون على مذبحة غدا • فى اربد اليوم حى المصاروة الحرائق مشتعلة •• طبعا فيـه تناقض •• يقول انا أسمح بالتجول وهو مسيطر على هذه الأماكن ويرسل بعثة للصليب الأحمر ويذيع مطالبا بوقف اطلاق النار • لن يعطونا لا هدنة ولا شيء • المخطط ماشى • وفيه اصرار عليه • يجب أن يشعر أن هناك حماية عربية لهذا الشعب • أريد أن أسأل نفسى •• ماذا فعلنا لهذا الشعب منذ سنة ٤٨ • أنا أذكر كلمة للرئيس عبد الناصر أنه لم يكن يتوقع أن يصمد •• وها هو صمد • ومن حقه أن يسـأل قادة العرب ما ذنبه ؟ هلنخون •• نروح نتفق مع أمريكا ونأخذ حماية منها • نروح نتفق مع اسرائيل نخونكم (وهنا بكى ياسر عرفات) •

القذافى :

الصورة واضحة أمامكم •• اننى أريد أن أتحرر •

عبد الناصر :

أود أن نسمع من الأخ الباهى الأدغم • اذا كان هناك لا أمل فى وقف اطلاق النار •• الاخوان اللى حضروا نحب نسمع منهم • قال الأخ نميرى انكم طبعا كلكم متفقين •

الباهى الأدغم :

باختصار رحنا الى عمان للنظر فى حل يضع حدا للقتال بدون سابق

تحيز • فاتصلنا بالملك وبحثنا معطيات القضية من جميع نواحيها وتحادثنا ساعات • وخلاصة الأمر فى خصوص وضع حد للقتال بوقف اطـلاق النار فهو يقول هذا صعب بل مستحيل ، لأن الفدائيين لا يريدون وقف اطلاق النار ، فهنالك نهب ولا بد من مواصلة الأعمال • قلنا طيب •• فيه حالة هيجان • يمكن يكون هنالك عمليات بوليسية • فى المرة الأولى ، بقينا فى ضيافة الملك لكن علمنا من جهات أخرى أن اطلاق النـار تقوم به القوات المسلحة ورأينا أن هنالك عمليات مخططة منطقة بعة منطقة هناك قتلى بالآلاف والجرحى بالآلاف • قلنا ذلك للملك • فلم يعتذر بل قال انه لم تتم العملية بعد • فقلنا طيب لا بد من حد أدنى من ظروف الحياة خاصة وان ٣ مستشفيات ضربت واستنتجنا أن العمليات عمليات حربية تجاوزت بكثير الأهداف التى قامت من أجلها خاصة فى عمان الملك وأخوه لا يخرجان من القصر و ٤ أو ٥ أشخاص يخرجون ويدخلون وكل شىء فى يد هؤلاء ولم تبق هنالك دولة • فحاولت أن أتحدث معه على الأقل من حيث أن الافراط مضر •• هذه ليست عملية ابادة فى مدينة آهلة بالسكان • ردِ الفعل موش طبيعى ولا يوجد من نحاسبه • واحد يقول لى أنا عسكرى • وواحد يقول لى أنا لا أعمل سياسة • لم نجد مجالا للحديث • عملية قمع قصيرةِ النظر • أخ الملك يحضر الاجتماعات وهو يقول لى انه ينصح أخوه • ومصير الشعب بيد أخوه الذى يقول لو لزم محو عمان فسوف تمحى • فبقية الأردن تكفى •

فى الساعة الخامسة صباحا رأينا قصفا • فسألت الضابط فقال هذه مدافع • ثم رأينا النار تشتعل وهى ذخيرة بالفسفور ممنوعة دوليا • والضرب فى منطقة جبل حسين وهى آهلة بالسكان وهذا بعد التصريح بوقف اطلاق النار • وأنا شخصيا سمعت عويل النساء • هذه ليست عملية اشتباك مع الفدائيين بل هنالك مخطط يشمل عمان • وقد قلنا هذا للملك • واليوم رأينا ٣ مناطق تشتعل ونحن هنالك • والمعارك مستمرة وهو يقول ليس هنالك شيئا • ولما وصلنا هذه المرة •• أول ما وصلنا على بعد مائة متر قصف فى المطار مدة ساعة والمطار طافىء • هذا لا يهمنا بأن الفدائيين ما زالوا يسيطرون على المنطقة ثم أدخلونا فى المصفحات • وحال وصولنا الى القصر أعطينا شظايا باردة ولا علاقة لها بالقصف لا يهمنا بأن مناطق كاملة اشتعلت بدون ذنب • عندما كنا فى السـفارة أطلق علينا النار ولم نكن فدائيين • على ما نعلم هنالك تصرفات ربمـا

الملك برىء منها لكنها غريبة • هنالك أشياء لم نعرف مثلها فى التاريخ • لقد اتفقنا على ايقاف النار ثلاث مرات • ولم ينفذ شىء • هنالك حالة جنونية • ونصل الآن الى الموقف ، وننتظر غدا ونبعث بالفعل الملاحظين لادخال وقف اطلاق النار حيز التطبيق فاذا تعذر هذا ندرس •

رشاد فرعون :

لذلك نبعث لجنة ما دام الملك موافق عليها •

حسـين الشـافعى :

كنت باتصور ان ايقاف القتال والاغاثة موضوع ممكن • لكن وجدنا ان لا ايقاف القتال ولا اغاثة ممكنة فى هذه الظروف • والناس الذين يحكمون عمان غير أمناء على الشعب الفلسطينى • ولو كان هنالك أى استعمار من أى نوع ماكانش يتصرف بهذا النوع • لما رأينا الأخ ياسر عرفات الصبح وهو فى حالة الضياع • الحقيقة ان هذا الوضع يتجاوز أى لجنة • فاذا كنا نحن على هذا المستوى وعمل فينا هـذا الشىء •• فكيف يكون مصير لجنة • ثم الاجابات ما فيهاش احترام • عندما نسأل عن الضرب يكون الجواب هذا تفجير الغام • لذلك مافيش حـلول •

ياسر عرفـات :

جبل الأشرفية بالليل فى الفجر الساعة ٤ر٣٠ ضرب يدك عمان بلا رحمة ولا هوادة حتى حوالى الساعة ٧ر٣٠ ــ ٨ أنا من التعب غفيت وما صحوت الا على صوت الله أكبر وهو منبثق من الاحياء الشعبية • والناس متجهة نحو الجيش خارج عمان يقولون الله أكبر على الظالم الناس لم تجـد ما تقوله لأن الرشاشات بدأت تحصد •

فاروق أبو عيسى :

ما يجرى فى عمان عملية ابادة رجالا ونساء وأطفالا • المناطق التى تحترق هى فقط التى يسكنها الفلسطينيون والمخيمات •

عــرفات :

حى الطفايلة لم يطلق عليه النار بينما أصيب ما حوله ودخل سوريا ٧٤٫٠٠٠ مواطن •

فاروق أبو عيسى :

١ ــ أريد أن أسجل ما تعرضت له السفارة المصرية اليوم • حتى ان أحد الجماعة اللى بعثهم الملك اتصل بغرفة العمليات وقال لهم هـذا موش معقول لأننا احنا موجودين • جاء الاخوان السودانيين • قالوا ان ما جرى لم يشاهدوا مثله عندما كانوا فى الكنغو •

٢ ــ ان العملية عملية ابادة وليست عملية عسكرية •

٣ ــ العملية بدأت منذ يوم الخميس وبدأت منذ الأول بالمدفعيــة الثقيلة • ان الجيش كان من شهور يعبأ بكراهية ضد الفلسطنيين •

عندما أمر الرئيس نميرى انهم يرجعــوا وكانوا يلبسون لباســا عسكريا وفى سيارة عسكرية أردنية •• ضربوا علينا •

سجلنا النداء والضرب مستمر وقلنا لازم نفكر كويس • فكيف نرسل لجنة فى هذه الظروف فهذه اللجنة كان تشكيلها مرتبط بعملية وقف اطلاق النـــــار •

البــــاهى الأدغم :

أحب أن أقول ان مجىء الأخ ياسر لم يتم بموافقة الملك •

عبد النــــاصر :

عندى اقتراح نحن عقدنا المؤتمر بدعوة من الاخوان فى تونس • وفى الأيام اللى فاتت كان هدفنا وقف اطلاق النار وهى عملية انسانية • كل هذا يبين انه ليس هنالك فائدة • وأنا حدثت معى عدة مراوغات • وانما كنت فاكر ان الأخ النميرى يتكلم معه على أساس عمل حكومة وطنيــة •

النميرى :

قابلنى ٤ مرات وفى كل مرة أقول له يناشدك أبو عمار الا تقع فى مستنقع دم •

عبد الناصر :

قلت له فى الأسكندرية ازاى تقيم بلدا على القتلى • وأنتم عارفين مين الموجودين حاليا فى عمان اقترح ان الأخ نميرى والاخوان اللى كانوا معاه ، يعملوا لنا التقرير كامل • وبكره الأخ نميرى يقدم لنا التقرير ويعقد أثر ذلك مؤتمرا صحفيا ثم نناشد القادة العرب ألا يقبلوا هذا الوضع • وانى موافق على أن يذيع الأخ نميرى تقريره •

القذافى :

هذا التقرير شىء لكن ما العمل •• فيه عملية جنونية •• ماذا نعمل ؟

النميرى :

ننشر البيان ونعلنه للعالم كله •

عبد الناصر :

يعلم الملك انه لن يستطيع أن ينفعنا بعد هذا •

القذافى :

وبعد ماذا •• نفعل ؟

عبد الناصر :

انتظر حتى نخلص من هذه النقطة • الكلام اللى قلتوه هنا يقال للعالم • ويحضر المؤتمر الصحفى الاخوان أعضاء الوفد • اذا اقرينا هذا • يبقى نفكر •• ماذا نعمل • فاذا اتفقنا عملنا • فاذا لم نتفق كل واحد يعمل على كيفه • ماذا تقترح يا أبو عمار ؟

عرفـــات :

أنا متهم انى معتدل وقرأت هذا الكلام فى الصحف الأجنبية قبــل ما اسمعه فى الصحف العربية • وأنا لم أعاد الملك حسين وليس بينى وبين هذا النظام فى الأردن عقد • وأربع مرات وهذه الخامسة وهو يذبحنا • وكل مرة آخذ على عاتقى مسئولية التفــاهم معه رغم كل المزايدات • أما هذه المرة فانى اعتبر نفسى مفرط فى حق هذا الشعب • فأما ان أخونه أو أجد له منفذا • وأنا فى حل أن ألجأ ولو الى الشيطان • غدا ستسمعون صيحات اللى يذبحوهم فى اربد •• أناشــدكم أنتم مسؤولون عن الأمة • هذا الرجل غرق فى الدم • اذا تراجع فهو قد أدين • انه لا يستطيع أن يتراجع • هؤلاء لن يتراجعوا • ســوف يكملون المذبحة • هذا الرجل الدموى لا يوقفه بيان • أنا سأوقع مع الشرق والغرب • أورط المنطقة العربية • ولا أفنى شعبى •

هنالك استفزاز • هذا الوفد لم يبعث لاجراء تحقيق صحفى • وقــد ظهر الحق ولكنه لم يستمع لا للبرقيات ولا للوفود ولا للمؤتمر غايتــه السعى للخير وبعثنا الوفد • ان هذا الشخص أدان الأمة ولم يحترم المؤتمر واستفزه • فما دمنا مؤمنين بذلك يفكر الرؤساء الليلة ويتخذون الترتيبات التى ينبغى اتخاذها •

عبد النــاصر :

الحقيقة هنالك شقين • الشق الأول الاعلان عن التقرير الشق الثانى ماذا نعمل لايقاف ما يجرى هذا هو الموضوع الثانى •

القـــذافى :

واضح أن الأمة العربية يجب أن تقاتل الى جانب الشعب الفلسطينى وبدخل من يدخل • ولو دخلت أمريكا فماذا ستفعل أمريكا ؟ أمريكا دولة متحضرة ليست مثل هذا الجيش الوسخ • أنا متأكد أن أمريكا فيهــا ناس متطوعين حيقاتلوا معنا •

عبد النــاصر :

الاخوان السوريون دخلوا وقالوا انهم لم يتقدموا جنوب أربد • قلنا هل حسبتم حساب اسرائيل وأمريكا قالوا لا •

أنا لا أريد أن أخدع أحدا ٠ قيل اليوم أن السوريين خرجوا لأننا ضغطنا عليهم ٠ عندنا تفاصيل كاملة على ما حصل ٠٠ قلت للأتاسى ٠٠ عندكم حسبما بلغونا الأمريكان ٣٠٠ دبابة ٠ فقال فعلا كذلك ٠ كلامى للأخ معمر ٠٠ بالنسبة للتدخل العسكرى لازم يكون محسوب ٠٠

الباهى الأدغم :

اذا حصل تدخل حاليا فان سلوك الملك حسين نفسه غير معروف ٠

عرفات :

اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا ٠

عبد الناصر :

نسأل ياسر ماذا يطلب منا ٠

النميرى :

سمعتم هذا التقرير تجروا عليه دراسة ٠ اذا كان واحد يبعث لواء مدرع يكون المجموع ٦ وهم عندهم ٢٠ ٠

القذافى :

نقرر قطع علاقاتنا ٠ اللى ما يقطع معنا يعتبر مشارك فى الجريمة ٠

عبد الناصر :

الموقف يتطلب ألا نتكلم بنرفزة ٠

من الناحية العسكرية أنا لا أستطيع أن أحرك أى عسكرى ٠ اللى عنده الوية يبعث بها ٠ أنا لا أستطيع أن أحرك عساكر ٠ اذا وصلنا الى حاجة ٠ ان الأخ ياسر يخرج جماعته من أربد ثم يعيد بناء الجيش الفلسطينى ٠ احسبوا أنتم ايه القوات اللى ممكن تبعثوها ٠

القذافى :

اننا لم نعد نجد فلسطينيين لنعطيهم سلاحا ٠

عبد النـــاصر :

زى ما أنتم شايفين المعلومات التى لدينا ان اسرائيل تستعد لضربنا • لقد دخلنا الحرب فى سنة ٦٧ علشان سوريا موش علشان مصر • عندنا قتلى ١٩ ألف و ٥٠٠ ضابط وجندى • لا نستطيع أن نقامر ونخـــلى اسرائيل تقوم بعملية عبور •

عـــرفات :

نرسل برقية شديدة اللهجة للملك نخليه يفكر •

عبد النـــاصر :

أنا مشيت معاه حتى لا يعمل صلح مع اسرائيل • لكن مستعد أقطـــع علاقاتى أنا مليش صالح معاه • الذى يحكم الآن هو وصفى التـــل • قطع العلاقات بالنسبة الينا أسهل شىء • لكن عن طريق سفارتنا نكون مطلعين • كذلك عندنا مكاتب فى أنحاء مختلفة •

البـــاهى الأدغم :

أنا أخذت معاى القائم بالأعمال وأعضاء السفارة • فى هذه الحـــالة لا يمكن ابقاء أحد لكن هذا لا يعنى أن نغلق السفارات •

عبد النـــاصر :

اسرائيل مركزة الآن ••

عـــرفات :

أنا شايف الأوضاع فى الأردن بشكل آخر • الغارق فى العملية ليس فقط الملك •

الفـــريق صـــادق :

العسكرى يقيم ويضع العلاج الناجح • فالملك حسين موش حيخلص على عمان ويقتصر بل سوف يستمر • لازم التقييم العسكرى الســـليم لقدرة الفـــدائيين •

البـــاهى الأدغم :

الصعوبة الأولى تأتى فى شروط المراقبة فيها خلافات • فاذا رأينـــا أن هنالك صعوبات فلا فائدة • وأنا رأيى أن يمشى ضـــابط أو اثنين يجس النبض •

عبد النـــاصر :

اذا كنا حنقطع العلاقات نرسل ضابط ليـــه ؟

الفريق صـــادق :

الملك حسين مصمم على خطته وموش عاوز ينحرف عن كل ما يعمله • خطته من الآن تضليل ثم ادخال فى دوامة أضاليل • أنا وجهة نظـــرى كالآتى •• وضعى دقيق يحتاج الى اعادة تقييم •• لازم تخلونا لبكرة ندرس على الأقل •

عبد النـــاصر :

المؤتمر الساعة ١٢ صباحا •

• • • • • • • •

اجتماع الملوك والرؤساء يوم السبت ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠

« تقرر قبول حضور الملك حسين الى المؤتمـــر قال القذافى لو حضر حســـين سأنسحب من المؤتمر •• ثم تراجع • مشادة بين الملك فيصل والقذافى والباهى الأدغم » •

الرئيس عبد النـــاصر :

الساعة ٥٥ر١١ وصلت هذه البرقية من الملك حسين • كان ســـلمها للسفارة عندنا الساعة ١٠ (يقرأ نص البرقية) •

وطلب منا على أثر ذلك أن يؤجل المؤتمر الصحفى وهو يقول :

ان الحالة هادئة الا من أصوات طلقات فردية • وانه فى الساعة ١٢ وقف اطلاق النار سينفذ تماما • وقد بدأت قوافل الصليب الأحمر القيام بواجبها • ثم تلقينا انه حتى الساعة ٢ كان القذف مستمرا بالأشرقية وحالة الجرحى سيئة لم يعد الأطباء والمرضات حتى الآن • الموقف سيىء •

وجاءت برقية أثر مؤتمر الرئيس النميرى وهى رسالة صوت اللجنة المركزية الى النميرى « اكتشافكم جاء متأخرا » • ماذا ستفعلون الآن وهل تريدون حقا أن تفعلوا شيئا • اذا كانت هناك فرصة ؟

عرفــات :

جريمة حدثت فى الأردن فعلا • هذا الملك حاربنــا بالدبابات التى اشتريت من دم الأمة العربية هذا الشعب يطالبنا هل نسمح لفئة من الناس أن تذبحنا ، بأموالكم وباسم الجامعة والاخوة ثم يقول أنهــا فتنة عليه • قال علينا اننا مجرمون خونة مرتبطون باسرائيل • لدى المقاومة اثباتات أنه يجتمع مع اسرائيل وهذا موسى العلمى عنده اثباتات أن ذلك فى لنــدن • حتى مستشفانا الوحيد ضرب واحتل • يعنى نصف مليون شخص وما عندنا مستشفى كان فى الوفد عسكريين يقدروا لكم كم طنا من المفرقعات نزلت علينا • احنا قادرين نخوض حرب عصابات • وامبارح نسفنا محطات البنزين • أنا أعرف لأى شىء ضرب الأشرقية لأنه مركز قيادتى • وعندما بدأ ضربها ربما كان يتصور اننى ما زلت هناك • شفتم الحالة مافيش ماء ولا أكل ولا كهرباء •

لازلت أعتقد ان وقف اطلاق النار هو المهم • النهارده الســاعة السابعة الا عشرة اتصل بى الملك حسين وقال لى أن الحالة أهدأ وأن تصريحات الرئيس النميرى سيكون لها صدى كبير • فقلت له ان هــذا الكلام موش كلام النميرى وما نطلبه هو وقف اطلاق النار • وكان معاى الأخ أمير الكويت • فأجابنى بأن التحريض مستمر • فقــلت له لازم تبذل المستحيل بنفسك لوقف اطلاق النار وقلت له أنتم ضربتم مستشفى الأشرقية •• ليه تضربوا الأشرقية •• فقال سأعمل المستحيل لوقف اطلاق النار وقال انه مستعد للحضور الى القاهرة ورأيى هو

الآتى : أنا أرسلت البرقيات التى كلفتونى بها •• والمؤتمر كان نوعا من وثيقة اتهام • ثم يقول انه يحب أن يجىء وانه يمكن أن نصل الى اتفاق غير الاتفاق اللى حصل مع أبو اياد •

ان هدفنا هو ايقاف القتال والا سيزيد القتلى • وهمنا أن نجنب الأردن مثل هذه النتيجة • وأنا فى كلامى مع الملك حسين أردت أن نعطى فرصة للملك حسين • نحن لحد الآن لم نضرب ببشاعة •• لكن صدقونى نستطيع أن نحول هذه الدولة الى خراب • أول مرة وقفنا اطلاق النار وثانى مرة وثالث مرة بلا نتيجة • أنا أريد أن يقف الشعب العربى الى جانب هذا الشعب الذى ظلم وكلمة ظلم لا تكفى •

الرئيس عبد الناصر :

عندنا عدة اختيارات • ممكن نقول للملك حسين انه مايجيش لكن اذا جاء أحسن •

ربيع :

لقد توصلنا الى اقتناع بأن الملك حسين عنده اصرار مسبق على القضاء على المقاومة الفلسطينية وهذا معناه أنه مسئول مسئولية مباشرة عن ابادة الشعب الفلسطينى •

السودان :

كل الحاضرين مقتنعين بأن الملك حسين يرتكب جريمة ابادة المقاومة الفلسطينية وقد قمنا باطلاع الرأى العام العربى والدولى • والآن السؤال •• ماذا نستطيع أن نقدم للشعب الفلسطينى ؟

السيد الباهى الأدغم :

فيما يخص الملك حسين يمكن دعوته • لقد تحملنا البقاء تحت الرصاص وكان أصناف سوء المعاملة فضلا عما تقتضيه الكرامة وصلة الرحم • هناك أيضا مقتضيات المصلحة العليا وتقديم الأهم على المهم • هذه سياستنا نحن أمام خطرين :

أولا : أن يأتى الملك حسين يحكى لنا الحكاية ونحن مستعدون لدحض كلامه اذا اقتضى الحال نظرا لمشاهدتنا مشاهدة عيان • الخطر هـو بعد حضوره يرجع لعمان ويتصرف نفس التصرفات ولكن وجوده يمكن من اقناع غير المقتنعين •

ثانيا : أن يرفض القـدوم •

أكبادنا تتمزق وقد قلنا لهم انكم تقومون بعمليات محق بالنيابة عن اسرائيل قلناه ومستعدون لاعادته ونتخذ مسئولياتنا واذا تمكنا من استدراجه الى خطة يكون كسبا بالنسبة لاخواننا • ولكن لازم يدفع الثمن ثمن الدماء • نحن لا ندخل فى مغامرات ، هو أطلق علينا الرصاص وأنا مستعد لمصافحته ، نحن لم نوجه اليه دعوة • نحن نترك له خط الرجعة ، نتسامح اذا جاء وننظر ما هى الأسباب التى جعلت اتفـاق وقف اطلاق النار غير صالح للتطبيق ؟

نحن نسعى الى توفير أسباب النجاح ووضوح الرؤية ؛ لأن البشر يعيش حالات جنونيــة •

شخصيا أؤيد اقتراح سيادة الرئيس عبد الناصر •

النمــيرى :

الملك حسين عفا الله عنه •• أنا أوافق على قبول الملك حسين مع حضور رجال المقاومة ولكن يجب أن أطلب منه يرجع قواته للخـلف ، يسحب المدفعية والدبابات للثكنات وقد قلت فى المؤتمر الصـحفى أنا ما ادعاه ان القصر ضرب ليس صحيحا لقد جاء بوحـدات تضرب لايهامنا لكنه نسى اننا عساكر ونفرق •

عبد النـاصر :

قلت له فى البرقية ان الكلام اللى جاء فى الندوة الصحفية ليس كلام النميرى فقط بل هو تقرير اللجنة •

النمــيرى :

لقد جاء بولية تبكى فى القصر تدعى أن أولادها خمسة قتلوا سألناها عن عمر أبنائها قالت ابنى عمره ٣٠ سنة وهى عمرها ٣٨ سنة •

الباهى الأدغم :

بمجرد ما خاطبناه بالتليفـــون عن موضـــوع المستشفى أجـــابونا بالرصـــاص ..

النمـــيرى :

أهم شىء اذا جاء الملك حسين عليه أن يوافق على تقديم المســاعدة فى صورة وقف اطلاق النار . والا فعلينا أن نقدم الذخيرة للمقاومة ونبدأ حرب عصـــابات .

وزير خارجية السودان :

من الناحية المبدئية حضور الملك حسين خطأ خاصة بعد زيارة اللجنة للأردن . حضوره يعنى التشكيك فى الوفد وفيما صادق عليه الوفد . حضوره لا فائدة منه لأحد خاصة بالنسبة للشعب الفلســطينى الذى يقتل . لكن من الناحية العملية حضوره يجب أن يقتصر على الجلوس فى غرفة مع المسئولين عن المقاومة للوصول الى حل . اقترح لذلك أن بطلب اليه الحضور لتنفيذ وقف اطلاق النار . لكن قبل أن يرفع المؤتمر يجب كمـــا اقترح الرئيس النميرى اقـــرار كل المســـاعدات للشعب الفلســـطينى .

حســـين الشافعى :

ملاحظاتنا ادتنا الى القول ان الملك لم يكن يتصور ان الصور حينما تنقل للملوك والرؤساء ستؤدى الى المؤتمر الصحفى طالما أن الهـــدف الأساسى هو ايقاف اطلاق النار . فاذا كان ثمة طرف متغيب طالما أن الهدف الأساسى هو وقف اطلاق النار فان وجود الطرفين سليم للتأكد من مراقبة العملية . سمعنا أن الملك وافق على وقف الاطلاق وان بعض الضباط يرفضون هذه العملية .. وهذا خلق نوعا من الاثارة داخـــل صفوف الجيش .. لدرجة انها تخلى الملك لا يملك كافة الوســـائل .. فيه فئات من الجيش لا تنفذ أوامر الملك ، هذه الأشياء تجعل قدوم الملك مرغوبا . ان تقرير اللجنة ليس مجالا للنقاش فقد شاهدنا كل ما قلنـــا .

محمــد المصــمودى :

تونس عندما قدمت الاقتراح كانت أول ما فكرت فيه احضار ياسر عرفات والحسين • أنا أعتقد أن الوفدين تعرضا للتجريح ، ولا أعتقـد ان هنالك جدال فيما جاء فى تقرير الوفدين • ونحن لا نقبل أن ينـاقش الحسين ما جاء فى التقرير والسؤال هو لو استجاب حسين لدعوتنـا من اليوم الأول هل كنا نقبله أم لا •

انى أوافق الأخ فاروق فى عدم امكانية فتح نقاش بين الرئيس النميرى والحسين • تحرك الحسين اعتراف بالضغط المسلط عليه • عندما يأتى تقرر الاجراء • الحضور أو المحادثة على مستوى ثانى •• عندما يأتى هنا جو الضغط •• واذا كان بمجيئه يكون وقف اطلاق النار وتحسين الاتفاق المبرم مع الفدائيين لا أعتقد أن قدومه يكون مرارة فى الرأى العام قد يكون ذلك اذا ما فشلنا • ان قدومه اكبار للوفد •

فاروق أبو عيسى :

انى أعتقد أن حضور الحسين يكون لطاولة عمل لتنفيذ ما يقـرره المؤتمر بشأن وقف اطلاق النـار •

الشــافعى :

المؤتمر وصل فعلا الى وسائل ضغط •

رشيد كرامى :

هناك اجماع حول الهدف : وقف اطلاق النار • من أجل الوصول لذلك ، أرى ان اجتماع حسين بعرفات بحضور ناصر وفيصـل ومن يشاء •• سيكون مفيدا •• وسيتم ما يرضى ضمائرنا •

فيصـل :

انى أوكل الأخ عبد النـاصر :

عبد النـاصر :

وأنا أوكل الأخ معمر •• كنت فى مرسى مطروح هروبا من الأسكندرية

٩ أيام وكان بإستطاعتى أن أصدر بيانات وأقول أضع كافة امكانياتى وأروح استريح •

فيصــل :

حل المشكلة ايش السبيل للوصول الى الهدف هذا هو المهم ••

عبد النــاصر :

هدفى هو وقف اطلاق النار ثم تنفيذ الاتفاقية ــ الحسين قلنا له تفضل وفى استطاعتى أن أبرق له بعدم الحضور • هل يرى الاخوان الفدائيين فائدة فى حضــوره ؟ •• اذا كانوا لا يرون فاننى أبرق له معتذرا •

أبو عمــار :

فى خلافاتنا السابقة كنا نحاول أن نبعد الملك حسين • كنا نحاول ما ندخلش الملك • قلنا له هذه الزمرة تبعدك عن الشعب • وأشرنا عليه أن يكون سلطة وطنية تحكم البلد • فوجئنا به يخذل الاتفــاق • طلب منا بإنذار تسليم السلاح • أعلمت الملك فيصل عن طريق سفيره • حدثت المذبحة حاولت الاتصال بالقصر • بالوزارة • بالأركان لم يجاوبنى مسؤول فى الدولة لمدة ٣ أيام أحاول الاتصال ــ بدأ القصف فى البلد ولمدة ٣ ساعات أحاول الاتصال بدون جدوى •

لقد استباحوا دمنا ولا يزالون حتى أمس باعترافهم ١٤ ألف قتيل •

فى اسرائيل ــ أنا محكوم على بالاعدام • وسيادة الفريق شــاهد واحدا من أعضاء الصليب الأحمر بكى خمس ساعات عندما رأى حالة الجرحى ٢٥٫٠٠٠ عدد الأموات • والله أعلم • البعض لا يزال تحت الأنقاض الحقيقة • ليحضر حسين ولكن •• شكلوا لجنة لمحاكمتــه كمجرم • أمريكا اهتزت لمذبحة ٢٥٠ فى فيتنام • أخو الملك قال والوفد سمع ذلك ان أسرته جاءت الى هذه الأرض وهى خلاء وستتركها كذلك •

القــذافى :

من أين جاؤوا ••

أبو عمـــار :

من الجـــزيرة •

فيصـــل :

هـــربوا •

اليمن الشـــمالى :

المأساة مريرة وشديدة •• ولكن هل تحولت القضية من قضـــية أساسية الى قضية بين المؤتمر وبين دولة الأردن لا أعتقد ان أحـــد يوافق على ذلك •

عبد النـــاصر :

ما فهمته من كلام الأخ ياسر أن يحضر الملك حسين ولكن لا كمشارك فى المؤتمر • واذا حضر •• لابد أن أستقبله •

القـــذافى :

ما تروح لوش !

عبد النـــاصر :

بعد استقباله من سيحضر ؟ الأخ نميرى ؟ الأخ القـــذافى ؟ الأخ ربيـــــع ؟

القـــذافى :

الأخ فيصل •• لأنه اذا لم يحضر فسيكون لهذا معنى •

فيصـــل :

اقترح الأخ البـــاهى •

عبد النـــاصر :

اللجنة الأخ نميرى ، الملك فيصل ، الأمير الصباح ، الأخ الباهى ، الأخ ياسر عرفات •

ياسر عرفات :

وصلتى انذار من القيـادة العسـكرية اذا صفحت هـذه المرة فلا طاعة لى •

عبد النـاصر :

ننهى المؤتمر ونبعث للملك رسـالة •

القـذافى :

ما هى القرارات التى توصل اليها المؤتمر ؟

الباهى الأدغم :

أستطيع أن أجـاوب •

عبد النـاصر :

انت الداعى •

الباهى الأدغم :

لقد أبعدنا تدخل الأجنبى • فرضنا الطرف الفلسطينى ، وأخرجنـا من السجن أقطـاب المقاومة • ومن الناحية المعنوية ، أفهمنـا الملك أنيا خطة فاشلة وفرضنا عليه أن يحضر الذين كانوا أسرى كطـرف مقاتل • لقد كنت اليوم أفكر فى طريقة للخروج من هذا المؤتمر مع الحفاظ على ماء الوجه فلاحظت أن وجود الأخ عرفات بيننا كطرف يعتبر غنم المسألة تتعلق بـ ٤٨ ساعة لتمديد المؤتمر •

النمـيرى :

ننهى المؤتمر ويستمع حسـين •

القـذافى :

التدخل الأجنبى غير وارد الآن طالما حسين منتصر • ما جئنا الى

هنا بشأن التدخل والضغط الأدبى • الافراج عن زعماء المقاومة شيء أيجابى • والذين لم يحضروا المؤتمر منضوين تحت راية الأمة العربية • لأن العالم لا ينظر الينا كرجعيين وتقدميين وقف اطلاق النار ليس بايدينا • حسين استطاع أن ينفذ الجريمة وهو ينفذ المخطط رجل يضيع الوقت •• السعودية بعثت له كم مليون ؟ الكويت جمدت المعونة هل هذا يعتبر تأييدا للمقاومة ؟

اذا جاء حسين ولم يقبل وقف اطلاق النار لابد من اتخاذ تدابير من الآن • قدومه هنا مراوغة بودى أن أسمع من الملك فيصل بعض ايضاحات •

عبد الناصر :

الملك فيصل أدان تصفية العمل الفدائى ووافق على نص البرقية •

فيصل :

أنا أتكلم لأنى متهم • نحن خلال هذه الفترة لم ندفع شيئا • دفعنا قسط نصف أكتوبر وماتدفعه المملكة هو بناء على قرار مؤتمر القمة فى الخرطوم ونحن من أوائل من ساعد المقاومة منذ ١٩٦٥ أليس كذلك يا أبو عمار ؟

نحن نستقبل حسين • واذا لم توفق المقاومة الى حل مرض نحن نتخذ كل الاجراءات بثقلنا •• وموقفنا يتضح على ضوء النتائج •

أبو عمار :

أنا أخشى أن يأتى الى هنا وهو يعتقد أنه فى مركز قوة • نحن لا نجتمع معه كمؤتمر ــ نشكل لجنة للتفاوض معه ــ نتخذ قرارات (ادانة) ونؤكد فى هذه القرارات ان ما قاله الرئيس نميرى ليس على لسانه بل هو باسم الجميع • ويجب دعم الثورة واغاثة الجرحى فى أسرع وقت •

فيصـــل :

أقترح أن نشكل لجنة من السفراء العرب مع مندوب عن الهـــلال الأحمر الفلسطينى والأردنى لاستلام الاغاثة وتوزيعها •

عبد النـــاصر :

ما زلت أهدف الى وقف اطلاق النار • تقييد الملك حسين بوقف اطلاق النار ثم سحب الجيش من عمان وكذلك بالنسبة لقوات الفدائيين • يمكن بعث لجنة من الضباط للمراقبة • قد يقال ان الملك حسين سيأتى ويغدر بنـــا •

القـــذافى :

ماذا تعمل لحسين اذا غدر بنا ؟

عبد النـــاصر :

اذا غدر نقطع العلاقات • ونقطع عنه المعونة ونديته •

فيصـــل :

توقيعنا غدا سيكون على ذلك •• اذا لم ينفذ حسين •

عبد النـــاصر :

أذهب الى المطار غدا ويرافقنى السيد الباهى الأدغم هل هنـــالك من يريد أن يصاحبنا ؟

القـــذافى :

سأغادر القاهرة حال وصول حسين •

عبد النـــاصر :

اما أن يحضر كل رؤساء الوفود أو ننهى المؤتمر الليلة ونعلن القرارات المتفق عليهـــا •

غيصـــل :

لا أوافق على انهاء المؤتمر واصدار القرارات الليلة ولابد من مواصلة السـعى •

القـذافى :

اننى أطلب رأى المقاومة وأوافق مسبقا على رأيها •

عـرفات :

اقترح اجتمــاع حسين مع لجنــة •

البــاهى الأدغم :

(الى القذافى) اذا كنت تعتبر من يحضر متخاذلا فانه يمكن أن يقال فى حقك انك منفصــل •

ابراهيم بكر :

موقف العراق سلبى • موقف الجزائر سلبى • موقف النميرى وندوته الصحفية شىء ايجابى • ان ما قاله الأخ النميرى له وقع فى الأردن • هناك صلح مع اسرائيل منذ ثلاث ســنوات وهناك تبــادل تجــارى وغيره • نريد وقف اطلاق النار بصفة دائمة وضمانات دائمة ملزمة لأن هذا الملك مخادع ورأينا أن الملك حسين يجىء لأن له جيشــا مواليــا ولذلك يجب أن يقول له كل رئيس وفد ما قاله الرئيس نميرى •

* * *

وحضر الملك حسين •• وتم توقيع اتفاق القاهرة •

ومات جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت فى المطار •

وتسلم أنور السادات أمانة المسئولية فى ظل هذا الموقف العــربى العصيب •

● المقاومة الفلسطينية تنزف دما .

● دول عربية تريد أن تحارب .. ولكن حتى آخر جندى مصرى .

● دول عربية فى موقف انعزالى عن القاهرة تماما .. ولكن بياناتها عنيفـــة وملتهبـــة .

● أمريكا يسيل لعابها للتدخل العسكرى .

● الاتحاد الســوفيتى يطــالب بتجنب دفع أمريكا الى التــدخل العســكرى .

● مصر متهمة بأن قبول مشروع روجرز .. هو الاستسلام .

● وأخيرا الموقف الداخلى فى مصر .

ولكن أنور السادات .. بدأ يفكر منذ اللحظة الأولى فى المعــركة ، والاعداد الحقيقى الكامل للقتال .

لقد أشاد بعد ذلك بعبارة كان قد قالها أشرف غربال ، ممثل المصالح المصرية فى ذلك الوقت فى أمريكا .. أن الاسرائيليين لن ينتزعوا من سيناء .. الا اذا انتزعنا دماءهم ..



الفصل الخامس



••• « مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ التى أعلنها الرئيس السادات فى مجلس الأمة كانت مفاجأة لكل مراكز القوى .. وكانت الدليل أن رئيس الجمهورية بدأ يتحرك .. وبدأ يحكم بسلطاته » •••

تولى أنور السادات المسئولية ••

قال على صبرى أنه لا يريد أى منصب •• يريد فقط أن يبقى فى موقعه عضوا فى اللجنة التنفيذية العليـــا ••

وقع الاختيار على الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزارة •• وكان لذلك صـــدى شعبيا كبيرا •

أولا لأنه رئيس وزراء مدنى • وثانيـــا لأن له سمعة دبلوماسية على المحيط الدولى • وكان هنـــاك تصور أن بالامكان حل أزمة الاحتـــلال الاسرائيلى بالأسلوب السياسى •

أنا شخصيا •• لم أرحب بهذا الاختيار ، لأن رأيى أن الدكتور محمود فوزى رجل مفكر، ودبلوماسى •• ولكن ادارة الحكم فى هذا الظرف العصيب •• بعد وفاة عبد الناصر •• تحتاج الى حزم ، وقدرة على المتابعة والتنفيذ، وقدرة على اتخاذ القرار • وهذه الصفات لا تتوفر فى رئيس الوزراء •

وتولى أمانة الاتحاد الاشتراكى العربى عبد المحسن أبو النور ••

وكان الدكتور لبيب شقير رئيسا لمجلس الأمة •

وكان شعراوى جمعة أمينا للتنظيم •

وكان سامى شرف الوزير المسئول فى رياسة الجمهورية •

مجالات العمل والمسئولية أمام أنور السادات ، ضخمة وثقيلة ••

أولا : الاستمرار فى الاعداد العسكرى •• وقام أنور السادات برحلة سريعة الى موسكو •• وبدأت الخلافـــات مع الاتحـــاد السوفيتى على التسليح •• ولكنها كانت خلافات مكتومة • وكان أنور السادات يشيد دائما بالصداقة السوفيتية ••

ثانيا : الاستمرار فى السعى الدبلوماسى •• وبدأت اتصالات فعلا مع نيكسون بعد أن بعث الرئيس الأمريكى تهنئة الى الرئيس أنور السادات فى عيد ميلاده يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ •• وأسفرت الاتصالات عن عرض أمريكا ان يزور روجرز القاهرة ويجرى مباحثات مع السادات •

ثالثا : مواجهة مطالب الجبهة الداخلية : وأولها الديمقراطية ، وتصحيح الأخطاء ، ورفع الظالم ..

وأهم من هذا كله مواجهة مناورات مراكز القوى التى بدأت الجماهير تحس بهـا وتتوقع تطوراتها ..

كان واضحا أن السيطرة على كل شئون الحكم فى يد القلة التى كانت تباشر الحكم فعلا فى فترة مرض جمال عبد الناصر وقبل وفاته .. وقد رحبت هذه القلة باختيار أنور السادات لرياسة الجمهورية ، لأنهم تصوروا كما قلت ــ أنه سيملك ولا يحكم ..

وكانت « الاهرام » قد ركزت فى يوم وفاة جمال عبد الناصر ، على ابراز اسم زكريا محيى الدين وفى تشييع الجنازة ، سلطت عليه عدسة التلفزيون أكثر من ساعة متصـلة ..

ولكن القلة استقر رأيها على أن أنور السادات سيكون أسلس قيادا .

وفى الوقت نفسه ، كان الرأى العـام : لا يعرف قدرات أنور السادات لقد كان طوال حكم الثورة بعيدا عن الأضواء . وحتى تاريخه القديم قبل الثورة ، نسيه الناس وتجهله الأجيال الجديدة . وكان التساؤل هل يمكن أن يملأ أنور السادات فراغ عبد الناصر ؟ ..

ولكن الجماهير بدأت تميل بعواطفها نحو أنور السادات ، لأنها تعرف تماما عناصر القوة المضادة له فى الصراع الداخلى .. وتعرف أنهـا قوة مخيفة ، تعتمد على أجهزة المخابرات ، ووسائل القمع والفصل والاعتقال .. وعندما تحدث أنور الســادات الى الشعب بالتليفزيون بعد انتخابه لرياسة الجمهورية ، وقال أنه يأمل أن يقتنع به من قالوا نعم .. أحسست الناس بالارتيــاح ، لأنهم يسمعون هذا الأسلوب الديمقراطى المتواضع لأول مرة ..

وأراد أنور السادات أن يتحرك ديمقراطيا ..

أن الهدف الأول فى كيانه .. هو المعركة .. ولا يمكن أن يكون رأس الدولة ، مقدما على معركة عسكرية .. وهو يعانى من صراع داخلى فى الحكم .. والجبهة الداخلية تعانى من كل ما عانت ، فى ظل الحكم بقرارات

استثنائية • وكيف يمكن أيضا أن نصل بالاتصالات الدبلوماسية الى أية نتائج •• اذا كان النظام مهتزا •• ورئيس الدولة لا يمارس سلطاته ؟ •

وبدأ أنور السادات يتصل بالجماهير اتصـــالا مباشرا •• بهدفين •• الاقناع بجدية الاستعداد للمعركة •• ومحاولة تحويل التمزق واليـأس الى أمل ••

وكانت أول مواجهة بينه وبين الجماهير فى مدينة طنطا • وهى مدينة ذات طابع خاص • ولم يزرها جمال عبد الناصر فى حياته أبدا • وفوجىء أنور السادات باستقبال شعبى منقطع النظير لم يكن ليتوقعه • بل أنه شعر وهو فى سيارته عندما اقترب من مشارف المدينة ، بشىء من القلق •• لقد تذكر فى تلك اللحظات فقط أنه سيخطب فى اجتماع شعبى وهو رئيس الجمهورية لأول مرة • ولكنه تجاوز هذا الشـــعور •• وجاء الاستقبال الشعبى الضخم ، ليغمره بالثقة •• وكانت الدبلوماسية الأمريكية تسير معنا فى تلك الأيام ، بمنطق أن الشعب المصرى لا يريد أن يحارب •• وأن القيادة هى التى تريد دفعه الى حرب ستكون خاسرة ••

وكان أول رد علنى من أنور السادات عليهم فى اجتماع طنطا الشعبى • ســـأل الجمـــاهير :

هل تريدون الذل والعار •• أم تريدون الحرب ؟ ••

وجاءت أصوات عشرات الألوف فى عبارة واحدة •• تدوى فى حماسة ملتهبة « الحرب •• الحرب •• يا سادات » ••

ثم سافر الى أسيوط ••

وكان الاستقبال الشعبى فى روعة استقبال طنطا •• وامتلأت نوافذ المدينة وشرفاتهـــا بالرجال والنساء والأطفال •• ونثرت عليه الورود •• وانطلقت الزغاريد •• وان كانت مراكز القوى حددت مرور موكب السادات فى شارع واحد فى الحى الجديد من أسيوط • ومع ذلك فقد تجمع الآلاف فى ميدان المحطة •• واهتز الميدان بهتافهم بمجرد رؤية السادات الذى سالت الدموع من عينيه تأثرا بهذا الترحيب •

ثم جاءت زيارته لقاعة محكمة الجنايات التى سبق أن حوكم فيها •• فى قضية مقتل أمين عثمان •• وتكلم عن القضاء وسيادة القانون •• وفخر تاريخ مصر بتاريخ قضائه ••

وكان ذلك الخطاب أول اشارة منه ، الى طبيعة حكمه ..

ثم عقد اجتماعا فى قاعة محكمة أمن الدولة الكبرى .. حضره الآلاف من رجال القضاء .. وألقى خطابا فى قمة روعة التعبير .. عن اجلاله لقضاء مصر .. وكان القضاء المصرى يئن من مذبحة القضاء التى فصل فيها أكثر من مئتى قاضى .. لبيان أصدروه ؛ طالبوا فيه بتصحيح الأوضاع فى البلاد .. ولأحكام أصدروها بالبراءة لأشخاص لفقت لهم اتهامات كاذبة .

ثم أصدر أنور السادات قانون الغاء الحراسات ..

وأذكر أننى قلت للرئيس فى ذلك اليوم : ان هذا القرار لم يكلف ماديا أكثر من ثمن الورقة التى كتب عليها .. ولكن أثره على الجماهير ، كان لا يمكن أن يتحقق ولو بمشروعات تتكلف ملايين الجنيهات .

وقبل عيد العمال فى أول مايو ١٩٧١ .. عرفت الجماهير قصة أنور السادات العامل .. الذى نحت الحجر ، واشتغل سائق لورى .. وعانى من الفقر والجوع ، ولم يفرط فى مبادئه ، حتى عندما ماتت طفلته لأنه لم يجد ثمن الدواء ..

ثم سعى الى انشاء دولة الاتحاد .. لتوسيع قاعدة دعم الاستعداد للمعركة ..

وسافر الى السودان .. وكان لقاءا تاريخيا مع الشعب السودانى ، الذى كان متلهفا على رؤيته ..

وكان من قبل قد عقد اجتماعا كبيرا فى قصر عابدين مع الصحفيين والأدباء والكتاب والفنانين .. دعا فيه الى الحب والأمل ..

وبدأت شعبية أنور السادات فعلا تصل الى القلوب . وانتشرت عنه القصص .. قيل أن وزير الداخلية تقدم اليه بكشف به عدد من الأسماء ، وقال لرئيس الجمهورية : هؤلاء يتحدثون عنك بالسوء ..

وسأل أنور السادات : هل تآمروا .. هل أتوا شيئا يخالف القانون ..

فأجاب وزير الداخلية : لا ..

وأمسك أنور السادات بالكشف ، ووضعه فى درج مكتبه ؛ وقال لوزير الداخلية : دعهم يتكلمون .. هذا حقهم ..

وبدأت الجماهير تستشعر أيضا ، أن أنور السادات ؛ يريد أن يحكم ديمقراطيا .. ولكن القوة المضادة المسيطرة على كل شئون الدولة تقف له بالمرصـــاد ..

ثم تسربت الأنباء الى الجماهير .. بأن هناك خلافا على توقيت المعركة بين أنور السادات وبينهم فى اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا .. وأنهم يريدون أن يدفعوا به الى معركة خاسرة لم يتم لها الاستعداد الكافى .. وهو يعارض .. وكانت حجته القوية أن تسليح الصعيد لم يستكمل فكيف يغامر .. وهذه الأسرار لا يمكن أن تذاع على الجماهير .. ولكنها تسربت.

ثم فاجأ أنور السادات الجميع .. بالمبادرة[1] التى أعلنها فى مجلس الأمة فى ٤ فبراير والتى عرض فيهـــا :

---

(١) .. شرح الرئيس السادات أهداف مبادرة ٤ فبراير فى اجتماع مغلق للهيئة البرلمانية قال فيه : لقد كنا مطالبين من الدول الكبرى بمد وقف النار . واسرائيل نزعم أن تحديد مواعيد لوقف النار يهددها . وأوربا الغربية تصدق اسرائيل . وعندما سافر محمود رياض وزير الخارجية الى اسبانيا وروما وبروكسل وجد أن وزارة الخارجية الأمريكية أرسلت الى أوربا الغربيـــة تقارير بوجهة نظرها بهدف اثارة الخوف فىأوروبا الغربية منالوجود السوفيتى فى مصر وفى البحر المتوسط ، وأنه يهدد أوربا الغربية كلها . وكانت الاشارة الى فتح قناة السويس فى المبادرة بعد الانسحاب الجزئى (وهو مرتبط تماما بالانسحاب الكامل) تريح أوربا الغربية التى يتحمل اقتصادها سنويا ١٣٠٠ مليون جنيه استرلينى بسبب قفل القناة ، علاوة على زيادة أسعار البترول . وقبـــل اعلان مبادرة السادات ، كانت جولدا مائير قد طلبت من السـفير الأمريكى فى تـــل أبيب أن يبلغ نيـــكسون أنه اذا قبلت مصر أن تتفق على السلام ، فانها مستعدة أن تضع كل أوراقها أمام الأمريكان . ولكنها قالت أنها متأكدة أن السادات لن يفعل ذلك لأنه لا يريد السلام .

وقد أبلغ روجرز الرئيس السادات بهذا .

ثم قال الرئيس : ولمـــا أعلن المبادرة وردنا على يارنج ، انكشف موقف اسرائيل . والمبادرة تنقل الكلام من وقف النار الى موضوع الانسحاب . وقد قلت لروجرز : لا يهمنى موقف اسرائيل لأننى أعرفه منذ عشرين عاما . يهمنى أن تحدد أمريكا موقفها .

وقال الرئيس : البعض يقول .. لمـــاذا نتصل بأمريكا ؟ .. ومن السفه الرد على ذلك ، لأن أمريكا طرف أساسى فى الموضوع وأنا لا أضع رأسى فى الرمال كالنعامة .

١ ــ مد وقف اطلاق النار حتى ٧ مارس ، استجابة لنداء أوثانت • أى الامتناع عن اطلاق النار ٣٠ يوما •

٢ ــ يتحقق فى هذه الفترة انسحاب جزئى لقوات الاسرائيليين على الشاطىء الشرقى لقناة السويس كمرحلة أولى على طريق جدول زمنى يتم بعد ذلك وضعه لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الأمن •

٣ ــ اذا تحقق ذلك فى هذه الفترة ؛ نحن مستعدون للبدء فورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس ، واعادة فتحهـا للملاحة الدوليـة ولخدمة الاقتصـاد العـالمى •

وقال السـادات :

ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة ننتشل جهود السفير جونار يارنج من الألغـاز الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الأمن •

وأذكر أننى لقيت الرئيس أنور السادات بعد هذه المبادرة فى القناطر الخيرية ••

وبدأت أفهم حقائق كثيرة من المناورة المقصود بها احراج أنور السادات ودفعه الى قرارات سـاذجة ••

فهمت أن هذه المبادرة كانت مفاجأة لأعضاء اللجنة التنفيذية العليـا ولوزير الخارجية محمود رياض •• وقد تجمع فريق الصراع فى احـدى حجرات مجلس الشعب •• وقال على صبرى •• أنا لا دخل لى • أنا لست مسئولا وقال آخر : هذه المبادرة ستنتهى بمصر الى الهلاك •• البـلد راحت فى داهيـة !

ولمـا استمالت المبادرة الرأى العـام الأوربى •• وجاءت تعليقات صحف الغرب مؤيدة لها ، وخاصة أننا نتيح فتح قناة السويس •• عاد المناورون ليمتدحوا المبادرة •• ولكنهم لم يهضموا أبدا ، أن يفاجئهم بها أنور السادات •• أنها أول خطوة تثبت أن رئيس الدولة يحكم ولا يملك • كما لم يكن مقدرا له ! ••

وسمعت من أنور السادات لأول مرة •• أنه لن يقبل الارهاب الفكرى • وأنه مستعد لاطاعة صوت الشعب فقط • ولذلك فانه يعتزم اجراء انتخابات جديدة فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة •• بلا أى قيود • ومن يختاره الشعب يجب أن يحكم ••

وسمعت من أنور السادات لأول مرة •• التعبير الذى أطلقه الدكتور محمود فوزى على مراكز القوى •• كان يقول عنهم « وحوش غابة ما بعد جمال عبد الناصر » ••

وبدأت أدرك أن أنور السادات يتحرك •• ويتحرك بقوة •

ولكننى كنت مثل بقية أبناء الشعب •• أخشى عليه •• كنت أتصور أنه محاصر بمن يسيطرون سيطرة كاملة على كل السلطات •

وأذكر أن الدكتور عزيز صدقى قال للرئيس وهو فى مكتبه ذات يوم :

— لدى معلومات يا سيادة الرئيس أنه توجد آلات تسجيل فى مكتبك وفى كل حجرات منزلك ••

ولم يعلق أنور السادات ، واستبعد ذلك ضاحكا ••

ثم جاءت رحلته الى ليبـــيا •• واعلان دولة الاتحاد ••

وأذكر أننى تحدثت اليه بعد دعوته من ليبيا •• وأعربت له عن خوفى من هذه الوحدة •• لأن الناس لا تزال تعيش بعقدة الانفصال بعد الوحدة مع سوريا •• وشرح لى الرئيس أن البيـــان المعلن لا يعبر عن وحــدة اندماجية • أو وحدة فورية •• أنه أول أشكـــال الوحدة •• وكل دولة محتفظة بنظام حكمها •• ولن تأتى الوحدة الا على خطوات مدروسة •• ولابد من دعم الكيان العربى من أجل الاستعداد للقتـــال ••

وأجتمعت اللجنة التنفيذية العليا فى استراحة الرئيس بالقناطر •

ولم يصوت مع أنور السادات الا حسين الشافعى والدكتور فوزى •

وطلب الرئيس عقد اللجنة المركزية فى أسرع وقت •• لعرض الأمر عليها • وحاول عبد المحسن أبو النور أن يتمهل الرئيس فى تأجيل اجتماع اللجنة المركزية بحجة تهيئة أعضـــائها للقبول •• ووجـــد الرئيس فى هذا المطلب ، احراجا له ، ووضعه فى موضع العاجز أمام القادرين الذين فى يدهم السيطرة على اللجنة المركزية • لكى تقبل أو ترفض •

وانعقد الاجتماع فى الموعد الذى حدده •• وجرت فيه المناورة المعروفة •• التى تصدى لها أنور السادات •• وواجه على صبرى بعد الاجتماع ، بأن ما فعله هو تخريب •• وأنه سوف يتصدى لهذا التخريب • وسيقضى عليه ، ولن يسمح به • وكان السادات فى قمة الغضب الحاسم •

ثم جاء الاحتفال بعيد العمال فى أول مايو بحلوان ..

وأمضى الرئيس الليلة مستيقظا حتى الرابعة من الصباح ، وهو يعد خطابه الذى أعلن فيه أنه يرفض الارهاب الفكرى مهما كان مصدره .. وأنه لن يسمح أن يقاتل أبناءه فى القوات المسلحة .. الا بعد أن يحصلوا على السلاح الحديث القادر على الانتصار ..

وكان قد رتب الاجتماع على أن يكون الهتاف لجمال عبد الناصر .. وأعطيت صوره لكل الصفوف . .لكى يلوحوا بها فى وجه أنور السادات .. وكان المقصود ، اتهامه بأنه يخرج على طريق عبد الناصر .. وأن حكم « خلفاء » عبد الناصر ، هو الحكم المطلوب ! ولكن خطاب السادات كان مفاجأة مذهلة لعلى صبرى وشركائه .. وحل عليهم الوجوم .. وقال لى السادات بعدها « لو كان عندهم دم كانوا ما حضروش » ..

وعاد السادات الى منزله عن طريق كورنيش النيل بعد أن ألقى القنبلة .

وحيته الجماهير على طول الطريق .. تحية رائعة ..

وفى اليوم التالى أصدر القرار باعفاء على صبرى .

وصفقت الجماهير فى كل مكان .. وكانت « فرقة » مراكز القوى قد طلبت من الرئيس تأجيل هذا القرار ، حتى لا يفسر أنه تم بناء على طلب أمريكى .. قبيل أن يحضر روجرز الى مصر .

ولكن السادات لم يهتم بهذا التهديد ..

وتحرج الموقف .. ووصل الى درجة الخطورة . وبدأت الجماهير ترقب وكان السؤال .. هل يقدر أنور السادات على التخلص منهم ؟ ..

وأمتنع السادات فى كل أحاديثه الخاصة ، عن الافصاح بأية كلمة عن نوايـاه ..

وكان ينام الليل ومسدسه تحت مخدة السرير !

وكانت السيدة قرينته لا تكتفى بهذا .. بل كانت تقفل باب حجرة النوم بالمفتـاح ..

كانت تتوقع حدوث أى شيء ..

ولكن أعصاب أنور السادات الهادئة .. لم تخش أية مفاجأة ..

وفى ذلك الوقت .. نما الى علمى من ضابط مخابرات : جاء لزيارتى دون تعارف ، أن جهاز المخابرات يعد فرقة خاصـــة لا تعرف عنها باقى أجهزة المخابرات شيئا .. وأنه يستريب فى أن هذه الفرق الخاصة معدة لمهمات ضـــد الرئيس ..

وأبلغت الرئيس تليفونيا .. ولكنه تجاهل كلماتى وكأنه لم يسمع منى شـــيئا !

كان يعرف قطعا أن تليفونه مراقب .

وحاولت أن أتحدث اليه عن خطورة اســـتغلال أجهزة الأمن فى هذه المرحلة .. ولكنه أجابنى متجاهلا قصدى ، بقوله أن الأمن بخير !

وكنت أشتعل غيظا بينى وبين نفسى .. وأتساءل .. « كيف لا يعرف أنهم مسيطرون على كل شيء » ..

وباختصار .. تقدم له ضابط بالأشرطة المسجلة التى تثبت المؤامرة ..

وأقيل شعراوى جمعة .. وحدث ما يعرفه الجميع .. وأعلن أنور الســـادات سقوط دولة مراكز القوى .. وألغى كل اجراءات الحـــكم الاستثنائى .. وأفرج عن المعتقلين .. وبدأ حكم سيادة القانون .. وعاد القضاة الى آخر ما هو معروف من اعادة الانتخابات .. فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة .. واصدار الدستور الدائم .

وبدا أن الرجل سوف يتفرغ لمواجهة القضية الخارجية سياسيا وعسكريا

ولكن ماذا فعلت أمريكا ..

وماذا فعل الاتحـــاد السوفيتى ..

وكيف بدأت المتـــاعب من جديد .. والرجل يرى أن قدره ومصـــيره ومسئوليته الأولى والأخيرة .. هى تحرير الأرض ان سلما أو حربـــا ؟

الفصل السادس

مسرحية .. روجرز

●●● ((يروى الرئيس أنور السادات الفصول الكاملة لمسرحية روجرز ، فى اجتماع مغلق أتيح لى أن أحضره مع عدد من الكتاب الصحفيين وحضره رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزى فى أكتوبر ٧١ . كيف بدأت الاتصالات بين السادات ونيكسون فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ؟ . وكيف انتهت الى القطيعة بعد مباحثات روجرز ؟ وكيف ساءت العلاقات خلال هذه الفترة مع الاتحاد السوفيتى .. ثم عادت الى تحسنها بعد ازالة سوء الفهم بين الجانبين فى مباحثات السادات فى موسكو أيام ١١ و ١٢ و ١٣ أكتوبر ١٩٧١ . وانتهى الاتفاق مع السوفيت أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون عام الحسم ...

ان أقوال الرئيس فى هذا الاجتماع المغلق يزاح الستار عنها .. لأول مرة)) ●●●

فى جلسة خاصة مغلقة دعا اليها الرئيس أنور السادات عددا من الكتاب خلال شهر أكتوبر ١٩٧١ : استعرض الرئيس حقائق الموقف من جميع جوانبه •• وأسرار الاتصالات التى جرت مع أمريكا •• وانتهت بفشل مهمة روجرز ••

قال السادات : لقد خولت المحافظين سلطات واسعة • ان أمامنا معركة داخلية هى العصف بالروتين ، وهذا يذلل تفرغنا لمهمتين أساسيتين :

الأولى : المعركة فوق كل شىء •

الثانية : بناء الدولة الجديدة •

ولن يتغير مفهومنا للحكم ، الا اذا تغير ما بنفوسنا أولا • لابد من فهم جديد للمسئوليات • معركتنا العسكرية معتمدة على العلم والتكنولوجيا • وهنا تحضرنى كلمة برناردشو « الذين لا يستطيعون أن يغيروا أنفسهم •• لا يستطيعون تغيير أى شىء آخر » •

لقد قلت للأمريكان : اننا لن نواجه مصير الهنود الحمر •

ولكننى مقتنع أنه لن يساعدنا أحد ، قبل أن نساعد أنفسنا • كل طاقة • كل امكانية • كل ملكة • يجب أن تبذل أقصى ما عندها من أجل مصر ••

لقد دعوتكم الى هذا الاجتماع لكى تكونوا فى الصورة كاملة •• لكى تقدر أقلامكم حقائق الموقف ، ومدى المسئولية •• وأنتم تتناولون المواضيع القومية •

السؤال : أين نقف الآن ؟ ••

ما هى قصة الشهور العشرة الأخيرة ؟

ولكننى أعطيكم الصورة منذ وقت الهزيمة •

فى ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، استطعنا أن ننشىء أول خط دفاعى • تم هذا فى ٥ أشهر ، وكان الخبراء الروس يقدرون انشاؤه فى عام ونصف عام •• واعتبروا ما تم بالأيدى المصرية أقرب الى المعجزة ••

واجتمع مجلس الأمة فى نوفمبر ١٩٦٧ • وتحدث جمال عبد الناصر فى الاجتماع عن الصمود السياسى والاقتصادى والعسكرى •• وكان قد كلفنى قبل اجتماع المجلس ، أن أسافر الى الجبهة وأتفقد خط الدفاع ، بقيادة اللواء أحمد اسماعيل •• لأتأكد من وجود الخط •• واستكماله • وأذكر هنا •• حوارا دار بينى وبين جمال عبد الناصر ، بعد مظاهرات الطلبة •• وبعد أن اجتمعت بهم فى مجلس الأمة وكانوا معتصمين فى كليــة الهندســة ••

قال لى جمال : ابنى خالد منهم فى كلية الهندسة • والحقيقة أننى لا أجد ردودا شافيه لانفعالات ابنى • كلهم مثله •• أتركوهم ينفسوا عن أنفسهم ••

وكان عبد الناصر حينئذ فى أوج المرض • وكان يقاسى آلاما شديدة ، وكان عاجزا عن تحريك قدميه •• كانتا شبه مشلولتين •• ولكنه كان فى قمة الصــفاء الذهبى ••

فى سبتمبر ١٩٦٨ :

بدأنا عمليات الردع • كانت ضربا بالمدفعية ••

ورد علينا العدو فى نجع حمادى ••

رأينا أن نتوقف •• وأعدنا تنظيم الدفاع عن العمق •

ثم عاودنا الضرب بالمدفعية فى عام ١٩٦٩ •

والواقع أن القتال استؤنف من يوليو ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة • معركة رأس العش •

ضرب سلاح الطيران لمواقع العدو فى الضــفة الشرقية فى أغسطس عــام ١٩٦٧ •

ضرب ايلات فى أكتوبر •

بداية الرد فى ٦٨ ثم التوقف •

استئناف الضرب فى ٦٩ بدرجات متفاوته •

وخلال كل ذلك اتصالاتنا السياسية •

كنا قد قطعنا الصلة تماما بأمريكا بعد الهزيمة • وضح لنا أنهم كذابون ومخادعون • وكنا لا نتحدث معهم مباشرة ، وكانوا هم يتصلون بالسوفيت •• وأدركنا أنهم يريدون الوقيعة بيننا وبين السوفيت • وقد تأكدنا من هذا تماما فى هذا العام (٧١) ••

نحن لا نتصور طبعا أن أمريكا بعيدة عن الحل ••
وفى أول مايو ١٩٧٠ وجه عبد الناصر أول خطاب له الى أمريكا ••

لقد كانت أمريكا تريد أن تحسم المعركة معنا بواسطة الطيران الاسرائيلى فى الأشهر الأولى من عام ١٩٧٠ •

ولم نستطع أن نقاوم الطيران الاسرائيلى بصواريخ سام أو سام ٢ •• فكانت رحلة جمال عبد الناصر الى موسكو فى يناير ١٩٧٠ ، رغم أنه كان مريضا بانفلونزا حادة •• وكان ناقها من أزمة قلبية فى ٦٩ ••

ويروى أنور السادات •• لماذا قرر جمال عبد الناصر السفر الى موسكو :

كان حينئذ فى استراحة القناطر الخيرية •• ضربت الطائرات الاسرائيلية مصنع أبو زعبل طلب عبد الناصر من السادات أن يوافيه على عجل • قال له ان اسرائيل بدأت مرحلة جديدة وهى الضرب فى العمق • لابد من تغيير استراتيجيتنا ••

ان الهدف طبعا هو ضرب النظام من الداخل •

وقال عبد الناصر للسادات : أطلب لى السفير السوفيتى فورا •

وكان السفير السوفيتى فى المحلة الكبرى • وأبلغ بطلب الرئيس له • وحضر على الفور • قال له الرئيس عبد الناصر :

أرجو أن تبلغ الزعماء السوفيت أننى أريد السفر فورا الى الاتحاد

السوفيتى . ان معركتنا مع اسرائيل تأخذ الآن شكلا جديدا خطيرا .. هدفه الداخـل ..

وسافر عبد الناصر فى الساعة الثامنة من الصباح .

وبعد سفره بساعة واحدة .. بدأت اسرائيل معركة شدوان .. وكانت اسرائيل تستعرض عضلاتها . ألف طائرة فوق « شدوان » .. مائة طائرة فوق « رأس محمد » مائة طائرة فوق « الغردقة » .

ووقف بارليف مختالا وهو يتساءل : أين الطيران المصرى ؟ ..

واتفق جمال عبد الناصر مع السوفيت فى رحلته على استخدام صاروخ سـام ٣ .

وسافر جمال عبد الناصر مرة ثانية الى موسكو فى يونيو ١٩٧٠ . أمضى ٢٠ يوما هناك . وأعلن بعد عودته قبول مبادرة روجرز على أساس أن أمريكا تتحدث لأول مرة عن الانسحاب ، بعد أن كانوا يتحدثون عن المفاوضات المباشرة .. وقبلها مشروع روجرز فى ٩ ديسمبر ١٩٦٩ .

قبلنا المبادرة .. وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار فى ٨ ديسمبر عـام ١٩٧٠ .

وجاء شهر سبتمبر :

وبدأت مذبحة الفدائيين فى الأردن . وانعقد مؤتمر الملوك والرؤساء فى القـاهرة . وتم توقيع اتفاق القاهرة مع الملك حسين .

وفى ٢٨ سبتمبر مات جمال عبد النـاصر .

انتهت فترة ايقاف النار فى نوفمبر ١٩٧٠ .

جمعت مجلس الأمن القومى . ومددنا وقف النار ٩٠ يوما أخرى . وهنا أذكركم بأننا بدأنا حرب الاستنزاف فى فبراير ١٩٧٠ .. وكانت قد أرهقت اسرائيل فعلا . ورفضوا الاتصال بيارنج على أساس أن مصر خرقت وقف اطلاق النار بتحريك الصواريخ .

قلت لكم .. مددنا وقف النار ٩٠ يوما . وسافر محمود رياض وزير الخارجية الى نيويورك وأثبت هذا فى الأمم المتحدة . وحصلنا على قرار من الجمعية العـــامة ضد أمريكا ، وطلبنا من أوثانت أن يقدم تقريرا عن نتائج اتصالات الأمم المتحدة وانتهى الموعد فى ٥ فبراير ١٩٧١ .

وكان علينا قبل انتهاء المدة .. أن نتخذ قرارا . هل سنمد وقف النار لثالث مرة ..

ودعوت الى عدة اجتماعات للجنة التنفيذية العليا .. ومجلس الدفاع الوطنى .. واللجنة المركزية ، قبل أن أتوجه الى مجلس الأمة فى ٤ فبراير وأعلن موقفنا ..

وكشف أنور السادات الستار عن بعض مناقشات اللجنة العليا .
وكان الرأى الغالب فى أعضائها أنه يجب أن نطلق النار .

وكان أنور السادات يرى العكس ..

قال : طوال شهر يناير وأمريكا تثير الرأى العام العالمى أننا خرقنا وقف النار . وكل جهدها الاعلامى والسياسى قائم على أن الذى يطلق النـــار هو الذى يخرق السلام .. وطبعا اسرائيل أعلنت بدهاء سياسى أنها لن تكون البـــادئة .. وبهذا الاسلوب الدعائى ، أرادوا أن ينسى العـــالم حقيقة المشكلة .. وهى أن هناك عدوانا واحتلالا للأرض .. وركزوا المشكلة فى وقف النـــار .

وكان هناك سبب آخر يدعونى الى استمرار وقف النـــار ..

لقد أخذنا درسا من ضرب نجع حمادى . وعدونا خسيس . كان يريد أن يغرق أرض الصعيد . وعندى فى الصعيد قناطر أسيوط ونجع حمادى وأسنا .. ودفاعى عنها ليس كاملا . والحمد لله أن الصاروخ الذى ضرب نجع حمادى عمل شرخ فقط فى القناطر أصلح فى عشرة أيام . وأنا متفق مع السوفيت على استكمال الدفاع فى جبهة الصعيد ..

قلت لأعضاء اللجنة العليا : يا جماعة دعونا من الانفعال . يجب أن نؤدى عملا سياسيا ناجحا . لسنا فى عزلة عن العالم . « الأوبك » مجتمع

فى طهران لارغام الشركات على رفع أسعار البترول للمرة الثانية بعد قفل قناة السويس •• وقبلت الشركات مرغمة • وصرخ غرب أوربا الذى يعتمد على البترول اعتمادا شبه كلى •

لماذا لا نفكر فى هذا الوضع ؟ ••

لماذا لا نستفيد سياسيا من هذا الموقف ، لصالح القضية ؟ •• ونحن لابد أن نتحرك ••

وكنت قد تحدثت مع الدكتور محمود فوزى فى جوانب الموقف • وكان له تعبير واقعى • احنا واقفين محلك سير • لابد أن نتقدم خطوة نحو مادة القضية نفسها •• ولابد أن يكون موقفنا مؤيدا من القوى الدولية ••

ولهذا كان رأيى الذى أعلنته للجنة العليا •• أننى لن أطلق النار فى ٥ فبراير • ولن أعطى هذا الأمر لأنه خطأ • ويجب أن نفوت على أعدائنا الفرصة • ونمد الموقف شهرا ، تكون لدينا خلاله فرصة لشرح قضيتنا للمجتمع الدولى • فالقضية أساسا ليست وقف النار • ولابد أن نستخدم قناة السويس كورقة سياسية ناجحة فى مبادرة أعدها الآن •• ولم أقل لهم تفاصيل المبادرة ••

وعندما أعلنت المبادرة غضب مجلس الحكماء ••

كانوا يتصورون أنهم مجلس وصاية •• ولازم أستأذنهم ••

قلت لهم •• لا •• أننى أتحمل المسئولية الدستورية •
ثم قال الرئيس السادات :

— يعنى هذا أن مبادرة روجرز سقطت فى ٤ فبراير •

ويعنى هذا أننا ننقل القضية من وقف النار •• الى جوهرها وهو الانسحاب ذاته •

ويجب أن نواجه حقائق موقفنا •• قبل الهزيمة وبعدها ••

قبل هزيمة يونيو كان فى أيدينا « كروت » كثيرة نلعب بهـا ..

١ ـ رصيد جمال عبد الناصر العربى والعالمى ..

٢ ـ مركزنا فى العـالم العربى .

٣ ـ قوتنـا العسكرية ..

٤ ـ قنـاة السويس ..

وكل هذا فقدناه يوم الهزيمة .. فى ٥ يونيو . الا من جمال عبد الناصر وكان جمال جريحـا .

أعلنت المبادرة .. ومددت وقف النار الى ٧ مارس . وهدفى أن يتحقق التـالى :

* ألا نقف محلك سير .. لابد أن نتحرك .

* أن نبعد عن العالم فكرة أن القضية أصبحت وقف اطلاق النار أو اطلاق النـار .

* أن ننتقل فى اتصالنا السياسى الى صلب القضية ..

* أن نأخذ فرصة لاستكمال الاعداد العسكرى .

* أن نحرك أوربا الغربية الى جانبا .. لقد لعبنا بكارت قناة السويس .. لقد كنا بعيـدين تماما عن أوربا الغربية تماما ، بسبب سـيطرة اسرائيل لمدة ٢٢ سنة وبدعاية مدروسة تماما . .

ثم يقول الرئيس السادات :

الرأى العام فى الخارج والداخل تجاوب مع المبـادرة . ولكن مجلس الحكماء خرج من البرلمـان ، وجلسوا فى صالون رئيس الجمهورية بعد أن غادرت المجلس ليقولوا ان البلد اتباعت !

وعاد مجلس الحكماء .. بعد أن رأى نتـائج المبـادرة فى أوربا .. ليعترف بقيمة المبادرة ..

وبدأ الرئيس يشرح بعد ذلك الموقف الأمريكى :

لقد رحبت أمريكا بالمبادرة •• وهذه كانت خطوة ••• والواقع أن أول اتصـــال تم مع أمريكا كان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، برســـالة وجهتها الى الرئيس الأمريكى نيكسون • وسبب هذه الرسالة أن نيكسون كان قد أرسل رسالة شخصية فى مناسبة عيد ميلادى الى بيرجز (ممثل المصالح فى القـــاهرة) الذى قدمهـــا بدوره الى الدكتور محمود فوزى •• وكانت الرسالة تحوى كلاما طيبا فى هذه المناسبة المشجعة •• فاستدعيت بيرجز • وشكرت الرئيس نيكسون على رسالته • •وقدمت لبيرجز رســـالة الى نيكســـون •

وكانت رسالتى تتضمن النقاط التالية :

١ ــ ان كل فعل •• سيكون له رد فعل عندنا • اذا كان الفعل • كويس •• رد الفعل •• عال • الفعل وحش •• الرد أوحش •

٢ ــ أبلغت نيكسون أننى خسرت معركة وأعترف • ولكننى لم أخسر الحرب ، بدليل أن اليابان قسمت أمريكا من الباسيفيك فى أقل من شهر ، وأبعاد هذه الضربة بالقياس لنا •• أكثر اهانة •

٣ ــ أبلغت نيكسون •• أنه ليس لنا دخل فى لعبة القوى الكبرى • نحن خارج هذه اللعبة • أننى أريد أن أحرر أرضى وابنى بلدى ••

٤ ــ أننى مفتوح العقل والقلب ، لحل سلمى مشرف ••

ثم توالت الاتصالات •

ووعدت أمريكا بأنها ستعمل على أن تنجح المبادرة المصرية ••

وقيل لى •• عندك مانع روجرز يجى ؟ ••

قلت : أبدا •• يتفضل •

وكانت المبادرة • كان انهاء وقف النار فى ٧ مارس •

ولذلك رأيت أن أسافر الى الاتحاد السوفيتى قبل هذا الموعد • سافرت فعلا فى رحلة لم يعلن عنها فى أول مارس • واستمرت المباحثات يومين كاملين فى جلسة متصلة • والحق أنها كانت جلسة مؤلمة ، اختلفنا اختلافا كاملا •

والمناقشات كانت فى غاية العنف ••

وعدت الى القاهرة •• وجمعتاللجنة العليا مع مجلس الدفاع • رويت القصة • ولا أرى داعيا لاعلان موضوع الخلاف الآن •• لأننا كأصدقاء نحن والسوفيت لابد أن نعرف أننا تلقينا من السوفيت أسلحة قيمتهـا مليار و ٨٠٠ ألف جنيه استرلينى •

كان يقينى أن خلافى مع الزعماء السوفيت فى هذه المباحثات ، خلاف مبدئى ولكن مجلس الحكماء لم يعتبره هكذا !

وهناك نقطة خلاف أساسية لا بأس أن أعرضها لكم •

اننى أقول أنه منذ يوم ٢٣ يوليو ، والى أن تقوم الساعة ، لا يجب لأى رئيس مصرى ، أن يسمح لأية سلطة كانت •• بأى قرار أيا كان • هذا حق ومسئولية القيادة السياسية داخل البلد ••

هذا هو مبـــدأ الخلاف ••

كنت أتناقش مع السوفيت على نوع معين من الأسلحة بيشـــغلوه الروس • وبعد تشغيله كان الســـوفيت يشترطون أنه لابد من اذن الحكومة السوفيتية قبل استخدامه •

قلت •• لا •• أولادى يتعلموا تشغيل هذا السلاح •• أما عن استخدامه فهو قرارى أنا •• قرار مصر •• ولن يكون غير ذلك •

قلت •• أبدا •• أموت •• ولن أسمح بغير قرار يصـــدر منى •• من القيادة السياسية المصرية ••

أما مجلس الحكماء فقـــد كان له رأى آخر •• قالوا أنه لا يعنينا أن نستأذن دولة كبرى •• عليها مسئولياتها العالمية ••

وفيما عدا هذا الخلاف •• أسفرت الرحلة عن حصولنا على مزيد من الأسلحة •

وكان من رأى السوفيت ألا نبدأ باطلاق النار بعد ٧ مارس •• وأننا يجب أن نوجه جهدنا للحل السلمى ••

قلت لهم : اذا وجد حل سلمى مشرف عادل •• أنا موافق • ولكن اذا كان مفيش فايدة •• نضحى بـــ ٢ مليون •• أنتم خسرتم فى الحـــرب ٧ مليون •

وأعود الى الحديث عن موقف الأمريكان •

كانت اتصالات الأمريكان بعد المبادرة •• تقوم حول اعطائهم فرصة •

وطبعا •• كنت أرحب باعطائهم الفرصة •• لسبب أساسى وهو أن بطاريات الدفاع عن الصعيد لم تكن قد وصلت بعد • •

وعرضوا أن يحضر روجرز الى القاهرة •• ورحبت كما قلت لكم •• ولكن مجلس الحكماء غضب •• لمـــاذا يحضر روجرز الى مصر ؟! •• وكأننا نعيش فى جزيرة منعزلة عن العالم •

المهم •• جاء روجرز الى مصر ومعه مساعده سيسكو ••

والمعروف أن سيسكو كان مساعد جولد برج ممثل أمريكا الصهيونى فى الأمم المتحدة ، اللى عمل الطبخة كلها لصالح اسرائيل •

ما فوتهـــاش لسيسكو •• فقلت له : يا ترى أنت لســـه الابن البكر لجولد برج ولا ناوى تتغير ؟ ••

وأمضيت مع روجرز ساعتين فى حديث متصل • وكان مذهولا من طبيعة الشعب المصرى••قال أنه تحدث مع مصريين عديدين • سار فى الشوارع• عرفه الناس • الحراسة عليه عادية •• وباختصار قال لى : صورة الشعب المصرى الطيب المسالم ، ليست هى الصورة التى عندنا ••

ثم قال : وها قد مضت ساعتان علينا فى الحديث •• وأننى أشعر براحة كاملة •

وروى لى أن جولدا مائير أرسلت مرة رسالة الى نيكسون ، تقول فيها أنها تتحدى أمريكا ، أن السادات لن يقبل اتفاق سلام • وقالت : اذا قبل السادات فهى مستعدة أن تنفذ كل شىء ••

ثم روى الرئيس خلاصة للحوار الذى دار بينه وبين روجرز :

السادات : ماذا تريد منا بعد هذه المبادرة ؟

روجرز : لا أطلب شيئا • المطلوب الآن أن تتحرك اسرائيل • وسأرسل لك سيسكو بالنتيجة بعد زيارتى لاسرائيل •• وسأعلن فى أمريكا أنكم فعلا دعاة سلام •

وأعلن هذا روجرز فعلا •

السادات : فيه سؤال •• لماذا لم تسأل عنه •• لماذا لم تسأل عن الوجود السوفيتى فى مصر •• هذا محور المشكلة الآن •• وهذا ما تستغله اسرائيل ضدنا •• وما أرى أنكم مشغولون به فى أمريكا ••

روجرز : الحقيقة أنه بعد أن تحدثت معك ساعتين •• وشعرت أننى جالس الى صديق وانسان متفهم •• خجلت أن أثير هذا الموضوع منعا للاحراج ••

السادات : لا احراج عندى فى أى تصرف لنا •• الوجود السوفيتى شاغلكم •• فلماذا لا نناقشه بصراحة ؟ ••

روجرز : أنا سعيد جدا باثارة هذا الموضوع ••

السادات : لعلمك يوجد هنا على الأرض المصرية ، ضباط وجنود من الجيش الأحمر •• (أنا مارضيتش أقوله جنود سوفيت •• علشان عارف ان عبارة الجيش الأحمر تغيظهم) وبملابسهم الرسمية •• وأنتم تعرفون هذا طبعا • وأنتم تعرفون أين هم • لأن القمر الصناعى يصور لكم كل شىء • أننى أسألك •• أين هم ؟ •• هل هم على القنال ••

روجرز : لا ليسوا على القنال ..

السادات : أنت متأكد ..

روجرز : نعم متأكد ..

السادات : أنني سعيد أنك تقول هذا .. وسعيد أن تعرف أن عندنا كرامة وطنية ، ولا نقبل أن يحارب أحد لنا معركتنا ..

وهنا روى لنا الرئيس السادات قضية الوجود السوفيتى فى مصر ، الذى تم بناء على طلب من الرئيس جمال عبد الناصر فى رحلته السرية الى موسكو بعد ضرب أبو زعبل . لقد تم الاتفاق مع السوفيت على استخدام صواريخ سام ٣ . وهى صواريخ على مستوى عال ، وتحتاج الى تدريب أطقم عليها .. وجاءت الصواريخ بأطقمها السوفيتية .. ثم سافر أبناؤنا الى الاتحاد السوفيتى للتدريب .. وخلال ذلك انتهينا من بناء المواقع ..

وفى مدى ٤٥ يوما تم أمجد عمل عسكرى من أجل الاستعداد للمعركة .

لقد تم بناء ما قيمته مليون جنيه فى اليوم الواحد.

وعادت الأطقم المصرية من الاتحاد السوفيتى بعد أن انتهى تدريبها .

عادوا ومعهم بطاريات الصواريخ التى انتشرت فى الضفة الغربية للقناة ..

ثم قال السادات لروجرز : لم يكن مفروضا أن نترك اسرائيل تعربد ، بعد أن ضربتنا بالنابالم الأمريكى يا مستر روجرز . ولكن لعلمك .. اننا ندفع مرتبات الخبراء الروس بالاسترلينى والدولار .. ونحن فى أزمة عملة صعبة . وكنا نتحمل . والسوفييت يلحون باستمرار لسحب خبرائهم .

ثم ناقش السادات روجرز فى وجود الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض .. وكان السادات قد أرسل الى نيكسون رسالة خطية صريحة ، أبلغه فيها أن مصر تعطى وسوف تعطى للاسطول السوفيتى تسهيلات فى موانى البحر الأبيض .. تقديرا لوقوفهم الى جانبنا فى الأيام السوداء .

وقال روجرز : نعم •• أننى أتذكر هذه الرسالة •• وأتذكر أن نيكسون رد عليك بقوله أنه لا يطلب صداقتك على حساب صداقة أصدقائك ••

وما دام القرار فى مصلحة بلدك •• فليس له أى اعتراض •
وقال السادات لروجرز فى ختام المباحثات : والآن •• ماذا تبقى يا مستر روجرز ؟

روجرز : لا شىء •• اسرائيل يجب أن تتحرك •

ثم عاد سيسكو الى القاهرة بعد يومين ليقول للرئيس السادات ، أن اسرائيل لا تبدى مرونة فى ثلاث نقاط :

* عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية فى المرحلة الأولى من انسحاب اسرائيل ، تكون بقوات بوليس فقط ••

وحاول سيسكو أن يقنع الرئيس بأن هذه مسألة شكلية •• ويكفى أن العلم المصرى سيرفع •• وهنا سيصفق الشعب المصرى لأنور السادات •• وسيصبح فى عينه الزعيم الذى رفع العلم المصرى على شرق القناة •

فرد عليه الرئيس السادات ضاحكا : باين عليك أهبل يا سيسكو •• ده أحدق شعب فى العالم ••

ولكن الرئيس أراد أن يكون مرنا •• فقال لسيسكو :

المسألة بسيطة •• موضوع عبور القوات المصرية الى شرق القناة ، غير قابل للمناقشة ولكن من الممكن أن نكون مرنين • أقبل أن الخط المصرى فى سيناء شرق المضايق ، يكون موازيا لخط اسرائيل •• وأقبل أن يكون الخطان فى فترة الستة أشهر الأولى ، متساويين فى السلاح والعتاد
ووافق سيسكو • وقال : هذا معقول •

* ثم أثار سيسكو النقطة الثانية ••

قال ان اسرائيل ترفض أن يكون وقف النار لمدة ٦ أشهر فقط • انهم يريدون وقف النار بلا تاريخ ••

وأجاب الرئيس : هذا مستحيل ، لأنه يعنى أننا عملنا خط هدنة .. وكأنها حـدود جديدة .. وانتهى الأمر ، وما الذى يدعو اسرائيل الى الانسحاب بعد ذلك ، طالمـا هناك جندى أجنبى على أرضى .. فلا وقف للنار بدون تاريخ ، هذا مبدأ لن أحيد عنه .

سيسكو : ولكننا نريد مخرجـا ..

السادات : الفترة التى أعلنها هى ٦ أشهر ، وأنا أعرف أن اسرائيل ستراوغ ، وسوف تتصل بيارنج فى الشهر الأخير ، أننى أعرف أساليبهم الرذلة .. أننى أوافق اذا انتهت فترة الســتة أشهر ، ووجد يارنج أنه يحتـاج الى مزيد من الوقت ، فعليـه أن يطلب ذلك رسميا ومن مجلس الأمن .. بشرط ألا يزيد الحد عن ثلاثة أشهر أخرى .

ووافق سيسكو .

* ثم أثرنا النقطة الثالثة .. قال ان اسرائيل لا تريد ذكر حدود ٤ يونيو فى مرحلة الانسحاب الأولى ، لا من قريب ، ولا من بعيد ..

السادات : كيف يكون هذا ، اذا كانت المبادرة جزءا من الحل الشامل .

سيسكو : هم يريدون حدودا آمنة ومطمئنة ..

السادات : اسمع .. اننى أوجدت مخارج مرنة فى النقطتين السابقتين. ولكن فى هذه النقطة لا حل عندى ، لا تنـازل عن شبر من الأرض .. ولا تأجير ولا اعارة .. ولا أى كلام من هذا الكلام الفارغ .. حـدود ٤ يونيو دون نقص لأى شبر ..

سيسكو : عندى حل .. ان ورقة روجرز فى ٩ ديسمبر ٦٩ .. نصت رسميا على الحدود الدولية بين مصر واسرائيل .. ولكى نحل الموقف الآن .. فان الولايات المتحدة سوف ترسل لك خطابا بأن الحدود هى الحدود الدولية .

السادات : وما الفائدة ، لقد رفضت اسرائيل من قبل ورقة روجرز . من الممكن فقط أن أقبل هذا الخطاب من مجلس الأمن .. أو من الأربعة الكبار .. أو من الاتحاد السوفيتى وأمريكا مشتركين .

سيسكو : هذه مسألة بسيطة ، سوف نبحث لها عن شكل .

السادات : هذه نقطة لا فصال فيها ..

ووعد سيسكو بالعودة الى أمريكا ، للعمل على أساس المبادرة .. وكان ذلك فى ابريل ١٩٧١ . واستمرت أمريكا صامتة صمت الأموات ، حتى شهر يونيو .. لا كلام ولا اتصال .. ولا أى شىء ..

ثم حصلت خطوة ..

تقدم بيرجس ممثل المصالح الأمريكية فى مصر ، بورقة الى وزارة الخارجية المصرية فى يونيو . قال أنها من بنات أفكاره هو . وطلب الرأى المصرى فيها . وقد اطلع عليها الرئيس أنور السادات ، وأحس أنها ليست لجس النبض من بيرجس . وأنها قطعا مرسلة من الحكومة الأمريكية لجس النبض . لأن ٩٠٪ مما جاء فى ورقة بيرجس ، استخدم عبارات ، تداولها الرئيس السادات مع سيسكو ولم يكن معهما ثالث . ومن ذلك التعبير عن الخط المصرى شرق القناة بعبارة معينة والتعبير عن الخط الاسرائيلى بعبارة أخرى .

وأجرى الرئيس تعديلات فى ورقة بيرجس فى جزء منها كان لصالح اسرائيل . وفجأة أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن ورقة بيرجس ، هى من بنات أفكاره وحده .. ولا دخل لواشنطن بها ..

وطبعا هذا كلام ساذج ..

ولكن فهم من هذا بوضوح .. أن أمريكا قررت أن تلحس كل شىء ..

وقال لنا الرئيس السادات : ومنهنا .. ابتدأ اللوع واللعب والأسلوب المناور من جديد .

ثم قال السـادات :

وفى يوم ٦ يوليو ١٩٧١ ، أخطرت أن مدير قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية يحمل رسالة عاجلة من الرئيس الأمريكى ..

قلت : يتفضل .. أنا أعرفه .. لقد كان مرافقا لى أثناء زيارتى لأمريكا فى عام ١٩٦٦ .. خيرا ؟

قال : ان الرئيس الأمريكى قرر أن تأخذ أمريكا موقفا ايجابيا فى حل القضية ، وستحدد ذلك فى ورقة ونعلنها لكم وللعالم ..

ثم قال المبعوث الأمريكى أن سيسكو سيذهب الى اسرائيل يوم ٢٧ يوليو ، وبعد عودته الى أمريكا ، ستعلن الورقة .. وستأخذ أمريكا دورا ايجابيا .. ولكن الرئيس الأمريكى ينتظر من مبعوثه برقية عن استفسارين :

١ ــ المعاهدة المصرية السوفيتية .. هل غيرت من طبيعة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟ .. والسؤال الآن .. هل تقوم القاهرة باستئذان الاتحاد السوفيتى فى أى تصرف .. ان اسرائيل منزعجة . والبنتاجون منزعج . **وكان رد مصر على ذلك :**بأن المعاهدة هى اطار لعلاقات قائمة فعلا .. وليست هناك أى وصاية على مصر فى أى تصرف لها . وهذا مبدأ أساسى فى السيادة المصرية .

٢ ــ هل يمكن اعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وأمريكا .. بعد المرحلة الأولى من الانسحاب ..

وكان رد السادات : نعم . لقد وعدت بهذا ، ولا عدول عندنا عن هذا الوعد ..

ثم قال الرئيس السادات :

حدث هذا فى ٦ يوليو . ثم سكوت الأموات ٧٠ يوما . سكوت أموات مع مناورات وتمييع ولعب .. ودعاية واسعة النطاق أن الاتفاق فى خطواته الأخيرة .. والهدف تخدير العالم كله ، لتمويت القضية ..

وفى ١٦ سبتمبر .. أجريت حديثا فى التليفزيون .. وكشفت كل هذا

الخداع • والغريب أن السوفيت صدقوا الخداع الأمريكى •• وتصوروا أننى اتفقت فعلا مع الأمريكان !

والحق أقول لكم أننى عشت ثلاثة أشهر حالكة السواد • يوليو وأغسطس وسبتمبر • وقبل يوليو عملية مايو • وفى يوليو وقعت أحداث السودان • قبل مايو •• بعض أعضاء مجلس الحكماء أبلغ السفير السوفيتى أننى بعت البلد للأمريكان •وأننى أصفى الاشتراكية والناصرية• المؤلم أن السوفيت صدقوا هذا الكلام •• وأننى أرجع ذلك لطبيعتهم •• الشك بحكم التكوين الطبقى •• والبطء فى اتخاذ القرار • وأقلت على صبرى فى ٢ مايو • وبدأ الصراع فى مجلس الحكماء • لماذا خرج على صبرى قبل ما ييجى روجرز بيومين ؟

حتتفسر • أنا ما يهمنيش التفسيرات ما دمت مقتنع بالقرار • حللها المحللون طبعا فى موسكو !

وقد حضر باناماريوف المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو • وجلست معه فى مناقشة صريحة فى موضوع الانقلاب الشيوعى الذى فشل فى السودان • قلت له : اننا فىمرحلة الوطنية التقدمية المضادة للاستعمار •وأنتم الحليف الطبيعى • ولكن شعوبنا لا تقبل النظام الماركسى • لسنا ضد الفكر ، بدليل أن لدينا ماركسيين فى اللجنة المركزية • ولكن تطورنا ينبع من أرضنا وتقاليدنا ودينا وحضارتنا ••

وكان هذا الكلام بالنسبة لباناماريوف طبعا ، كفرا والحادا •• لأن عقليته ستالينية ، وكان سكرتيرا للكومنترن وتقديرى أنه لعب دورا فى تشويش العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى •

وجاء شهر سبتمبر •• وأحسست أننا معلقون فى الهواء •

السوفيت لا يفهمون حقائق الموقف ••

والأمريكان •• يناورون ويراوغون لحساب اسرائيل ••

وطلبت السفر الى الاتحاد السوفيتى لمناقشة زعمائه فى كل التطورات

التى طرأت على الموقف . قلت اننى لا أملك أن أفقد أصدقائنا .. ومن حقى عليهم أن أسألهم .. لماذا .. ســوء التفاهم ؟ ..

وأكدت على رغبتى فى الزيارة .. واذا كان موقفهم انتهى بهم الى عدم التفاهم .. فليكن .. ولكن يجب أن نسجل هذا ، ونوضح المواقف .

وتحدد يوم ١١ أكتوبر للزيارة .

شعرت أمريكا بذلك . واذا بروجرز يعلن فى خطابه بالأمم المتحــدة ٦ نقاط أساسا للتسوية السلمية .

وكانت النقطة الأولى من بيان روجرز مقبولة .. وهى أن الحل الجزئى جزء من الحل النهــائى ..

ولكن أمريكا لم تحدد موقفها من باقى النقاط . ووضح اســتمرار المراوغة . وتقدمت أمريكا باقتراح أن ترسل مصر مبعوثا الى أمريكا ، للتباحث غير المباشر مع مبعوث اسرائيل ، عن طريق سيسكو . .

وأرادت أمريكا ألا تظهر بمظهر المراوغة .. فقالت أنها تبذل هذا المسعى الجديد لأنها تعرف أن سنة ١٩٧١ لابد أن تكون سنة حاسمة ..

ورد السادات بأسلوبه المعروف : ياه .. أنتم الذين تقولون هذا ؟ بلاش لعب . وأنا اللى بقول هذا ليل نهار .

وقبل أن يسافر الرئيس السادات الى موسكو فى ١١ أكتوبر ، وافق على الاقتراح الأمريكى بارسال مبعوث مصرى للقيام بمباحثات غير مباشرة عن طريق موسكو . واختار الدكتور مراد غالب لهذه المهمة ..

وجاء الرد أن واشنطن سعيدة جدا بموافقة الرئيس !

وفى موسكو تناقش الرئيس مع الزعماء السوفيت فى نقطتين :

الأولى : سوء الفهم من السوفيت الذى لا يرتكز على أى أساس .

الثانية : أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون عام الحسم .. لأن القضية

بعد عام ١٩٧١ ستصبح مثل قضية روديسيا . ١٩٧٢ عام الانتخابات الأمريكية . ستحصل اسرائيل فى المزايدات الانتخابية على قدر ماتحصل عليه ١٠ مرات . الرئيس الأمريكى الجديد يضع سياسة فى يونيو ١٩٧٣ . يتكلم آخر ١٩٧٣ . ندخل على عام ١٩٧٤ .. ويكون الأمر الواقع قد استمر حقيقة . وقف النار . اسرائيل باقية ولن تتحرك .

واقتنع الزعماء السوفيت بهذا المنطق الواقعى .. بعد جلستى ١٢ و ١٣ أكتوبر ..

وبدأت اتصالات جديدة من أمريكا مع أنور السادات بعد عودته من رحلة الاتحاد السوفيتى ..

ــ هل لا تزال عند رأيك ؟ ..

ــ نعم .. وأريد ايضاحا من وزارة الخارجية الأمريكية ، عن الدور الذى سيقوم به سيسكو فى المباحثات غير المباشرة .. لقد قلتم فى رسالة الرئيس نيكسون فى ٦ يوليو أن أمريكا ستؤدى دورا ايجابيا .. ولكنى لا أرى ايجابية فى نقاط روجرز الست ..

وجاء الرد .. ان دور سيسكو سيكون (catalist).

ــ وما معنى كاتاليست ؟ ..

وقال السادات لمحدثه الأمريكى : تسمح تشرحها لى بشويش .. لأن الكلمة دى جديدة على .. ولم أصادفها فى اللغة الانجليزية .

ــ معناها العنصر المساعد .. هى الفلزات التى تساعد على التفاعل فى العمليات الكيماوية ..

وبعدها .. قدمت أمريكا ايضاحا جديدا لدور سيسكو . سيكون عاملا مساعدا وساعى بريد ايجابيا .

وبعدها بيومين قدمت أمريكا تفسيرا آخر •• سيكون سيسكو •• « كاتاليست » • وساعى بريد غير سلبى ! ••

وهنا طلب الرئيس السادات ابلاغ الرئيس نيكسون •• أن أمريكا عادت الى أسلوبها الأول •• وأن مصر لا تقبل ما جاء على لسان روجرز فى نقاطه الست ، بأنه لابد من تنازلات من الجانبين ••

وحدد الرئيس السادات ، أنه لن تكون هناك أية مناقشـــة بين مصر وأمريكا ، قبل أن تعلن اسرائيل ردها بالايجاب على رسالة يارنج اليها •• وبدون هذا لا كلام ••

وقال لنا السادات : وهنا قطعت كل ما بينى وبين أمريكا من الاتصال ••

ثم حلل الموقف الأمريكى بقوله :

— أهداف أمريكا بوضوح •• هى ازالة الوجود السوفيتى فى الشرق الأوسط •• وعزل مصر •• والقضاء على النظام ••

أمريكا تريد اخراج اسرائيل كاسبة فى كل شىء •• ولا تريد أن تمارس أى ضغط على اسرائيل •• وأننى أستنتج الى حد القطع أن هناك تعهدات أمريكية سرية منذ عهد جونسون •• ملزمة لأمريكا أن تتخذ هذا الموقف مع اسرائيل وضدنا ••

وأمريكا تتصور ان اسرائيل سوف تحقق لها أهدافها فى المنطقة ••

وخلص الرئيس أنور السادات من هذا العرض الطويل الذى استغرق ثلاثة ساعات بالنتائج التالية :

— لا مناص من المعـــركة ••

— أمريكا مؤمنة بأننا شعب غير مقاتل •• والاتحاد السوفيتى يتصور أيضا أننا نحتج به فى عدم القتال ••

ـ اسرائيل •• مغرورة ومعربدة بنشوة النصر •

ـ العـالم كله •• لا أحد يهتم بأحـد ••

ونحن الآن أمام اختبار •• امتحان من امتحانات القدر • هل نكون أو لا نكون ؟

وأعلن السادات أنه سيمضى أغلب وقته فى الفترة اللاحقة مع القوات المسلحة • وأعلن عن تأليف غرفة عمليات فى الداخل •• للربط بين الجبهة الداخلية وكل متطلبات المعركة ••

وقال أن ساعة العمل الجاد الخطير قد حانت •• وعلينا أن نتحمل مسئوليتنا أمام التاريخ والأجيال •

الفصل السابع

أزمات مع السوفييت

●●● « قصة الأزمات بدأت مع جمـــال عبد الناصر . وقال انه قبل مبـــادرة روجرز ، عنـــدما وجد أن الموقف مـــع الاتحاد السوفتى ميئوس منه .. وحتى بعد أن بدأ الجسر الجوى لامداد مصر بالســـلاح بعـــد الهزيمة مباشرة فى يونيو ٦٧ . كان عبد الناصر فى قمـــة العصبية من الأسلوب السوفيتى فى التعـــامل الذى يريد أن يمسك بكل الخيوط فى يده . وســـجل ذلك فى مباحثاته مع الرئيس تيتو فى أغسطس ٦٧ فى الاسكندرية .. وتولى الســـادات المسئولية . وبدأت أول أزمة فى أول رحلة سريـــة . وحلت الأزمة .. وأعقبها أزمات .. ثم تحسن الموقف تماما بعـــد رحلة للدكتور عزيز صـــدقى بعـــد وساطة الرئيس الأســـد .. وقامت الحـــرب . وبدأت مشكلات الســـلام .. وبدأت الأزمات من جديد مع الاتحاد السوفيتى » ●●●

حاربنا معركة ٦ أكتوبر بسلاح سوفيتى •• هذا صحيح •

ولكن قواتنا كانت تستخدم أيضا أسلحة من بلاد أخرى • كانت أسلحة مكملة • ولكن الاعتماد الأساسى كان على التسليح الروسى •• منذ ١٠ يونيو ١٩٦٧ نعدما بدأ الجسر الجوى بين موسكو والقاهرة •• لانشاء أول خط دفاعى غرب القناة ، كان المسئول عن اعداده اللواء أحمد اسماعيل •

•• ومع ذلك فان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، مرت بمراحل عديدة ، من التفاهم ، وسوء التفاهم •• حتى فى عهد جمال عبد الناصر ، وبعد أن نشأت روابط قوية عميقة بين البلدين ••

بل قيل على لسان جمال عبد الناصر •• أنه قرر أن يقبل مشروع روجرز بوقف النار وهو على مائدة المباحثات مع الزعماء السوفيت •• دون أن يعلن عن ذلك الا بعد عودته •• لأنه وجد أن الاعتماد الكلى على السوفيت سوف لا يصل الى النتائج المرجوة ••

ولكن خلافات عبد الناصر مع السوفيت •• ظلت باستمرار فى دوائر الأسرار • لم تخرج الى سطور الصحف •• ولم تكشف عنها أية تصريحات من الجانبين •• وكان هذا طبيعيا ••[1]

---

(١) عندما حضر بودجورنى رئيس الاتحاد السوفيتى الى مصر بعد الهزيمة مباشرة فى صيف ١٩٦٧ طلب جمال عبد الناصر أن يتولى الاتحاد السوفيتى مسئولية الدفاع الجوى عن مصر بقائد سوفيتى . ووافق بودجورنى ، ولكنه عاد فى المساء وأبلغ عبد الناصر برفض موسكو .

سافر أنور السادات بعد ذلك الى موسكو بتكليف من جمال عبد الناصر وطلب تعيين قائد سوفيتى لسلاح الطيران .

كانت وجهة النظر المصرية ، أن هنـاك ثقة قائمة فى صداقة الاتحاد السوفيتى ، وأن مثل هذه الطلبات قد تعتبر تجاوزا على استقلال مصر ، الا أن صيانة الوطن تأتى فى الدرجة الأولى . فقد كانت طائرات اسرائيل تعربد فى سماء مصر بدون رادع .

ولقد أقام السوفيت جسرا جويا وبحريا بين الاتحاد السوفيتى ومصر لمدنا بالأسلحة . ولكن عبد الناصر كان فى قمة الغضب والعصبية من أسلوبهم فى التعامل . كانوا يستخدمون اسلوبا مبطنا يشعرك أنهم يريدون الاحتفاظ بكل الخيوط فى أيديهم . عبر عبد الناصر عن غضبه فى لقائه بالرئيس تيتو بالاسكندرية فى ٩ ، ١٠ اغسطس وسجل هذا فى مباحثات عبد الناصر وتيتو .
« من حديث للرئيس السادات الى مجلة الحوادث »

فبعد الهزيمة .. كانت عملية اعادة البناء العسكرى معتمدة على السوفيت ..

كما أن الموقف لم يتطور الى الحاجة الى الأسلحة الهجومية .. والى اتخاذ قرار الحرب ..

وكان جمال عبد الناصر — فى رأيى — يعتقد أنه سوف يصل الى حل سلمى .. دون اللجوء الى حرب أخرى ..

وعندما تولى أنور السادات المسئولية .. لم يغفل عن اعتباره أبدا جهود الحل السلمى . وكان يردد دائما أن ما نستطيع أن نصل اليه بغير حرب .. اذا كان عادلا ومشرفا .. فليس ما يدعو أن نصل اليه بالحرب والدماء وتضحيات الأرواح . ولكن الاعداد العسكرى للقتال لم يتوقف لحظة واحدة .

وتأزمت الأمور يوما بعد يوم ..

كانت تقديرات اسرائيل .. ومعها أمريكا بطبيعة الحال .. أن أنور السادات لن يملأ فراغ جمال عبد الناصر .. ولن يصل الى زعامته .. ولذلك فان احتمالات ضرب النظام من الداخل .. كانت آيسر سبيلا بالنسبة لهم ..

وكانت تقديرات الاتحاد السوفيتى ، أن أنور السادات .. لن يتحول بمصر الى دولة تدور فى فلك المعسكر الاشتراكى .. وكانت شكوكهم أنه يتجه الى اليمين .. والى الاتفاق مع أمريكا من وراء ظهرهم .. وشجع تقديرات موسكو ، أن فريقا من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا كان يوحى للسياسة السوفيتية بهذا .. وقد أراد هذا الفريق أن يعتمد على روابطه بالاتحاد السوفيتى .. وعلى اقناع موسكو أنهم دعاة الاشتراكية الحقيقيون .. وكانوا يتعاونون سياسيا فى الداخل مع اليسار المتطرف المحلى . فى التنظيم السياسى .. وفى التنظيم الطليعى .. ولذلك كانت كلمتهم مسموعة ، فى موسكو ..

ولهذا ثارت عقبات وخلافات عديدة بين الاتحاد السوفيتى وأنور السادات . وكان الرجل حريصا فى العلاقات مع موسكو على حقيقتين أساسيتين :

١ ــ الانطلاق فى قراراته من القاعدة الوطنية والسيادة المصرية الكاملة ..

٢ ــ عدم التفريط فى صداقة الاتحاد السوفيتى . ووضعها فى الاطار الصحيح الذى يحقق التعاون الكامل ..

وكان على ــ علم كامل ــ قبل توليه رياسة الجمهورية .. بكل تفصيلات العلاقات مع موسكو .. فقد أسند اليه جمال عبد الناصر ، مهمة هذه العلاقات ..

وبدأ التوتر الشديد فى العلاقات .. عندما أعلن أنور السادات ، بعد احتفال عيد العمال فى أول مايو ١٩٧١ .. اقالة على صبرى .

وكان أنور السادات يعلم أن هذا القرار ، سيفسر تفسيرا خاطئا من زعماء الاتحاد السوفيتى ..

ولذلك استدعى أنور السادات السفير السوفيتى .. وقال له .. دعنا نتكلم بوضوح .. وأننى لا أعتبر كلامى معك ، اتاحة لك للتدخل فى الشئون الداخلية .. ولكننى أريد أن أضع النقط على الحروف ، لكى تكون علاقاتنا واضحة .. صلة موسكو بالقاهرة .. هى صلة بين دولة ودولة . وليست بين دولة وأشخاص . ولقد قررت اعفاء على صبرى . وسوف تخرج صحف الغرب ، لتزعم أن هذا الاعفاء ضربة للعلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .. لأنهم يصورونه أنه رجل الاتحاد السوفيتى هنا .. وهذا من وجهة نظرى غير صحيح ..

لقد قررت اعفاء على صبرى لأسباب داخلية ، لا صلة لها بالعلاقات بين البلدين ، وهى علاقة بين دولتين .. ولذلك أبلغتك ، حتى لا يكون هناك مجال للتأويلات غير الصحيحة ..

وأعلن الرئيس قرار الاعفاء ..

ثم اتجهت ألسنة كثيرة الى السفارة السوفيتية فى القاهرة ، لتقول أن اعفاء على صبرى ، هو هدية قدمها أنور السادات الى أمريكا ، قبيل وصول روجرز الى مصر ..

وقالت هذه الألسنة أيضا •• أن السادات قرر بيع مصر لأمريكا ••

ولكن أنور السادات لم يأبه لكل هذه الآراء ••

وجاءت أحداث مايو ••

وكشفت التسجيلات التى كان يقوم بها أحمد كامل مدير ادارة المخابرات، بتكليف من سامى شرف عن قضية المؤامرة • ثم أكدت المؤامرة •• اعترافات أحمد كامل التفصيلية التى أدلى بها انقاذا لضميره ••

ولذلك •• فان اليسار المتطرف المحلى •• أو معظمه • وقد رأى نفسه مبعدا تماما من العمل السياسى العلنى والسرى الذى كان مسيطرا ، على كل مواقع العمل والانتاج •• بعد أن أعلن السادات حل التنظيم السرى•• ثم رأى هذا اليسار من يشاركونه فى مسئوليات الحكم وقد أصبحوا وراء القضبان •• أقول أن اليسار المتطرف المحلى ، اتخذ موقف التحـدى • وصور قضية المؤامرة على أنها مجرد تلفيق ، لكى ينفرد أنور السادات بالسلطة •• وبدأت الاتهامات ببيع البلد الى أمريكا •• وتصفية الاشتراكية •• وتحولوا جميعا الى ناصريين ملتهبين •• هكذا فجأة •• لقد تصوروا أن « لافتة الناصرية » فيها حماية لهم •• واخفاء للونهم السياسى •

وقد ظهرت آثار هذه التيارات فى الانتخابات التى جرت فى الاتحاد الاشتراكى ، وعضوية مجلس الشعب •• وفى انتخابات النقابات المهنية • وامتدت الى محيط الطلبة فى الجامعات •

وأصدر أنور السادات فى ذلك الوقت بيانا حاسما ، يكشف فيه هذه الأوراق ، وفى الوقت نفسه يحذر اليمين المتطرف اذا كان يتصـور أن ١٥ مايو يعنى ردة الى الوراء •

وليس هذا الفصل من الكتاب ، تسجيلا لكل هذه الأحداث ••

ولكننى أعرض هذه العجالة •• لأصل الى أول خلاف حقيقى بين الاتحاد السوفيتى وأنور السادات •• حتى وصل الخلاف الى قمته ، عندما أصدر الرئيس قرار الاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت ••

وقد استغل الخلاف الأول مع الاتحاد السوفيتى من العناصر اليسارية والمدعية للناصرية داخليا .. وفى كل التجمعات الشيوعية فى العالم العربى ، على أنه ارتماء فى أحضان أمريكا .. وهذا يعنى أن كل كلام أنور السادات عن الاستعداد للمعركة .. هو مجرد استعراض سياسى للاستهلاك لا أكثر .. وقد استغل الخلاف الأخير .. بعد اخراج الخبراء السوفيت .. على أنه دليل حاسم على أن أنور السادات لن يحارب .. فكيف يمكن أن يخرج خبراء الحرب ، اذا كان يريد الحرب .. ولكن فاتهم أن السادات لم يكن ليحارب مطلقا ، بجنود أو ضباط سوفيت ..

وفى حديث خاص للرئيس أنور السادات عن قصة الخلاف من أولها الى آخرها ، كما رواها بعد قرار الخبراء السوفيت .. أوضح السادات الحقائق التالية :

ـ عندما أعلنت مبادرة ٤ مارس .. استفدنا تحقيق هدفين .. أولهما استمالة أوربا الغربية .. وثانيهما أن تكون أمامنا فرصة لمزيد من الاستعداد العسكرى .. لحماية الصعيد . لقد كان موعد وصول البطاريات المتفق عليه مع الاتحاد السوفيتى فى فبراير . ولكنها وصلت فى شهر أبريل.

كان الموعد المتفق عليه أن تصل من ١٨ الى ٢٢ فبراير . ولكن قبل أن مؤتمر الحزب الشيوعى كان منعقدا فى ٣١ مارس .. ولم يكن الزعماء السوفيت يريدون اثارة متاعب حول مناقشات تسليح مصر فى المؤتمر .. فتأخر وصول بطاريات الدفاع عن قناطر الصعيد .

ثم طلب أنور السادات السفر الى الاتحاد السوفيتى .. وكانت أول رحلة له وهو رئيس للجمهورية .. وتمت الزيارة السرية فى أول مارس ..

وانعقدت جلستان عنيفتان ، سجل كل ما دار فيهما فى محضر المباحثات. كان أنور السادات يحس أنه لا يجد ردودا واضحة على ما يطلب . كان محور المناقشة .. أن اسرائيل تملك قاذفة مقاتلة أمريكية تصل الى أعماق مصر .. ولابد أن تحصل مصر على ما يقابلها .. ولا يمكن أن أسير دائما متأخرا عن اسرائيل .. والوقت يمضى .. والخطر يتفاقم .. وأمامى مسئولية تاريخية ...

وطلب أنور السادات •• طائرة حاملة صواريخ[1] •

وقالوا أنها من الأسرار العسكرية • واذا عرف الأمريكان •• فانهم سيصعدوا الموقف •

وقال السادات أن اسرائيل تملك السكاى هوك والفانتوم •• ومصر لم تصل الى طائرة أحدث من الميج ٢١ •

وافق السوفيت على اعطاء طائرات حاملات صواريخ ، بطيارين سوفيت • ولكن بشرط أن استخدامها فى القتال ، يكون بالاتفاق مع الحكومة السوفيتية •

قال السادات : لا •• القرار قرار مصر • دربوا أولادى عليها • وعندنا طيارون مدربون على نفس النوع من الطائرات من غير صواريخ ••

قالوا : التدريب يحتاج الى أربع سنوات ••

قال السادات : لا •• التدريب يحتاج الى أربعة أشهر ••

أصروا •

قال السادات : لا أريدها • أن أمريكا لم تشترط على اسرائيل ، عندما أعطتها الفانتوم ، هذه الشروط •• بل أن أمريكا أنذرتنا أنها لن تستطيع منع اسرائيل من الضرب فى العمق ••

وانتهت هذه المباحثات بصفقة أسلحة ••

فى آخر أبريل ١٩٧١ : وصلت بطاريات حماية قناطر الصعيد • موقف السوفيت لا يزال هو الشك فى أن أنور السادات سيكمل معهم المشوار •

---

(١) سافر عبد الناصر الى موسكو بعد ضرب مصنع أبو زعبل ، واتفق مع السوفيت على تزويد مصر بصواريخ سام ٣ . وأن يزودنا الروس بأطقم سوفيتية الى أن يتم تدريب الأطقم المصرية ، وأن يرسلوا الصواريخ بمجرد بناء القواعد . كما اتفقوا على ارسال طائرات تصل الى عمق اسرائيل . وارسلوا الصواريخ ولكنهم لم يرسلوا الطائرات . وموضوع الطائرات هو الذى أثاره أنور السادات مع السوفيت فى أول رحلة له الى موسكو بعد توليته رياسة الجمهورية . فاشترطوا موافقة الحكومة السوفيتية عند استخدام هذه الطائرات اذا ارسلوها ، ورفض السادات .

المنشقون من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا : يبلغون السفير السوفيتى أن أنور السادات فى أحسن الحالات •• سيضرب السوفيت بعد انتهاء المعركة • وهذا ضاعف من شكوك السوفيت •• وهم بطبيعتهم شكاكون •

فى أول مايو زيارة روجرز : ثم جاءت أزمة دولة الاتحاد •• وضح تكتل المجموعة المنشقة •• قرر السادات تصفية الصراع داخل القيـادة تحت شعار •• « حرية رأى •• نعم • صراع •• لا » • اقالة على صبرى • زاد تضاعف الشكوك لدى السوفيت •

وكان حوار السادات مع السوفيت يقوم على المنطق التالى : أن موقفكم محير لى • ألجأ اليكم عسكريا •• تطالبوننى بالسعى لحل سلمى • واذا سعيت الى حل سلمى •• تتشككوا • فلا سلاح عندى يحسم •• ولا حل سلمى •• اذن ماذا تريدون ؟ •• لمـاذا لا نناقش كل خلاف بوضوح كامل •

وفى أواخر مايو •• فوجىء الرئيس أنور السادات ، بطلب من الرئيس بودجورنى أن يحضر الى القاهرة • رحب السادات بحضوره ، واجتمع به فى مكتبه بقصر القبة •

وطلب بودجورنى عقد معاهدة بين مصر والاتحاد السوفيتى • وألح فى هذا الطلب ، على أنه يسير العلاقات بين البلدين على أساس واضح سـليم •

وقال له السادات : أنه يريد تفسـيرا لهذا الطلب المفـاجىء ، لأن عبد الناصر ألح على السوفيت فى عقد هذه المعاهدة منذ عامين •• ورفض السوفيت • وجدد الطلب بعد ذلك ورفض السوفيت • « والآن تطلبون المعاهدة •• لماذا لا نؤجلها حتى تنتهى الانتخابات وينعقد المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو •• وتحضر أنت •• ونعلن المعـاهدة فى المؤتمر •• وتلقى أنت كلمة فى المؤتمر » ••

ولم يقتنع بودجورنى •• وقال للسادات أن هذا قرار المكتب السياسى واللجنة المركزية •• وألح كثيرا أن يتم عقد المعاهدة •

ثم فاجأ السادات بودجورنى ، باستدعائه محمود رياض وزير الخارجية

الى مكتبه فى حضوره •• وطلب اليه اعداد معاهدة صداقة مع الاتحــاد السوفيتى •• فورا •• لكى توقع الليلة ••

وأنتعش بودجورنى فجأة •• وتهلل وجهه بالسعادة • كان فى تقديره أن الرئيس السادات لن يوافق • وكان محرجا لأنه مهمته فى مصر كانت تنفيذا لقرار سياسى •

وهنا قال له السادات أن المشكلة فى العلاقات بين البلدين هى الثقة • وهو يرجو ألا تكون هناك شكوك فى العلاقات • وبهذا يمكن أن تسير فى الطريق السليم • وهو قد قبل وجود المعاهدة •• لدعم هذه الثقة ••

وأثار السادات موضوع قاذفات القنابل ، الذى سبق أن رفضه الزعماء السوفيت فى مباحثات مارس ••

وكانت اجابة الرئيس بودجورنى وهو يحرك أصابعه :

ـــ عد على أصابعك أربعة أيام • وفى اليوم الخامس ستصل الطائرات• وسيتدرب عليها الطيارون المصريون •• وبكل شروطك •

ومرت ٨ أشهر •• ولم يرسل السوفيت شيئا ••

وفى يوليو •• قام الانقلاب الشيوعى فى السودان • ورفض الرئيس أنور السادات طلبا من الاتحاد السوفيتى بالاعتراف بالنظام الجديد • وناقش السفير السوفيتى ، بأن المنطقة العربية لا يمكن أن تقبل نظام حكم ماركسى • وقال له السادات أنه سيساعد نميرى على الخروج من هذه الأزمة • ولم تتقبل موسكو هذا المنطق • والمعروف أنه عندما قام الانقلاب الثورى الذى تزعمه نميرى •• كانت موسكو مترددة فى الاعتراف به •• وقد تم الاعتراف ، بعد لقاء بين أنور السادات والسفير السوفيتى •• أقنعه فيه بأن يسرع الاتحاد السوفيتى بالاعتراف ، لأنه نظام ثورى يقوم على مبادىء ٢٣ يوليو ••

توترت العــلاقات بين مصر وموســكو بسبب موقف عدم الاعتراف بالانقلاب الشيوعى الذى انتهى الى الفشل • وتطور التوتر الى شــبه قطيعة • وتضاعفت حملة السوفيت على نظام الحكم فى السودان •

فى ١١ أكتوبر : سافر الرئيس أنور السادات الى الاتحاد السوفيتى بناء على طلبه •• ذابت الثلوج بعد مناقشات حادة ؛ عن خطأ السلوك السوفيتى فى معالجة الموقف مع السودان ••

ثم جرى الحديث عن وعد بودجورنى بارسال قاذفات القنابل بعد ٤ أيام •• وها قد مضت ٦ أشهر •• « ونحن متفقون أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم » •• كانت مناقشة عنيفة •• أثبتت فى محضر المحادثات •

تدخل جريتشكو فى المناقشة •

قال له السادات : يؤسفنى أن أسمع هذا الكلام من ماريشال الاتحاد السوفيتى • ولو كنت قائدا للجيش المصرى •• وضربت المصانع المصرية •• لما كنت تقول هذا الكلام ••

وتدخل كوسجين فى المناقشة ••

ثم هدأ الجو ••

وأخيرا قال برجنيف : اسمع يا سيدى (وقرأ من بيان) •• سيكون عندكم هذه الأسلحة وقيمتها ٥٠٠ مليون روبل (دولار) ••

قال السادات : نحن الآن فى أكتوبر •• ضيعتم الوقت •• كان من الممكن أن يتم كل هذا من قبل فى مارس ••

قالوا : فهمنا •• وهذه « اللستة » ستصلك قبل نهاية ١٩٧١ •

وأكد أنور السادات فى هذه المباحثات •• كما كان يؤكد فى كل اتصالات مع الاتحاد السوفيتى على ثلاث نقاط أساسية :

١ ــ قرار الحرب •• هو قرار مصرى •

٢ ــ أن مصر لا تريد جنديا سوفيتيا يحارب من أجلها •

٣ ــ مصر لا تسعى الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة •

ومضى شهر أكتوبر ، ولم يتم التعاقد ..

ووقع الرئيس أنور السادات تفويضا للبعثة المسافرة لشراء السلاح .

وأرسل وزير الحربية الى موسكو اخطارا بأن البعثة جاهزة للسفر .

وجاء شهر ديسمبر ..

لم يجىء أى رد ..

فى ٩ ديسمبر بدأت حرب الهند وباكستان .. ورصدت مصر الامدادات السوفيتية للهند .. وفى ١٢ ديسمبر استدعى الرئيس أنور السادات السفير السوفيتى فى القاهرة .. وطلب منه توضيحا لهذا الموقف .. لماذا لم تصل الأسلحة ؟ ..

وطلب الرئيس أن يسافر الى موسكو للاجتماع بالزعماء السوفيت ، لتوضيح الموقف ..

وجاء الرد فى ٢٧ ديسمبر أن الزعماء السوفيت مشغولون .. وهذا كشف مقابلاتهم مع ضيوف أجانب .

وفى ٣١ يناير أبلغ الرئيس أنور السادات ، أنهم سيقابلونه فى ٤ فبراير وكان أنور السادات فى قمة الحرج ..

كان قد أعلن أكثر من مرة أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون العام الحاسم ان سلما أو حربا ..

واقتنع الزعماء السوفيت بذلك .. ولكنهم عدلوا عن اقتناعهم ..

وكانت أمريكا تناور .. بأكاذيب أن نيكسون سيتدخل ويحسم الموقف قبل نهاية ١٩٧١ .

وها هو ذا يرى نفسه .. فريسة للقوتين ..

القوة التى تعطى السلاح ..

والقوة القادرة على اقرار الحل السلمى ••

ولكنه استطاع السيطرة أخيرا على أعصابه الغاضبة•وكان يذهب الى ميت أبو الكوم ليتيح لنفسه فرصة الصفاء الذهنى ••

ولكن رأيه أستقر أخيرا على أن يتحمل •• لأن موقع المسئوليـــة عليه تبعات •• واستطاع أن يقنع نفسه ، بأن السوفيت كانوا يعدون لاجتماع نيكسون فى مايو ١٩٧٢ • وهم لا يريدون امداد مصر بسلاح جديد ، يدفع أمريكا الى تصعيد الموقف •• ومن ثم يمكن أن يضع عقبة أمام الاجتماع الذى ينتظرونه ، ويريدون له النجاح فى اقرار سياسة الوفاق ••

وسافر أنور السادات الى موسكو فى ٤ فبراير ••

وسأل برجنيف فى المباحثات سؤالا مباشرا ••

ـ من المسئول عن عدم تنفيذ وصول الأسلحة ••

وأجاب بريجنيف : أنا

فرد السادات :أنت تريد أن تحرجنى بهذه الاجابة •• حتى لا أناقشك•

ودارت أحاديث من بريجنيف عن اعداد الجبهة الداخلية للقتال وملاهى شارع الهرم •• وأشياء أخرى كثيرة أخذوا منها الدليل ، على أن الموقف المصرى غير مهيأ للحرب •

وكانت اجابة الرئيس السادات على هذه التساؤلات •• أن كل هذه الاجراءات الداخلية ، يمكن أن تتم فى أقصر وقت •• ولكنه لن يبدأ الا اذا حدد ساعة الصفر • ويستحيل أن يحدد ساعد الصفر •• الا بعد الاطمئنان الكامل على الاعداد العسكرى •• وانتهت المباحثات الى تفاهم ••

ووعد كوسيجين بأنه لن يكون هناك تأخير فى وصول الأسلحة ، وأنه أخذ تعليمات من اللجنة المركزية أن وصول الأسلحة سيكون تحت اشرافه الشخصى ••

وفى ذلك الوقت •• أدرك الرأى العــام فى مصر ، أن هناك أزمات

بين مصر والسوفيت حول الأسلحة ، وكانت أخبار امدادات أمريكا العسكرية لاسرائيل ، تتصدر الصفحات الأولى فى جميع صحف العالم •• وكثر اللغط بين أبناء الشعب ، وبدأت حملة على الموقف السوفيتى على ألسنة الناس •• وفى كل مكان ••

وضج الاتحاد السوفيتى بالشكوى ••

وتصرف أنور السادات السياسى •• ودافع عن الموقف السوفيتى فى مجلس الأمة •• وفى تصريحاته •• ولكنه لم يدافع كذبا ، لقد ذكر ما قدمه الاتحاد السوفيتى لمصر ، ولكنه لم يذكر الذى لم يقدموه ،

وهذا يؤكد حرص السادات ، على الاحتفاظ باستمرار علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى •• فى ظل المصالح المشتركة ••

وفى أبريل •• طلب الزعماء السوفيت الالتقاء بأنور السادات ••

وكان السادات حريصا على توضيح وجهة النظر المصرية ، فى اجتماع نيكسون مع الزعماء السوفيت فى مايو •• فى ظل سياسة التقارب بين المعسكرين ، وكانت الخشية •• ألا تعتبر مشكلة الشرق الأوسط ، مشكلة حالة مشتعلة •• بعد أن استمر وقف النار هذه الفترة الطويلة •• وأن يترك الأمر فيها لمستقبل المساعى السلمية •• التى أيقنت مصر أنها سائرة الى الفشل ، بسبب التعنت الأمريكى الكامل ••

وفى لقاء أبريل حدد الرئيس أنور السادات موقف مصر ،

حذر من أن يتفق الروس والأمريكان ، على تحديد ارسال السلاح الى دول النزاع فى الشرق الأوسط ، كانت أمريكا نشطة فى هذا الطلب من الاتحاد السوفيتى •• واذا حدث •• فهذا يعنى أننا لن نستكمل قوتنا المسلحة القادرة على الحرب ، فى الوقت الذى أصبحت فيه اسرائيل ترسانة عسكرية حديثة •• وهذا يعنى اجبارنا على الركوع والاستسلام •• وحذر الرئيس السادات من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب ، وأوضح أنها تسىء الى موقف الاتحاد السوفيتى وسمعته بين البلاد العربية ، لأنها تعنى مساعدة اسرائيل على اقرار الأمر الواقع ، •ثم موت القضية •• وأكد الرئيس موقف مصر المبدئى من تطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ،

وهو أنه لا مناقشة فى الحدود على الاطلاق • ولا تفريط فى شبر من الأرض • مع استعدادنا لتقبل الضمانات الدولية العادلة •

وتفهم الزعماء السوفيت وجهة نظر مصر تماما ••

وأرادوا أن يقوموا بعملية سياسية لتصعيد الموقف شكليا : أمام أمريكا ، قبل رحلة نيكسون ••

تقرر أن يحضر الماريشال جريتشكو الى مصر ومعه ميج ٢٣ •• وطيرها فى سماء مصر •• وأعلن بيانا معدا من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، اثنى فيه على كفاءة الطيارين المصريين •• مما يوحى — كذبا — أن الطيارين المصريين يستخدمون الميج ٢٣ المتوفر فى القوات المسلحة المصرية ••

كان هذا هو الهدف السياسى ••

ووافق أنور السادات على أعلان بيان جريتشكو •• كورقة سياسية ، وأن كان رأيه أنها ورقة خائبة •• لأنها تصعيد شكلى •• بينما تصعيد أمريكا يتخذ الأسلوب العملى وهو مد اسرائيل فعلا بالمقاتلات والأسلحة الحديثة •• واعترض السوريون على اذاعة بيان جريتشكو •• مادام لا يعبر عن واقع • ولكن أنور السادات أقنعهم ، بألا خسارة من هذا البيان ••

وطلب الرئيس من وزير الحربية اعطاء نياشين لجريتشكو وكل ضباط البعثة العسكرية التى حضرت معه حتى أصغر ضابط ••

وحمل الرئيس الماريشال جريتشكو رسالة منه الى الزعيم برجنيف خلاصتها :

* مصر تخشى ألا يسفر اجتماع نيكسون مع السوفيت عن أية نتيجة ايجابية نحو أزمة الشرق الأوسط •

* موقف أمريكا عام ١٩٧٢ سىء •• وسيزداد سوءا •

* الوقت بعد اجتماع موسكو سيكون ضيقا جدا •• ولابد من عمل شىء قبل انتخابات الرياسة فى أمريكا •

* مصر تؤيد موقف السوفييت نحو اعادة انتخاب نيكسون ٠ فهو أخف الأضرار بالنسبة لنا ٠٠ لأنه من الأفضل التفاهم معه بعد اعادة انتخابه ٠٠ بدلا من أن نبدأ من نقطة الصفر مع رئيس أمريكى جديد ٠

لا شىء يعزز موقفنا فى الاتصالات السياسية لتحريك القضية ٠٠ الا الارتكاز على موقف عسكرى قوى ، وتسليح قادر على الحرب ٠٠ وقد أقر الزعيم برجنيف من قبل هذا التصور ٠

وقال السادات لجريتشكو : أنه ينتظر تحليلا من الزعماء السوفيت بعد زيارة نيكسون عن النتائج المتوقعة ٠٠ وأنه يحس بخطورة مرور الوقت ٠

بعد ١٥ مايو وصل التحليل السوفيتى ٠

كان تحليلا نظريا فى كل صفحاته ٠٠ ولم يضع النقط على الحروف ، بأسلوب عملى ٠٠ وخلاصته أن الاستعماريين الامبرياليين الأمريكيين ٠٠ لا يزالون عند موقفهم ٠

ورد الرئيس أنور السادات على الزعيم برجنيف ٠٠ برسالة حدد فيها خطة عمل تعبر عن رأى مصر فى ٧ نقاط محددة ٠٠

وطلب الرئيس ردا سريعا لأن الوقت يجرى ٠٠

ومرت ٣ أسابيع ولم يرد الزعماء السوفيت ٠

استدعى الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء السفير السوفيتى ٠٠ وكان حديثه معه بلغة تفتقد الى الليونة ٠٠ وعبر عن أن مصر ترى فى هذا الصمت أهانة غير مقبولة ٠ واستدعى الدكتور مراد غالب وزير الخارجية السفير السوفيتى أيضا ٠٠ وأبلغه احتجاجا على التأخر فى الرد على رسالة الرئيس ٠

وجاء الرد مع ذلك فى ٨ يوليو ٠٠ أى بعد شهر ونصف من رسالة السادات وطلب السفير السوفيتى يوم الخميس أن يقابل الرئيس ٠

وأجل الرئيس موعد اللقاء الى يوم السبت ٠

وكان الرئيس متوقعا أن الرد لن يقدم جديدا •• فقد كان واضحا من بيان موسكو أن القوتين اتفقتــا على تجميد الموقف •• واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم •• وهذا يعنى دفع مصر الى الاستسلام •

وحضر السفير السوفيتى الى قصر الطاهرة ••

وحضر اللقاء أيضا حافظ اسماعيل مستشار الرئيس •

واستمع الرئيس الى الرد السوفيتى باللغة العربية • صفحتان ونصف صفحة • وكان الرئيس يستمع وعصاه الرفيعة (التى يعتز بها منذ حرب فلسطين) تحت أبطه •• كانت الصفحة الأولى •• شرح للجهود الشديدة التى بذلها الزعماء السوفيت لاقناع نيكسون أن يتضمن بيــان موسكو اشــارة الى قرار مجلس الأمن ومهمــة يارنج • وأن الحكومة الأمريكية ستكون بعد انتخابات الرياسة فى وضع تقدر فيه مصالحهــا ••

ولم يكن هذا بالشىء الجديد •• لأن اشارة أمريكا الى قرار مجلس الأمن لا تعنى شيئا • وسبق أن ملأ جولد برج (الصهيونى) ممثل أمريكا فى الأمم المتحدة ، الدنيا صياحا ، بأن أمريكا ستقف وراء تنفيذ القرار •• ولم يحدث شىء طبعا ••

كما أن مصر تلقت من واشنطن فى تلك الأيام بالذات •• رسالة تعرض فيها حلا جزئيا جديدا (كان مرفوضا من السادات) وتؤكد نواياها فى متابعة الجهود السلمية رغم الانتخابات •

ثم تابعت الصفحة الثانية من الرسالة •• تفنيدا لمــا يقال من أن الاتحاد الســوفيتى يرى فى مصلحته بقــاء حالة اللاحرب واللاسلم •• وأن من ينشرون هذه الدعوة هم اعداء الاتحاد السوفيتى ••

ثم سطور عن أن المعركة تحتــاج الى اعداد شعبى ونفسى •• والى تهيئة الروح المعنوية للحرب واعداد الدولة لهــا ••

وكان السطر الأخير من الرسالة يقول « أما عن مطالبكم فهى موضع دراسة » •• وسيطر أنور السادات على أعصابه فى صبر حتى انتهى من سماع الرســالة ••

وأسند يده على عصاه ، ونظر الى السفير السوفيتى فى غضب وسأل :

ــ هل انتهت الرسالة ..

السفير : نعم ..

السادات : هل هذه هى كل الرسالة ؟ ..

السفير : نعم ..

السادات : هذه الرسالة مرفوضة شكلا وموضوعا . وأنا لا أقبل أن يجىء لى رد بعد شهر ونصف .. وكفى أننى تحملت هذا الأسلوب عاما ونصف عام ..

لم ينفذ برجنيف وعده لى فى مارس ١٩٧١ .

لم ينفذ برجنيف وعده لى فى مايو ١٩٧١ .

لم ينفذ برجنيف وعده الثانى فى أكتوبر ١٩٧١ .

وغضبت جماهير الشعب المصرى . وتحملت . واتهمتكم الجماهير ودافعت عن مواقفكم لأننى حريص على استمرار الصداقة والتعاون .. ولكننى أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفيت ، أننى لن أتحرك على مزاج الاتحاد السوفيتى . أنتم غيرجادين معنا . لقد اتفقتم مع الأمريكان على تجميد الموقف ، وعــدم قيام المعركة . ولكننى لن أقبل وصاية منكم ولا من أمريكا ..

ثم وجه كلمة الى مستشاره حافظ اسماعيل ..

ــ النهاردة كام فى الشهر ..

حافظ : ٨ يوليو ..

الرئيس : أكتب يا حافظ كلمة سأمليها عليك .. ابتداء من هذه الليلة كل طرق التعامل مع الاتحاد السوفيتى موقوفة . تنتهى خدمات الخبراء السوفيت . المبانى العسكرية تعتبر ملكا لمصر . الأسلحة الموجودة بهــا أما أن تباع لنا صباح ١٧ يوليو أو تسحب ابتداء من ١٧ يوليو .

وبالنسبة لتنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية •• لابد أن تجرى مباحثات بين البلدين على أعلى مستوى •• وفى القاهرة •

السفير : أسمح لى أن أسأل يا سيادة الرئيس •• هل أرسل هذه القرارات الى موسكو •• على أنها للتفاوض بشأنها ••

الرئيس : لا •• هذه قرارات سيادة غير قابلة للمناقشة •

ثم قال الرئيس لمستشاره : يا حافظ •• هذه القرارات تبلغ فورا الى وزير الحربية للتنفيذ صباح ١٧ يوليو ••

وأنهى الرئيس المقابلة ••

* * *

والحق أن الرئيس أنور السادات لم يتخذ هذه القرارات على أساس انفعالى •• لقد ظل يفكر طويلا •• وكان يستمر مستيقظا حتى الرابعة صباحا ، فى شرفة استراحة القناطر •• ثم يستريح قليلا •• ويستيقظ ••

أن وجود قوات سوفيتية فى مصر •• سيكون عائقا فعلا عن المعركة • فليس من المعقول أن نقاتل وعلى أرضنا قوات أجنبية •

أن كل دعاية اسرائيل ومناوراتها السياسية تتركز على أنها ستحارب جيشا سوفيتيا فى مصر •• ولذلك فهى تسرف فى طلب الأسلحة المتقدمة من أمريكا وتحصل عليها ••

ان قاعدة الانطلاق فى فكر أنور السادات •• نحو هذا القرار •• هى قاعدة السيادة الوطنية •• فنحن متهمون بأننا فى حماية قوات سوفيتية• وفى الوقت نفسه ، فان كل جهود السوفيت قائمة على اقناعنا بالصبر •• وعدم المخاطرة بالحرب •• وانتظار نجاح المساعى من أجل تسوية سلمية•

وكان القرار مفاجأة عالمية كبرى ••

واستغلته صحف الغرب الموالية للصهيونية •• بأن هذا يعنى تماما أن أنور السادات فقد حليفه الوحيد •• وأنه لن يكون قادرا على الحرب • وتوقعت مقالات عديد من كتابهم انهيار حكم السادات من الداخل • وبعد

أن كانت اسرائيل : تصرخ ، بأنها سوف تحارب جيشا سوفيتيا فى مصر • أصبحت تقول •• ان هذا يعنى أن مصر أصبحت عاجزة عن القتال تماما وانطلقت فى سياسة العربدة ••

ورحب الشعب المصرى بالقرار ترحيبا •• ارتفع الى مستوى ترحيبه بقرار تأميم قناة السويس •

وتصور البعض أن هذا القرار تم بالاتفاق مع أمريكا ••

وهذا غير صحيح ••

بل أن كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية ذكر فى أحد لقاءاته مع العرب أنه يتعجب من شخصية أنور السادات الذى لم يساومه على قرار اخراج الخبراء السوفيت قبل أن يتخذه ••

وكان اليسار المتطرف المحلى والعربى مقتنعا أن هذه الخطوة تمت بالاتفاق مع أمريكا •• وتضاعف التهجم على أنور السادات ••

ثم بدأ نقد غريب للقرار من العناصر اليسارية ، اتخذ أسلوبا ذكيا ، لا يكشف عن خلفياته •• النقد يقول •• كان يجب على السادات قبل أن يتخذ القرار ، أن يعرف ماذا سيكون المقابل الذى سيجنيه من أمريكا •• كانت هذه العناصر اليسارية تردد وجهة نظر كيسنجر !

* * *

وأذكر أن قائد الجيش فى احدى الدول الاشتراكية •• التقى بمسئول مصرى فى عاصمة بلده بعد اعلان هذا القرار •• وأدى هذا القائد التحية العسكرية وقال للمسئول المصرى •• أرجوك أن تبلغ الرئيس السادات ، أننى أعظمه بالتحية العسكرية لهذا القرار الوطنى الشجاع ••

وكان موقف الصحفيين السوفيت الذين كنا نلتقى بهم •• وكانوا طبعا يعبرون عن الرأى الرسمى •• يتبلور فى عدة أسئلة يوجهونها ••

أيهما أفضل للدفاع عن مصر •• ضد أى عدوان اسرائيلى محتمل •• أن تكون على أرضكم قوات سوفيتية •• أو بدونها ؟ ••

أيهما أفضل اذا كنتم تستعدون للحرب فعلا •• أن تفيدوا من خبرة الخبراء •• أو تفقدوها ؟ ••

أنكم تتحـــدثون عن الحرب •• ولكنكم لا تريدون الحرب •• وأنتم تريدون أن تبرروا ذلك بعدم حصولكم على الأسلحة من السوفيت • ان ما لديكم يكفى للقتـــال اذا كنتم تريدون فعلا القتـــال •• ولكن الحقيقة أنكم لا تريدون ••

اذا كنتم تريدون القتال حقا •• فيجب أولا أن تتحقق وحدة عربية •• ويجب أن تكون لديكم قاعدة اقتصادية قادرة على الحرب •• ويجب أن تكملوا الاستعدادات الداخلية •• نقل الآثار •• تجهيز المستشفيات •• اعداد الدم •• التدريب على الدفاع المدنى •• أن تعيش أجهزة أعلامكم جو الاعداد للقتال •• ولكنكم لا تفعلون شيئا من كل هذا •• وتكتفون بالحديث عن الحرب ••

وكان السوفيت ــ من قبل ــ كما ذكرت ــ يعترضون على أن يكون عام ١٩٧٢ هو عام الحسم • وأذكر أن السفير السوفيتى دعا عددا من الكتاب والصحفيين الى عشاء قبل سفر الرئيس الى موسكو •• فى رحلته الأخيرة • وجاءنى من يقول أن السفير السوفيتى يرغب أن تجلس الى مائدته • وقيل مثل ذلك ليوسف الســباعى واحســان عبد القدوس •• وأحسست بعد المناقشة أن السفير تعمد أن يوضح لنا وجهة نظر السوفيت واستشهد فى ذلك بمثل سوفيتى يقول ما معناه •• عندما أدخل حجرة فيجب أن أعرف كيف أخرج منها • فلماذا تغلق مصر الباب على نفسها وتحدد نهاية عام ٧٢ بأنها النقطة الفاصلة ••

وأذكر أننى رددت عليه ضاحكا •• مادام فى الحجرة نافذة •• نستطيع أن نخرج منها بدلا من الباب ••

واستمر السوفيت على موقفهم •• وهو أنه علينا أن نتجنب الحرب ، ونستمر فى المساعى السلمية حتى بعد أن تحسنت العلاقات •• وسارت فى مجراها الطبيعى ••

وقد جاءت وفود عديدة من موسكو الى القاهرة •• للاتصال بالتنظيم السياسى ورجال الاعلام ••

وزارنى وفد برياسة الكسندروف نائب وزير الكهرباء •• وكل الوفد من رجال صحافة وأعضاء فى اللجنة المركزية ••

وكان محور النقاش الذى استمر فى مكتبى أكثر من ساعتين بحضور الأستاذ خالد محيى الدين •• أنه من صالحنا أن نترك تماما فكرة الحرب • وأن نكرس كل جهودنا من أجل السلام •• وأخذ يعطينا احصاءات وصورا عن ويلات الحرب وخطورتهـا ••

وأخيرا •• ضجر الرجل من نقاشنا •• ومن اصرارنا على أن الحرب هى الحل الوحيد •• فقال غاضبا :

ـ أنتم أحرار •• أننا لا نقيد أياديكم بالسلاسل حتى لا تحاربوا •• اذا كنتم قادرين على الحرب •• حاربوا •• وسوف تتحملون أنتم التبعات وهذا قراركم ولسنا مسئولين • ولكنا نحذركم كأصدقاء ••

* * *

أعود الى قرار الرئيس بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت ••

لقد نفذ القرار فى عشرة أيام • وخرج ١٠ آلاف سوفيتى أو أكثر • وأقامت الوحدات العسكرية المصرية اجتماعات تكريمية لهم قبل رحيلهم •

ولم يعترض السوفيت • ولم يتكاسلوا فى تنفيذ القرار • والحق أن الاتحاد السوفيتى أثبت بتنفيذه للقـرار أنه ليس الدولة التى وضعت جنودها فى أرض أخرى ، لأى هـدف غير الهـدف الذى من أجله طلب أصحاب الأرض وجودهم فيها ••

ولكنهم فى الوقت نفسـه •• غضبوا من مفاجاتهم بالقرار • وكان الرئيس قد أوفد الدكتور عزيز صـدقى رئيس الوزراء الى الاتحـاد السوفيتى ، وعرض أن يصـدر بيان مشترك بخروج الخبراء وشكرهم على ما أدوه من خدمات •• ولكن السوفيت رفضوا البيان • وفضلوا أن يكون ذلك بقرار من جانب واحد هو جانب مصر •• تعبيرا عن ألمهم من المفاجـأة •

وعاد الدكتور عزيز صدقى من موسكو وقال رئيس الوزراء لرؤساء تحرير الصحف أن السوفيت لم يناقشوا مطلقا فى موضوع القرارات

ولكن فى أسلوب اصدارها • وقد أبلغوا رئيس الوزراء أنهم مستمرون فى تنفيذ تعهداتهم ••

وقــد قدر السوفيت خطورة آثار القرار على وضــعهم فى الشرق الأوسط •• وتم الاتفاق على أن تحصر نتائج هذه العملية فى اطارها •• أما العلاقات الأخرى فهى مستمرة ••

وقال عزيز صدقى : وكان شعور السوفيت فى نهاية الزيارة شعورا طيبا • ولكنى لا أعرف ما فى القلوب ••

واستمر الموقف راكدا ••

وتطوعت آراء كثيرة وبالقول أن مصر خسرت بهذا القرار • وأنها أصبحت الآن وحدها معلقة فى الهواء ••

ولكن الواقع أن السوفيت •• لم يكونوا يريدون أن يستمر وضع القطيعة •• وكذلك القاهرة •• وفك حلقة الجمود الرئيس حافظ الأسد عندما سافر الى موسكو فى رحلة للتعاقد على أسلحة •• وفتح موضوع العلاقات المصرية مع الزعماء الســوفيت •• ووجد اســتجابة لبداية مباحثات جديدة مع مصر •• وحضر حافظ الأسد الى القاهرة وهو فى طريق عودته الى دمشق •• وتم الاتفاق مع الرئيس السادات •• على أن يسافر الدكتور عزيز صدقى فى رحلة مباحثات الى موسكو ••

وقبل أن يسافر عزيز صدقى الى موسكو فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٢ •• كانت قد نشأت تطورات زادت من سوء العلاقات ••

لقد نما الى علم القاهرة ، أن الاتحاد السوفيتى أعطى تعليمات الى سفرائه فى الخارج — فى أغسطس ١٩٧٢ — لكى ينشروا فى الأوســاط الدبلوماسية أن مصر طلبت قوات سوفيتية لكى تحارب لها ، وأن موسكو رفضت هذا الطلب •• وهذا هو سبب قرار أخراج الخبراء السوفيت ••

ثم نشرت تحليلات فى بعض الصحف الشيوعية تدور حول اتجاه مصر الى الغرب •• وأن قرار الخبراء السوفيت سببه أن مصر لا تريد أن تحارب ، ولكنها تحاول أن تلقى الأسباب فوق اكتاف الاتحاد السوفيتى

•• وعلمت القاهرة أيضا أن مثل هذه الأقوال بدأت تتسلل الى الداخل •• والى بعض مواقع الطلبة والعمـــال ••

ولكن مصر الرسمية قررت أن تحتفظ بتوازنها •• وألا تفتح معركة أعلامية أو سياسية مع الاتحاد السوفيتى •• واكتفى فى ذلك بمقالات موضوعية تناقش موضوع العلاقات دون مهاترات • وكان الخط السياسى أن تحتفظ مصر بالخلاف فى داخل حدوده دون تجاوز ذلك ••

وأصدرت اللجنة المركزية بيانا سياسيا ، وزع على مختلف قواعد التنظيم لايضاح الموقف •

وخلاصته • •أننا نحرص على الصداقة الحقيقية •• كما نحرص على المصالح المشتركة للبلدين •• ونحذر من استغلال العدو للموقف • كما أن مصر تريد علاقات صريحة واضحة مع الاتحاد السوفيتى فى اطارها الصحيح ، توضح حدود الدعم العسكرى السوفيتى بلا غموض • كما ناقش البيان سياسة الوفاق ••

* * *

وعـــاد الدكتور عزيز صـــدقى من رحلته الثـــانية الى الاتحـــــاد السوفيتى[1] ••

وأعلن فى بيان ألقاه فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، أنه وفق الى الاتفاق على اطار طبيعى جديد للعلاقات بين البلدين •

وانتشرت اشاعات بين الجماهير •• بأن الخبراء السوفيت سيعودون الى مصر •• وأن أنور الســـادات تراجع عن سياسته •• ومرت فترة بلبلة داخلية ، ساعدت عليها الحرب النفسية ••

وقد حدد الاتحاد الاشتراكى العـــربى طبيعة المرحلة الجـــديدة فى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى •• وأصدر بيانا تنظيميا وقال البيان :

---

(١) قالت صحيفة البرافدا لسان الحزب الشيوعى السوفيتى الرسمية فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ :

« ان نتائج زيارة عزيز صدقى بددت كل الافتراءات التى رددتها الدوائر الرجعية حول العلاقات المصرية السوفيتية يهدف وضع أسفين بين البلاد العربية والاتحاد السوفيتى » .

ـــ فى آخر أغسطس الماضى أصدرت الأمانة العامة بيانا تنظيميا عن العلاقات المصرية السوفيتية ، فى ظل قرارات ٨ يوليو التى أصـــدرتها القيادة السياسية ، والخاصة بانهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت فى مصر ، وتحديد الموقف بالنسبة لبعض الممتلكات والأسلحة السوفيتية الموجـــودة على أرض مصر •• ثم القرار الثـــالث الخاص باقتراح عقد اجتماع مشترك بين الجانبين المصرى والسوفيتى لاجراء مشاورات تتعلق بالمرحلة الجـــديدة •

وقد حدد البيان الأوجه الايجابية فى الصــــداقة بين مصر والاتحاد الســـوفيتى • كما حـــدد أوجه الاختلافات الهـــامة فى الاستراتيجية والمبادىء بين الصـــديقين • ثم خلص الى النتائج الموضــوعية لأوجه الأختلاف ، ومنها ان الاتحاد السوفيتى لا يرى أن التحرك لحسم قضية الاحتلال عن طريق المعركة أمرا حتميا ، وواجبا ، مما ترتب عنه صعوبات عديدة فى تزويدنا بما نحتاج اليه من أسلحة هجومية ، ومنها أن التقارب السوفيتى الأمريكى ، دخل مرحلة جديدة واستمر التصعيد الأمريكى فى الدعم العسكرى لاسرائيل •• وخلص البيان الى أن حرصنا على الصداقة المصرية السوفيتية حماية للمصالح المشتركة للشعبين ، يدعو الى أسلوب جديد تقوم فيه الصداقة على أساس موضوعى صريح واضح ، يحدد فيه الصديقان طبيعة المصالح المشتركة وحجمها ••

ومن هذا المنطلق ، بعث الرئيس أنور السادات ، برسالة الى الرفيق بريجنيف فى ٣١ أغسطس ردا على رسالة الرفيق بريجنيف التى تلقاها الرئيس فى ٣١ يوليو التى عرض فيها رؤية الجانب السوفيتى للموقف بعد قرارات ٨ يوليو ••

وتضمنت رسالة الرئيس أنور السادات ما يلى :

١ ـــ مصارحة كاملة للقادة السوفيت بكل أسباب الأزمة •

٢ ـــ تأكيد واثق ، بأن المعركة ، والمعركة وحدها ـــ هى محركنا الأول فى علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى •

٣ ـــ شرح واف ، للتصاعد الخطير فى حجم ونوع الأسلحة الأمريكية لاسرائيل • مما يقتضى تزويد القوات المسلحة المصرية بالأسلحة الهجومية الرادعة •• كما سبق أن ســـجل الرئيس أنور الســـادات فى مباحثاته السابقة مع الزعماء السوفيت •

٤ ـ تنبيه واضح للجانب السوفيتى الى أهمية الاتفاق على أسلوب جديد للعمل ، يضمن مواجهة الاستراتيجية الاسرائيلية الأمريكية فى المنطقة ، التى تستهدف تصفية القضية العربية نهائيا ، وفرض شروط اسرائيل للاستسلام فى حماية قوة ردع عسكرية تضمن أمريكا تفوقها وتصاعد حجمها ، وكفائتها بغير حدود .

وفى ٢٧ سبتمبر سافر الرئيس السورى حافظ الأسد الى الاتحاد السوفيتى ليبحث مع القادة السوفيت موضوع تسليح القوات المسلحة السورية ، والموقف العسكرى المترتب على العدوان الأخير .. وخلال تلك المباحثات تعرض الجانبان للعلاقات العربية السوفيتية ، والعلاقات المصرية السوفيتية بوجه خاص ، والرسائل المتبادلة بين الرئيس السادات والرفيق بريجنيف . والرئيس السورى ، كان على بينة كاملة بكل التفاصيل المتصلة بموقف مصر . وعاد الرئيس الأسد من موسكو الى القاهرة فى ٢٩ سبتمبر ، وعرض على الرئيس السادات ، كل جوانب ما دار فى مباحثاته مع القادة السوفيت ، وخاصة بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية . ومن هنا رأى الرئيس أنور السادات ، أن الظروف الموضوعية تقتضى أعمال القرار الثالث من قرارات ٨ يوليو ، فى ضوء الصورة التى جاء بها الرئيس حافظ الاسد من موسكو . ومن ثم قرر ايفاد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى موسكو فى ٦ أكتوبر لاجراء مباحثات مع الجانب السوفيتى فى اطار النقاط المحددة الواضحة التى تضمنتها رسالة الرئيس أنور السادات الى الرفيق بريجنيف[1] . وبذلك سوف تعالج المحادثات :

---

(١) .. قامت مصر أيضا بمبادرة صداقة طيبة من جانبها فى ديسمبر ١٩٧٢ . كان باقيا ثلاثة أشهر على انتهاء اتفاقية تسهيلات البحر الأبيض . كانت تنتهى فى مارس . والاتفاقية لمدة ٥ سنوات ، وقبل ثلاثة أشهر من انتهائها يتفق الطرفان على انهائها أو مدها . وقد كلف الرئيس السادات المشير أحمد اسماعيل بأن يبلغ الملحق العسكرى فى السفارة السوفيتية ، بأن مصر قررت من جانبها مد هذه الاتفاقية . ثم سافر المشير أحمد اسماعيل الى موسكو . وتمت صفقة أسلحة . ومن فبراير ١٩٧٣ بدأت العلاقات تأخذ الشكل العادى الطبيعى . وبدأت تصل الأسلحة . وجاء مؤتمر نيكسون الثانى مع الزعماء السوفيت فى يونيو ١٩٧٢ ، وفيه اتفق على ألا يحدث ما يعكر السلام فى جميع أنحاء العالم . وكان الموقف فى فيتنام قد هدأ . وبقى الشرق الأوسط . وكان هذا يعنى تجميد القضية المصرية نهائيا فى ثلاجة القوى الكبرى .

« من كلمات الرئيس فى جلسة مغلقة »

١ — الآثار المترتبة على الدعم العسكرى الأمريكى المطلق لاسرائيل ، الذى يمكنها من العدوان بغير رادع على الشعب المصرى فى كل مواقع مجاورة لاسرائيل •

٢ — مدى التزام الاتحاد السوفيتى الصديق . بالنسبة للتسليح الذى يضعنا على قدم المساواة فى القدرة العسكرية مع العدو ، بعد أن استبان بجلاء الموقف الأمريكى فى الدعم المطلق للعدو •

٣ — مدى قابلية الاتحاد السوفيتى للتحرك السياسى والعسكرى الايجابى ، أمام التحرك الأمريكى السريع سياسيا وعسكريا فى مواجهة أى حادث طارىء فى منطقة الشرق الأوسط وخارجها •

٤ — صورة واضحة لضرورات المعركة فى ظل الاعتبارات الأساسية السابقة ، ومدى استجابة الاتحاد السوفيتى لمتطلباتها •

٥ — التحديد الصريح لطبيعة العلاقات المصرية السوفيتية فى المرحلة الجديدة ، فى جوانبها العسكرية والسياسية ، على أسس حقيقية •

٦ — التأكيد المصرى بأن بلادنا تحارب معركتها بأبنائها وبقرار منها وفى ظل مسئوليتها التاريخية وحدها ••

وهنا يمكن أن تثار هذه الأسـئلة :

السؤال الأول :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيها الى نتائج تستجيب الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا •• ان قرار ٨ يوليو الأول الخاص بأنهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت •• يحتمل مناقشة جديدة ؟ ••

والجواب : لا •• قطعا وحسما •• ان قرار ٨ يوليو الذى أنهى مهمة المستشارين العسكريين السوفيت •• قرار لا رجعة فيه ••

السؤال الثانى :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيها الى نتائج الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا • ان قرار ٨ يوليو الثانى الخاص بتولى القوات المسلحة المصرية أمر كافة المنشآت والأجهزة العسكرية التى أقيمت على أرض مصر •• يحتمل مناقشة جديدة ••

والجواب : لا .. قطعا وحسما .. ان قرار ٨ يوليو الثانى ، قرار لا رجعة فيـــه .

لمـــــاذا ..

ان هذين القرارين يمثلان جانبا من الاستراتيجية الوطنية ، وليسا من قبيل المناورة أو الضغط .. ولقد نفذا تنفيذا كاملا فى ١٧ يوليو . واثبت ذلك أن القرار السياسى فى مصر ، لا ينبع الا من الارادة الوطنية فى ظل أى وضـــع وتحت أى ظـــروف ، وقضى بذلك على كل الدعاوات المضللة التى دأبت أمريكا واسرائيل على اطلاقها عن السيادة المصرية .

وخلص البيان الى أن الهدف من المباحثات ، وضع العلاقات المصرية السوفيتية فى اطارها الصحيح ..

* * *

وعاد الدكتور عزيز صدقى من موســكو .. والقى بيانا فى اللجنة المركزية صباح ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ عن نائتج مباحثاته[1] . وكان واضحا

---

(١) .. تضمن بيان الدكتور عزيز صدقى أمام اللجنة المركزية الفقرات التالية . ولكن هذه الفقرات حذفت عند نشر البيان فى الصحف بطلب من الدكتور عزيز صدقى . وهذه الفقرات هى :

ــ « قد يكون فى الصحافة المصرية رجعيرن ، وقد يكون فى مواقع الحكومة بعض غير المؤمنين بالاشتراكية . وهذا موجود فى كل بلد ، وأعتقد أنه فى البلاد الاشتراكية أيضا » .

ــ « لقد شعرنا أن الاتحاد السوفيتى قد ذهب فى معاونتنا الى حد معين ، ثم أصبحنا نعتقد أنه لا يريد أن يذهب أبعد من ذلك فى مساعدته لنا ، لقد قدم لنا المساعدات التى تمكنا من الدفاع عن أنفسنا ، ولكنها لا تكفى كما نتصور لتحرير أرضنا » .

ــ « دخل الاتحاد السوفيتى نتيجة للمباحثات التى تمت فى تعهدات جديدة معنا . ويكفى أن أذكر أنه قد تم الاتفاق على أن يسافر وفد عسكرى الى الاتحاد السوفيتى فى الفترة من ١٠ الى ١٥ نوفمبر » .

وواضح من الحذف أن الاتحاد السوفيتى أثار موقف الصحافة المصرية . وكان يتهم الكتاب الذين ينتقدون موقفه بالرجعية والعمل لحساب قوى الاستعمار أو لحساب الصين الشعبية . ولكن رئى أن ذكر هذا فى البيان يوجه اهانة الى الكتاب المصريين . وواضح من الحذف أيضا أن السوفيت ناقشوا موضوع التطبيق الاشتراكى ، وأن الجهـــاز القائم على التطبيق لا يؤمن بالاشتراكية .

والفقرة الثانية التى حذفت تعبر عن الخلاف فى وجهات النظر حول التسليح وكيانه ونوعياته .

والفقرة الثالثة كانت تذيع ما أريد أن يبقى سرا ، وهو أن وفدا عسكريا سيسافر الى موسكو للاتفاق على صفقات أسلحة جديدة .

أنه نجح . فى اعادة الحياة الى مجاريها ؛ على أسس واضحة . ثم تتابعت بعد ذلك وفود مصرية سياسية وعسكرية الى العاصمة السوفيتية .. ولكن الاتحاد السوفيتى .. كان عند موقفه الاستراتيجى الأول .. وهو تفضيل المساعى السياسية السلمية .. على تحريك القضية بالقتال .

ولكن لم يزر أحد من زعماء الاتحاد السوفيتى القاهرة .. باستثناء كوسيجين بعد قيام حرب أكتوبر .. ثم جروميكو بعد اتفاق الفصل بين القوات[1] ..

---

(١) .. وبدأت حرب اكتوبر . وكانت على غير ارادة القوتين الكبيرتين. الاتحاد السوفيتى كان يفضل الحل السلمى . وأمريكا كانت تتصور أن مصر لن تقوى على محاربة اسرائيل وتدعو الى استمرار وقف النار . وفى الساعة الثالثة من مساء ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ حضر كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى القاهرة . وحضر الى القاهرة فجأة وفى طائرة خاصة لم يعلن عنها الا عند وصولها الى مطار القاهرة ، وزير خارجية يوغوسلافيا ومعه سفيرنا سعد عفره . وكان الاتحاد السوفيتى يلح على وقف النار . وكان برجنيف قد اتصل بالرئيس تيتو وطلب اليه أن تتقدم يوغوسلافيا الى مجلس الأمن على وجه الاستعجال مشروع قرار يوغوسلافى بوقف النار . وأكد برجنيف أن الاتحاد السوفيتى وأمريكا متفقان على ذلك ، ولكن الهدف هو أن يقدم من دولة أخرى . وأبلغ تيتو معلومات غير صحيحة عن سوء الموقف العسكرى المصرى . واستقبل الرئيس السادات الرفيق كوسيجين اكثر من مرة ، الذى كان يجرى اتصالات مباشرة يوميا أكثر من مرة بزعماء الاتحاد السوفيتى فى موسكو . وكان كسينجر وزير الخارجية الأمريكى فى موسكو أيضا فى ذلك الوقت . كما استقبل الرئيس السادات وزير الخارجية اليوغوسلافى بعد وصوله مباشرة ، وكان الرئيس قد عرض مشروعا للسلام فى مجلس الشعب فى ذلك الصباح . وكانت وجهة نظر الرئيس السادات أنه لن يوقف النار والقوات المصرية منتصرة ، الا اذا تعهدت القوتان الكبيرتان بالتطبيق الفورى لقرار مجلس الأمن وضمنا الانسحاب الاسرائيلى الكامل . وتدخل رئيس وزراء بريطانيا برسالة خاصة الى الرئيس السادات قدمها اليه السفير البريطانى فى ساعة متأخرة من الليل .

وبدأت حكاية الثغرة ، والتدخل العسكرى الامريكى بالأسلحة الحديثة . واتفق على وقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر . ولم تحترم اسرائيل الاتفاق . واعلن الرئيس السادات أنه وافق على وقف النار بعد ضمان القوتين الكبيرتين للانسحاب الكامل ، وانه لن يحارب أمريكا . ولم تضمن أمريكا وقف النار . وتركت اسرائيل توسع من عبورها بالأسلحة الأمريكية الحديثة ، لكى تدعم موقفها فى المباحثات السياسية بعد ذلك . وطلب السادات التدخل العسكرى من كل من الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، لتنفيذ وقف النار . وتحركت قوات سوفيتية من البحر الأسود . وأعلنت أمريكا حالة الطوارىء الذرية . ثم تم وقف النار فى ٢٦ أكتوبر . وبدأت اتصالات السلام . وحضر كسينجر الى القاهرة . وتكررت رحلاته . من هنا بدأت المتاعب من جديد مع الاتحاد

. . . .

السوفيتي . لقد تصور مرة أخرى أن مصر ترسى علاقات جديدة مع أمريكا على حساب علاقتها بالاتحاد السوفيتي الذى لم يعد له دور ظاهر فى مباحثات السلام . والذى لم يحضر اتفاق الفصل بين القوات . وبدأ الاتحاد السوفيتى سلسلة من الضغوط على مصر ، لا مبرر لها ، الا هذا الوهم الخاطىء ، لأن مصر حريصة فعلا على علاقتها بالاتحاد السوفيتي . امتنع الاتحاد السوفيتى عن تعويضنا عن الأسلحة التى خسرناها فى القتال ، رغم أن أمريكا عوضت اسرائيل . ثم أعطانا بعض الأسلحة . ولكنه امتنع عن تعويض الطائرات . ثم طالب بسداد أقساط الديون والفوائد بالعملة الصعبة فى ظروف لا تسمح لنا بالسداد ، وخاصة أنه تنازل عن نصف ثمن الأسلحة السوفيتية لفيتنام بعد اتفاق السلام.ثم بدأت السنته تشن حملة على مصر ضد الانفتاح الاقتصادى ، بزعم أنه تصفية للاشتراكية.وحضر جروميكوالى مصر ، واجتمع به الرئيس أنور السادات ٤ ساعات بغير مترجم.وأوضح لجروميكو الحقائق التالية :

١ — ان علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى ليست كعلاقتها بأمريكا ، لأنه تربطنا بالاتحاد السوفيتى معاهدة صداقة . ولأننا نعطى تسهيلات بحرية للاتحاد السوفيتى ، لا نعطيها لأمريكا .

٢ — أن الدور الأمريكى الآن من أجل السلام ، لا يتناقض ابدا مع الدور السوفيتى لأن أمريكا هى القادرة على الضغط على اسرائيل . وكانت هذه دائما حجة الاتحاد السوفيتى دفاعا عن أن سياسة الوفاق مع أمريكا ، سوف تخدم الوصول الى حل سلمى ، لأن أمريكا قادرة على الضغط على اسرائيل.

٣ — تشويه الانفتاح الاقتصادى بأنه تصفية للاشتراكية والقطاع العام لا أساس له من الصحة . لأن ثمن مكونات القطاع العام يصل الى بلايين الجنيهات ، ولا يمكن أن يتوض هذا . وهو قاعدة صلبة للانفتاح .

٤ — ان الديون لا يمكن أن تسدد وهذا عرف عالمى ، بعد الحروب مباشرة ، وأنها تسدد بعد التعمير . وقد حدث هذا للاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية .

ولكن الأزمات الجديدة استمرت .

وقام الرئيس السادات بضغط سياسى ، فى عدة أحاديث صحفية كشف فيها عن الخلاف الجديد مع الاتحاد السوفيتى . ولكنه ترك الباب مفتوحا لاتصالات بين الجانبين .

وشرحت مصر بالاتصالات السياسية موقف الاتحاد السوفيتى للاحزاب الشيوعية فى مختلف الدول الاشتراكية الصديقة . واذاع الرئيس فى اجتماع مغلق يوم ١٤ ابريل ١٩٧٤ أن مصر طلبت حضور الجنرال ماشينكوف وهو عسكرى سوفيتى له تقدير خاص فى القاهرة ؛ وكان كبير الخبراء السوفيت . وطلب الرئيس منه أن يذهب الى الجبهة فى الشرق والغرب ، لكى يكتب تقريرا كاملا عن حقائق الوضع العسكرى ، واحتياجات مصر بعد المعركة . وأرسل هذا التقرير الى القيادة السوفيتية . وقد جاء فيه أننا فقدنا نصف القاذفات المقاتلة وفقدنا ٨٠ طيارا . ثم أرسل الرئيس السادات ٤ رسائل الى برجنيف ، وسجل فى آخر رسالة الى الزعيم السوفيتى ان اسرائيل استعوضت كل طائرة بطياريها وأن الاتحاد السوفيتى لم يرسل لنا طائرة واحدة . وأن هناك عقودا سابقة مبرمة معنا لم تنفذ .

ووضح أن مصر حصلت على مزيد من الأسلحة . لا كما تريد .. ولكن وفقا لما استطاعت أن تقنع به الاتحاد السوفيتى ..

ووضح أيضا أن أنور السادات بذل جهودا جبارة فى الحصول على أسلحة من دول أخرى غربية .. وشرقية . .

وسارت هذه الجهود العسكرية كلها فى طى الكتمان ..

وكان الاعداد العسكرى ، والتدريب على أكثر من خطة للعبور ، يجرى ليل نهار ، وباشراف مستمر من الرئيس أنور السادات ..

وكانت كل الدعايات حولنا تؤكد أن مصر لن تحارب .. لأنها عاجزة عن القتـــال ..

وكان البعض يتصور أن مصر لو بدأت عملية عبور .. فان اسرائيل ستدك المدن الكبرى دكا يحولها الى انقاض وتعـــود مصر مائة ســـنة الى الوراء ..

وكانت كل تصريحات القادة الاسرائيليين يوميا .. أن العبور عملية عسكرية مستحيلة .. لاستحالة اقتحام خط بارليف أولا .. ولأن مصر اذا وجـــد لديها السلاح .. فلن يوجد فى جيشها المقاتل ..

وخلال ذلك كله دعا أنور السادات الى الصبر والصمت ..

ولكنه اضطر الى مواجهة محاولات مستمرة لتحطيم الوحدة الوطنية من الداخل .. وساعد عليها خلافات مفاجئة نشـــأت مع السودان .. ثم مع ليبـــيا ..

= ورد الاتحاد السوفيتى على الموقف المصرى بحملات فى بعض صحف بيروت ، كلها تلقى اللوم على مصر ، وتعتبر نقدها للاتحاد السوفيتى مفاجأة .

وأمكن بعد ذلك بالاتصالات الدبلوماسية تحسين جو العلاقات ، والتمهيد لباحثات يجريها وزير الخارجية المصرية فى موسكو فى ١٥ يوليو ، اعدادا لمؤتمر قمة بين السادات وبرجنيف . وقبل سفر الوفد المصرى بخمسة أيام قرر الاتحاد السوفيتى فجأة تأجيل زيارة الوفد المصرى الى أكتوبر !

وحتى طبع صفحات هذا الكتاب لم يطرأ جديد على الموقف ، على الرغم من أن تقارير سفيرنا الجديد فى موسكو حافظ اسماعيل ، قبل هذا التأجيل المفاجىء ، كانت كلها تؤكد خلوص النوايا نحو تحسين العلاقات .

وفى ذلك الوقت كانت أكثر تعليقـــات صحف الغرب تؤكد أن النظام يهتز .. وأنه يتماسك بتصريحات صناعية من الرئيس السادات .. وأن الحكم سيهوى خلال أشهر ..

وقال لى مراسل الجارديان فى الشرق الأوسط : أننى أراهن بسمعتى الصحفية .. لو استمر نظام السادات ٣ أشهر !

وكان ذلك خلال مظاهرات الطلبة الثانية فى عام ١٩٧٣ ..

الفصل الثامن

أنا حزين ..

" أنور السادات "

●●● ((مظاهرات الطلبة تتسع . بيانات من ستة أعضــاء بمجلس نقــابة الصحفيين تصف الحكم بالقمع . بيانات من عدد من الكتاب عن المستقبل الأسود الكئيب . صحف الحائط مليئة بالعبارات البذيئة . اشاعات . صحف بيروت تردد ما يجرى . حالة تسيب ويأس . الرئيس يدعو رجال الصــحافة والأعــلام الى اجتماع مغلق ..

هذا الفصــل هو تســجيل لما دار فى هــذا الاجتماع الحاسم يذاع للمرة الأولى)) ●●●

سألت الرئيس أنور السادات مرة : كيف اتخذت قرار المعركة ؟ ..

فقال : اننى أشعر ان أرادة الله هى التى اتخذت قرار المعركة . هذا قدر . لم يصبح امامنـا من حل الا أن نحمل السـلاح لنحرر الأرض ونرفض الاستسلام . ليس هناك حل وسط .. الشعب رفض الهزيمة .. وهذه هى فلسفة الشعب . علينا ان نتحمل كل العقبات والتضحيات .. أو نختصر الطريق ونسلم ونحل القوات المسلحة ، وبدلا من أن تكلفنـا ٩٠٠ مليون جنيه فى السنة .. نخفضها الى ٢٠٠ مليون .. ونقبل شروط العدو .. ونعيش الى الأبد أذلاء .. وربما لاجئين .

كان هذا يقينه دائما ..

ولكنه كان يحارب فى أكثر من جبهة ..

جبهة الداخل .. التى تكتلت فيها غالبية قوى اليسار المتطرف .. بين الصحفيين والكتاب وأمتدت اتصالاتها وتجمعاتها الى فريق من الطلبة .

الجبهة العربية .. وشروخ الموقف .. بعد الأزمات مع السودان .. ثم مع ليبيا .. وتشكك دول عربية أخرى فى نوايا الرجل .

وهذا فى الوقت الذى كان يقاسى الأمرين فى سـبيل الحصول على الأسلحة من كل مكان ..

وفى الوقت الذى بذل جهدا دبلوماسيا جبارا على المسرح الدولى غربا وشرقا .. لوضع الدول عند مسئولياتها أمام خطر الأزمة .. وتهيئة الراى العام الدولى لتقبل المعركة عند وقوعها .

ولكن أحـدا .. لم يقدر حقائق الموقف .. ولا حقائق نوايا الرجل حق قدرهـا ..

وحتى الصحف العالميـة ، بدأت تنشر النكت .. ومنهـا ما نشرته النيوزويك نقلا عن ألسنة عربيـة .. بأن السادات رجل أسمر ، يجيد

الخطابة ، ويحكم مصر بعد وفاة عبد الناصر •• وهواياته وقف اطلاق النـــار !

* * *

وقلت ان التحركات المضادة للنظام ، المشككة فى قرارات أنور السادات بدأت تتحرك منذ ١٥ مايو •• وبعـد تصـفية مراكز القوى ، والغـاء التنظيمات السرية •• واحراق أشرطة التجسس •• واغلاق المعتقلات •• واعلان سـيادة القانون ••

وظهرت الاتجاهات فى انتخابات النقابات المهنية والاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة • وكان التكتيك هو الآتى :

١ ــ تصوير ١٥ مايو على أنه خطة مدبرة للقضاء على ثورة ٢٣ يوليو !

٢ ــ ان ما حدث فى ١٥ مايو ليس ديمقراطيــة •• بل هو صراع سـلطة •• والمطلوب انقاذ الديمقراطية ••

٣ ــ أن انور السادات يلجأ الى الحلول الاستسلامية •• ويخدع الجماهير بنداء الحرب ••

٤ ــ ان أنور السادات يصفى الاشتراكية ••

٥ ــ اين هى حرية الصـحافة ••

وبدأت تجمعات الطلبة الأولى ، فى كليات متفرقة • وانتشرت مجلات الحائط • وكان هناك تنسيق متكامل بين القائمين على الحركة فى الكليات المختلفة •• وكان للقيادات الطلابية التى عرف عنهـا الاتجاه الماركسى اتصال مستمر بكتاب وصحفيين من نفس اللون السياسى ••

وقد نشرت فى « الأخبار » وفى صفحة كاملة ، كل ما دار فى الجامعة فى اليوم الأول ــ للاضطرابات •• جميع البيانات •• التى صدرت عن

الطلاب •• خطب قادتهم •• الرأى المعارض لهذه الجماعة كما عبر عن نفسه فى بيانات أخــرى ••

ورأت القيادات الماركسية للطلبة ، ان هذا النشر يهدم تماما دعواهم بأنه لا توجد حرية صحافة • •واذا بهم يعلقون لافتات فى الصباح التالى على باب جامعة القاهرة •• وفى الميدان أمامه حتى باب كلية الهندسة •• لافتات كبيرة تقول أننى كلب السلطة !

وعندما سمعت بهذا توجهت الى الجامعة فى الصباح ، ومعى زميلى حامد دنيا الخبير بشئون الطلبة والجامعة ••

ووجدت صحفيا ماركسيا أمام تجمع عند باب كلية الهندسة •• وصاح هذا الصحفى •• هــذا هو موسى صبرى •• اننى أريد أن أكشــف لكم من هو ؟ ••

وتضاعف التجمع •• ورأيت باب الهندسة مغلقا ، وعليه حراس من قيادات الطلبة •• وطلبت أن ادخل ، وأن اجتمع بأى عدد من الطلبة لمناقشتهم •• ورفض الحــراس •• وزاد تضاعف التجمع •• وبدأت نوايا الاعتــداء على ••

وسألتهم •• هل هذه هى الحرية ؟ ••

فاتهمونى بالعمالة للسلطة •• وتركت التجمع وانصرفت يحيط بى جمهور مستفز •

ولا أريد أن اطيل فى قصـــة هذه المظاهرات الأولى •• والاجتماعات والاعتصام فى صالة جامعة القاهرة •• واكتفى بالقول ان الهدف كان هدم كل تنظيمات الاتحاد ، باعتبارها لا تمثل الطلبة ، وتكوين قيادات جديدة تحت أى اسم فى كل كليات الجامعة •• للسيطرة الماركسية الكاملة على الطلبة •• ثم الانتقال بهذا التكتيك الى محيط العمال •• وكل ذلك لهدم النظــام •• والسيطرة عليه ••

وطالبت المنشورات بابعادى عن الصحافة •

وآلمنى كل الألم أنها طالبت كذلك بابعاد محمد حسنين هيكل •• أى

أنهم وضعونا فى موضع واحد •• وهذا ليس بالصحيح •• اذا كان الهدف هو التحديد السليم للمواقف ••

وكانت القيادات الماركسية منظمة بحيث يحل محلها صف ثان •• وكان الأسلوب هو المعروف فى كتب التهييج المـاركسية •• ايقاف الاتوبيسات والتحدث الى الناس فيها بأسلوب مثير كاذب عن اعتقالات وقمع وقتلى •• تكوين مجموعات صغيرة فى الميادين ، تخطب وتثير مناقشات محفوظة ، وتوزع منشورات مكتوبة بخط اليد ••

ثم نقل صورة هذه الأحداث كاملة فى صحف بيروت •• بل طبعها بعد ذلك فى كتب أصدرتها دور نشر تصرف عليها منظمات ماركسية محلية وأجنبيـة ••

وانتهت حـركة الطلبة •• وبدأت محاولة اعتصـام فى دار نقابة الصحفيين ، من فنانين ، وانصاف مثقفين ماركسيين •• وفشلت ••

المهم ان الهدف كان ضرب النظام من الداخل •

وواجه أنور السادات الموقف بأسلوب ديمقراطى أيضا •• ودعا الى اجتماع لكل القيادات السياسية والمهنية والعمالية فى قصر عابدين •• وكانت بقايا تجمع المظاهرات لا تزال فى الميادين المؤدية الى قصر عابدين •• وقيل لأنور السادات فى ذلك الصباح أنه من الأفضل أن يتم الاجتمـاع فى استراحة القناطر ــ وكان مقيما بها ــ بعيدا عن القاهرة •• حتى لا يتعرض هـذا الاجتماع لخطر الانقضاض عليه من المظاهرات التى لا تزال باقية فى الميادين ••

ورفض أنور السادات رفضا قاطعا •• وبغضب • وقال : لست أنا الذى أهرب من أى موقف •• أننى لا أعمل فى الظلام •• وسأواجه الشعب بكل الحقائق •• وأصر السـادات أن يكون الاجتمـاع فى عابدين •• وتم الاجتماع فعلا •• وتحدث أنور السادات •• وكان غاضبا وصارح الشعب بالاتجاهات المختفية وراء قيادات هذه الحركة • وأكد طهارة

غالبية الطلبة •• وأشفق فعلا على حيرتهم وتمزقهم بعـد الهزيمة •• مما سـهل استغلال مشاعرهم ••

وانتهت هذه المرحلة بقرار من السادات . بالافراج عن الطلبة المعتقلين بأمر النيابة العامة •• وحفظ التحقيق ••

ولكن الدولة كانت على علم كامل •• بالجهـات التى اختفت وراء تحركات بعض قيادات الطلبة ••

وتغاضى السادات عن ذلك كله •• فى سبيل الوحدة الوطنية لمواجهة المعـركة •

ولكن قولى بأن قيادات حركة الطلاب كانت فى غالبها ماركسية •• وكان هدفها هز النظام •• لا يعنى ان عددا كبيرا من الطالبات والطلبة لم يتأثر بنداءاتهم •• الذى حدث •• ان الطلبة تأثروا فعلا •• وشـاركوا فى التجمعات عن اقتناع برىء •• لأن الأوضاع العامة فى البلاد فى ظاهرها ، كانت تدعوهم الى ذلك •• ولم يبذل التنظيم السياسى أى جهد فعال ، فى صفوف الجامعات ، لشرح حقائق الوضع السـياسى ، واتاحة الفرصة للمناقشات العـامة ، وتبادل الرأى •• ثم عندما حدثت الاصطدامات بين رجال الأمن والطلبة •• كان من الطبيعى ان ينحاز الطالب الى زميله ••

ولكن ما جرى بصـفة عامة ، كان نتيجة طبيعية لتمزق الهزيمة •• وللحرب النفسية الطاحنة التى صورت مصر فى موقف العاجز ••

ولم تتجاوب الجماهير العريضة مع مظاهرات الطلاب ••

وكان منطق المواطن العادى يردد : « ماذا يريدون ؟ •• وهل أنور السادات هو المسئول عن الهزيمة •• لقد تسلم الرجل تركة ثقيلة •• أعطوه الفرصة لكى يعمل • وهل يتردد السادات فى الحرب ، اذا وجد نفسـه قادرا عليهـا ؟ » ••

* * *

وأذكر أننى اجتمعت مع عدد من قيادات الطلبة الماركسيين •• ومن يحملون شـعار الناصرية •• ثلاث اجتماعات استمرت ٢٧ ساعة •• لمناقشة الحقائق معهم •• وناقشنا قضايا ــ الحرية والديمقراطية والحرب و ١٥ مايو والعلاقات مع السوفيت •• والمساعى الدبلوماسية •• والبناء الاشتراكى •• الى آخر كل ما كانوا يثيرونه ••

وتأكدت •• واقتنعت •• أن هذه القيادات لا تريد أن تقتنع •• أنها مصرة على رأى ، لا تريد ان تتزحزح عنه •• وهو تحدى هذا النظام ، والدعوة الى عدم الثقة بأنور السادات •

* * *

ثم جاءت حركة الطلبة الثـانية ••

ولكن الظاهرة هنا تغيرت • وقد بدأ التغير فى ارتباط كامل واضح بين قيادات الطلبة الماركسيين والحاملين لشـعار الناصرية •• وبين فريق يسارى من أعضاء مجلس النقابة •• ثم اتسعت لتصل الى عدد من الكتاب وعلى رأسهم توفيق الحكيم !

* * *

ورأيى مع كل الاحترام لتوفيق الحكيم •• أنه تصور ان النظام يهتز •• وان هـذه الموجه ستكتسح •• ورأى ان يركب الموجة •• اذ رئى له ان يركبهـا ••

واذا بنا نفاجأ بجمعية عامة لنقـابة الصحفيين • تتحول كلهـا الى مناقشات تتهم النظام بالقمع والارهاب •• وتصدر بيانا كأنه انذار الى رئيس الجمهورية بالمطالبة بحرية الصحافة •• وتصدر بيانا يطالب بحماية حرية الصحافة الجامعية •• أى صحافة الحائط •• وكانت سطور مجلات الحائط فى بعض الكليات قد تجاوزت كل حدود الآداب العامة !

واذا بنا نفاجأ أيضا ببيان كتبه توفيق الحكيم[1] •• ووقع عليه عدد من الكتاب ، يقول ان المستقبل كئيب •• وان حجة قرار المعركة تعلق عليها

---

(١) طلب توفيق الحكيم مقابلة الرئيس فى يوليو ١٩٧٤ ، وقـدم الى الرئيس بيانا جديدا موقعا عليه من نفس من وقعوا البيان السابق ، أكدوا فيه خطأ تقديرهم ، وثقتهم الكاملة فى قيادة الرئيس السادات .

كل الأخطاء •• وان البلاد متجهة الى كارثة •• وان شبابنـــا ملقى به فى رمال الجبهة لينسى علمه !

وكل ذلك ينشر فى بيروت فى نفس اليوم •• وعلى أوسع نطاق ••

وتحرك عدد كبير من الصحفيين والكتاب لتحدى هذه الأوضاع •• التى كانت تساندها قيادات صحيفة الأهرام ••

وعقد اجتماع فى منزل الفنان رخا • حضره يوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمد صبيح ومصـــطفى بهجت بدوى وحافظ محمود •• وكاتب هذه السطور •• وغيرهم وتم الاتفاق على أن يحضر الصحفيون اجتماع الجمعية العامة التالى لنقابة الصحفيين •• وأن تكون معركة حياة أو موت ، لكشف الاتجاه اليسارى وأهدافه •• ثم أصدرنا بيانا وطنيا يؤيد موقف الرئيس السادات ، الذى أعاد جميع الصحفيين المفصولين ، والذى اعلن فى اجتماع سابق مع أكثر من مائتى صحفى أنه يريد حرية الصحافة • •وان يؤلف مجلس أعلى للصحافة • •ثم يصدر الصحفيون ميثاق شرف •• والذى رفض أن يمنع صحفى واحد فى عهده من الامساك بالقـــلم ••

ثم تدخل سيد مرعى أمين اللجنة المركزية فى نفس الليلة •• وعرض أن يعقد اجتماعاً مشتركا للقيادات الصحفية مع مجلس النقـــابة •• وعقد الاجتماع وانتهينا الى اجراء بيان موحد •• يناقض كل ما جاء فى بيان مجلس النقابة السابق ••

ونشر البيان فى الصحف •• وكانت ســـطوره تأييدا صريحا واضحا لموقف الرئيس السادات وسياسته •

ولكن أعضاء مجلس النقابة اليساريين ، دعوا الى عقد اجتماع لمجلس النقابة بعد ذلك ، ضمنوا فيه الغالبية العددية •• وأصدروا بيانا يؤيد مظاهرات الطلبة ، ويتهم النظام باستخدام القمع •• واستقال عضوان من مجلس النقابة احتجاجا هما الفنان رخا وعثمان لطفى السكرتير العام المساعد لمؤسسة اخبار اليوم ••

ولم يقدر لحركة الطلبة أن تحقق أى هدف • وبدأت النيابة التحقيق •• وتبين أن الهدف المبيت لدى البعض •• كان أشعال حرائق فى الميادين •• وبث الفوضى •• وقلب النظام •

وظهرت مقالات فى الاهرام والجمهورية •• تؤيد تحركات الطلبة •

ولكن لم ينجح تكتيك انتشار الحركة فى النقابات المهنية الأخرى •• أو فى النقابات العمالية ••

ولا أريد أن أطيل فى سرد هذه الأحداث •• ولكننى أريد أن أصل الى اجتماع مغلق ، دعا اليه الرئيس أنور السادات أكثر من مائتى صحفى •• وعبر فيه عن مشاعره ازاء كل ما جرى •• بقوله : « أنا حزين •• حزين » •• ولم ينشر ما دار فى هذا الاجتماع •• وأعتقد أن المجال مناسب الآن لنشره ، ليتبين القارىء مدى المعاناة التى كان يقاسيها أنور السادات •• وهو يتابع الاستعداد العسكرى الصامت للقتال •• ثم تخرج هذه الأصوات ، لينتشر صداها فى البلاد العربية ، وفى صحافة العالم ، وتتهمه بأنه يسعى الى حلول استسلامية •• انهزامية !

قال أنور السادات فى هذا الاجتماع المغلق •• وكانت رنات صوته تعبر عن ألم مكتوم ••

— فى كل المراحل الأساسية ، دعوت رجال الصحافة لكى أوضح لهم كل حقائق الموقف •

حدث هذا عندما انقطعت الاتصالات مع أمريكا •• وعندما صدر قرار الخبراء السوفيت •• وعندما اتخذنا قرارا فى اللجنة المركزية والهيئة البرلمانية بمواصلة السير مع الاتحاد السوفيتى •• كانت الصحافة حاضرة فى كل المواقف ، ولم تكن غائبة أبدا • وهذا يحدث لأول مرة فى تاريخ عملنا السياسى ونضالنا • قبل هذا الاحزاب هى التى كانت تضع السياسة •• وصحافة الاحزاب تأخذ التعليمات من الاحزاب مباشرة ••

بعد الثورة •• هيكل المجتمع تغير •• أصبحت صحافة الشعب كله ••

وبعد هزيمة ٥ يونيو ، كان من الضرورى فى كل المواقف ، المشاركة فى الرأى والتفسير .. لأن معركتنا ليست معركة هيئة بذاتها أو فرد بذاته أو تنظيم بذاته .. المعركة معركة الشعب كله .

عندما ضربت اسرائيل العمق .. كان الشعب كله معرضا للضرب .. ولو قدر للمخطط الاسرائيلى فى عام ١٩٧٠ ان ينفذ كما كان مقررا له فى ٦ أشهر .. كانت اسرائيل تريد ضرب كل مرفق من مرافق بلدنا .. وكان الشعب كله سيتعرض فى مختلف أماكن عمله .. للضرب .. اذن هى معركة الشعب .. ومن المنطق والمعقول والضرورى ان يعيش الكل هذه المعركة فى ابعادها كاملة : مرحلة ، مرحلة ..

اليوم وأنا اجتمع بكم ، أكمل نفس المبدأ الذى سرت عليه . حتى نكون جميعا على علم ومتابعين لما يتم ويحدث ..

اليوم يختلف الأمر عن المرات السابقة .. فى أكتوبر ٧١ وما بعده .. وفى أكتوبر ٧٢ .. والاجتماعات الأخرى .. كنت أضع أمامكم الصورة عن آخر تطورات تتم فى المرحلة . اليوم الأمر مختلف . أريد الى جانب وضع آخر تطورات هذه المرحلة .. أريد اضافة شىء آخر .. لوم وعتاب لماذا ؟ .. لأن احداثا وقعت فى بلدنا .. وأريد ان اتساءل عن دور الصحافة . ومن هنا يأتى لومى وعتابى ، خاصة وأنه تربطنى بأكثر الموجودين علاقة زمالة صحفية ، وأعرف ما هو العمل الصحفى .. وما هى أبعاده .. بالنسبة للمرحلة الجديدة فى نضالنا أقول ليس أمامنا الا أن نحمل السلاح . ولن نكون أذلاء .. ولن نتحول فى بلادنا الى لاجئين . هذا أمر لا جدال فيه ولا مناقشة . قرار المعركة نهائى .. التوقيت فقط هو الباقى .

ومن السخافة — وأنا احدثكم كزميل لكم — أن يكتب بعض الكتاب بيانا يعبر عن الحقد والروح الانهزامية ..

كيف نتخلف عن المعركة ؟ ..

يصدر عن البعض منا ، ان الوضع غامض . أيه الغموض اللى فى الوضع ؟ ..

أننى أعذر غالبية الطلبة .. القـاعدة الأساسية من الطلبة أكثر من ٩٥٪ منهم منتظمون فى الدراسة الى يومنا هذا .. وأنا أقدر ان شبابنا مبلبل ويعيش فى فراغ . أما ان يقول كتاب وصـحفيون ، ان الوضع غامض .. فهذا هو غير المقبول ، الا اذا كانت نفس الصحفى ملتوية ..

تسـليم ..لا .

عن نفسى أرفض . أنا لا أصلح للتسليم ..

ما هو هذا الغموض ، الا اذا كان الكاتب أو الصحفى يريد أن يفرض نفسه رئيسا للجمهورية . أو قائدا عسكريا .. ويضع لنـا خطة ؟ ..

من الممكن ان يكون الغموض فى جزئية .. ولكن ليس فى صلب المعركة .. أو صلب الهدف الأساسى .

لقد أوضحت كل شىء أمام مجلس الشعب فى افتتاح المجلس فى ١٥ أكتوبر .. ثم فى ديسمبر . .ما معنى الغموض عند صحفى .. علشان بيتفلسف ويقول الحلول التصفوية والاستسلامية .. قبل هذه التعابير كنا بخير .. كانت صحافتنا وأنا شاب فى السجن ، تدعو الى بناء الفرد .. وتحفزه ان يكون فى ذاته قوة لا تقهر .. ولكننا أصبحنا الآن نمشى فى التعابير اياها ! .

انعكست هذه العملية فى الشـهور الأربع الماضية .. انعكست على المجتمع .. وعلى الطلبة الطيبين الطاهرين .. لأن الصـحافة لم تقم بدورها ، الى جانب وسائل الاعلام أيضا ..

فى الأشهر الأربعة الماضية .. أول ما قال ذلك الفريق من الطلبة .. لاتوجد الآن ـــ ديمقراطية !! .. أسلوب الدولة الآن هو أسلوب القهر ..

بعد الدستور الدائم .. وبعد صدور القوانين المكملة للدستور .. وبعد قفل المعتقلات .. وليس فى مصر اليوم معتقل واحد .

بعد هذا كله .. لم أقرأ فى الصحف الا مقالات معدودة على الصوابع . .عن الديمقراطية . .اما الذين يكتبون البيانات لنشرها فى بيروت .. فلم يكلف أحد نفسه .. ليعبر عن الحقيقة ..

لقد كنت طالبا .. وكانت الاحزاب تستقطب الطلاب .. ليضـاربوا لحساب الأحزاب .. وليستخدموهم كمادة متفجرة لصالح الأحزاب .. ولكن المجتمع الآن تغير .. ولكن يجرى فى محيط الطلبة نفس الشىء .. بدل حزب الوفد .. بقى فيه الماركسيين و الباقى اخوان .

اين اذن الحركة الطلابية وأهدافها فى بناء مجتمع الثورة ؟ ..

وهذا لا يسرى على الطلبة فقط . أعذرونى لأننى اتكلم بصراحة مطلقة هذا الكلام فى الصحافة أيضا .

الصحافة لم تتطور بعد الثورة .. حلت على الصحافة موضة جديدة ، هى المناقشات الايديولوجية و المباريات على من يكتب التعابير « التخينة » لكى يكون مثقفا !

ابتدأت حركة الطلبة بشعار أنه لا توجد ديمقراطية فى البلد .. دولة قمع .. دولة بوليسيه ..

هل تقرون هذا ؟ .. هل نحن فعلا فى دولة قمع ؟ ..

ان الذين قبض عليهم من الطلبة ، فى مخطط جنـائى ، وفى ظروف استثنائية ، مقبوض عليهم بنص القانون العام ، لا بسلطة الطوارىء .

ان الأشهر الأربعة الماضية ، تميزت بنوع من التسيب السياسى .

فى الجامعة قامت عناصر ضئيلة جدا ، فى أكتوبر تحت شعار الأرهاب والحلول الانهزامية .. والاستسلام والحكم صفته كذا .. وصفته كذا .. وتدرجت فى التصاعد حتى الشهر الأخير ..

وهنا شىء أساسى يجب ان أوجه فيه اللوم للكتاب والصحفيين .. هو موقف الصحافة .

كما قلت واعلنت مرارا ، أننى اطبق فعليا لا شعاريا .. دولة المؤسسات وكما قلت امام مجلس الشعب .. بعد عبد الناصر شعرنا بفراغ كبير . مؤسساتنا لم تكن لها الفعالية . الشعب يملأ الفراغ بعد موت عبد الناصر ، بأسلوب شرعى هو أن توجد المؤسسات الدستورية والسياسية التى تتحمل التبعات . ولن أتراجع فى قيام دولة المؤسسات ، وتدعيمها كاملة.. ومن خلال المؤسسات تجرى الممارسة الديمقراطية . فى كل نقابة مجلس ادارة . يجتمع ويقول رأيه ويبلغ الرأى للاتحاد الاشتراكى .. تجرى مناقشة .. ممارسة ديمقراطية .. تنتهى الى رأى .

لا يمكن أن أى هيئة تفرض رأيها على الدولة .. ولا يمكن ان أضع فريقا فوق سيادة القانون .. وفوق الممارسة الديمقراطية ..

وواجب الصحافة تعميق مفهوم ممارسة الديمقراطية ، فى ظل المؤسسات وسيادة القانون ..

لقد تجاوزنا مرحلة الطفولة .. مرحلة ضرب وحرق الترام والاوتوبيس فى الشارع .. تجاوزنا الى دولة محترمة ونظام محترم .

بيقولوا .. ان فيه حلول تصفوية .. طيب .. والذى يقول هذا عليه أن يذهب الى مجلس الشعب .. ويطلب عقد لجان استماع .. يدعى اليها المسئولون .. تجرى المناقشات .. أنا الذى وضعت النص فى لائحة البرلمان ، على جلسات الاستماع عندما كنت رئيسا للمجلس ..

أما ان يجتمع ٥ أو ٦ أشخاص ، ليقولوا أن الموقف خطير والبلد راحت وينشروا بيانات واشاعات .. فهذه ليست ممارسة ديمقراطية .

وأنفى اتساءل .. كيف يمكن أن يتم حل تصفوى كما يقولون من وراء ظهر الشعب ؟ ..

هــذا افتراء ••

هذه كلمات حق يراد بهــا باطل •

لكل مواطن الحق ان يبدى رأيه ، وان يشترك فى اعداد قرار مصير بلده •• لكن عن طريق المؤسسات الدستورية وبالأسلوب الديمقراطى •• وليس بأسلوب الضرب بالطوب •

يقولون دولة قمع ؟ •• نســوا تماما ســيادة القانون •• نســيها الصحفيون أيضا ! ••

لقد عانينا كثيرا عندما افتقدنا سيادة القانون ، وأكثر ما عانينا منه هو الأمن الشخصى للانسان •• ان سيادة القانون تضىء أول ما تضىء كرامة الفرد ، وليس لأى سلطة تصرف قبل أى مواطن ، الا بالقانون ، والقانون واضح ومحدد وليس مجهولا ••

الموقف الحالى هو اعداد عسكرى بكل ما نملك من امكانيات لانجــاز معــركة • ولن نحرر الأرض بغير معركة •• هــذه حقيقة •• ثم عمل دبلوماسى مكثف لخدمة الخط الأول •

والعمل الدبلوماسى فى علم الســياسة وعلم الحرب •• يستمر قبل المعركة ، واثناءها ، وبعدها • لا يتوقف •

عملية التشنج الدبلوماسى •• هذه جهالة وطفولة سياسية •

حافظ اسماعيل زار موسكو ، ولندن وواشنطون •• وسيزور برانت ثم فرنسا •• بجوار هذا تحرك عربى فى غرب أوربا •• فى العالم الثالث •• فى أفريقيا بالذات • وكل هذا يسير طبقا لخطة موضوعة ••

هذا خط •• يسير الى جوار الخط الأساسى ، وهو الاعداد العسكرى للمعركة • الاجتماعات العسكرية لا نعلن عن بعضها • وأصرح لكم اليوم

بكل تقدير للمسئولية ، ان قواتكم المسـلحة أوشكت أن تضـع اللمسات الأخيرة لمـا ستؤديه ..

وسط هذه الحمى من الاشاعات والبلبلة والتحركات المشبوهة .. لم نضيع ثانية واحدة . كل شيء ماشى ، وعلى أحدث ما فى العصر عن تخطيط عسكرى ، وما هو متاح لدينا من امكانيات تحت ايدينا .. لا على أسس أسلحة لم تصل بعد .

والمؤسف ان بعض الاصـوات تشكك فى رحلة حافظ اسـماعيل الى واشنطن ولقائه بنيكسون . يقولون أنه ذهب ليعرض الاستسلام !! وهذا غريب جـدا .

حافظ اسماعيل سافر ومعه خطابات مكتوبة منى ، الى قادة العـالم كله .. انني أضعهم أمام مسئولياتهم ، وأحذر من أن الموقف قد أصبح على وشك الانفجار .. وهذا لكى ابرىء ذمتى امام التاريخ .

ومع ذلك أجد أفرادا فى مجلس نقابة الصحفيين .. معروفة اتجاهاتهم .. يستخدمون أسلوب الطفولة السياسية .. خدوا قرارات .. أبعت انذار للدولة ..

سبحان الله . .أنني أرفض انذارات من أمريكا وأى دولة كبرى .. وييجى أفراد فى نقابة الصحفيين يعطونى انذارات !

هذا استثمار للجرح ، بكلام ملتو . هذه اقلام لا تحكمها المعركة ، ولكن تحكمها احقاد وانفعالات . أننا نريد ان نعمل بروح العائلة . مصر كلها يجب أن تكون أسرة واحدة بتقاليد القرية .. تعرف الحدود .. وتبدى المصلحة العليا فوق كل شيء ..

بلاش استغلال شعار حرية الصحافة .. وكأننا مكممين الأفواه منذ ١٥ مايـو ؟ ..

هذا شيء مؤسف ومخجل .. وخاصـة ما قيل عن حرية الصحافة الجامعية .. وكلكم قرأتم صحف الحائط وما فيها .. كل انسان تقزز

من قراءة ما فيها ولكن مجلس نقابة الصحفيين الأجلاء •• يطالب بحرية الصحافة الجامعية •• ثم يدعى بعد ذلك ان هذه العبارة دست على قـراره !

واجب الصحافة والكتاب يا زملائى فى هذه الظروف المصيرية التى نعيشها •• هو دعوة الأمل •• ودعوة الصمود •• ودعم الجبهة الداخلية •• وتقويم كل انحراف • مش ٦ منحرفين يقودوا نقابة بحالها •• ويصدر القرار باسم صحفيين مصر •• ليذاع فى بيروت فى نفس اليوم !

وعندما نشر هذا البيان فى بيروت حزنت من كل قلبى •• لأنه يشوه صـــورة مصر ؟ ••

مهما حصل فى داخلنا • يجب الا ننسى أننا هنا فى مصر العظيمة •

كل ســياسى عربى يجىء لى مخلوع القلب •• أيه الحكاية •• بيان النقابة •• بيان نقابة الصحفيين •• بيان الكتاب •

أزعل • واتجرح •• والا •• لأ ؟

فى الداخل أنا عارف أنهـا زوبعة فى فنجان •• ولن تؤثر فى قرار الشعب بالمعركة •• لكن فى الخارج •• سمعتنا •• سمعة مصر •

ويؤسفنى ان أقرر ان صحفيين أجانب كتبوا بناء على معلومات كاذبة عن صحفيين مصريين أنا أعرفهم بالاسم •• أنه حدثت انقلابات عسكرية بعد خروج الفريق صادق •• ليس عندى شىء أخبئه ••

وليس عندى ما أخشى منه أبدا ••

كل من يعملون فى الظلام مشدودون من الخلف •• ويتصورون أنهم يستطيعون الوصول الى شىء ••

ثم انتقل الرئيس فى حديثه الى بيان الكتاب الذى كتبه توفيق الحكيم •• وتلاه •• وعلق عليه بسخرية لاذعة • ثم قال :

البيان يقول ان الشعب يغلى ! وان الكتاب مسئوليتهم ان يستشفوا الضمائر .. هل استشفوا الضمائر فعلا ؟

الشعب .. قاعدته العريضة فاهم وعنــده وعى .. ولا يحتاج الى هذا الاستشفاف .. أننى أتألم عندما أقرأ هذا الكلام .. لأننى كاتب احترم القلم .. وأعز ما أحرص عليه فى حياتى .. وأروع ما أحرص عليه هو القلم .. واليوم الذى كنت اكتب فيه مقالا صغيرا فى « الجمهورية » أو تعليقا أرضى عنه .. كان أسعد أيام حياتى .. واليوم الذى استطيع ان اتفرغ فيه لكى اكتب شــيئا أرضى عنه ، يســاوى عندى كل شىء فى الوجــود ..

المكتوب امامى فى هذا البيان هو جسر للحقد والانهزامية .. ولذلك أنا حزين .. حزين ..

علما أننى نبهت .. أياكم وان يحتل اليهود جزءا من عقولنا كما احتلوا جزءا من أرضــنا .

لســنا أول شعب واجه هزيمة ..

ولم يطلع حبر أسود بانهزاميه بهذا الشكل ، فى كل الدول التى لحقت بهــا هزائم .. مواقف تشرشل معروفة ..

والأسوأ من هذا ان البيان يحمل تحريضا لأبنائنا الجامعيين فى القوات المسلحة الذين يقفون مستعدين للمعركة فى جبهة القتال ..

البيان يقول « الشباب لا يرى أمامه الا المستقبل الكئيب » !

المستقبل أيها الزملاء لا يكون كئيبا الا اذا كانت نفوســنا مريضة كئيبة .

هل قالت هذا روسيا بعد دخول ألمانيا . .وأنهاك قواها العسكرية والصــناعية ــ والزراعية .. هل قال كتابها ان الغد كئيب ؟

هل يقال فى بيان لكتاب مصريين فى هذه المرحلة « ان شهادة خريج الجامعة أصبحت وسيلة للقذف به فى رمال الجبهة •• وهذا هو الضياع » •

هل هذا هو الصمود ؟ •• هل هذا هو الأمل ؟ ••

الكاتب •• الفنان •• موجه الأجيال •• يرسم هذه الصورة ؟ !

الشباب الذى فى الجبهة يعرف الحقيقة •• وينتظر ساعة الصفر بقوة وارادة وثبات •• ليحقق غد الانتصـــار ••

أما فريق من كتاب مصر •• فانه يتحدث عن الغد الكئيب •• وبعد ساعة ينشر هذا فى صحف بيروت لتشويه سمعة مصر ••

أصوات كانت فى الجحور بدأت تقول ان مصر فقدت زعامتها ومكانتها••

شبابنا تحركه مجموعة ملتوية معروفة اللون والهدف ••

هل هذا ضمير مصر ؟ ••

هل ضمير مصر هو اليأس ؟ ••

القلم مسئولية وشرف •• اين مصر فى كل سطر وفى كل رأى وفى كل تصرف ؟ ••

هذا هو السؤال • اين ملكات مصر ومقوماتها •• التى صنعت التاريخ بأصالة وصـــلابة ؟ ••

لا •• لن أسمح أبدا •• ان يكون القلم سبيلا الى الانهزامية او اليأس أو بث مثل هذه السموم •

هذا سم وتخريب فى الجبهة الداخلية ••

ولو دفعت اسرائيين ملايين الجنيهات ـــ لما استطاعت أن تصل الى أكثر

من هذا الذى نشر بأقلام مصرية ••

أننى حزين •• حزين ••

وحزنت بالذات من أجل توفيق الحكيم • أنه يشكل جزءا من عاطفتى • لقد قرأت له وأنا فى السجن « عصفور من الشرق » باللغتين العربية والفرنسية • قرأت هذه العبارة « الأمم العظيمة لا تبنيها الا الآلام العظيمــة » ••

هذا هو توفيق الحكيم •• وليس هو الذى يكتب بيانا عن الغد الكئيب •

كيف لم يفكر فى كلماته السابقة •• ان ما ينطبق على الأمم •• ينطبق على الفرد •• لا يوجــد فرد له قيمة الا ومارس آلاما عظيمة هى التى بنتــه ••

الملعقة الذهبية لا تصنع الرجال ••

الآلام هى التى تبنى الأفراد والأمم ••

قلت للدكتور حاتم •• هات لى الراجل الطيب ده توفيق الحكيم •• لأننى عاطفيا متأثرا به ••

والطريف ان توفيق الحكيم قال لحاتم •• « أنا كنت بسهل العملية علشان يفاوض اسرائيل » ! •

لا •• يا أستاذ توفيق ••

هذه فلسفة عمر الخيام التى اخترتها فى أحد مؤلفاتك لتعبر عن ذاتك •• « اذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابتسم للقدر اذا بطش بك ولا تبطش بأحــد » ••

هذه الفلسفة لا تصلح مع اسرائيل ••

هذا يعنى التسليم لاسرائيل ••

وليس هذا هو استشفاف ضمير الشعب ••

اذا كان من رأيه ان نفاوض اسرائيل ونحن فى موقف الضعف •• فليكن شجاعا وليكتب •• يا شعب يا مصرى •• أنا حاسس ان ضميرك يريد الاســتسلام ••

ولكن لماذا نلف وندور ونسود الصفحات •• ونسود تاريخنا •• وتاريخ كتابنا فى لحظة حالكة ••

وبكل أسف •• لقد سجل هذا الموقف على كتاب مصر •• سجل التاريخ أنه خرج فى هذه المرحلة من كتاب مصر من يصف المستقبل بأنه أسود وكئيب •• ويدعو الى الهزيمة والاستسلام ••

اننى حزين •• حزين أننا فى الأيام الحاســمة •• ويسجل هــذا كتاب مصر ••

مصر التى كانت قائدة عبر التاريخ وستظل قائدة الى يوم الدين •

كنت فاهم أن فيه حصانة هنا •• من تراب مصر • من طينها الأصيل •

طلع •• لا • لما زهق بعض الكتاب •• نسيوا التزامهم •

أننى حزين •• حزين ••

المفروض ان يخرج كل كاتب أبدع ما عنده فى هذه الأيام •• من موهبة وفن •• ليقضى على روح الهزيمة • ليبدد كل ظلام وغيوم •• ليحول اليأس والقنوط الى آمال مشرقة •• رحبه •• مضيئة •

لا •• ان نقول لشــبابنا فى جبهة القتال •• انكم ذهبتم لتضيعوا علمكم •

الأمريكى •• الفرنسى •• الأوربى •• يفخر بشهادته العسكرية •• يعلقها فى منزله • ومن لم يدخل الخدمة العسكرية يكون خجلا ، لأن كل جيرانه يعرفون أنه هرب من الخدمة ••

هل هذا هو الفكر الحر ؟ •• هل هذا هو فكر كتاب مصر ؟ ••

أين دور المسرح فى تخليد معارك بطولاتنا مع التتار •• مع الصليبيين؟ •• أين دور الفن الذى يصل الى وجدان الانسان •• فى الحرب العالمية الثانية •• سخرت كل المواهب من أجل الهاب المقاومة الوطنيـــة •• اين نحن من كل هذا ؟ ••

أيام حرب الاستنزاف وكان العدو يغير علينا يوميا بطلعات تصل الى ٨٠ طلعة فى اليوم •• حكيت لكم من قبل فى اجتماع عابدين ، عن الجندى المصرى الذى انصهر جسده مع المدفع ؛ من كثرة ما ضرب •• ورفض ان يترك سلاحه حتى احترق معه ••

وهذه هى روح مصر ••

ألا توجد حرية صحافة فى البلد •• لأن البعض لا يستطيع أن ينشر انسخافات الايديولوجية التى لا مكان لهـــا عندنا ؟ ••

لا •• المعركة ليست ايديولوجية ولا كلام ••

المعركة •• أرض يجب ان تحـــرر •

ثم طلع علينا من يرتدون القميص الجديد • قميص عبد الناصر بدلا من قميص عثمان ••

الماركسيون يرتدون الآن قميص عبد الناصر •• حتى مع القذافى •• ٢٧ صحفيا مصريا ذهبوا للعمل فى صحف ليبيا •• كلهم ماركسيون •• وهم يرتدون الآن قميص عبد النـــاصر •• والهتافات التى ترددت فى بنى غازى • هى نفس الهتـــافات التى ترددت فى جامعة القـــاهرة ••

« لا اله الا الله •• السادات عدو الله » هذه معارك جنبية •• تشغلنا عن الهدف الأول •• هدف التحرير •• ودعونا من التشكيك •• لقد خرج التشكيك عن بعض دور الصحف (كان يقصد الأهرام) •

والتحركات التى بدأت كان هدفها حرق القاهرة ، فى جميع الميدين ، فى وقت واحد •• ياسر عرفات قال لى ان كل صحفى مصرى تقبنه ، ردد له ما يذاع فى راديو لندن وصحف بيروت ••

ويؤسفنى ان أقول ان هذا دور سىء •

وأنا أذكر طبعا الاقلام التى كتبت بواعز من الضمير الوطنى ••

أما الباقون •• فقد اتخذوا موقف سلبيا •• هو الانتظار •• مين عارف •• يمكن النظام يتقلب • وآخرون تعاطفوا — من تحت لتحت — مع هذه التحركات التحرية ••

الصـــورة واضحة ••

الديمقراطية مستمرة •• لا عدول عن سيادة القانون ودولة المؤسسات •• مصيرنا أبيض •• مستقبلنا هو المعركة والانتصار •• حاضرنا هو الاصرار والصمود والأمل والارادة ••

وكما قال توفيق الحكيم •• الآلام العظيمة تبنى الآمال العظيمة ••

والألم هو المعاناة وليس اليأس •• ولبس السواد ••

ثم قال الرئيس ••

لعلنى انفعلت • ولكننى الآن فى قمة الراحة ، لأننى صارحتكم بحقيقة ما أشعر به كزملاء • وقد انتهى الأمر من نفسى تماما ••

وأرجو ان تكونوا واثقين •• أننى رأيت ان أضعكم فى الصورة معى

كزملاء .. لا كرئيس دولة . فتحت لكم كوامن نفسى كما هى ، بدون كلام منمق أو عبارات منتقاه ..

أفرغت الشـــحنة !

وبعد .. هذا جانب من المعاناة الداخلية التى واجهها أنور السادات .. ومع ذلك كان يعمل ليل نهار مع قيادات الجيش ، للاستعداد للمعركة .. بالامكانيات المتاحة ..

وكان هذا بعض الشوك فى الطريق الى ٦ أكتوبر ..

ولكنه ليس الشـــوك كله ..

لقد جاءت أشواك أخرى .. من ليبيا ..

* * *

الفصل التاسع

الشكوك .. والخوف
من معركة خاسرة

●●● « الحرب النفسية للاعداء أثرت على بعض النفوس . زادت شكوك العالم العربى بأن مصر لن تحارب . بدأت التساؤلات .. هل نستطيع أن نضمن الانتصار .. هل يمكن أن ندخل معركة « كسبانه » مائة فى المائة ؟ .. وكيف نقاوم التفوق التكنولوجى لاسرائيل .. أنور السادات يواجه كل هذه التساؤلات فى نفوس الجماهير ، ويعقد اجتماعا خاصا مغلقا لاعضاء مجلس الشعب ، ليؤكد لهم أن الحرب حتمية .. كيف ؟ .. ولماذا ؟ » ..

فى السادس من مارس ١٩٧٣ : قرر أنور السادات أن يتولى رياسة الوزارة .

وكان هذا القرار مفاجأة . وكانت الأنباء قد تسربت الى دور الصحف والمواقع السياسية أن أنور السادات يفكر فى وزارة جديدة ، تواجه مرحلة القتال . وتردد أنه كلف حافظ اسماعيل مستشاره للأمن القومى بتأليف الوزارة . وفعلا بدأ حافظ اسماعيل فى اختيار أسماء الوزارة .. ولكن هذا لم يستمر لأكثر من يوم . وتردد أنه طلب من وزير الحربية أحمد اسماعيل أن يرأس الوزارة .. وقيل أن الرجل أعتذر ، وقال للرئيس : أننى أصلح للحرب .. ولكن ليست لدى صلاحيات رئيس وزراء ..

ثم عرف أن أنور السادات هو الذى سيرأس الوزارة . وقد قوبل هذا القرار من المتصلين بالرئيس ، باعتراض شديد . وقال المخلصون أنهم يفضلون لأنور السادات أن يبقى الحكم الأعلى بين السلطات . ولكن توليه رياسة الوزارة ، سيجعل النقد الموجه الى أخطاء الوزارة ، موجها الى شخصه .

أما المتربصون بأنور السادات ، فقد أخذوا يشيعون أن الرجل يتولى كل السلطات خطوة .. خطوة ، لأنه يريد أن يكون الحاكم المطلق ! .. ولكن الرجل أختار قدره ، لأنه كان الوحيد الذى يعرف أن قرار القتال يقترب كثيرا . ولابد من ضمان لسير شئون الدولة والحكم والمعركة .. ولن يتيسر ذلك الا اذا كان هو على رأس الجهاز التنفيذى .

وكان الوضع القائم بين الوزارة برياسة الدكتور عزيز صدقى ، والاتحاد الاشتراكى بقيادة المهندس سيد مرعى .. قد وصل الى درجة من السوء فى العلاقات بين الجهاز التنفيذى والجهاز السياسى ، بحيث لا يمكن اصلاحها الا بتخلى واحد منها . وفشلت محاولات التوفيق بين الاثنين . وكان كل اجتماع يحضره الاثنان مع الرئيس ، يتحول الى عرض للخلافات بينهما . كان سيد مرعى يقول ان الحكومة تتخذ قرارات ، لا يعلم الاتحاد الاشتراكى عنها شيئا ، ومع ذلك فالمطلوب من الاتحاد الاشتراكى أن يدافع عن هذه القرارات أمام الجماهير . وكان الدكتور عزيز صدقى يرى أن الوزارة جهاز تنفيذى مسئول أمام البرلمان .

وما دام يواجه المسئولية الدستورية .فان اتخاذ القرار هو من شأنه لا من شأن التنظيم السياسى • وعندما كانت الحكومة تتعرض لأية مساءلة محرجة من أعضاء مجلس الشعب : كان رئيس الوزراء فى يقينه ، أن هذه مناورة يختفى وراءها سيد مرعى • وحتى عند مواجهة أحداث الطلبة •• كان الطرفان يتصرفان فى شبه انفصال كامل •• وذلك أتاح الفرصة لقيادات الطلبة أن تردد دائما ، أنهم لا يعرفون من يصدقون •• الحكومة •• أم الاتحاد الاشتراكى ؟ ! وكان الرئيس أنور السادات يعتز بالاثنين • وعندما تولى رياسة الجمهورية كان يردد باستمرار •• ان لدينا « أثنين عتاولة » •• فى الصناعة عزيز صدقى • وفى الزراعة سيد مرعى •

ولكن الخلافات بينهما لها جذور طويلة ، قبل وفاة عبد الناصر •• وبعدها •

هذا الوضع أثر على معنويات الجماهير •

بل زاد شكوكها •• فى جدية الاستعداد للقتال •

وتضاعفت هذه الشكوك بمظاهر عديدة •• كان أبرزها عندما تعرضت القاهرة لأمطار غزيرة •• وخرجت الصحف بعناوين « القاهرة تغرق فى شبر ماء » •• فاذا كان هذا هو الاستعداد لمواجهة المطر •• فكيف يكون الاستعداد لمواجهة حرب يقول الرئيس السادات ليل نهار أنها ستصل الى كل مدينة وقرية ومصنع !

وبدأت الاشاعات تروج عن أجهزة الدفاع المدنى •• وكان يقال ان سيارات الأطفاء التى تستخدم فى تجارب الغارات •• هى بعينها التى تستخدم فى كل محافظة فى هذه الحفلات الاستعراضية ، التى يقصد بها طمأنة الجماهير فقط ! •• بل ان بعضهم تطوع بأعطاء أرقام هـذه السيارات التى تنتقل من محافظة الى محافظة !

وتطور الأمر فعلا الى شكوك فى كل شىء •• فى كل قرار •• فى كل كلمة •

ومن أجل هذا كان لابد أن يتقدم السادات لتحمل المسئولية كاملة • وأختار للمرحلة اسم « المواجهة الشاملة » ••

وقد عبر أنور السادات فى اجتماع مغلق مشترك للجنـــة المركزية ومجلس الشعب فى ٦ مارس ١٩٧٣ •• عن دواعيه لاتخاذ قراره ••

فقال : لم تتحقق أمالى بالقدر الذى كنت أريده لقيام دولة المؤسسات •• وسبب ذلك :

● بعض أوضاع وحساسيات قديمة فرضت نفســها على الظروف الجـــديدة •

● بعض القوى لم تعرف دورها فى الممارسة الجديدة •

● قواعد الممارسة نفسها أصبحت محفوفة بالمخاطر •

● الممارسة فهمت خطئا فى سيادة القانون ودولة المؤسسات •

ثم قال : الناس تتكلم عن صراع بين الحكومة والاتحاد الاشتراكى • أصبحنا دولة متناقضات لا دولة مؤسسات • ولا يمكن أن تنتظر المعركة لكى نرتب أنفسنا • المعركة ملحة • ولا يمكن تأجيل شىء عن شىء • ونتيجة التضارب والصراعات بدأت تخرج من دولتنا أسباب البلبلة • وأنعكست على العالم • شوهنا صورتنا بدون داع • شوهنا ســمعة مصر • والموقف لا يحتمل أن نمر فى مراحل بلبلة نحن الذين نصنعها ! •• ونتيجة لهذا ؛ حدث نوع من التسيب فى البلد • تشكيك فى كل شىء • الدولة ليس بها خطة •الحملاتنزلت الى الأشخاص • بدأت قوى لها مصالح تتحرك • وبدأنا نقرأ فى المنشورات الماركسية « لابد من العنف أمام السلطة المرتعشة » !

ولخص الرئيس متطلبات الموقف فيما يلى :

١ ــ معركة المواجهة أصبحت حتمية • اذن فلندخلها كما يجب أن ندخلها •

٢ ــ فى الموقف الداخلى •• لا سبيل أمامنا لتأخير المعركة ؛ على حساب ترتيب أوضاعنا فى الداخل •• ولا سبيل الى تأخير أوضاع الداخل على حساب المعركة •

٣ — لابد من توزيع أعباء المعركة توزيعاً عادلا على كل انسان . كل من عنده أكثر يجب أن تكون تضحيته أكثر .

٤ — لابد أن نقول للعالم أن لنا قضية . يجب أن نحرك الموقف عسكريا بكل ما يقتضيه من تضحيات . يجب أن يعرف العالم أننا نستطيع أن نملى ارادتنا ، ونستطيع أن نتحدى عدونا ، ولكى يشعر العالم بنا لابد أن تدب فينا الحياة أولا . يجب أن أقول للعالم .. أنا حى .

وعرض الرئيس للموقف العربى والدولى بما أوجز فيما يلى :

الموقف العربى :

* هناك سلبيات كثيرة للأسف . ولكن الايجابيات بدأت تؤتى فعلا ثمارا للمعركة ، وهذا من نتائج الاتصالات الثنائية .

* الحملة النفسية للأعداء بالغة العنف . نشأت فجوة تصديق بين الدول العربية . لا أحد يصدق عربيا أننا سندخل معركة .

* من الخير أن تستمر الاتصالات الثنائية العربية ، فى جو من الكتمان لا يعرف عنه العدو شيئا .

* سوريا تواجه الموقف معنا .

الموقف السوفيتى :

اتصالات تجرى لوضع علاقاتنا فى اطارها الصحيح ، وعلى خطها المستقيم .

مباحثات أجراها حافظ اسماعيل وأحمد اسماعيل مع زعماء الاتحاد السوفيتى .

الموقف الأمريكى :

* علينا أن نقدم تنازلات لكى يمكن أن نتحرك القضية . تنازلات فى أشكال متعددة ومعلنة .

* أمريكا تقول أنها لا تستطيع ولا تملك الضغط على اسرائيل •

* كلمة ايجابية واحدة فى لقاء نيكسون مع حافظ اسماعيل : قالها الرئيس الأمريكى وهى : كيف يمكن أن نوفق بين السيادة المصرية على الأرض المصرية . ومقتضيات الأمن الاسرائيلى •

* ايبان يؤكد التنسيق الأمريكى الكامل • ويعلن أن صفقة الفنتوم الجديدة لاسرائيل ، قد نشرت عمدا ، لردع العرب •

* موقفنا من كل هذا : أن أعطاء اسرائيل أى حق على أرضنا ، تحت أى صورة من الصور ، وتحت غلاف السيادة ، مرفوض تماما • وعلى أمريكا أن تتحمل المسئولية بالكامل • وصفقة الفانتوم الجديدة تشكل موقفا من أشد المواقف خطورة ، وستحس به أمريكا بعد ذلك •

وقال الرئيس أن رسائله الى زعماء العالم ، كانت بهدف أن نطلع العالم كله أن الوضع أصبح متفجرا ، وأنه قابل للانفجار فى أية لحظة • ونص كلماتى فى رسائلى :

— الموقف على وشك الانفجار •

— على كل أن يتحمل مسئوليته على المستوى العالمى •

— القضية لم تعد تحتمل أكثر مما تحتمل •

وختم السادات كلماته فى هذا الاجتماع المغلق بقوله : من أجل هذا ، وخلافا لكل ما أتمناه ، وصلت الى قرار أن أتحمل قدرى بنفسى فى هذه المرحلة • وأطلب من كل واحد منكم أن يتحمل أيضا قدره بنفسه ويده • هناك لحظات فى التاريخ ، يجب أن يتقدم فيها الانسان ليتحمل قدره ، وليفعل القدر ما يريد • وليس عندى ما أقول سوى « ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا ، واليك المصير » •

وأختار أنور السادات لمسئولية أمانة اللجنة المركزية ، الدكتور حافظ غانم • وكان قد شارك المستشار حافظ اسماعيل فى جولته السياسية الى زعماء العالم • وقبل أن يعلن اختياره لمسئوليته الجديدة ، كان

الرئيس قد طلب منه أن يعد دراسة كاملة ، لأسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى العربى ، على أساس واحد ، وهو أننا نقترب كثيرا من القتال • وأعد حافظ غانم خطة ، ووافق عليها الرئيس • وكان من أهم معالمها ، الحفاظ على وحدة الجبهة الداخلية ، ودراسة عن حرب المصالح الأمريكية فى المنطقة العربية •

وأراد الرئيس أن يوسع نطاق المشاركة فى المسئولية ، فطالب القيادات ، باجراء حوار فى كل المواقع ، حول متطلبات المعركة •

ومع ذلك •• فلم يكن أحد ليتصور أن المعركة تدق الأبواب •

وثارت فى مصر تساؤلات عديدة ، ووضحت من اتجاهات الرأى العام ، أكثر من علامة استفهام •

ثم أتخذ الرئيس قرار المعركة مع حافظ الأسد •

وأراد الرئيس أن يرد على كل التساؤلات ، وأن يقضى على كل ما توحى به أية اتجاهات تخشى من نتائج الحرب ••

وكانت هذه التساؤلات تدور بين الناس حول الأفكار التالية :

● اذا كنا جادين فعلا فى اختيار الحرب •• فلماذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟ ••

● هل أعددنا حقا لمعركة عسكرية ، سنكسبها مائة فى المائة ؟ ••

● كيف يمكن أن نحارب والواقع العربى فى خلافات مؤلمة ، وأحداث لبنان مع الفدائيين لا تبشر بأى خير ؟ ••

● اذا كانت اسرائيل تعربد الآن ، وتقتل زعماء المقاومة داخل بيوتهم فى بيروت •• وتسقط طائرة ليبية مدنية عليها ركاب مصريون •• فلماذا لا نلقنها درسا بضربة فى عمقها •• اذا كنا فعلا قادرون على ذلك ؟ ••

• هل نقول الحرب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين اسرائيل ؟ ••

• هل هناك أمل فى استخدام سلاح البترول فى المعركة ؟ •• مع أن تصريحات المسئولين فى المملكة السعودية تقول أن البترول بطبيعته ليس سلاحا • ولكنه أداة لشراء السلاح من أجل المعركة ؟ ••

وحرص الرئيس أنور السادات على دعوة مجلس الشعب الى جلسة سرية مغلقة ، لاجراء حوار صريح ، فى كل ما تجرى به ألسنة الناس ، حتى يضع النقط على الحروف، وحتى يوجد الايمان الصادق فى قلوب القيادات السياسية ! اننا مقدمون فعلا على معركة •• وكان القـائد يواجه فعلا معادلة صعبة • اذا سكت عن الكلام يحدث هبوط معنوى • واذا تكلم عن المعركة •• فهو لايجد آذانا صاغية ، لان عبارة المعركة نفسها •• أصبحت غير مصدقة ، مع امتناعنا عن اتخاذ أى اجراء انتقامى ضد عربدة اسرائيل ••

وكان السادات يرد فى مجالسه الخاصة « أننى أعرف أن بعض الناس يخشى تكرار هزيمة ٦٧ •• ولكن ما جرى عام ٦٧ لن يحدث أبدا مرة أخرى • أننا نستعد بهدوء فى أدق التفاصيل • هذا ظرف من أصعب ما يمكن أن يعيشه شعب أو قيادة سياسية •• وعلينا أن نتحمل ، ونحسب حسابا عميقا وهادئا بدون عصبية •• أن المعركة هى الفارق بين الحياة والموت ، ولكن يجب الحساب العسكرى والسياسى • العدو يريدنا أن نتآكل من الداخل بدون معركة » ••

كان يتكلم عن ثقة ••

ولكن الشكوك كانت تأكل القلوب •

وأعرض هنا ردود الرئيس السادات على كل التساؤلات والشكوك من المحاضر السرية لهذه الجلسة الهامة ، لكى نقدر الى أى مدى كان الرجل يحاول أن يقنع الجبهة الداخلية ، بجدية خطواته نحو المعركة •• والى أى مدى كان يقاوم الشكوك التى تسربت الى القلوب ••

التساؤل الأول :

● لمــاذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟

الجــواب :

● هناك تدريب فعلا على أعمال المقاومة • ولكننى أخشى أن تكونوا متأثرين بأشكال خاصة عن الكفاح • البعض يتكلم عن فيتنام ، وأن كل مواطن هناك يحمل السلاح • والبعض يتكلم عن حروب شعبية • ولكننا نتجاهل أن اسرائيل لن تستطيع النزول الى الكثافة السكانية فى شعبنا • ولا تنسوا أن فى الجبهة ما يقرب من مليون • وقد بدأ التدريب فى المدارس • وأرجو أن يتحصن الطلبة والشباب بمناعة جديدة فى فترة الصــيف •
المعركة المقبلة لها مواصفات ، يعرفها العسكريون ويحددها العسكريون •

التساؤل الثانى :

● هل نحن مطمئنون الى كسب المعركة مائة فى المائة ؟

الجــواب :

● هذا التساؤل يثير أشياء كثيرة • المواجهة الشاملة •• ما معناها ؟ •• لماذا لا نقول معركة • واذا قلنا ذلك فان الذهن ينصرف الى أنهــا المعركة العسكرية على قناة السويس فقط • ولكننى أقول لكم أن المعركة العسكرية ليست نهاية المطاف • نحن فى مرحلة صراع ، مثل الصراع الذى حدث أيام الحروب الصليبية • لقد استمر العرب فى صراع ٨٠ عاما الى أن كسبوا الحرب • قد تطول مرحلة الصراع •• وكنت أتحدث الى بعض الأخوة العرب وأقول لهم ، أنه من الجائز ألا نحضر نهــاية هذا الصراع ، ولكن علينا أن نسلم لمن بعدنا ، مرحلة كاملة من النضال •

ماذا نواجه اليوم ؟ ••

أمريكا تعلن أن سياستها الأساسية هى الحفاظ على وقف النار •

اسرائيل تعلن أنه أنسب وأحسن وضع لنا •• هو وقف النار •• وذلك حتى يتسنى لها تغيير الأرض العربية وفرض الأمر الواقع • انها تبنى

المستعمرات • تنقل اللاجئين من غزة الى الضفة الغربية •• تجرى تخطيطا للأرض المحتلة •• ثم نحن نواجه حملة نفسية تقول لنا •• اسرائيل لا قبل لكم بها ، لأنها مؤيدة من أمريكا سياسيا واقتصاديا وعسكريا واعلاميا ••

وفعلا •• بعد ٦ سنوات •• استطاعت هذه الحملة أن تنفذ الى نفوس العرب •• لا الشعوب فقط •• بل الى جميع نفوس الحكام العرب •• وبدأت تدخل الى نفوس البعض فى شعبنا •

ويقول العضو[1] •• عاوزين معركة كسبانة ١٠٠٪ •

من يضمن هـذا ؟ ••

المسألة ليست هكذا • المسألة ان اسرائيل • اذا استمر الوضع مجمدا هكذا ــ لن تحتاج الى اطلاق طلقة واحدة •

ستنفجر على أنفسنا من الداخل • واليهود لا يخفون هذا التوقع •• أنهم يكتبونه فى صحفهم •

وأحب أن أصارحكم • أمريكا تقاوم الآن أى تحرك لكسر وقف النار • والاتحاد السوفيتى أيضا • يطلب ألا نكسر وقف النار •

الاتحاد السوفيتى يقول لنا • ستخسرون المعركة •

ولكننى أنظر الآن مجردا لمصلحة هذا الوطن • ولمصلحة قضيته • ولمصلحة أجيالنا • اذا انتظرت بدون كسر وقف النار ، سيبقى الأمر الواقع •• وروح اليأس والانهزامية تسللت الى شعوبنا •• وابتدأنا نقول •• يا معركة نكسبها •• يا •• لأ ؟ ! •• طيب •• ماذا يجب أن نفعل ؟ ••

هل أترك العدو يفعل كل شىء •• حتى أنفجر من داخلى ؟ ••

وكل يوم يتلقى العدو من أمريكا ما يريد •• ويتلقى الضمانات ••

---

(١) تقدم بهذا السؤال الاستاذ محمود أبو وافيه .

وأنا •• « بالكاد » أحصل على ما أستطيع أن أدخل به المعركة •

وكون أمريكا ، تحقق لنا حلا سلميا الآن •• هذا أصبح حديث خرافة • لماذا ؟ •• ان ملخص كلام الأمريكان لتحريك القضية هو :

● يجب أن يكون هناك موقف مصرى جديد • أى تنازل نقدمه لتحريك القضية •

● نزع سلاح سيناء بالكامل •

● الاعتراف باسرائيل •

لقد انقلبت الآية ••

التنازل مطلوب منا •• والأخطر من هذا أن أمريكا تتحدث بهذا معنا •• ثم تسرب خبر صفقة الفانتوم الى اسرائيل ، حتى نرتدع كما أعلن ابا ايبان • وسياسة أمريكا المعلنة رسميا ، هو حفظ ميزان القوى فى صالح اسرائيل ضد العرب مجتمعين •

أمريكا حاطة السيف على رقبتى ؟ ••

يبقى حل ايه ؟ ••

هذا فرض شروط •

واذا بدأ التنازل فسوف لا ينتهى •

والاتحاد السوفيتى يطالبنى بأن اختار الحل السلمى ؟

وما أسهل أن أناور ، فى المدة الباقية لى لرياسة الجمهورية ، أعلن عن مؤتمر قمة عربى فى نوفمبر •ونخرج من المؤتمر كما دخلناه • يفوت ديسمبر • ندخل على عام ٧٤ • الروس متفقين على صفقات سلاح فى ٧٣ وأجزاء منها فى ٧٤ • أحضر اليكم وأطلب منكم أن ننتظر حتى منتصف ٧٤ •

وتنفيذ الصفقات « سيمط » حتى نصل الى آخر ٧٤ • بعدها ندخل فى ٧٥ وهكذا •• تنتهى مدة رياستى •• وأنا أناور •

اذا فعلت هذا ، سأكون خائنا • أننى أفكر كمواطن مصرى قبل أن أكون رئيسا •

كمواطن مصرى •• أنا أرفض رفضا كاملا ، أن أنفذ ما يريده الأعداء •

أننى لا أخاف من المواجهة ••

•• والا كنت مضحيا بمصالح شعبى كلها •

استمرار وقف النار •• موت كامل لهذه القضية •

واقتناعى أننى أحمل قدرى ••

سأدخل المعركة ••

واذا لم نستطع تحرير الأرض تحريرا كاملا ، فليكن كسر وقف النار ، ولن أترك للعدو ساعة واحدة ، يعمل فيها ما يشاء ، لكى يفرض الأمر الواقع •

أن أى تخلف منا ، فى مواجهة قدرنا هذا ، •• أننى أعتبره جبنـــا وخيانة •

من الممكن أن أختار الطريق السهل •• طريق المناورات كما قلت لكم •

ولكن القضية تحتاج الى أن يحمل كل منا قدره •• نواجه قدرنا • يجب كسر وقف النار • يجب أن أكبد اسرائيل خسائر ، تعلنها فى قائمة خسائر يومية • ستضرب اسرائيل فى العمق • وسنضرب فى العمق • أن من يريد أن يعيش بكرامة و « رأسه فوق » •• لازم يواجه ويدفع الثمن •

ثم قال الرئيس :

بعد ذلك نسمع من يقول : عاوزين معركة كسبانة ١٠٠٪ •

والله •• على قد قوتى يجب أن أدخل المعركة • العسكريون عندنا على أعلى مستوى ، والسلاح الذى فى يدهم ممتاز للمهمة التى سيؤدونها• هم يخططون •• بأقصى ما لديهم •

ونحن سياسيا •• نضع أقصى ما نستطيع ••

وبعد ذلك يجب أن نواجه قدرنا •

أننى أخشى أن يكون كلام •• عاوزين المعركة كسبانة ١٠٠٪ هو من أثر الحرب النفسية التى تشككنا فى قواتنا العسكرية •

هذا الكلام الذى يقال تحت الحرص على نجاح المعركة •• يعبر عن وجود خوف وتردد •

قضيتنا أصيبت بالشلل •• وهى فى سبيلها الى الموت الكامل •

ولكن أقول لكم •• القضية ستحيا •• القضية صراع طويل ، وليست معركة قناة السويس فقط ••

أمامنا معركة مصالح أمريكا •

أمامنا معركة الطاقة ••

أمامنا معركة الحشد العربى ••

معارك كثيرة يجب أن نخطط لها ، بشكل شامل ، وأن ننسق وننفذ لكى يتم الصراع •

معركة القناة ليست هى نهاية الصراع •

أية تكاليف •• أية تضحيات •• يجب أن نكون جاهزين لأدائها •

ولكن • •لابد من اداء الصراع كاملا ، حتى نأخذ حقنا •

التساؤل الثالث :

ــ كيف نحارب والواقع العربى كله خلافات •• ثم هذه أحداث لبنان مع الفدائيين ؟ ••

الجـــــواب :

ــ عن الواقع العربى •• أننى أكتفى بالقول أن لنـــا مع الملك فيصل اتصالات متكاملة • والعراق يشترك اشتراكا محدودا • وسوريا معنا • أحمد اسماعيل قائد الجيشـــين • ولكن هل ننتظر حتى يتغير الواقع العـــربى ؟ ••

قال لى أحد أصدقائنا : لا معركة قبل أن تتم الوحدة العربية ••

فقلت له : الواقع العربى لن يتغير الا اذا بدأنا وتحملنا مسئوليتنا • أقصى ما يمكن أن نأخذه من الواقع العربى ، نحاول أن نأخذه بالاتصالات الثنائية • ولكن لن يتغير الواقع العربى •• والواقع الاسرائيلى •• الا عندما تكون لنا ارادتنا ونكسر وقف النـــار •

وطبعا أحداث لبنان تشكل خطورة شديدة ، ليس فقط فى أن يستخدم العدو أرض لبنان ليدخل الى سوريا •• هناك خطورة أبعد •• قد تكون هذه الحوادث مفتعلة ومدبرة فى هذه المرحلة التى شعروا فيها أن مصر وسوريا جادون فى المواجهة •• وقد حاولنا أن نحتوى الموضوع منذ بدايته ، ولكن الجيش اللبنانى تمادى فى العدوان بهدف تصفية الفدائيين • أعلنا موقفنا • سحبت الممثل الشخصى • أرســـلت رأيى الى الرئيس فرنجيه • الحالة أهدأ الآن • ونحن سائرون لايجاد أساس لأجتياز هذه المحنة • هنـــاك تخطيط فى المنطقة لايجاد مشاكل بين العـــرب ــ حتى ننشغل عن معركة المواجهة الأساسية • أننا نبذل كل جهد • وما يتم وراء الكواليس ، يتم بكل اصرار ، لكى نتفادى هذا الموقف •

التساؤل الرابع :

ـ كيف نحارب مع وجــود هذه الفجوة التكنولوجية بيننــا وبين اسرائيل ؟ ••

الجــواب :

ـ يقال ان هناك فجوة تكنولوجية بيننا وبين اسرائيل • هذه حقيقة • ولكننى عندما أعود بالذاكرة الى الحرب العالمية الثانيــة ، وقد عشتها ضابطا وسياسيا •• كان الألمان متفوقين على الروس بفجوة تزيد كثيرا عن الفجوة مع اسرائيل •

بل بدأ الألمان ، وهم متفوقون على انجلترا وفرنسا وأمريكا التى اتجهت الى الانتاج الاستهلاكى • ولكن هذه الدول الثلاث جمعت قواها وهاجمت بعد ٥ سنوات • فلا يعنينا اذا انتظرنا ٦ سنوات • ولكن الروح الانهزامية هى التى دخلت على نفوس البعض •• فارادوا أن يصبحوا فلاســـفة ••

الفجوة كانت ضخمة بين ألمانيا وروسيا • روسيا لا تزال فى مرحلة البناء • وعندما وصل الألمان الى ١٥ كيلو مترا من موسكو •• لم يقل الروس : يا معركة كسبانة يا بلاش •

ستالين استدعى القادة العسكريين •• وسألهم : ماذا نستطيع أن نفعل ؟ •• وكان الألمان قد أحرقوا كل شىء • أكثر من ٣٠٪ من الصناعة والزراعة الروسية دمرت تماما • وعاد المريشال تيموشنكو الى ستالين بعد يومين وقال له : من الممكن أن نستعيد الموقف • بشرط تسخير كل الموارد للمعركة •

وقد اكتشف ستالين أن جــزءا من الانجازات الاقتصادية ، كان مكتوبا فى التقارير فقط ! •• ومع ذلك بدأ يعبىء ما عنده ، وطلب من الحلفاء أن يساعدوه •

لم يتخاذل ستالين •

لم يتردد لحظة واحــدة •

بدأ منطلق الحرب لا من أجل تحرير الأرض فقط •• ولكن لأعادة بناء روســيا بالتكنولوجيا الحديثة •

ولذلك يجب أن تكون استراتيجيتنا قائمة ، على أن القوة الأساسية للدفاع عن مصر •• يجب أن تصــنع فى مصر ؛ ولا ننتظر الصــفقات المطوطة •• ولا نشرب من صنبور يمكن أ نيقفل فى أية لحظة •

وبدأ ســتالين ••

خسروا فى لينجراد مليون شخص ، منهم نصف مليون فى جبانة واحدة • ولم يستسلموا •

كان الأطفال بلا ملابس • ودرجة البرودة ٢٥ تحت الصفر • لبسوا الأشولة القديمة ، ولم يستسلموا •

أننى أكرر ما أعلنته فى أول مايو ١٩٧١ • فلتكن هزيمة ٦٧ منطلقا لبنــاء جــديد • نحرر أرضنا وفى الوقت نفسه نبنى قوتنا الذاتية التى انتج بها فى مصر ما يجعلنى قادرا على الدفاع عن نفسى ، بتصنيع مصرى • ونحن سائرون فى هــذا •

أننا فى حصار من الغرب ، وفى تحديد من الشرق •

مع الشرق • •وأنا أطالب منذ ١ و ٢ مارس ١٩٧١ (رحلة الاتحاد السوفيتى) بتصــنيع حاجيات أساسية فى مصر • والقــاعدة الصناعية عندنا جاهزة لكى تتطور وتصنعها ••

ولكن لا رد حتى الآن •

اذن •• أنا مضطر أن ألجأ الى كل الأساليب والطرق التى تمكنى من تجميع قوة ذاتية تبنى فى مصر •

هناك بديهيات للدفاع عنا ، لو كنا ننتجها محليا ، لما كانت اسرائيل قادرة على الهجوم علينا •

سياسة القوة الذاتية تنفذ فعلا ، بكل الأساليب الممكنة وغير الممكنة •

أنا فى مرحلة ، كل دقائق لها قيمة فى العمل والتنفيذ ..

التساؤل الخامس :

ـــ لماذا لا نضرب اسرائيل فى العمق • حتى توقف عربدتها • لماذا لم نرد على ضرب الطائرة الليبية المدنية ؟ ..

الجـــواب :

ـــ بعد أن وقعت كارثة الطائرة الليبية المدنية ، خطب معمر القذافى وقال أننا نرفض أن نرد على هذه العملية • والحقيقة أن معمر طلب أن ٣ طائرات تقلع من مصر أو سوريا ، وتدخل اسرائيل ، وتلقى بقنابلها وتعـــود •

ولكن العملية ليست بهذه البســاطة • وهنا لا يفلح الانفعال ؛ لأن المسألة .. مصير شعوب •

وعندما أقول أننى أجهز الآن لكسر وقف النار ، فلا يعنى هذا أننا سنضرب بمدفعية فى القناة .. واسرائيل ترد وانتهى الأمر • لا .. اليوم طلقة البندقية ، مثل عبور القناة • العدو سيرد بكل قوته •

وهذه مسألة محسوبة عسكريا وسياسيا .. كيف ؟ .. لقد اعتبرت اسرائيل وأمريكا أن حالة وقف النار هى كسب لهـــا لا رجوع فيه ، وعليهما أن يحافظا عليه بأى ثمن وهذا واضح فى خطط الاثنين • وليس من المعقول أن أضرب اسرائيل الآن بثلاث طائرات • لأعطيها المبرر ، فى وقت غرورها وعربدتها ، أن تشن حربا شاملة • يجب أن أكون جاهزا للمضاعفة والتصـــعيد • يجب أن أكون جاهزا للرد على الضربة بأعنف منها • وذلك قلت لمعمر : عمليتك دى .. لا موضع لها الآن •

التساؤل السادس :

ـــ هل سيستخدم سلاح البترول فى المعركة ؟ ..

الجـــواب :

من الخطأ أن نتصور أن المعركة ستكون على قناة السويس فقط • المعركة جزء من صراع جوانبه متعددة • أحد هذه الجوانب الرئيسية ، مصالح أمريكا ، الممثلة أساســا فى البترول •• لابد أن يكون التخطيط شاملا لضرب المصالح الأمريكية خلال الصراع •

ولا أستطيع أن أقول أن هناك خطة جاهزة بالنسبة للبترول • توجد اتصالات • هناك دراسات تتم بمنتهى الدقة • كيفية استخدام سلاح البترول ، أولا يجب أن يقتنع به أصحاب البترول •

وهذا سيظهر فى المرحلة المقبلة •

ولكن هناك شىء أساسى فى اعتبارى • ستكون معركتنا بالغة الصعوبة ؛ بدون ضرب المصـــالح الأمريكية كجزء من الصراع •• ويجب أن يكون زمام المبادرة فى يدنا • والتخطيط من أجل هذا • يجرى الآن • الاتصالات مستمرة • ولكن الموضوع بالغ الحساسية ، والواقع العربى ، يطالبنا بعدم التصريح عما يجرى أو يدور •• حتى بالتلميح •

* * *

وهكذا نجد أن الرجل كان يبذل قصــارى جهده ، للقضــاء على كل الشكوك ، وايجاد وحدة وطنية فى البلاد ، لكى نواجه القتال والجبهة بعيدة عن الانقسام والتسيب •• وكان هذا سر ألمه من حوادث الطلبة ، ومن منشورات بعض الكتاب والصحفيين ••

لقد تجاوزنا مرحلة الحرائق المتعمدة فى عدد من المرافق العامة والتى بدأت بحريق الأوبرا •

وتجاوزنا الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط ••

وتجاوزنا مواقف داخل القوات المسلحة ، مرتبطة بقرار الحرب •• كان من نتيجتها اعفاء الفريق صادق وزير الحربية والقائد العام ••

وتجاوزنا الخلافات مع السوفيت حول الحرب والتسليح •• وكان القرار أن نحـارب بما فى أيدينا من أسلحة • وبما يتأكد وصـوله من الأسـلحة •

وتجاوزنا المعارك الجانبية فى الموقف العربى الذى كانت توحى مظاهره بالفرقة والانقسـام •• بل باليـأس الكامل كما عبر الرئيس الحبيب بورقيبة ••

وخلال ذلك كله تجاوزنا الاتهامات بالعجز والصمت والسـعى الى الحلول التصفوية ، واسرائيل تعربد بكل غرور وغطرسة ••

وانطلقت القذيفة الأولى فى ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر •

فماذا حدث فى الجبهة الداخلية :

ظهرت الوحدة الوطنية فعلا فى أروع صورة •

أنطلق جوهر الوطنية المصرية الأصيل •• وتبدد كل الصدأ فى لحظات •

ولم يصدر قرار باعتقال مواطن واحد •• وهذا لم يحدث فى أية دولة ، فى أى حرب من الحروب •

وقال السادات لممدوح سالم فى حديث خاص :

ـــ هذا هو الشعب المصرى الذى أعرفه • هؤلاء فعلا هم أبناء مصر • دول ولاد الطين •• اللى خرجنا منه كلنـا •

ولا شك أن سياسة الأمن القومى فى مصر ، تغيرت جذريا ، ببداية مرحلة ١٥ مايو •

كانت أجهزة الأمن من قبل ، تقسم الاتجاهات السياسية الى اثنين فقط • أخوان مسلمون (يمين) • وماركسيون (يسار) •• وكانت لديها كشوف بأسماء هؤلاء وهؤلاء •• وفى مواجهة أية أحداث ، كان أسلوبها « للأمن » هو اعتقال الجميع ••

المنطق الجديد • أو الفلسفة الجديدة بعد ١٥ ماو •• تطور الى أن اقرار « الأمن » الحقيقى ؛ هو فى احترام مصرية الجميع •• انماء القطاع الوطنى الذى تنحسر أمامه كل الاتجاهات الأخرى •• ثم تحويل هذه الاتجاهات الى المنبع الواحد •• وهو منبع التراب المصرى •

ولذلك فقد وفر العمل للجميع •• بغض النظر عن العقيدة السياسية ، ورفعت كل اجراءات حظر السفر الى الخارج • وفتحت مصر أبوابها ، لكل الهاربين من الارهاب ، وأعيدت الجنسية المصرية لكل من طلبهـا ، وكان شعار أنور السادات فى هذا •• أننى يستحيل أن أمنع مصريا من العودة الى بلده ووطنه وأرضه •• وقد بقى على أمين فى الخارج ٩ سنوات • وكان يقال له من وسطاء السوء ، أنه سيعتقلك بمجرد نزولك الى مطار القاهرة ، فكتب على أمين الى السادات مباشرة • وتلقى الرد : هذه أرضك ووطنك •• تحضر وقت أن تشاء • وتغادرها وقت أن تشاء • تقابل هذه الصورة •• صورة أخرى لما كان يحدث فى الماضى •

المواطن عز الدين عبد القادر (٧٠ سنة الآن) •• كان فى العراق خلال أزمة الديمقراطية عام ١٩٥٤ ، وأصدر كتابا طالب فيه بأن تحكم مصر بدستور مباشر ودائم يحقق الديمقراطية •• ومرت سنوات •• وكان يخشى أن يعود الى مصر • ثم تلقى رســالة مطمئنة • فعاد •• فأعتقل فى المطار • وقدم الى محكمة عسكرية • وحكم عليه « الدجوى » المشهور بالاشغال الشاقة المؤبدة ! ••

ولم يخرج من السجن الا بقرار من أنور الســادات بعد أن أمضى عشر ســنوات !

فلسفة الأمن •• تحولت الى فلسفة أمان ••

ان بعض الاسماء التى كانت مسجلة فى الكشوف ، لكى تعتقل فى كل مناسبة •• لهم ابناء يقاتلون على الجبهة ••

فكيف اعتقل الأب •• لمجرد الاشتباه فى أنه معاد للنظام لأنه «أخوانى» مثلا أو « ماركسى » أو من رجال الأحزاب القديمة وأبنه أو شقيقه أو ابن عمه يقدم دمه من أجل تحرير الأرض ؟ ••

ولماذا أنزع المصرية من الأخوانى أو الماركسى ؟ •• حتى لو علا صوته بمجرد صخب أو ضجيج •• لا يؤثر على سير الموكب الكبير •

وكان تقدير أجهزة الأمن العام •• ان الشعب سيقبل على حماية جبهة القتال ، لأنه وعلى الرغم من حملات التشكيك النفسية التى أصابت كثيرا من القلوب •• فان الشعور العام كان يطالب بالحـرب ، مهما كانت النتائج • كانت الكلمة المتناقلة على ألسـنة غالبية المواطنين •• كفانا حديثا عن المعركة ولندخلها وليكن ما يكون ومهما كانت النتائج • أما الاستمرار فى هذا الوضع المائع •• فهو المذلة والمهانة •

وكان مطلوبا من أجهزة الأمن العام أن تجيب على هذا السؤال :

ـ ماذا يمكن أن يحدث لو ضربت القنابل الاسرائيلية الأعماق •• لو ركزت غاراتها على حى شعبى مثل حى شبرا فى القاهرة •• لأحداث ذعر فى البـلاد ؟ ••

ودرست أجهزة الأمن العام ، احتمال التهجير من الأحياء المزدحمة بالسكان •• ولكن الى أين ؟ • •ومتى ؟ • •وساعة الصفر لا يمكن أن تكشف ؟ •• بل هى قد تحدد فى أيام معدودة قبل المعركة •

ورأت أجهزة الأمن أن تهجير الاحياء المزدحمة بالسـكان هو الذى سيحدث الذعر ••

لقد أعدت كل امكانيات الاغاثة والاسعاف وأطفاء الحرائق ورفع الانقاض والنقل الى المستشفيات •• بالنسبة للاحياء المزدحمة •• ولكن كان التقدير أن الشعب ، بعد الطلقة الأولى ، على جبهة القتال ؛ سيتقبل كل التضحيات •• مهما كانت التضحيات •

أن أضرار الحروب لا يمكن تلافيها •• لأن الحرب هى الحرب •
ومقاومة هـذه الاضرار •• يعتمد أولا على الشـعب ، مهما كانت الاستعدادات الفنية والرسمية •

وقد فرض ممدوح سالم حالة الطوارىء فى الأيام الثلاثة الأخيرة ، على كل أجهزة الأمن الداخلى •• وكانت الحجة الظاهرة ، أننا نتوقع ضربة من اسرائيل • وتمت عملية مراجعة سريعة لكل اعدادات الدفاع المدنى والشعبى •• والتطوع للمقاومة •• واعداد الاكتفاء الذاتى للمدن

والمناطق المتوقع ضربها من العدو وخاصة فى مناطق الصعيد عند خزانات المياه ومواقع مولدات الكهرباء •• وكان المحافظون قد تلقوا فى ٢٦ أبريل خطابا « سرى جدا » من وزير الداخلية يطلب فيه مراجعة جميع خطط أعداد الجبهة الداخلية ، والاطمئنان الكامل الى كفاءة اجراءات الوقاية والتحصينات وتحقيق الاكتفاء الذاتى فى التموين والادوية ، وضمان العمل تحت كل الظروف » •

وشعر المسئولون عن الأمن القومى بالخطر فعلا يومى الثالث والرابع من أكتوبر • لقد طلبت السفارة السـوفيتية الى السـوفيت المدنيين الموجودين فى القاهرة ان يغادروها الى الاتحاد السوفيتى على الفور • وأعدت لهم سيارات نقلتهم طوال الليل الى مطار القاهرة ، حيث قدمت طائرات خاصة من الاتحاد السوفيتى لهذا الغرض •

وحدث هذا فى سوريا أيضا ••

وكان من الممكن للعدو ، أن يستنتج من هذه الظاهرة ، أن الحرب على الأبواب •• وخاصة أن ما يجرى أمام أعين المواطنين المصريين فى الأحياء التى يسكنها سوفيت •• انتشر فى كل القاهرة •• وكان حديث الناس ••

ولكن كل شىء مر بسـلام ••

وكان من أهم اجراءات اعداد الجبهة الداخلية للقتال :

— خطط وقاية المصانع والمنشئات والمرافق العامة •

— خطط الوقاية من الاخطار البيولوجية والكيماوية •

— خطط للعمل على أجهزة الدفاع المدنى تحت كل الظروف •

— اعداد خطط بديلة فى حالة ضرب مرافق الكهرباء والمياه والمجارى والتليفونات والسكك الحديدية •

— تدريب ٤١٩١٦ مواطنا على أعمال الدفاع المدنى والانقاذ والاطفاء ، وتم اعداد فرق للخدمات الهامة بالمحافظات من ٧٧٥٠٦٦ مواطنا •

ـ تحديد ٦٢ مدينة يتولى متطوعون تأمينها والدفاع عنها ، وأتخذت كل الاحتياطات عند عمليات التسلل والتخريب •

* * *

وقد نجح فعلا مخطط الدفاع المدنى فى كل المواقع التى قصفها العدو بغارات مكثفة ومتلاحقة ••

ومثـــال ذلك :

طريق دمياط بور سعيد الســاحل (أكثر من مرة) ـ طريق مصر اسكندرية الزراعى ـ طريق بور سعيد الاسماعيلية ـ خطوط السكة الحديد بين الاسماعيلية والشرقية ، وخط السويس مصر ـ محطة مياه بور ســعيد وماسورة المياه الرئيسية بين دمياط وبور ســعيد وترعة الاسماعيلية ـ محطة كهرباء بور سعيد ـ محطة بور توفيق ـ بعض ابراج الضغط العالى بالدقهلية ـ خط الكهرباء الرئيسى لمدينة الاسماعيلية ـ خطوط الاتصالات اللاسكلية نتيجة قصف ضواحى المنصورة •

وفى رأس البر ودمياط استخدم العدو مدفعية السفن البحرية فى قصف مواقع مدنية ساحلية •

* * *

وارتفعت الجماهير الى مستوى المسئولية •• فى كل المواقع التى ضربها العدو ، ووصلت اليها قواته بعد التسلل من ثغرة الدفرسوار •

وكانت كل تحركات العدو فى هذه المواقع ، مرصودة من المواطنين •• وكانوا يبلغون بها كل أجهزة الأمن و المخابرات العسكرية فى الاسماعيلية •• وساعد ذلك على نجاح القوات المصرية قبل اتفاق فصل القوات فى يناير فى أن تلحق بالعدو أكبر خسائر فى الأرواح ••

وقد استخدمت القوات الاسرائيلية أبشع الجرائم ، لكى تجبر المواطنين على تقديم معلومات ، أو الابلاغ عن مواقع القوات المصرية .. وغشل كل ذلك فى أن يهبط بمعنويات المواطنين .. لقد دمروا مثلا جميع المتاجر والمخازن فى فايد .. استولوا على محصول السمسم ونقلوه الى داخل اسرائيل .. أستولوا على أموال المواطنين بتفتيش الرجال والنساء تحت التهديد بالقتل ..

حرقوا المنازل وسرقوا مابها . قتلوا طفلة أمام أمها ، ومنعوها من دفنها الا فى اليوم التالى . خطفوا المئات . أطلقوا الرصاص على الفلاحين جزافا وبدون حساب . حدثت كل هذه الجرائم فى قرى فايد والشلوفة وجنيفه وجيب الله وكسويت وفنارة وأبو سلطان وغرب الدفرسوار . وعين نمصين والضبعية وأبو حميان وسرابيوم وابو سلطان .

ومع ذلك فان هذا الارهاب الدموى الاجرامى ، على مدنيين عزل من أى سلاح .. لم يمنع مواطنا مثلا من ارشاد وحدة مصرية لاقتناص الدبابات فى ٢٨ أكتوبر الى مركز تجمع لدبابات العدو فى احدى المرافق . ودمرنا ١٦ دبابة .. واستشهد أربعة أبطال .

وبلغ من حذر العدو وخوفه من المواطنين ــ رغم هذا الارهاب الدموى ــ أنه كان يضىء أنوار اكاشفة حول مواقعه طوال الليل . وكان يطلق النار كل ربع ســاعة فى كل الاتجاهات ، للتخويف . وهكذا حتى يطلع النهـــار .

وعندما وصل موشى ديان فى زيارة للقوات الاسرائيلية فى ابو سلطان .. ظهر فى أماكن متفرقة ، أكثر من شخص فى ملابس وشكل موشى ديان .. وذلك خوفا على حياة وزير الدفاع الاسرائيلى . ظهر هؤلاء الشبهاء فى محطة أبو سلطان .. وأمام محطة المياه وفى الوحدة الصحية .

* * *

وهكذا صمدت الجبهة الداخلية ، وتوحدت فى صلابة .. وكان قلق الجماهير فى الأيام الأولى التى أعقبت أنباء تسلل العدو من الدفرسوار ، يعبر عن الألم ، أكثر مما يعبر عن الاهتزاز .

لقد نمت ثقة كاملة بين الشعب والقيادة .

وعندما أعلن أنور السادات فى أول مؤتمر صحفى عالمى بعد وقف القتال ، عن ان قواتنا قادرة على القضاء على الجيب الاسرائيلى .. أطمأنت الجماهير تماما ، لأنها أصبحت تصدق كل كلمة يقولها القائد .

الفصل العاشر

القذافى .. اللغز المكشوف

●●● « عرض للموقف العربى قبل وبعد المعركة . ماذا دار فى لقاء الرئيس السادات وفيصل فى أغسطس ١٩٧٣ . ماذا طلب فيصل؟ وماذا كان رد السادات . كيف كان بومدين يرى الموقف قبل ٦ أكتوبر . ؟

لماذا سافر بومدين الى الاتحاد السوفيتى ؟ ماذا قال له الزعماء السوفيت عن أنور السادات؟ المعونات العسكرية والبترولية التى حصلت عليها مصر من الجزائر والسعودية ..

ثم عرض شامل صريح لموقف معمر القذافى . ولماذا قال له السادات .. اننى مستعد ان ابايعك صلاح الدين .. ولكن بشرط ! .. ماهو هذا الشرط ؟ » ●●●

الرئيس السادات فى أخطر جولة عربية سريعة ، قام بها قبل حرب أكتوبر • الرئيس يزور السعودية وسوريا وقطر • الرحلة مفاجئة • لا أحد كشف عما دار فى هـذه الرحلة حتى الآن التى تمت خـلال أغسطس ١٩٧٣ •

لنتوقف قليلا مع الرئيس السادات فى السعودية • لقاء بالغ الأهمية بين الرئيس السادات والملك فيصل • بل هو أهم لقاء جرى فى المحيط العربى خلال عام ١٩٧٣ • الحديث يدور بين الرئيس والملك ، حول قرار الحرب • كاشف الرئيس السادات ، فى هذا الاجتماع ، ملك السعودية ، برأيه الأخير وهو أنه لا سبيل الى التحرير وتحريك القضية الفلسطينية ، الا بالقتال • كان الملك فيصل فى أول اللقاء ، مشفقا على المصير ، اذا لم نكن معدين لها ، الاعداد الصحيح القـادر على قهر القوات الصهيونية • أفاض الرئيس أنور السادات ، فى شرح الموقف العسكرى ، والخطة المصرية ، وأستعرض كل جوانب الضربة المصرية •

اقتنع الملك فيصل • وربط اقتناعه بشرط واحد • قال الملك للرئيس السادات :

— لى مطلب واحد فقط •• وهو أن تستمر المعركة وقتا يسمح ببناء موقف عربى موحد • لا نريد أن نبدأ المعركة ، ثم نطلب وقف النار بعد يوم أو يومين •

أكد الرئيس أنور السادات ، أن خطة المعركة قد وضعت لتستمر • وأنه لن يوافق مطلقا على وقف النار بعد وقت قصير ، مهمـا كانت الظروف •

وضع الملك فيصل يده فى يد الرئيس •• وتعاهدا على التعاون الكامل •

قال السادات : اننى لا أطلب منك أى شىء محدد • أطلب منك فقط المساندة وبناء موقف عربى واحد •

وأوفى الملك فيصل بكلمته •

ولم يطلب الرئيس السادات ، من الملك ، اتخاذ أى اجراء • وكل

ما صدر عن الملك فيصل من قرارات ، كان بغير أى اتفاق مسبق مع الرئيس السادات . لم يجر أى اتصال بين القاهرة والرياض ، بشأن قرار خفض البترول الى أوربا وأمريكا .. ثم قرار الملك بمنع البترول كليا ، من أمريكا وهولندا . عرفت القاهرة قرارات الملك ، عند اعلانها ، كما عرف بها العالم كله .

قال الرئيس السادات : هذا موقف عظيم ، لن تنساه الأمة العربية للملك فيصل .

وقبل القتال ، حصلنا على الأسلحة التى طلبناها من السعودية . كما حصلنا على الذخائر التى طلبناها . بل ان السعودية تعاقدت لنا على شراء أسلحة ، كنا فى حاجة اليها . وقدم الملك فيصل مليونى طن بترول مجانا . وعندما تخلى معمر القذافى عن أمدادنا بالبترول ، اشترت السعودية بترولا مكررا من ايطاليا ، وأهدته لمصر .

ثم قال الرئيس : وباختصار .. لم يتردد الملك فيصل لحظة واحدة ، فى الاستجابة الى أى مطلب طلبناه .. أسلحة .. معونة .. بترول .. أى شىء .. هذا عدا القرارات التى كان يصدرها بنفسه ، لدعم المعركة عربيا ودوليا ، وتفاجأ بها القاهرة .. موقف عظيم .

ولم يتكلم الملك فيصل . بل اننى سافرت الى السعودية ، باتفاق مسبق ، على موعد للقاء الملك فيصل . ولقيت جلالته . ورفض أن يتكلم بحرف واحد ، عن موقفه فى حرب أكتوبر . وكلما وجهت اليه سؤالا كانت اجابته الواحدة المكررة : لم نفعل شيئا . لقد أدينا الواجب . أداء الواجب لا يستحق الحديث عنه . مصر غالية .. وشعب مصر عزيز علينا ، وعلاقاتنا على طول المدى طيبة وأخوية وكلها مودة . كل ما أرجو أن يتحقق هو الموقف العربى الموحد . الصهيونية والشيوعية تفيدان من الخلافات العربية . وكل من يعمل على تفتيت الصف العربى ، منحرف ، ينفذ أهداف الصهيونية والشيوعية ، سواء كان يعرف أو لا يعرف . نسأل الله أن يهدينا جميعا الى وحدة الرأى والكلمة ، من أجل بناء الأمة العربية .

هذه خلاصة اجابات الملك فيصل على أسئلتى ..

وفشلت كل محاولاتى معه أن يتكلم ..

موقف آخر .. سألت عنه الرئيس أنور السادات . هو موقف الرئيس هوارى بومدين .

اننى أعرف أنه كانت بين القاهرة والجزائر ، أزمات وأزمات ، قبل وفاة جمال عبد الناصر.وكان الرئيس بومدين بالغ الاستياء مما يكتبه محمد حسنين هيكل من هجوم ظالم وتشويه لموقف الجزائر . وقد حدث أن كان الدكتور مراد غالب فى الجزائر وهو وزير للخارجية لحضور مؤتمر قمة عربى . وكان واقفا يتحدث مع الرئيس السودانى جعفر نميرى . وكان نميرى فى قمة الغضب أيضا ، مما كانت تنشره « الاهرام » ضد ثورة السودان . ودعا مراد غالب الرئيس نميرى ، أن يمر على القاهرة ، فى طريق عودته الى الخرطوم . وأجاب نميرى : لن أدخل القاهرة ، ومحمد حسنين هيكل يتولى مسئولية فيها ..

فقال مراد غالب .. ولـمـاذا تربط موقفك من مصر ، بشخص .. وهنا كان قد جـاء الرئيس بومدين .. فأراد مراد غالب أن يستعين به على اقناع الرئيس نميرى . وأعاد مراد غالب على مسامع الرئيس بومدين ، ما قاله الرئيس نميرى من أنه لن يدخل القاهرة .. بسبب هيكل .

وكانت اجابة الرئيس بومدين : الرئيس نميرى عنده حق مائة مائة . أنا معه فى هــذا .

وكان بومدين قد استقبل الدكتور مراد غالب ، وعرض له أسباب سوء العلاقات من وجهة نظر الجزائر . وكان يحتفظ بملف كامل ، بكل ما كتبه هيكل ضد الجزائر . وقال بومدين : هذا تشويه لموقف الجزائر وثورة الجزائر .

واستمرت وجهة نظر الجزائر ، بعد وفاة جمال عبد النــاصر ، أن الجزائر مستعدة أن تقدم كل عون عسكرى ومادى .. وكل ما يطلب منها اذا بدأت الحرب فعلا .. أما قبل ذلك ، فلا .

والدافع الى رأى الجزائر ، أنه لم تكن هناك ثقة فعلا ، أننا سندخل الحرب .

وحدث أن التقى الرئيس بومدين بالفريق سعد الشاذلى ، وكان قد سافر الى الجزائر ، بوصفه أمينا مساعدا للجامعة العربية ، وقال له الرئيس بومدين : حقيقة أن السادات فى موقف صعب ٠ عدم دخول الحرب مصيبة ٠٠ ودخولها قد يكون مصيبتين ٠ وصفيت أوجه خلافات كثيرة ٠٠ فى لقاء بين السادات وبومدين ٠

ولكن بقيت وجهة نظر الجزائر ، متشككة فى امكانية دخول مصر الحرب ٠

٠٠٠ ثم بدأ العبور العظيم ٠٠

وكان الرئيس بومدين يتصل يوميا بالرئيس السادات متابعا ، بكل اخلاص وحماسة سير المعركة ٠ مستجيبا الى كل ما يمكن أن تطلبه مصر ٠

وفجأة توقف خط الاتصـــال ٠٠

وفجأة عرف الرئيس السادات أن بومدين سافر فى رحلة سرية الى موسكو واجتمع بزعماء الاتحاد السوفيتى ٠٠ ثم عاد من رحلته على الفور فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى !

وفجأة عرف الرئيس السادات ، أن الرئيس بومدين ، قام بهــذه الرحلة السرية التاريخية ، دون أن يخطر أحدا ٠٠ واجتمع بقادة الاتحاد السوفيتى ، وقدم ٢٠٠ مائتى مليون دولار لشراء أسلحة ٠ مائة مليون لمصر ، ومائة مليون لسوريا ٠ وطلب من موسكو أن تتصل بالقاهرة ودمشق لتحديد ما يحتاجانه من سلاح ٠٠ ووافق السوفيت ٠

وعاد الرئيس بومدين الى الجزائر ، ودعا مجلس الثورة الجزائرى الى اجتماع وعرض عليهم كل ما جرى ٠ وأعلنت الجزائر أنها ستوقف خطة التنمية كاملة ٠٠ حتى تنتهى المعركة ٠

ولكن ماذا جرى بين الرئيس بومدين والاتحاد السوفيتى ٠٠

لقد جرت مناقشة سياسية طويلة ، هاجم فيها الاتحاد السوفيتى ، سياسة الرئيس السادات ٠٠ وقالوا كلاما كثيرا ٠٠

وهنا قال الرئيس بومدين : اننى لم أحضر الى موسكو ، لكى أدخل فى مناقشة سياسية •• نرجو أن ننحنى السياسة جانبا • مصر وسوريا الآن فى حرب • وقد جئت اليكم أشترى سلاحا للبلدين الشقيقين •• فهل توافقون ••

ووافق الاتحاد السوفيتى ••

وتحدث الرئيس السادات عن موقف الجزائر البطولى • عندما طلبنـــا المدرعات ، لخطة ضرب الاسرائيليين فى الضفة الغربية بعد الثغرة •• ووصلت الى مصر ، وفى أسرع وقت ١٥٠ دبابة ، ورجالها وتموينها ومدفعيتها •• ومن قبـــل •• انضمت قوة طيران جزائرى ــ طائرات وطيارون ــ الى قوات الطيران المصرية •

كان التعاون رائعا ••

وكان الموقف بطوليا ••

وعندما اخذ معمر القذافى الموقف الشاذ •• ومنع البترول عنا •• أرسلت الجزائر هدايا البترول •• وأرسلت الجزائر هدايا البوتاجاز •• وكانت الجزائر متعاقدة على شراء بوتاجاز لاستهلاكها المحلى •• ولم تكن البواخر قد وصلت بعد •• وأعطى الرئيس بومدين أمره للبواخر أن تتجه الى مصر •

ولم تصدر عن الرئيس بومدين كلمة واحدة ، عن دوره التاريخى فى حرب أكتوبر •

وكانت قراراته السياسية ، والبترولية ، خلال المعركة وبعدها ، تعبر عن المسئولية المصيرية الكاملة •• ولم يأبه لصوت المزايدات الكلامية والمواقف المسرحية التى اتخذها معمر القذافى ، فى موضوع ، اعادة ضخ البترول لأمريكا بعد أن تغير الموقف الأمريكى ••

وقال القذافى حينئذ أنه لن يدنس أرض ليبيا ، بأن يتخذ عليها ، قرار اعادة ضخ البترول لأمريكا ••

وفى اليوم التالى ، كانت بعثة اقتصادية أمريكية تزور ليبيا ، باتفاق رسمى سابق ، للمناقشة فى دعم الروابط الاقتصادية بين أمريكا وليبيا !!

ولكن لماذا أتخذ معمر القذافى هذا الموقف المؤسف •• قبل حرب أكتوبر •• وخلالها •• وبعدها وحتى الآن ، على الرغم من أن طرابلس اتصلت بالقاهرة ١٨ مرة تليفونيا خلال شهر يوليو الماضى ، عارضة أن يتحدث الرئيس السادات الى القذافى •• وقد اعتذر الرئيس عن ذلك •• وكان آخر حـديث تليفونى مع أبو بكر يونس عضو مجلس الثـورة الليبى •• وقال الرئيس السادات : لقد سئمت التعامل مع معمر بهذا الأسلوب • ان مصر غنية • وغنية جدا • وأغنى من بترول ليبيا • يجب أن تعرفوا هذه الحقيقة • وانى مستعد أن أتجاوز عن حقى الشخصى كأنور السادات • ولكنى لن أفرط فى حق الشعب المصرى ••

ان الرئيس السادات يلخص موقف القذافى فى جملة واحدة « معمر يريد أن يفرض نفسه على المسرح العربى •• وبشروطه » ••

وقلت للرئيس : اسمح لى يا سيادة الرئيس •• لى رأى آخر •• ان أحلام معمر القذافى الحقيقية ، هى أن يحكم مصر • هذه هى الحقيقة• لقد تصور قبل أكتوبر ، أننا لن نحارب ، وأن النظام سينهار من الداخل •• وأراد أن يشجع على كل هذا ، باختراع النظرية الثالثة ، والثورة الشعبية •• وكل هذه الشعارات •• تصورا منه أن هذا سيكون له أثره على الداخل فى مصر •• ولكنه بكل أسف لا يعرف مصر •• ولا يعرف شعب مصر ••

ولم يشأ الرئيس السادات أن يعلق على رأيى ••

ولكن ما هى قصة معمر القذافى ؟ •• وما هو الدور الذى شاء أن يلعبه فى حرب أكتوبر •• فخسر بعده كل شىء ••

ان قصتى •• وقصة عدد كبير من كتاب مصر ، مع معمر القذافى •• عندما حضر الى مصر فى يوليو ١٩٧٣ •• يمكن أن تلقى الأضواء ، على قصة القذافى مع حرب أكتوبر •• كان ذلك فى الخامس من يوليو ١٩٧٣

وكنا فى دار مؤسسة روز اليوسف ، بدعوة مفاجئة فى نفس اليوم ، لاجراء حوار مع العقيد القذافى ، واشترط العقيد أن يحضر المراسلون الأجانب هذا الحوار ، لكى يضمن نشره على أوسع نطاق عالمى ..

وبدأ الحوار .. وتكلم القذافى عن الوحدة .. وتكلم آخرون عن تحفظاتهم .

ثم قلت للعقيد القذافى .. أنت يا سيدى تلوم صحافة مصر ، لأنها لا تقيم مهرجانات اعلامية ، لحدث خطير يقترب موعده .. هو الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا .. ومع ذلك فاننى أرى فى قراراتك وخطبك ما يقطع الطريق تماما على هذه الوحدة ..

لقد أعلنت فى خطاب أخير ، انك لا توافق على استراتيجية المعركة كما وضعها السادات والأسد وأنك تبرىء ذمتك أمام الله والجماهير من هذه الاستراتيجيــة ..

فاذا كانت الوحدة أساسا من أجل المعركة .. وأنت لا تقر طريقنا الى المعركة .. فكيف يمكن أن تتم الوحدة ؟ .. وكيف يتفق هذا الرأى مع دعوتك الى الوحــدة ..

كما أنك أعلنت يا سيدى ، انك لا تقر سياسة مصر التى وصفتها بأنها تهادن الرجعية العربية .. وأنت تطالب نظامنا وصحافتنا بالهجوم المستمر على السعودية والكويت ودول الخليج والمغرب .. وأنت فى الوقت نفسه تدعو الى قومية المعركة .. أى الى اشتراك كل الدول العربية فى تبعــات المعركة بنصيب .. ونحن نسعى الى الحشد العربى ، وتكتيل الجهود .. واذا كنا نفكر فى استخدام سلاح البترول فى المعركة .. فلا يمكن أن يتأتى ذلك بغير دعم العلاقات العربية وازالة الخلافات وتجنب المعارك الجانبية . هذا خطنا العربى .. تسخير كل الجهود للحشد العربى من أجل المعركة ..

وهذا خطك العربى .. دعوة الى اسقاط النظم فى هذه البلاد العربية . ودعوة الى تصــدير الثورة اليها .. وقد أعلنت أكثر من مرة أنك مؤمن بتصــدير الثورة ..

فكيف يمكن يا سيدى أن تتحقق وحدة بين مصر وليبيا •• فى ظل هذا الاختلاف الجذرى فى السياسة العربية ؟ ••

لقد تجـاوزت مصر هذه المرحلة •• التى تدعو أنت لهـا الآن •• أن الأرض العربية محتلة •• والخطر الصهيونى يهدد الجميع •• ولا يمكن أن نتعارك •• وأن نسعى الى انقلابات فى الدول العربية •• ونحن مقدمون على معركة ••

كما أعلنت يا سيدى • أن مصر يجب أن تهاجم هيلاسلاسى •• ويجب أن تهاجم أثيوبيا كدولة لها صلات باسرائيل ••

ونحن نقول يا سيدى أننا نسعى الى تضامن عربى أفريقى من أجل المعركة •• واذا كان لهيـلاسلاسى كيان أفريقى ضـخم مؤثر •• فكيف نقطع ما بيننا وبينه •• والتـأييد الأفريقى للموقف العربى ، ينمو الآن شيئا فشـيئا ••

اذن نحن مختلفان أيضا فى السياسة الأفريقية •• فكيف تتحقق وحدة فى ظل هذا الخلاف ••

ثم انك يا سيدى أعلنت ما اسميته النظرية الثالثة •• وأنت متمسك باضافات الى ميثاقنا الوطنى تسجل هذه النظرية ، وتدعونا الى الأخذ بها •

ونحن لا نرى جديدا فى هذه النظرية •• ونحن سائرون على مبادىء ٢٣ يوليو •• الثورة الأم ••

واذا كنت ترى من مسئوليتك الدعوة الى هذه النظرية بين أبناء الشعب الليبى •• فلا اعتراض لنا على ذلك •• أما انك تريد منا اقتناعا بما تدعو اليه •• فهذا أمر لا نقره ••

وهذا أيضا خلاف جذرى يضع عقبات أمام تحقيق الوحدة ••

وأنت يا سيدى تهاجم البيروقراطية والنساء فى مصر •• وقد دعوت الى ما أسميته الثورة الشعبية فى ليبيا •• العاملون فى كل موقع عمل ،

يجتمعون ، ويفصلون من يشاؤون ، ويرئسون من يشــاؤون •• وهذا ما تراه أنت أنه حكم الشعب ••

ونحن أيضا ياسيدى تجاوزنا هذه المرحلة •• ان عندنا مجالس الادارات فى المؤسسات واللجان النقابية ، ولجان الاتحاد الاشتراكى •• وكلهــا بانتخابات حرة يراعى فيها تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ •• وعندنا دولة المؤسسات الدستورية ، فى ظل دستور دائم ••

وقلنا •• اننا لا نعترض على الثورة الشعبية كعمل داخلى فى ليبيا •• هذه تجربة من حق ليبيا أن تمارسها ، وان تنتظر نتائجها •• ولكن ليس من حقك يا سيدى أن تفرض ما تسميه بالثورة الشعبية على مصر ••

وهذه أيضا نقطة خلاف جذرية •• أثرتها أنت يا سيدى ، ونحن نقترب من موعد الاستفتاء على الوحدة الاندماجية ••

فكيف يتفق ذلك ، مع دعوتك للوحدة ؟

وأنت يا سيدى ، أعلنت سقوط حكم القانون •• وأمرت بسجن عدد كبير من المثقفين فى بلادك دون تحقيق ، ودون محاكمة •• وقلت أنك جربت الديمقراطية وفشلت تجربة الدمقراطية ••

ولكننا يا سيدى نتمسك بسيادة القانون •• ونحن نرى أن الديمقراطية وسيادة القانون ، هما حماية المواطن فى حريته وعمله ورزقه وحرماته ••

لقد نبذنا الاجراءات الاستثنائية المهدرة للحريات •• نبذناها الى الأبد• وأنت بدأت حكم ليبيا باجراءات استثنائية ••

فكيف يمكن أن تستقيم وحدة بين نقيضين •• ونحن نتمسك بسيادة القانون •• وأنت ترى غير ذلك ؟ ••

ولذلك فأننى أقول لكم ، أن الصحافة المصرية التى تصــفها بأنهــا متخلفة ، ورجعية ، وأنها فقدت ثوريتها •• لم تقصر فى الدعوة الى الوحدة •• ولكن قراراتكم وآرائكم •• هى التى تقف عقبة أمام الوحدة •• وصحافتنا تؤدى دورها الوطنى والقومى • وأننى أرجو منك ردا على كلامى هذا ••

واستمع العقيد القذافى طويلا •• وكان قد جاملنى قبل أن أتكلم بقوله ، أنه قرأ كتابى ثورة كوبا ، قبل ثورة الفاتح ، وأنه تأثر به •• وطلب من زملائه أن يقرؤوه ••

استمع لى منصتا •• ولكنه لم يعقب •• واستمع الى كلمات أخرى من زملاء آخرين •• ولكننى وقفت مرة ثانية •• وطلبت من العقيد القذافى ردا على ملاحظاتى •• كما ألح زملاء آخرون فى أن يستمعوا الى رده ••

فقال على مضض : أن ما قلته صحيح تماما •• هذه خلافات أساسية بيننا وبين مصر ، وقد جئت الى مصر لأناقش مع الرئيس أنور السادات هذه الخلافات •

كان ذلك فى يوليو عام ١٩٧٣ •

وكان العقيد القذافى قد وصل الى مصر فجأة ، ومعه أسرته ، وكتبه ، وسلاحه •• وبدا أنه كان على خلاف مع أعضاء مجلس الثورة فى ليبيا •• وقال للرئيس أنه بين يديه من أجل الوحدة •

وأثار فعلا هذه الموضوعات ، مع الرئيس أنور السادات ، الذى استقبله أكرم استقبال ، ودعاه الى أن يجتمع بكل المؤسسات الدستورية والصحفية فى مصر •• وأن يتعرف الى حقيقـــة الرأى المصرى ، فى مناقشات حرة ، تعبر فعلا عن جماهير الشعب •• واجتمع القذافى مع أعضاء مجلس الشعب •• ومع التنظيم النسائى فى الاتحاد الاشتراكى العربى •• وعقد اجتماعات فى المؤسسات الصحفية ، واشترط أن يدعى اليها ممثلو الصحافة العالمية ووكالات الأنباء •• وكان هـــدفه من دعوة الصحافة الأجنبية نشر آرائه على أوسع نطاق ••

ولمس القذافى تماما من كل ما سمع ••

•• ان الجماهير المصرية تؤمن بالوحدة ••

•• ان الجماهير المصرية لا تريد تجربة خاسرة •• ولذلك يجب وضع ضمانات نجاح الوحـــدة ، وأولهـــا أن تكون على خطوات مدروسة فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ••

وكان القذافى قد رفع شعار أن ليبيا كانت ترى وهى مقبلة على الوحدة مع مصر أنها سوف تضحى بالثروة •• ولكنها ترى الآن أنها سوف تضحى بالثورة أيضـــا !

وكان هذا الشعار ، جارحا لكرامة مصر والمصريين •• فليست مصر التى ضحت بعشرات من آلاف الشهداء وبعشرات الآلاف من ملايين الجنيهات ، على حساب تطورها ، من أجل القضية العربية •• هى التى يقال لها أنها طامعة فى ثروة ليبيا •• وليست مصر الرائدة ، هى التى تتلقى درســـا فى الثورية •

ولذلك حرص الرئيس أنور السادات فى كل مباحثات مع القذافى ، أو مع أعضاء مجلس الثورة الليبى أن يؤكد على معنى أساسى •• وهو أن ثورة ليبيا •• لشعبها •

وعرض القذافى خلال تلك الزيارة أن تشاركنا ليبيا فى مشروعات استثمارية ضخمة •• وعقد اجتماع فعلا حضره الدكتور عبد العزيز حجازى •• ثم عاد القذافى فى اليوم التالى ليضع الشروط •• وقد سبق أن أوردتها •• وهى الاعتراف بنظريته الجديدة •• والدعوة الى الثورة الشعبية فى مصر •• الى آخره ••

ورفضت مصر بطبيعة الحـــال ••

وعاد القذافى الى ليبيا من الطريق الصحراوى •• بعد أن كانت أعدت له الطائرة الخاصة •

وأذكر أن الرئيس أنور السادات صارحه فى لقاءاته بقوله : يا معمر •• أننى أعرف أن طموحك يتعدى حدود ليبيا •• وأعرف أنك مقتنع بأنك ستقوم بدور جمال عبد الناصر فى المنطقة العربية ••اننى مستعد أن أعترف بك •• لا كجمال عبد الناصر فقط •• بل كصلاح الدين •• ولكن بشرط واحد •• هو أن تطرد الغزو الصهيونى من الأرض العربية كما طرد صلاح الدين الغزو الصليبى • هذه هى القضية الآن •• وهذا هو الهدف•• أما الخطب الملتهبة •• اما النظريات والايديولوجيات •• فليس مكانها — الآن •• أمامنا هدف هو المعركة •• هو طرد قوات اسرائيل من أرضنا ••

اذا حققته •• فاننى مستعد أن أنسحب •• وأن أبايعك صـلاح الدين العـربى ••

وللحقيقة والتـاريخ •• فقـد بدا فعلا من خطابات معمر القذافى ، وتصرفاته الدعائية ، وموافقة المفاجئة •• أنه مقتنع بأنه جمال عبد الناصر •• وأن زعامة ليبيا وحدها ، لن تحقق له هذا الطموح •• وأصبحت زعامة مصر هى هدفه •• وأطلق على نفسه فى صحف ليبيا لقب « أمين القومية العربيـة » !

وقد أخطأ التقدير فى هذا •• سواء كانت هذه الفكرة نابعة من منطقه الخـاص •• أو نابعة ممن أوحوا له بهـا ••

وربما كان الخطأ من مصر أولا ••

لقد أسرفنا فى تمجيد القذافى عند نشوب الثورة الليبية •

لقد كانت فعلا مفاجأة سارة بعد الهزيمة •• وكانت دليلا على امتداد مبادىء ٢٣ يوليو الى قلوب شباب الأمة العربية • ولذلك كان الترحيب بهـا ضخما ••

كما أن بعض الحكام العرب ، حاول احتواء الثورة الليبية ، والمباعدة بينها وبين القاهرة •• وقد زاد ذلك من تدليل القاهرة للثورة الليبية ••

ويبدو لى أن شخصية القذافى ، وضح جموحها فى اجتمـاع الملوك والرؤساء قبيل وفاة جمال عبد الناصر • فقد كان يريد أن يحارب أمريكا لو تدخلت فى الأردن !

وظهرت بعد ذلك « شطحات » عديدة •• كنا نرجعها الى عدم الخبرة ، وثورة الشباب ولكننا كنا نقول دائما بطهارة القصد ••

ولكن يبدو لى أن فكرة الوحدة مع مصر ، تطورت فى عقل معمر القذافى ووجدانه •• على أساس أنه سوف يكون حاكم مصر وزعيمها !

وهو فى هذا ، قد أخطأ التقدير لشخصية أنور السادات •

كانت حسابات القذافى ، أو من يمدونه برؤى المستقبل •• أن أنور السادات لن يدخل معركة ••

وأنه يواجه مشكلات داخلية لن يستطيع التغلب عليها ..
ولا أستطيع هنا أن أتجاهل ، أن القذافى كان له اتصال ببعض العناصر فى مظاهرات الطلبة ..

وكانت قصص قد ترددت عن انقلاب فى الجيش المصرى !!
كل ذلك أقنع من لا يجيدون حساب شخصية السادات ، أن النظام يتهاوى .. ومن هنا جاءت فكرة الثورة الشعبية فى ليبيا .. لا لكى تطبق فى ليبيا .. ولكن لكى تطبق فى مصر أساسا ..

وتصور القذافى أن هذه الفكرة ستستميل الطبقة العاملة فى مصر ..

وخلال ذلك كله ، كان القذافى دائبا على الدعوة لزعامته .. مؤتمرات متلاحقة فى ليبيا .. اتصالات بجماعات من شباب أوربا .. نشرات بجميع اللغات توزع فى جميع أنحاء العالم أن القذافى هو النبى الجديد.. وكان القذافى يستخدم فى أجهزة الاعلام الليبية كل العناصر المعادية للنظام فى مصر ، ومعظمهم ماركسيون .. رغم تعارض ذلك مع رأيه فى الشيوعية والشيوعيين .. ووصفه لهم بأنهم عملاء .. ووجدت بعض أقلام بيروت فى أحلام القذافى ، فرصة للحصول على أمواله .. وصرف القذافى فعلا ملايين الجنيهات ، فى شراء أقلام وصحف .. وفى انشاء صحف جديدة فى لبنان تروج لآماله وأحلامه .. وتشوه سمعة النظام المصرى ..

ثم رأى أن الطريقة المثلى .. هى انتزاع الحكم فى مصر !

ومن هنا جاءت فكرة المسيرة الى مصر ، التى أعد لها خمسون ألف شباب ليبى يزحفون الى القاهرة ، ويشعلون النار فى ملاهى شارع الهرم .. وكان المفروض أن تنضم اليهم من الداخل عناصر متمردة .. أو هكذا توقعوا على الأقل .. ثم يختلط الحابل بالنابل وتعلن الدولة الواحدة .. ويبعد أنور السادات ، أو يبقى ملكا لا يحكم !

وفشلت فكرة المسيرة ..

وعالجتها مصر بمنتهى الحكمة ..

ويجدر هنا أن أشير الى الجهود العاقلة التى بذلتها مصر ، لتفويت

أهداف هذه المسيرة بالحسنى •• وفى الوقت نفسه عدم الاساءة الى العلاقات بين الشعبين المصرى والليبى •• كانت مصر قد تلقت أنباء بالتدبير لهذه المسيرة •• وأهدافها •• وأن هناك أموالا تصرف لاعدادها •

ولكن مصر فضلت الانتظار ••

ثم بدأت الاذاعة الليبية الرسمية تؤدى دورها فى تهييج مشاعر الجماهير الليبية ، والدعوة الى المسيرة ، واستغلال اسم عبد الناصر ••

فأوفد الرئيس السادات الدكتور حافظ غانم — وقد كان فى دمشق — الى ليبيا •• ليعلن شكره الى الشعب الليبى على مشاعره الوحدوية •• ولكى يتفاهم مع السلطات الليبية على الأسلوب الذى يجعل المسيرة تحقق أغراضها •• دون اخلال بالأمن ، أو اتاحة الفرصة لعناصر معادية أو مندسة أن تستغل هذه المسيرة ••

والتقى الدكتور غانم عند وصوله مع عدد من أعضاء مجلس الثورة هم : بشير هوارى — أبو بكر حمزة — عمر المحيشى — الخويلدى الحميدى — محمد نجم — عبد المنعم الهونى ••

وكانت اجابتهم جميعا ، بعد أن نقل اليهم رسالة السادات ، أنهم لا يعرفون شيئا عن المسيرة وأنهم سمعوا عنها فى الصحف ، وأنهم لا يملكون السيطرة عليها !!

وأبلغهم بمعلومات القاهرة عن المسيرة •• وأن هناك عناصر معادية للوحدة والقومية العربية تستغل المسيرة ، ما دام لا رابط لها ولا ضابط وخاصة أن أعضاء مجلس الثورة يقولون أن المسيرة مفتوحة لليبيين وغير الليبيين ••

وكانت اجابتهم : الشعب الليبى واعى ، ويعرف كيف يقدر الظروف •• واذا حصلت خسائر فى سبيل الهدف الأسمى وهو الوحدة •• فلا بأس •• وعلى أية حال فانهم غير مسئولين عن المسيرة !

وانتقل الدكتور حافظ غانم الى منزل القذافى ••

القــذافى : أنت تعرف أننى مســتقيل • ولمــا حضرت الى مصر كنت مستقيلا •• وأنا غير مسئول • ولا أعلم شيئا ••

غانم : يجب أن تتحمل مسئولياتك أمام التاريخ ، لأنك تريد الوحدة •• وهذا عمل يهدد الوحدة فعلا •• اننا نريد النظام لهذه المسيرة ، ووجودك ووجود سلطة مسئولة يحقق هذا ••

القذافى : لا •• أنا مصمم على الاستقالة • والأوضــاع فى مصر لا تعجبنى • أنتم تنشرون صور الملك فيصل وأمراء الخليج وتهادنون الرجعيــة ••

مصطفى كمال : (عضو البعثة المصرية) : اننا نطبق قومية المعركة •• والأولوية فى كل شيء الآن للمعركة •• لمواجهة اسرائيل •

ثم أحضر القذافى بروازا كبيرا ، مكتوبا بداخله ، قولا لجمال عبد الناصر يهاجم فيه الملك فيصل •• وقرأ القول ثلاث مرات •• ثم قال : أن المرأة المصرية تدخن السجائر •• ولا توجد فى ليبيا الا سيدة واحدة تدخن بأمر الطبيب •• أنتم لا تريدون تطبيق الشريعة الاسلامية ••

غانم : هذا الكلام ناقشناه ورددنا عليه • وعلى كل ، فمن الممكن أن تصفى دولة الوحدة كل هذه القضايا الخلافية •• ولكن المهم الآن ، أن نتجنب الأضرار التى يمكن أن تلحق بالشعبين من مسيرة غير منتظمة •

القــذافى : ويجرى ايه •• لو وصلوا القاهرة وكسروا شارع الهرم •• يبقى كويس •

غانم : ألا ترى أن المحافظة على القاهرة ، يمثل اعتبارا قوميا ، حتى يظل الشعب المصرى على ايمانه بالوحدة ••

ولم تنته المناقشات مع القذافى الى شيء • وطلب الدكتور غانم ان يلتقى بقادة المسيرة ••

القذافى : روح قابلهم فى الشارع •• انا لا أعرف شئيا عنهم !

غانم : كيف نتناقش فى الشــوارع •

القذافى : نحضر لكم ميكروفونات •• ونطلع الحــوار فى الاذاعة اذا اردتم ••

غانم : أننى متمسك بطلبى مقابلة المسئولين عن المسيرة ومناقشتهم •

القذافى: اذا كان على اجراءات الأمن •• يبقى وزراء الداخلية يتعاملوا مع بعض ••

غانم : هل تسمح ان وزير الداخلية الليبى يحضر الى القاهرة للتفاهم مع ممدوح ســالم ••

الخويلدى (وزير الداخلية) : لا •• لن أنزل الى القاهرة •• اذا كان وزير الداخلية المصرى يريد الحضور الى هنا •• يتفضــل ••

غــانم : مرة أخرى اطلب الى الأخ العقيد القذافى ان يتحمل مسئولياته التاريخية •• ويعود الى عمله ••

القــذافى : أنا مستقيل •• وقيادات الجيش كلها معتصمة •• ولن أعــود •

غــانم : المفروض ان المسيرة تجىء اليك لتأخذك الى مكتبك •

وزير الداخلية : أنا أمنعكم ان تقولوا هذا الكلام للجماهير •• لقد جئتم هنا فى مهمة خاصة !

غــانم : المسيرات ممنوعة فى مصر الا بتصريح ••

واستمرت المناقشات ٣ ساعات دون جدوى ••

وفى المســاء اجتمع الدكتور غانم بـــ ٤٨ شــابا قيل له أنهم قادة المسيرة •• وتلقى الدعوة الى الاجتماع من عبد الوهاب الزنتانى محافظ بنى غازى باعتباره قائد المسيرة ••

وفى هــذا الاجتماع وجه الدكتور غانم كلماته الى الزنتانى قائلا : أننى أريد أن أجرى معك حوارا طويلا أمام هؤلاء الشباب • انت تعرف

أنك حرضت الطلبة فى مصر على المظاهرات • وكانت لك بهم صلات • وقد انسحبت من لجان الوحدة ، وسجلت انك تنسحب احتجاجا على معاملة السلطات للطلبة ، وكتبت فى محضر اجتماع التنظيمات السياسية كلاما جارحا للكرامة المصرية •• وقلت انك تنسحب احتجاجا على القبض على الطلبة الناصريين •• وجئت الى ليبيا وأنك تقول هنا أنك ممنوع من دخول مصر وهذا غير صحيح ••

وبدأت المناقشات •• ولاحظ الدكتور غانم ان الحاضرين لا يصفقون لاسم أنور السادات على عكس ما يفعلون عندما يرد أى اسم آخر ••

فصارحهم الدكتور غانم : أريد اجابة واضحة •• انتم تقولون ان المسيرة هى لمبايعة السادات على رأس دولة الوحدة •• فكيف اذن لا تصفقون لاسمه •• فهل انتم ذاهبون الى القاهرة لمبايعة السادات أم لا ؟ ••

ورد واحد منهم : والله سأقول لك بصراحة •• اننا لم نصفق لاسم السادات ، لأنه يريد منع تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ••

وبدأت المناقشات تكشف ، عن ان القذافى حشر عقول هؤلاء الشباب ، بمعلومات خاطئة عن الرئيس السادات •• بل ومعادية له ••

حتى أن أحد قادة المسيرة وقف قائلا بعد أن استمعوا الى شرح الدكتور غانم لموقف الرئيس السادات من الوحدة : والله •• أنا بدأت أشك فى العقيد القذافى ••

ولكن الغالبية من الشباب ، كانوا فى قمة الانفعال •• وأعلن بعضهم أنه لا يهم لو فنى منهم ألف أو ألفان فى سبيل الوحدة ••

فقال لهم الدكتور غانم : هل أنتم متوجهون الى القاهرة ، لمعركة يفنى فيها الآلاف ؟ ••

وانتهى الاجتماع •• ولم يتقرر شىء ••

وقال الدكتور غانم لقائد المسيرة : أنت مسئول شخصيا عن هذه المسيرة ، مادمت قائدا لها • •لأن هذا سيضر بأهداف الوحدة ••

وكان رأى القـاهرة ، أنها ترحب باستضافة المسـيرة •• فى مؤتمر شعبى يعقد فى مرسى مطروح ، ولا يتعداها بأى حال •• ثم يجرى حوار ترفع نتائجه الى القيادات فى البلدين ••

وعرف ان عبد السلام جلود هو الذى كان ينظم المسيرة ••

وتتابعت الاحداث •• وتوقفت المسيرة فعلا عند مطروح • وجاء وفـد منها الى القاهرة للقاء الرئيس السادات •• وذهل هذا الوفد من موقف الرئيس الذى قـال لهم •• أنه يوافق فعلا على كل شـعارات المسيرة •• ولكن المهم ان يوافق القذافى ••

وانتهت القصـة ••

لقدأوردت هذا العرض السريع •• لكى اعطى صورة للاجواء التى كان يعمل فيها الرئيس أنور السادات • وهو يقترب يوما بعد يوم من ساعة الصفر •• ومع ذلك • فقد استطاع ان يتجاوز كل هذه العقبات التى كانت موجهة الى نظام الحكم مباشرة •• سواء فى مؤامرة الفتنة الطائفية •• أو فى احداث الطلبة ، أو تحركات بعض الصحفيين وبياناتهم •• أو فى موقف معمر القذافى ، الذى نسى هدف المعركة تماما •• وتركز هدفه فى وحدة يتصور أنها طريقه الى أن يحكم مصر ••

واذا سجل التاريخ الحقيقة ، فانه سيذكر دائما أن صبر السادات ، وأعصابه وقوة احتماله •• استطاعت فعلا ان تتغلب على هذه العقبات •

واستمرت صحافة القذافى تهاجم مصر وسياستها ••

واستمرت تهاجم السعودية والمغرب ودول الخليج ••

واستمرت توحى أنه لن تكون هناك معركة ••

وجاء ٦ أكتوبر •• مفاجأة قاهرة للجميع ••

واذا بالقذافى يعلن فى خطاب شعبى ، أنه لا يقر استراتيجة هذه المعركة ، ولا يتوقع لهـا النجاح •• وأنه برىء منها !

وحضر الى القاهرة •• واجتمع بالقيادات العسكرية ، وأطلعوه على كل الحقائق ••

ولكنه عاد الى ليبيا ، ليستمر فى الهجوم بكل وسائل اعلامه ..

بل ان التليفزيون الليبى اذاع خلال المعركة ، ان هناك انقلابا فى القوات المسلحة المصرية !

ولم ترد صحافة القاهرة . والتزمت أجهزة الاعلام بعدم الدخول فى أية معركة جانبية ..

وسافر القذافى الى فرنسا .. ودعا الى مؤتمر صحفى فى باريس ، أعلن فيه أن مصر قد لحقت بها الهزيمة .. وأنه يأسف أنه لا يوجد الآن رجل شجاع فى العالم العربى ، مثل عبد الناصر الذى اعترف بالهزيمة فى ٦٧ ..

وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر زيت !

ولم يتحرك أنور السادات ..

لقد كان ٦ أكتوبر أقوى من كل شىء ..

وفجأة أيضا حضر القذافى الى القاهرة ، لكى يشترك فى تكريم مجلس الشعب ، لأبطال الجيش !

والحق ان موجة من الاحتجاج عمت مشاعر أعضاء مجلس الأمة عندما علموا بأن القذافى سيحضر .. وقد فكر بعضهم فى منعه من حضور الاجتماع ، بعد ان أهان الكرامة المصرية والكرامة العربية كلها فى مؤتمر عقده أمام صحافة العالم فى باريس ..

ولكن مصر السمحة المضيافة الكريمة .. هى دائما مصر ..

وأحسن أعضاء مجلس الشعب استقباله .. ولكن نائبة لم تستطع أن تسيطر على أعصابها ، عندما قال القذافى أنه سوف يجتمع بأعضاء المجلس فى جلسة سرية .. للحوار ..

لقد صاحت النائبة فاطمة عنان : لا .. فى جلسة علنية .. كما تكلمت ضدنا فى باريس فى مؤتمر علنى أمام صحافة العالم ..

وأشار اليها الرئيس السادات ان تهدأ ..

وقد قيل للقذافى فى القاهرة فى جلسة خاصة .. ان ما فعله فى باريس ، لم يجرؤ اسرائيلى ان يفعله !

وسافر القذافى مع أنور السادات الى السعودية •• والتقى بالملك فيصل •• ثم اشترك فى المؤتمر الاسلامى بلاهور ، حيث اصطدم فى مناقشة عنيفة مع الرئيس هوارى بومدين •• ثم اعترض على اجتماع مؤتمر وزراء البترول العربى على أرض ليبيا •• حيث كان القرار المسبق المتفق عليه ، هو وقف الحظر بالنسبة لأمريكا ، بعد أن تقدمت خطوات ايجابية فى اقرار السلام •• وقال القذافى أنه لن يدنس أرض ليبيا باتخاذ هذا القرار على أرضها ••

وصدر القرار ••

وتضاعفت حملات صحف ليبيا على موقف مصر ••

وتضاعفت حملات صحف بيروت الممولة من معمر القذافى •• على موقف مصر ••

ولست أدرى ما هو مصير القذافى وأنا أكتب هذه السطور •• ولكننى أعرف أن انتصار ٦ أكتوبر ، أقوى من الافتعال ، والمناورات والمزايدات.

* * *

وتعرضت قبل المعركة علاقات مصر والسودان الى فتور كبير ، وكان لمعمر القذافى دور فى تعميق هذا الفتور •• بل وايجاده •• ولكن الاتصالات الواعية بين قيادات البلدين على مختلف المستويات ، تجاوزت كل هذه الخلافات الطارئة •• وكان موقف الرئيس نميرى ، وشعب السودان ، منذ بدأت المعركة ، موقفا عربيا مشرفا •• موقف الأخ الشقيق .

* * *

أما العراق •• فقد كانت عرضت مشروعا للاتحاد الفيدرالى •• وجاء صدام حسين الى القاهرة ، والتقى بالرئيس السادات فى قاعدة جوية •• وتم الاتفاق على تعاون عسكرى فى نطاق محدود •• وأسهمت العراق بخمسة ملايين من الجنيهات •• واشترك عدد من طائراتها فى المعركة •• كما اشتركت قوة مدرعات ، فى جبهة الجولان ، أبلت بلاء حسنا •• ولكن منذ قرار وقف اطلاق النار ، عاد العراق الى موقفه الأول ••

الجزء الثالث

الوثائق العسكرية

●●● « هذا الجزء من الكتاب يتناول الجانب العسكرى من ملحمة أكتوبر ، ويصف المعارك على ألسنة أبطالها . يبدأ هذا الجزء بحديثين هامين مع المشير أحمد اسماعيل اختص بهما المؤلف عن حياته العسكرية والحروب التى اشترك فيها حتى تسلم مسئولية وزارة الحربية والقيادة العامة . والحديث الثانى عن الاعداد العسكرى لحرب أكتوبر بكل ما فيه من أسرار ، حتى تحددت ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر . ثم يعرض هذا الجزء لعملية العبور واقتحام بارليف .. ثم معارك خط بارليف على ألسنة الاسرائيليين ونفس هذه المعارك كما خاضها المصريون .. ويلى ذلك وصف شامل لمعارك الجيش الثانى .. ومعركة تحرير القنطرة وتدمير اللواء ١٩٠ الاسرائيلى ، ومعارك الطالية التى انتهت بالثغرة .. ثم معارك الطيران والدفاع الجوى .. ثم فصل عن ملحمة السويس .. والفصل الاخير يتناول حقائق الموقف العسكرى من الدفرسوار حتى مؤتمر جنيف .. ويتحدث الفريق الجمسي لأول مرة ، ويكشف الستار عن سر الخطة « شامل » التى وضعت لتصفية الثغرة وتدمير القوات الاسرائيلية فى الغرب .

القصص العسكرية هنا كلها ، على ألسنة أبطالها ، وفوق أرض المعركة . ونشرها يتم لأول مرة ، بالحقائق التاريخية التى تكشف عنها كل معركة » ●●●

الفصل الأول

البحث عن بدلة عسكرية!

●●● « كيف اختار الرئيس أنور السادات ، مدير المخابرات العامة اللواء أحمد اسماعيل وزيرا للحربية . ولماذا اختاره . ماذا دار بينهما عن المعركة وامكانية القتال ، وأحمد اسماعيل لا يزال مديرا للمخابرات . ما هى الخطة التى كان يحتفظ بها أحمد اسماعيل وهو بعيد عن القوات المسلحة ؟ .. ماذا كان دوره العسكرى قبل هزيمة ٦٧ ، وأثناءها ، وبعدها ؟.. ما هى الخبرات التى اكتسبها فى الحروب السابقة ، وعرف منها خصائص العدو الاسرائيلى ؟ .. ولماذا كان يبحث عن بدلة عسكرية ، بعد أن كلفه الرئيس بوزارة الحربية .. وطلب منه أن يظل هذا سرا لمدة يومين ؟ » ●●●

مكتب الرئيس أنور السادات برياسة الجمهورية • الفريق أحمـد اسماعيل مدير ادارة المخابرات العامة ، يعرض على الرئيس عددا من التقارير الهـامة •

الرئيس يطلب فجأة من مدير المخابرات ، ان ينحى جانبا كل هذه الأوراق ، ثم يوجه اليه سؤالا مباغتا :

ـ ما رأيك يا أحمد فى امكانيات دخولنا معركة عسكرية ناجحة ••

قال مدير المخابرات :

ـ لست أرى يا سيادة الرئيس فائدة من عملية استنزاف عادية • صحيح اننا نكبد العدو خسائر ، ولكننا أيضا نتكبد خسائر • وحتى لو كانت خسائر العدو أكبر من خسائرنا ، فهى محدودة ، ولن تكون مؤثرة •

كما اننى أرى أن التفكير فى عملية عسكرية ضخمة لتطهير سيناء كلها ، أمر ليس موضعه الآن ، لأنه يتطلب وقتا أطول مما تطالبنا به الأوضاع الراهنة •• كما يتطلب اعدادا أكثر قد لا يتوفر لنا •

وقال الرئيس :

ـ ما رأيك اذن ••

قال مدير المخابرات :

ـ أعتقد أن المناسب الآن ، الاعداد لعملية عسكرية متوسطة بين

الاثنين • ليست استنزافا ولو كان واسع النطاق • وليست عملية شاملة لسيناء كلها • هذا تفكيرى • تطهير سيناء على مراحل •

واستمرت المناقشة بين القائد الأعلى ، ومدير المخابرات العامة وقتا طويلا ، وتناولت الجزئيات ، وكان الرئيس السادات يستزيد من هذه المناقشة التى كانت مفاجأة فعلا للواء أحمد اسماعيل •• ولكن موضوعها لم يكن جديدا على تفكيره ••

ان وضع خطة عسكرية لمواجهة العدو ، كانت هى الشغل الشاغل لأحمد اسماعيل حتى بعد أن أعفى من منصبه كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة فى ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٩ •

لقد قدر جمال عبد الناصر ، موقفا عسكريا لرئيس الأركان ، تقديرا بنى على معلومات غير صحيحة •• فأعفاه من منصبه •

واستمر الرجل بعيدا عن الميدان العسكرى ، ولكن لم يبتعد أبدا بفكره • ان فترة اعفائه استمرت من ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ، حتى ليلة ١٤ مايو ١٩٧١ عندما استدعاه الرئيس أنور السادات من منزله فى الساعة الحادية عشرة والربع مساء ، ليبلغه أنه قرر تعيينه مديرا لادارة المخابرات العامة ، وطلب اليه أن يتولى مهام منصبه على الفور !

ولكن أحمد اسماعيل لم يفقد صفته العسكرية ، وهواية مهنته خلال العشرين شهرا التى أمضاها فى الاعفاء • لقد تصرف فقط فى ملابسه العسكرية ، وترك بدلة واحدة كذكرى أمام أسرته وأبنائه • ولكن كل قراءاته وتأملاته فى هذا الفراغ الذى أكره عليه — ظلما — كانت عسكرية • قرأ كل المؤلفات التى لم يكن يسمح له الوقت بقراءتها عن اسرائيل • قرأ مؤلفات عسكرية جديدة ، واستعاد قراءة أشياء كثيرة •• ولم يترك الخرائط • ولم يترك القلم الذى يسجل به خلاصة قراءاته •• ولكنه سجل به ما هو أهم • سجل فى أربع صفحات خطة عسكرية لمواجهة العدو فى سيناء وهى التى ناقشه فيها الرئيس السادات ، عندما سأله فجأة عن رأيه فى المعـــركة ••

وانتهت تلك المناقشة •• وانصرف أحمد اسماعيل الى عمله كمدير لادارة المخابرات •• ولعله نسى المناقشة • ولكن الرئيس السادات •• كان قد سجلها فى ذاكرته بكل تفصيلاتها ••

وفى يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٢ ، فوجىء مدير المخابرات ، بدعوة عاجلة للقاء الرئيس •• وفى حديقة منزل الرئيس بالجيزة ، وحوالى الرابعة بعد الظهر ، كان يسير الى جوار الرئيس فى جولة المشى اليومية التى اعتادها السادات ••

وصارحه الرئيس بأنه يريد أن يختار وزيرا جديدا للحربية ، بدلا من الفريق صادق • كان الرئيس قد انتهى الى قرار واضح ، بأن الفريق صادق غير مقتنع بصلاحية الامكانيات التى تملكها القوات المسلحة ، لخوض معركة ناجحة ، وكانت فكرة القائد الأعلى ، ان المسئولية التاريخية تطالبنا بالقتال ، فى حدود ما نملك من أسلحة وعتاد • وأن تكون المعركة على قدر هذه الطاقة • واذا انتظرنا امكانيات كاملة لتحرير سيناء كلها •• فسوف يضيع الوقت ، وليس من السهل أن تتوفر لنا •• ومن ثم تنتهى فكرة المعركة • وتدفن قضية التحرير سياسيا ودوليا فى زوايا النسيان •

وسأله السادات :

— ما هى الصفات التى تراها واجبة فيمن يتولى منصبى وزير الحربية والقائد العام ••

وعبر أحمد اسماعيل عن رأيه ، ولم يكن يدور بخلده أن الرئيس سوف يفاجئه بقرار تعيينه فى المنصبين !

— ان هذه الصفات تتوفر فى شخصك • استعد للمعركة وعلى بركة الله !

وذكره الرئيس بالمناقشة السابقة التى جرت منذ أكثر من نصف عام ! وطلب اليه أن يظل الأمر سرا عسكريا وحتى يعلنه الرئيس •

واحتفظ مدير المخابرات ، بالسر • وكانت مشكلته ، أن الحلة العسكرية التى ابقاها فى المنزل لا تصلح لأن يرتديها • كما أن الرتبة العسكرية غير موجودة • وهو اذا « فصل » حلة عسكرية •• فربما انكشف الأمر • ولكنه استطاع أن يعالج هذه المشكلة بأسلوبه الحذر فى الكتمان ، حتى استدعى الى حلف اليمين بعد يومين ! •

ومن هنا بدأت المهمة الشاقة ••

الواقع أن المهمة الحقيقية بدأت قبل ذلك بكثير ••

لقد بدأت المهمة الحقيقية ، لأحمد اسماعيل ، فى الاعداد للمعركة ، منذ أن عين قائدا للجبهة فى أول يوليو ١٩٦٧ • أى بعد الهزيمة المرة بثلاثة أسابيع فقط •

كان الموقف على الجبهة رهيبا •• ومثيرا للذعر !!

يقول المشير أحمـــد اسماعيل ، وهو يسترجع بذاكرته هـــذه الأيام القاســـية :

ـــ كانت الجبهة عبـــارة عن جنود متفرقين على الشـــاطىء الغربى بلا وحدات تجمعهم • عدد من الدبابات من مختلف الأنواع ، بدون قيادات ، مبعثرة هنا وهناك • المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الرابض على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتى متر !

كانت أمامى مهام كثيرة فى هذا الوقت •

* اعادة بناء القوات المسلحة •
* انشاء دفاعات على الجبهة •
* اعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم •
* اعادة الضبط والربط •
* اعادة تدريب القوات وتنظيم وحدات •

كانت مهمة شاقة فعلا ، ولكننى أشهد أن جميع القيادات عاونتنى بكل اخلاص وكفاءة وحماسة ووفاء •

وبدأت الأسلحة تصل تدريجيا من الاتحاد السوفيتى ، بعد أن حضر المارشال زخاروف ، وزار الجبهة ، وسجل تقريرا شاملا ، عن موقف القوات المسلحة ، وحاجتها الى الأسلحة والمعدات والتدريب •

والغريب اننى منذ اليوم الأول لتولى مسئولية قيادة الجبهة ، اشتبكت فى معركة مع العدو ••

ـ وكيف ؟ ••

ـ الساعة •••٥ أول يوليو تسلمت القيادة من الفريق صلاح محسن •

ـ ماذا نقصد بالساعة •••٥

ـ الساعة ٥ صباحا • وفى الساعة الثامنة صباحا ، أى بعد ثلاث ساعات فقط ، أبلغت بأن قوات للعدو تتحرك من القنطرة فى اتجـاه بور فؤاد • حركت على الفور قوات من الصاعقة لبث الألغام لتعطيل تقدم العدو • وانفجرت الألغام ، ولم يتمكن العدو من التقدم • ولكنه حاول فى اليوم التالى الاستيلاء على بور فؤاد • تصدت قواتنا بالأسلحة الخفيفة • ودمرت عرباته المدرعة المتقدمة • وساعدنا على ذلك ضـيق الطريق • واضطر العـدو أن يعود مذعورا ببعض عرباته المدرعة الى العريش لأنه لم يكن ليتوقع هذا الهجوم ، من جيش منسحب • بل اننا تمكنا من الاستيلاء على بعض أسلحته • والحق أن هذه كانت أول مواجهة فعلية مع العدو • قوات الصاعقة بالأسلحة الخفيفة ، تواجه مدرعات •

قلت :

لقد استخدم هذا الأسلوب فى حرب أكتوبر ••

قال :

هذا صحيح •• وربما كانت معركة رأس العش ، هى التى فتحت لنا آفاق هذا التفكير ••

وطورنا الأسلوب حتى نجح فى العبور واقتحام خط بارليف •

ثم يقول المشير أحمد اسماعيل :

ـ الحق أن معركة رأس العش تحتاج الى مؤلف خاص • أن فيها بطولات خارقة • لا أنكر أننا تكبدنا خسائر فى الأفراد • ولكن رجالنا قاموا بأعمال خارقة فعلا • لقد عبروا القنال وعادوا بجثث القتلى • كما أنهم عاودوا الهجوم على العدو وحصلوا على بعض أسلحته ولا تزال هذه الأسلحة محتفظا بها فى المخابرات الحربية • كانت رأس العش ، أول شعاع أمل ، لانطلاق كبير استمر سنوات •• وحقق ملحمة ٦ أكتوبر • لقد بدأنا نؤمن منطقة بور فؤاد • ولم يستطع العدو منذ ذلك التاريخ أن يعبر شمالا عن منطقة رأس العش • وهذه المنطقة بالذات ، كانت مركز انطلاق قوى لنا على الشاطىء الشرقى فى معارك ٧٣ •

* * *

ويذكر المشير أحمد اسماعيل ، ان أنور السادات زاره فى مركز قيادته بالجبهة فى ٢١ نوفمبر ١٩٦٧ ، وشاهد كل ما تم من اعداد للبناء العسكرى ، وسأله عن مدى استعداد القوات المسلحة للصمود •• وذلك قبل أن يخطب جمال عبد الناصر فى مجلس الشعب يوم ٢٣ نوفمبر •• أى بعد ذلك بيومين • لقد تفقد أنور السادات (رئيس مجلس الأمة) الجبهة مع قائدها ، وأطلع على الخطط الموضوعة للصمود ، وأطمأن الى قدرة القوات المصرية على الصمود فى هذه الفترة •• أى القدرة على رد أى اعتداء مفاجىء من العدو فى ذلك الوقت •

وكانت قوات الطيران المصرية قد دخلت معركة عنيفة قبل ذلك فى ١٥ يوليه • وكانت قوات البحرية ، قد أغرقت المدمرة الاسرائيلية ايلات •• فى ٢١ أكتوبر •

ـ كيف كانت معركة الطيران ؟ ••

ـ قائد الطيران حينئذ كان الفريق مدكور أبو العز • أطلقنا مدفعية عنيفة على طول الجبهة ، استمرت يومى ١٤ يوليو و ١٥ يوليو ، بعد اشتباكات مع العدو فى الجنوب فى اتجاه السويس والفردان • مهدنا بذلك لطلعة طيران قوية • خرجت القوات الجوية بأكملها • ضربت فى

الجنوب • فتحول العدو بقواته الى الجنوب • وانطلق الطيران المصرى الى الشمال ، وكان العدو بغير غطاء •• ولقن القوات الاسرائيلية درسا لن ينسى •

ويضحك المشير أحمد اسماعيل :

ـ كانت هذه أول مرة يذوق فيها العدو ضرب الطيران المصرى •

وتكبد خسائر فادحة •

واتصل جمال عبد الناصر بقائد الجبهة ليقول له ، ان اسرائيل تطلب وقف اطلاق النار ، لأول مرة فى تاريخها ، من الأمم المتحدة ، « لقد كان معى أوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة على التليفون منذ لحظات ليبلغنى بالطلب الاسرائيلى » ••

واستراحت نفس قائد الجبهة ، على الرغم من الجهد المضنى الذى بذله فى ذلك اليوم •• لم يترك خندق القيادة من الخامسة صباحا حتى الثامنة من المساء •

* * *

ثم كان تدمير المدمرة ايلات بعد ذلك •• فى ٢١ أكتوبر ٦٧ •

لقد تم تدميرها بمجرد ظهورها بالصواريخ البحرية التى استخدمت لأول مرة ، والتى أعادت اسرائيل بعدها ، أسلوب تسليح بحريتها •• وكانت ضربة ايلات بهذه الصواريخ حديث العالم كله ••

لقد استخدمنا نفس الأسلوب الاسرائيلى • تم تدميرها • ثم أبلغنا الأمم المتحدة أن مدمرة مجهولة تقترب من مياهنا الاقليمية •• واذا دخلتها ، فاننا سنضربها • وبعد نصف ساعة أبلغنا الأمم المتحدة ، انها دخلت مياهنا ودمرناها •

قلت للمشير أحمد اسماعيل :

ـ هذه هى معلوماتى الصحفية عن قصة تدمير ايلات ••

أجاب المشـــير :

ليس لى دخل بهذه المعلومات الصحفية . الذى أصرح به كقائد للجبهة حينئذ اننا دمرنا ايلات بعد أن أقتحمت المياه الاقليمية ، وتحدت تحذيرنا .

هذه العلامات الثلاثة ..

معركة رأس العشر .. ضربة الطيران المصرى . تدمير ايلات .. كانت منطلقا للأمل فى معركة فاصلة مع العدو .. حتما سيجىء يومها .

* * *

واستمر أحمد اسماعيل يعمل بهذا الايمان . أنشأ الجيشين الثانى والثالث . تولى قيادتهما . ثم اقتصر على قيادة الجيش الثانى . وتولى عبد القادر حسن قيادة الجيش الثالث . ثم انتقل رئيسا لهيئة العمليات فى القوات المسلحة . وأشرف على تخطيط عمليات الاستنزاف الرئيسية . فوجىء العدو بأول قصف عنيف للمدفعية على طول الجبهة فى ٨ مارس ١٩٦٨ . وبدأت حرب الاستنزاف . وكان انتقام العدو بضرب الزيتية والسويس . ثم عين رئيسا لأركان القوات المسلحة فى ٩ مارس ١٩٦٩ بعد استشهاد الفريق عبد المنعم رياض ..

وهنا يقول : كان عبد المنعم رياض قائدا عسكريا ممتازا .

وفى ١٢ سبتمبر أعفى من منصبه .

ولعل الرئيس جمال عبد الناصر قد شعر ان قرار الاعفاء لم يكن فى موضعه .. ففاجأ أحمد اسماعيل ، فى منتصف فترة اعفائه ، بتقرير معاش وزير له ..

وسألت المشير أحمد اسماعيل : أرجو أن تجيبنى بكل صراحة .. هل كنت مقتنعا وأنت قائد للجبهة اننا سنحارب اسرائيل فعلا . ان معلوماتى الصحفية ، ان الرئيس جمال عبد الناصر وقد كان يعيد بناء القوات المسلحة فعلا ، ولكنه لم يكن مقتنعا بأن حربا أخرى سوف تحرر الأرض .. وكان يخطط لأن الحل السياسى هو السبيل الوحيد ..

وأجاب الرجل :

ـــ اننى رجل عسكرى لا دخل لى بالسياسة • ولكننى أقول أن ايمانى الذى لم يتزعزع يوما ، بعد هزيمة ٦٧ ، هو أنه لا سبيل لتحرير الأرض الا بالحرب • وبوحى هذا الايمان كنت أعمل بكل جهدى وطاقتى •

بل اننى فكرت وأنا معزول ، ان أرسل الخطة العسكرية التى وضعتها الى الرئيس جمال عبد الناصر • ولكننى خشيت أن يتصور أحد ، أننى استخدم هذا الأسلوب للتقرب ، بهدف أن أعود الى القوات المسلحة •• فآثرت الصمت ، حرصا على كرامتى •

وسألت : وأين كان موقعك فى حرب ٦٧ ؟

وبدا لى كأن المشير لا يريد أن يتكلم •

من الصعب على المتحدث اليه ، أن يكتشف من قسمات وجهه حقيقة انطباعاته •• ان فى قسماته طبيعة صخرية • ولكنه يبدو انســان آخر عندما يضحك ولكن بقدر •• ويبتسم •• ولكن فى حدود !

ولم أستطع أن أعرف أى نوع من الذكريات أثرت فى وجدانه •

ولكن كلماته كشفت عن طبيعة هــذه الذكريات •• دون أن تتغير قسماته بأى تعبير وهو يروى المأساة •

قال المشير أحمد اسماعيل :

ـــ كنت حينئذ رئيسا لأركان القوات البرية •• كان يقودها الفريق أول عبد المحسن مرتجى •• لقد تألفت قيادة القوات البرية فى ١٧ مايو ١٩٦٧ ، لقيادة جبهة القتال فى سيناء • ولكنها أعطيت اختصاصات غــير كاملة كقيادة • لقد كنا ٢٠ ضابطا فقط ، والمفروض أن تتكون القيادة السليمة من ١٥٠ ضابطا على الأقل ، وكانت المهــام المحددة لنــا ، هى السيطرة على القوات ، ونقل صورة كاملة للقيادة العليا فى القاهرة التى كان يتولاها المرحوم المشير عبد الحكيم عامر والفريق أول محمد فوزى •

وتحركنا الى جبل « الميثان » فى سيناء يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ •

قلت : أى قبل الحرب بسبعة أيام فقط ••

قال : نعم •• بسبعة أيام فقط •• وبدأنا عملنا ، وقد استدعينا بعد ذلك لكى نكون فى مطار تمادة فى الساعة التاسعة من صباح ٥ يونيو ، لاستقبال المشير عبد الحكيم عامر • وفوجئنا بضرب المطار وتدميره من العدو ونحن فيه •• فعدنا على الفور الى أماكن تمركزنا • وكانت هذه أول معلومات عن بدء المعركة ••

قلت : اذن لم يكن هناك أى اخطار لكم كقيادة لجبهة القتال ، أن تتوقعوا هجوما من العدو فى الخامس من يونيو ••

قال : لم يحدث ••

قلت : سمعت انه كانت هناك خطة دفاعية معدة للقوات المسلحة •• ثم وضعت فى الأيام الأخيرة قبل ٥ يونيو خطة هجومية ••

قال : الصحيح هو العكس •• كانت لدينا خطة هجوميـــة •• ثم استبدلت فى الأيام الأخيرة بخطة دفاعية •• ومضى وقت كنا لا نعرف فيه •• هل سنهاجم أم سندافع •• وقيل لنا أن نترك أمر هذا ، ليتقرر ونحن فى الجبهة ، طبقا لتطورات الظروف !!

قلت : وماذا جرى بعد مفاجأتكم بضرب المطار ••

قال : بدأنا نمارس اختصاصنا •• ولكننا اكتشفنا أن الأوامر كانت تصدر مباشرة من القيادة العليا فى القاهرة الى التشكيلات العسكرية فى الميدان ، دون أن تمر علينا ، ودون أن نعرف عنها شيئا !! وأذكر قبل ٥ يونيو اننى طلبت من الفريق أول عبد المحسن مرتجى أن يتوجه الى القيادة العليـــا فى القاهرة ، ليحدد الموقف العسكرى •• هل ســنهاجم •• أم سندافع ! وكان علينا بطبيعة الحال أن ندافع بعد أن بدأ العدو الضربة الأولى •• لقد بدأت المعركة فى اتجاه رفح والعريش • وكان من الطبيعى أن يحقق العدو كسبا ، لأنه هو البادىء بالهجوم • ولكن كان من الممكن ايقاف التقدم بعد ذلك • كان لدينا من القوات ما يكفى للقتال •• ولا أقول للانتصار •• ولكننا فوجئنا بقرار الانسحاب بعد ٢٤ ساعة !

قلت : من أبلغكم بقرار الانسحاب ..

قال : لم يبلغنا أحد . لقد عرفناه بالصدفة من قائد الشرطة العسكرية الذى كان ينظم مرور قوات الانسحاب ، وفى اليوم الثانى للانسحاب .. أى فى ٧ يونيو !

لقد كان تصور القيادة العليا للمعركة ، تصورا خاطئا ، بسبب تضارب المعلومات ، وأصدرت الأمر مباشرة لقائد الجيش الفريق صلاح محسن بالانسحاب فى خلال ٢٤ ساعة دون علمنا !

وكان الانسحاب قاسيا . فالقوات كثيرة العدد والعتاد ، وخاصة اعداد الدبابات وكان عليها أن تنسحب غرب القناة على ٣ محاور رئيسية فى منطقة المضايق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للعدو .. كانت مخاطرة ومجازفة غير محسوبة . ولا شك أن عدم وضع التخطيط المناسب للانسحاب ، أثر من ناحية حجم الخسائر وجسامتها .

قلت : ولعل هذا أبسط ما يقال عن هزيمة ٦٧ ..

ولم يعلق المشير أحمد اسماعيل .. ولكنه انتقل سريعا الى عملية بناء القوات المسلحة من جديد ، كما شرحها من قبل !

* * *

القصة فعلا قاسية ..

ان قصة هزيمة ٦٧ قاسية فعلا على مقاتل ، بدأ مواجهة العدو منذ عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين وعلى عسكرى ، تدرج فى المناصب العسكرية من أولها الى أرفعها .. وعلى قائد لم يصل الى مسئولياته بغير أسلوب الدراسة العلمية العسكرية ..

ان شهادة تخرجه فى كلية أركان الحرب ، تقول عنه ، أنه أحد أحسن طالبين . ونص الشهادة يعوض عن أى تعبير ..

كما تعترف شهادة تخرجه من الأكاديمية العسكرية فى عام ١٩٦٥ بتفوقه الرائع .

ان هذه الأكاديمية هي أول دراسة عسكرية على مستوى عال فى تاريخ مصر • الدراسة فيها على مستوى جيش ، ومجموعة جيوش ، وعلى المستوى الاستراتيجى • وأساتذتها خبراء سوفيت على أرقى درجة عسكرية • وقد أنشئت الأكاديمية فى مصر ، على نمط مثيلتها فى الاتحاد السوفيتى والدراسة فيهما واحـــدة •

نعم كان قاسيا على مثل هذا القائد العسكرى الجاد ، أن يواجه عبث ما جرى فى يونيو ٦٧ •• وهو الذىمارس مواجهة العدو منذ قتال ١٩٤٨!

لقد بدأت حرب ٤٨ وهو طالب فى كلية أركان حرب ، فأوقفت الدراسة، واستدعى الجميع ، طلبة ومدرسون الى أرض فلسطين • وليلة وصوله اشترك الرائد أحمد اسماعيل فى صد هجوم للعدو فى اتجاه العريش • وقاد سرية فى قطاع غزة ••

كان العدو يقاتل بالعصابات وكنا نقاتل بقوات جيش منظم ••

وماذا كان أول انطباع للضباط الشاب ، عند أول مواجهة للعدو ؟؟ •

قال المشير أحمد اسماعيل :

ـ كان لدى العدو أســلحة حديثة •• وكان ماهرا فى اســتخدام الســـلاح ••

كان أسلوبه هو الخداع •• يوهم بالهجوم من ناحية ، ويهاجم من ناحية أخرى •• أو يوهم بهجوم كبير •• ليغطى هجوما آخر ••

* * *

وبعد ٨ سنوات وفى عام ١٩٥٦ •• كان العقيد أحمد اسماعيل قائدا للواء الثالث مشاة فى القنطرة شرق • وكانت مهمة اللواء الدفاع عن بور سعيد • وكان قد أعد خطة لمقاومة أى انزال من العدو فى بور سعيد ، كما تصور خطة العدو •

وفى منتصف الليــل • يوم ٢٩ أكتــوبر أيقظه المرحوم اللواء عـــلى

عامر ، قائد الجبهه الشرقية ، ليخطره بأن قوات العـدو نزلت فى ممر متلا ، وعليه أن يتحرك باللواء الى منتصف سيناء • ودخل أحمد اسماعيل بلوائه الى « بير روض سالم » على الطريق الأوسط • وكانت المهمة ستر تحرك الوحدات المصرية المدرعة فى سيناء •

وبدأ القتال •

ودخلت قوات العدو فى الحسنة ••

وصدر فى الليل أمر بالانسحاب الى الغرب •• بعد أن ثبتت نية القوات البريطانية فى الاسقاط على بور سعيد ••

وكان عليه أن يقوم بستر عملية الانسحاب ••

ودخلت الى بور سعيد أول كتيبة مصرية انسحبت •• وأتخذت مواقعها قبل الانزال مباشرة • وكانت هى الكتيبة الرابعة مشاة •

وأدى بقية اللواء مهمته فى الدفاع عن بور سعيد •• وقد تسلم المدينة بعد تحريرها ، ورفع العلم المصرى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ •

* * *

ــ ما هو اذن الانطباع الجديد للمشير أحمد اسماعيل بعد هذه المواجهة الثانية مع العدو •• عن أسلوب العدو فى القتال ؟ ••

قال المشير أحمد اسماعيل :

ــ القتال هذه المرة كان بين قوات مسلحة نظامية • وقد لاحظت أن العدو يستخدم المدفعية بمهارة ، ليغطى الضرب من الجو • كما أنه نهاز الفرصـة اذا سـنحت ، وبأسرع ما يمكن • يجيـد اكتشـاف نقط الضعف • يتهرب من القتال مواجهة • يلجأ الى تحسس الأجناب • لا يقاتل وهو مكشوف • يعتمد على المدرعات اعتمادا أساسيا فى قتاله ، ويحرص على تفوق طيرانه • يختار طريقا للهجوم ، يعرف أنك أسقطته من تقديرك ، لأنه لا يصلح لسير المدرعات مثلا • ولكنه يتقـدم منه •

الضابط اليهودى ذكى ومكير . يحاول دائما فى خططه الابتعاد عن مواقع القوة فى قواتنا . يضع خطته على أساس توفير كل ضمانات النجاح . ويضيف المشير أحمد اسماعيل :

ـ كما لاحظت أن العدو يجيد استخدام العنصر النفسى فى تخويف من يقاتله . انه يدرب بعض الأفـراد المتخصصين فى نوعيات قتالية محدودة ، تدريبا ممتازا ، وذلك لكى يستخدمهم فى الضربة الأولى .. وطبيعى أن يتحقق له النجاح .. ولكنه يهدف الى الايهام بأن كل قواته فى الخلف بمثل هـذه الكفاءة القتالية .. وهذا طبعا يثير عـدم الثقة والزعزعة ..

مثلا .. يجيد اعداد أطقم اعداد دبابات ممتازة .. ويتقدم بها .

وفى العمليات الفدائية .. انه يختار عددا محدودا من الممتازين ، ليقوموا بعملية .. وتنجح العملية .. فيوهم من يقاتله أن كل قواته على هذا المستوى .. وقد لاحظت بعد ذلك ، فى عمليات الاستنزاف بعد ٦٧ .. أن العدو يختار أحسن طياريه فى طلعات الاستنزاف .

ولكن العدو ينكشف بعد ذلك ، اذا دخل فى عمليات تحتاج الى مواجهة واســعة ..

* * *

وانتهت حرب ٥٦ . وجاءت حرب اليمن . ولكن أحمد اسماعيل لم ينتقل من سيناء أيضا ! كان قائدا لجبهة سيناء أثناء حرب اليمن وكانت فرقته (الثانية مشاة) هى المسئولية عن تأمين سيناء . وسحبت منه قوات مدربة تدريبا عاليـا .

وتدرجت به المناصب العسكرية بعد ذلك .. رئيس أركان القوات البرية فى ١٩٦٥ . ثم قائدا للمنطقة الشرقية .. ورئيسا لأركان القوات المسلحة ، الى أن فوجىء بقرار الاعفاء من الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ..

ثم فوجىء بقرار اعادته من الرئيس أنور السادات مديرا للمخابرات العــامة فى ١٤ مايو ١٠٧١ ٠

ثم فوجىء بقرار اختياره وزيرا للحربية فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ ٠ وكانت المشكلة الأولى أن يبحث فى كتمان عن بدلة عسكرية ٠٠ حتى يحتفظ بالسر الى موعد حلف اليمين ٠

وحلف اليمين بعد يومين ٠٠ وبدأ يواجه مسئوليــات الاعداد لحرب أكتوبر ٠٠

الفصل الثانى

٤٨ ساعة فى برج العرب

●●● « فى هذا الفصل يروى المشير أحمد اسماعيل للمؤلف تفصيلات الأحداث يوما بيوم ، منذ أن تولى وزارة الحربية ، حتى ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر .. ما هى المهام التى واجهها فى القوات المسلحة ؟ .. ماذا كانت العقبات ؟ .. كيف وضعت الخطة ؟ .. ماذا دار فى اجتماع برج العرب الذى استمر يومين فى ضيافة الرئيس أنور السادات ؟ .. وماذا دار فى الاجتماع مع الرئيس حافظ الأسد ؟ .. سر اجتماع أغسطس فى الاسكندرية الذى حضرته القيادات السورية . ماذا كانت نتائج رحلات أحمد اسماعيل الى موسكو ؟ .. ما هى الأسلحة التى ركز على طلبها . كيف أمضى القائد العام أيام ما قبل المعركة ؟ » ●●●

قال لى المشير أحمد اسماعيل :

فى السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٢ •• وكنا فى رمضان •• استدعانى الرئيس أنور السادات ظهرا الى منزله فى الجيزة • استقبلنى فى الحديقة ، وكان ذلك فى الوقت الذى يخصصه للمشى • ذكرنى بما سبق أن قلته له بأننا يمكن أن نقوم بعمليات عسكرية ذات أثر فعال ضد اسرائيل • ناقشنى مرة أخرى فى هذا الرأى ، وبتفصيل أكثر من المرة السابقة • طلب منى أن أقترح عليه من يمكن أن يتولى هذه المهمة فى هذه الظروف • رشحت للرئيس أسماء من عسكريين حاليين وعسكريين سابقين • لاحظت أن الرئيس يعرف هذه الشخصيات معرفة وثيقة بكل مزاياها ، وبمختلف جوانبها • استمر نقاشنا حول هذا الاختيار أكثر من ساعة ونحن نجوب الحديقة سيرا هادئا •• كانت خلاصة المناقشات هى تحديد الصفات الواجب توافرها فيمن يتولى هذه المسئولية ••

وفجأة ألمح لى الرئيس •• انه يرغب فى أن أتولى أنا هذه المهمة •• لأنه يرى توافر هذه الصفات فى شخصى ••

والحق أننى لم أتردد فى القبول • قلت للرئيس : اذا كان الأمر تكليفا فاننى فى خدمة مصر وفى خدمة الرئيس فى أى مكان تضعنى فيه ••

ثم بدأ الرئيس يعطينى توجيهاته بالنسبة لما يجب أن يفعل من الآن • شرح لى تصوره السياسى والعسكرى • كان يرى أن العمل السياسى يجب أن يكون فى خدمة العمل العسكرى • وأن العمل العسكرى يجب أن يكون فى خدمة العمل السياسى • طرح لى جوانب سياسية

عديدة على المسرح العربى والمسرح العالمى ، كانت خافية على • شعرت أنه يتخذ قراراته بحسابات بالغة الدقة ، تقدر كل الاحتمالات المتوقعة ••

وسألت المشير :

وماذا كانت خلاصة آراء الرئيس ؟

المشـــير :

كان الرئيس يرى أن الحل بالطرق السلمية أصبح مستحيلا • واستبعد الرئيس أن يحدث هذا تماما • وكان يقينه أنه لا مفر من القتال ، وأن اسرائيل لن تتزحزح شبرا واحدا ، بغير أن تكره على ذلك بالحرب • وطلب منى الرئيس أن أبدأ عملى على الفور ، بهدف أن تكون القوات المسلحة المصرية جاهزة للقتال ••

ثم قال الرئيس : ولكن احتفظ بكل ما قلناه سرا حتى تحلف اليمين بعد يومين ••

وترك المشير أحمد اسماعيل منزل الرئيس فى الجيزة قبيل الأفطار بفترة وجيزة • وتوجه الى منزله ، ولكن ذهنه كان ينشط بالتفكير المتصل فى هذه المسئولية الخطيرة • تولى قيادة القوات المسلحة • والاستعداد للحــرب •

وهو يقول :

ـــ وكانت عندى بعض معلومات عن التطورات الموجودة فى القوات المسلحة ، بحكم منصبى فى المخابرات العامة الذى توليته منذ ١٤ مايو • ولكنها طبعا لم تكن كافية • وبدأت أفكر فيما يجب أن يكون عليه التخطيط المقبل للقوات المسلحة • لم أشأ أن أضيع دقيقة واحدة • وكان السؤال

الذى يجب أن أجيب عليه هو : كيف يمكن أن نعد القوات المسلحة ــ فى ظروفها الراهنة ــ الى أن تكون جاهزة للقتال فى أقرب وقت ممكن ؟ ..

والسؤال الثانى : كيف يكون هذا الاعداد بحيث نضمن الانتصار على العدو ؟ .

وتم حلف اليمين بعد يومين .. وتوجه القائد الجديد الى مكتبه بوزارة الحربية ..

قال المشير :

ــ كانت أمامى مهام رئيسية عديدة ..

أول هذه المهام ، هى دعم وايجاد ثقة الجنود والضباط والقادة فى أنفسهم وفى سلاحهم .

كانت هذه خطوة أولى واجبة .

* ثم كان على أن أدرس بدقة كاملة ، وتفصيل دقيق ، كل المشكلات والصعاب القائمة أمام القوات المسلحة وكيفية التغلب عليها (أقصد المشاكل الخاصة بالقتال) .

* ثم تطوير القوات المسلحة ، بالتسليح والتنظيم ، بما يتناسب مع العمليات المقبلة .

* واعداد برنامج تدريب شاق متواصل ، على أرض تشابه أرض القتال .

.. ثم مهمة أساسية جدا ..

* وهى تجهيز مسرح العمليات ، تحت ستار تحصين الدفاعات ، للتعمية على العدو ، وفى نفس الوقت اعداد مسرح العمليات للهجوم .

ويستطرد المشير أحمد اسماعيل قائلا :

ــ ومع ذلك كله الارتفاع المستمر بمعنويات الجنود والضباط الذين ظلوا فى الخنادق ست سنوات متصلة .

وسألت المشــير :

ــ لقد بدأت المهام الرئيسية بالحديث عن دعم وايجاد الثقة فى المقاتل وفى سلاحه .. هل كانت الصورة مزعجة بالنسبة للثقة فى القتال وفى السلاح ..

وأجاب المشــير :

ــ أرجــو أن تحتفظ بهــذا السؤال لنفسك . ليس من طبعى أن أتحدث عن سلبيات أى قائد قبلى تولى المسئولية . هذه شيمتى . وأننى أقول دائما أن التطوير الذى حدث فى القوات المسلحة حتى حققت انتصارات أكتوبر ، لم يكن أبدا وليد عملى .. ولكنه استمرار لتطوير بدأ منذ سنوات . وأنا قلت أن الفريق أول محمد فوزى أسهم فى هذا التطوير ..

قلت :

ولكن توليك وزارة الحربية والقيادة العامة ، أعقب اعفاء الفريق صادق من المنصبين ؟ ..

قال : ليس من مهمتى أن أتحدث فى هذا الموضوع . وقد أعلن الرئيس أنور السادات أنه كان قد أمر الفريق صادق بمهام معينة ولم ينفذها . وليس من حقى أن أتحدث فى هذا الموضوع ..



واذا قطعت الاسترسال فى هذا الحديث ، فأننى أسجل أن الموقف العسكرى عند اعفاء الفريق صادق كان يستدعى فعلا ، عملا ايجابيا سريعا وحاسما •

كانت وجهة نظر الفريق صادق ، أن السلاح السوفيتى الذى نملكه متخلف عن السلاح الأمريكى الذى يملكه الاسرائيليون • وأن الموجود لدينا من هذا السلاح لا يكفى لضمان نجاح معركة عسكرية • وأن الأمر يحتاج الى وقت طويل ، والى أسلحة جديدة متطورة ، لكى نكون مستعدين لمواجهة القوات الاسرائيلية • وكان الفريق صادق يتحدث بذلك الى القادة فى القوات المسلحة • وكان يرى أن الاتحاد السوفيتى يمسك عن اعطائنا حاجتنا من السلاح ، وهو يعلم أننا مضطرون للقتال لتحرير الأرض ، حتى ندخل فى معركة عسكرية نتيجتها ضربة عسكرية قاصمة •• وبعدها يحدث خراب داخلى ، يكون أرضا ممهدة للشيوعية •• كان هذا هو اقتناعه •• وكان مخلصا فى هذا الاقتناع مع نفسه ، ولكنه خلط فى هذا بين المسئولية العسكرية والمسئولية السياسية • وشجعه على هذه الآراء أصوات من خارج القوات المسلحة كان الفريق صادق يثق فى تفكيرها السياسى ، وصدق تصورها للتيارات العالمية • وقد أشاع رأى الفريق صادق بين القوات المسلحة ، جوا من عدم الثقة فى امكانية كسب معركة بالأسلحة القائمة •• وكان الضباط الذين يخالفون هذا الرأى ، يشك فى تأثرهم بالدعاية السوفيتية •• مما أوجد موقفا خطيرا ، كان يجب مواجهته بحسم وبسرعة ••

وقد فوجىء الرئيس أنور السادات ، بأن الفريق صادق لم ينفذ مهام قتالية أمر بها القائد الأعلى ، للاستعداد للمعركة ••

وانتهى الأمر ، بقرار اعفاء الفريق صادق •

وقبل اصدار هذا القرار ، كان الرئيس قد تلقى تقريرا بما يثور بين عدد من القيادات من مناقشات حول امكانية أو عدم امكانية القتال ••

وكان من الممكن أن يتطور الأمر الى تسيب لا تتحمله القوات المسلحة ، والقيادة العليا ، تعد للقتال ••

وكان الفريق صادق قد أجرى بعض التنقلات فى المواقع العسكرية ، بمنطق فهمه السياسى •• وهنا كان التأخير فى تغيير القائد العام يشكل خطورة ••

وقد استدعى الرئيس أنور السادات ، الفريق الشاذلى رئيس أركان الحرب حينئذ ، وأبلغه بالقـــرار •• وأبلغه باختياره لوزير الحربيـــة الجديد ••

* * *

وقد انطلقت اشاعات عديدة حول قرار اعفاء الفريق صادق ، وخاصة أنه صدر بعد عودة الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء من رحلته الثانية الى موسكو •• وأمكن وضع قاعدة جديدة لعلاقات حسنة مع الاتحاد السوفيتى •• ورددت الاشاعات أن الفريق صادق أبعد عن الجيش بناء على طلب الاتحاد السوفيتى ••

وهذا غير صحيح بطبيعة الحال جملة وتفصيلا •• على الرغم من أن أقوال الفريق صادق فى زياراته للقوات ، كانت تزعج الروس ، وتثير غضبهم ••

ولكن الرئيس أنور السادات لم يكترث لهذه الاشاعات ••

وقال لى حينئذ : لقد كنت واثقا تماما ، أن اعفاء الفريق صادق ، سيستغل ضدنا •• وأنه سيقال أنه تم بناء على طلب الاتحاد السوفيتى •• ولكننى لم أهتم أبدا بما يمكن أن يقال • ان اهتمامى فى المقام الأول ، هو بوجوب اتخاذ القرار فى توقيته المناسب ، وبدون أدنى تأخير •• أما الاشاعات فلا يمكن أن تتحكم فى سياسة الدولة •

* * *

أعود الى جلستى مع المشير أحمد اسماعيل ••

أكمل المشير استطراده فى الحديث قائلا :

— وكان لابد أولا من اكمال كل نواحى النقص التـكنولوجية •• فعدونا متقدم •• وأمريكا تمده بأحدث الأجهزة التكنولوجية فى مختلف الأسلحة • وقد كان تفكيرى فى التخطيط الجاد للعمليات ، على ثلاثة أسس :

أولا : دراسة كل امكانيات العدو دراسة تفصيلية كاملة •

ثانيا : التخطيط للعمليات بما يتناسب مع قدرات وامكانيات القوات المسلحة •

ثالثا : التنسيق المخلص الجاد الصادق مع القوات السورية •

وبالنسبة لهذا الأساس الثالث ، أحب أن أسجل ، أن هذا كان قرارى منذ اللحظة الأولى التى توليت فيها المسئولية • يجب أن يكون التنسيق جادا وصادقا مع القوات السورية ، حتى نرغم العدو على القتال فى جبهتين فى وقت واحد لتشتيت جهوده • فالحقيقة التى يجب أن تعرف الآن ، أن التنسيق بين مصر وسوريا فى حرب ٦٧ ، لم يكن صادقا من الطرفين • كانت سوريا تخفى عن مصر خططها الحقيقية وكانت مصر تخفى عن سوريا خططها الحقيقية • كان الشك متبادلا و لايمكن أن يدخل جيشان فى معركة واحدة ، بغير مكاشفة كاملة بكل الأسرار والخطط •• والتنسيق الكامل ، لكل تحرك من الجانبين •• وأحب أن أسجل ، أن تعاون القوات السورية معى ، كان تعاونا مشرفا وصادقا ، ولذلك كان التخطيط للمعركة موفقا ، ومدروسا دراسة كافية من الجانبين •

ثم قال المشير أحمد اسماعيل :

— وبدأت السفينة تسير ••

أمكن تذليل الصعوبات يوما بعد يوم ••

الدولة لم تبخل علينا بكل ما طلبناه من اعتمادات مالية ضخمة ••

وكان الرئيس أنور السادات معنا فى كل أفكارنا ، خطوة بخطوة •• كنت أعرض عليه تطورات موقفنا أولا بأول ، وكان تشجيعه المستمر ، وايمانه بالقوات المسلحة وايمانه بالمعركة •• وقودا ملهبا لمضاعفة العمل بثقة وحماسة ••

وأسجل أننى وجدت تعاونا كاملا من جميع أجهزة القوات المسلحة ربما لأنه كان لى شرف أننى درســت فى كلية أركان الحــرب لغالبية القادة الموجودين •• ربما لزمالتى الموفقة للكثيرين من القادة •• ربما لأننى كنت قائدا للجبهة والجميع خدم معى وزاملونى فى أيام الصعاب •• مهما كانت الأسباب •• فقد أسعدنى هذا التعاون الايجابى الكامل •• وشعرت أننى لست غريبا أبدا بين أسرتى التى أضطرتنى الظروف لتركها فترة غير قصيرة ••

وكان الجميع متلهفا على المعركة • ولكن كان ينقصهم الاجابة على السؤالين •• من أين نبدأ •• وكيف نتحرك ؟ ••

قلت :

ولكن كيف أمكن تحقيق المهمة الأولى •• وهى اعادة الثقة بالنفس •• واعادة الثقة بالسلاح ؟ ••

قال المشير :

تحقق ذلك بالزيارات لجمع الوحدات • والتأكيد الواثق الحقيقى بأن المعركة آتية لا ريب فيها • وبالتقدير الواقعى مع مختلف القادة ، للموقف عسكريا واستراتيجيا وتعبويا •

لقد وضعنا خطة عامة يجب أن نقوم بتنفيذها ، لتحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية التى وضعها السيد الرئيس فى تكليفه الشفهى لى أولا •• ثم فى تكليفه الكتابى بوثيقة تاريخية ••

قلت : أين هذه الوثيقة ؟ ••

قال : انها من الأسرار • ولم يحن الوقت بعد لاذاعتها ••

قلت : ألا يمكن أن أنشر جزءا منها ..

قال : مستحيل الآن .. ونعود الى موضوعنا ، دعم الثقة بالنفس وبالسلاح . كان تخطيطى أنه لابد لكل من يقوم بعمل ما ، أن يكون مقتنعا به ، وأن يكون فى طاقته .. الشخصية وقدرات سلاحه . لقد عملت تقديرا عاما للموقف . خرجت بخطة فى ذهنى . أتفق القادة الكبار عليها . القادة الأصغر فالأصغر على التوالى ، على كل منهم أن ينفذ جزءا من الخطة فى موقعه واختصاصه . بدأت أعقد الاجتماعات . تجرى المناقشات الحرة الصريحة . ما هى المهام التى يمكن أن يحققها كل منهم بالامكانيات التى فى يده ؟ .. ما هوتقديره الشخصى للموقف ؟ .. ما هى التعديلات التى يقترحها لامكانية التنفيذ ؟ .. ماذا ينقصه من سلاح ؟ .. ما هى الوسيلة لتعويض هذا النقص ؟ ..

وكثيرا ما كنت أقف على شاطىء القناة ، واستطلع مع القائد ، موقع العدو ، بما لدينا من معلومات .. ونناقش فى أدق التفصيلات . هـذا الموقع ، كيف يمكن الاستيلاء عليه . من الأمام ؟ أو من الخلف ! . أو من الأجناب ؟ .. ماذا يلزمه للاستيلاء عليه ؟ .. ماذا ينقصه .. هل هناك فكرة أخرى ؟ .. ما هى الاحتمالات المتوقعة من العدو .. الى آخـر كل ذلك ، بحيث نصل الى اقتناع موحد ، بأمكانية التنفيذ ، بالقوات الموجودة ، وبالسلاح الذى فى يدنا .

وبعد أن اقتنع القادة أنهم قادرون بواسطة الأسلحة والقوات التى لديهم .. بدأ التخطيط التفصيلى للخطط يأخـذ الطابع الرئيسى للعمل فى كل أجهزة القوات المسلحة . وبدأت تهيئة مسرح العمليات .. بكل ما يحتاج اليه التنفيذ .. وسرى الاطمئنان بين الجميع ، على قدرتهم على تحقيق الهدف الكبير .

قلت : ماذا كانت الخطوة الهامة فى تهيئة مسرح العمليات ؟ ..

قال المشير : لا أستطيع أن أذيع كل الأسرار . ولكن يكفى أن أقول أننا أنشأنا سدا عاليا ثانيا من المصاطب الترابية . خرجت قواتنا من الخنادق . استطعنا أن نرى العدو وأن نراقبه . وخططنا لاستخدام هذه

المصاطب الأهرامية ، فى أغراض عسكرية عديدة ، لم يفطن اليها العدو أبدا حتى بدأنا القتال •

قلت : سمعت أن وجود الخبراء السوفيت ، كان يعنى أنهم يشتركون فى وضع الخطط العسكرية ••

قال : طبعا وجود خبراء كان يعنى أن يقدموا أفكارهم •• وآراءهم ولكن الخطة المصرية وضعت بعد خروج الخبراء السوفييت وعلى أساس معرفتنا الكاملة بكل شبر فى أرضنا •• فى سيناء وكانت تعدل جزئيا وفقا لظروف الواقع • لقد خدمت فى سيناء خمسة عشر عاما • أعرفها شبرا شبرا • لا أتصور شيئا ، لأننى عشته على الطبيعة فى مختلف مواقعى العسكرية • وكذلك عدد كبير من زملائى فى القوات المسلحة • الخطة العسكرية التى نفذت ، شىء مختلف تماما ، عن الأفكار التخطيطية التى كنا نسمعها من الخبراء السوفييت • كانت هناك أفكار أن نعبر من موضع واحد ، ونكون رأس كوبرى واحد • وكانت هناك أفكار أن يكون هبوطنا فى الممرات •• أفكار عديدة •• ولكنها ليست خططا •

قلت : ولكن كيف تغلبت على المصاعب الأخرى •• التسليح مثلا •• وهذا شىء هام ؟

قال : كان تفكيرى •• الذى كان الرئيس السادات مقتنعا به كل الاقناع •• قبل أن يكلفنى بمسئولية الحرب ، هو أن يكون تخطيطنا للمعركة ، على قدر الأسلحة التى معنا ، اذا أمكنا أن نحصل على مزيد من السلاح ، فليكن ذلك لتحقيق الهدف أكثر نجاحا وأكثر اتساعا • لكن المهم أولا •• أن نعرف ما هو السلاح الذى نحتاجه ؟ •• أن العدو متفوق علينـــا فى أنواع الطائرات ولديه قوات مدرعة مدربة • ولذلك كان تركيزى فى رحلتى الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٧٣ ، هو الحصول على نوعين رئيسين من السلاح ، هما الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات • وكان مهما جدا بالنسبة لنا ، سرعة التوريد ، حتى يمكن تدريب الأفراد على هذه الأسلحة • الحق أننا كنا فى سباق رهيب مع الزمن • كان يجب الاعداد الكامل ، قبل الموعد المحدد للمعركة • والوقت يجرى • سباق رهيب بين تجهيز الأطقم التى ستدرب •• ثم

التدريب •• ثم وصول المعدات فى الوقت المناسب •• واختيار مواقعها •• وتوزيعها •• وأحمد الله أن وفقنى فى رحلة مارس الى عقد صفقة كبيرة قيمتها مليار روبل •

قلت : الاستماع الآن يبدو سهلا •• ولكنكم قطعا واجهتم صعابا فنية عديدة فى الاعداد والتنفيذ ••

قال : الصعوبات الفنية كانت يومية •• وكنا نواجهها بتفكير هادىء • ولا شك أن رجالنا الذين درسوا الالكترونيات •• ومهندسينا •• قاموا بأعمال خلاقة رائعة فى تطوير الأسلحة التى كنا نحصل عليها •• لقد أضيفت تحسينات وتطويرات عديدة •• وكنا نحصل على هذه التطويرات الجزئية من أسواق أخرى فى أوروبا فهى مباحة للبيع لاستخدامات أخرى •• ولكن العقل المصرى تفتق عن استخدامها مع الأسلحة التى لدينا •

قلت : سمعت أن القوات المسلحة أنتهت من تجارب العبور فى مايو ١٩٧٣ ••

قال المشير : هذا صحيح •• ولكن حتى هذا التاريخ ، كان ينقصنا أسلحة معينة لم تكن قد وصلت بعـــد ••

قلت : الغريب أن بعض الأسلحة وصلت قبل يوم الهجوم بيومين •• أى فى ٤ أكتوبر ••

قال المشير : بل هناك أسلحة وصلت فى ٥ أكتوبر •• وفى ٦ أكتوبر •• لقد كنت أتابع وصول الأسلحة يوميا ، وكنت أخطر ساعة بســـاعة ، بكمياتها ونوعياتها ، وقرارات توزيعها فى مختلف المواقع ••

قلت : •• ولكن متى تحدد فعلا أمر القتال من القائد الأعلى أنور الســـادات •

قال المشير : لقد تأكدت من السيد الرئيس أن المعركة تقترب جدا من موعدها ، فى لقاء تم فى استراحة برج العرب فى أبريل ١٩٧٣ • لقد دعانى السيد الرئيس للسفر الى برج العرب ، وتمضية يومين معه •• وقال لى • علشان تستريح شوية • ولكننا أمضينا اليومين كاملين فى دراســـات

تفصيلية لكل ما يتصل بالمعركة عسكريا وسياسيا • وكانت مع الرئيس خريطة مجسمة لكل أرض القتال ، لم تكن تفارقه فى تلك الأيام ، فى أى مكان ذهب اليه للعمل أو الراحة •• وكان الرئيس فى معنويات مرتفعة سعيدة • ففى ذلك الوقت بدأ وصول شحنات صفقة الأسلحة من الاتحاد السوفيتى • وتناقشنا خلال اليومين ، فيما أمكن تذليله من صعاب ، وفيما علينا أن نواجهه من صعاب ، وكيفية تذليلها •• وعرضت على السيد الرئيس تفصيلات عديدة ، خاصة بكل نواحى الخطة •• وشرح لى الرئيس الموقف السياسى عالميا وعربيا ، وشعوره بأن العمل السياسى يمهد فعلا الرأى العام العالمى لتقبل المعركة •• كما تناقشنا فى جوانب اشتراك سوريا فى المعركة ••

قلت : هل حدد الرئيس ساعة الصفر فى هذا الاجتماع الذى استمر يومين !

قال المشير : لا •• لم تتحدد ساعة الصفر • ولكن حديثه معى كان يعنى أن المعركة تقترب كثيرا •• وأن كل الظروف السياسية والعسكرية ، تؤكد أنه لن يكون هناك تأجيل أو عدول ••

قلت : أذكر أننى تحدثت الى الرئيس فى ذلك الوقت •• وكنت قد شممت أخبار احتمال قرب المعركة •• وخشيت أن يكون واقعا تحت أى ضغط من الأصوات المزايدة •• ولكن الرئيس أكد لى أن المعركة لابد أن تقع قبل نهاية ١٩٧٣ •• وأننا اذا لم ندخلها قبل نهاية ذلك العام •• فلن ندخلها بعد ذلك ••

قال المشير : كانت التقديرات الأولى فعلا أن تكون قبل نهاية ١٩٧٣ ، لأنه كانت لدينا معلومات تفصيلية من عقود التسليح التى حصلت عليها اسرائيل •• وعن الأسلحة ونوعياتها التى سوف تصلها فى عام ١٩٧٤ •• وكنا نرتب القتال ، على أساس ما نملكه فعلا من أسلحة •• وما تملكه اسرائيل •• وكان التأجيل الى ما بعد ١٩٧٣ يمكن أن يعرضنا لمفاجئات ، لا نستطيع مواجهتها بالأسلوب المناسب •• أو تكبدنا جهدا أكبر ، وتكاليف أكثر •• نحن فى حاجة اليها •

قلت : وكيف تم الاتفاق النهـائى على اشتراك سوريا فى المعركة ؟ ••

قال المشير : كان ذلك فى برج العرب أيضا • لقد حضر الرئيس حافظ الأسد فى رحلة سرية خلال شهر يوليو ١٩٧٣ • واستدعانى السيد الرئيس وتم اجتماع استمر ٤ ساعات ، جرت فيه مناقشة تفصيلية •• لموقف العدو •• وموقف القوات السـورية •• وموقف القوات المصرية •• وضمانات الانتصـار فى القتـال •• والوقت المناسب للمعركة ، وكان الرئيس حافظ الأسد مقتنعا تماما ، بحتمية المعركة ، وكنا نتحدث بمفهوم واحد واقتناع واحد • وكنت قبل ذلك قد زرت سوريا أكثر من مرة فى رحلات سرية ، واصطحبت معى بعض قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، وزرت الجبهة ، واجتمعت بالقيـادات السورية ، وتدارسنا الخطط المشتركة •• وقد كانت القوات السـورية تبذل أقصى جهـد مستطاع ، وعن اقتناع فى الاعداد للقتال ، وكان عملهم العسكرى رائعا •

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى ، وأصدر الى الرئيسان التوجيهات بالسير قدما فى الاعداد النهائى للمعركة ••

ثم يكمل المشير أحمد اسماعيل قصة التوقيت للمعركة قائلا :

وصدر قرار جمهورى مصرى سورى بتشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية السورية برياستى ، وصدق على هذا القرار على أساس أن المعركة واحدة والمصير واحد •• وتمت الاتصالات • واجتمع هذا المجلس سرا فى الاسكندرية خلال شهر أغسطس ٧٣ ، وفى هذا الاجتماع تقرر التحديد التقريبى للمعركة خلال شهرين •

قلت : ولكن تحديد ساعة الصفر يوم عيد الغفران •• قيل عنه فى اسرائيل أنه سهل استدعاء الاحتياطى لأن الاسرائيليين فى هذا العيد يبقون فى بيوتهم أو يذهبون الى المعابد ••

قال : لم يكن عيد الغفران هو العامل الرئيسى فى تحديد ساعة الصفر • فى خلال سبتمبر وأكتوبر كانت هناك أعياد أخرى • وقد بحثنا كل أعياد اليهود على مدار السـنة كاملة •• والذى حـدث أن مجلس الوزراء الاسرائيلى لم يتمكن من الاجتماع فى وقت مناسب فى ذلك اليوم •

ولكن التحديد تحكمت فيه عوامل كثيرة ٠٠ منها أن يكون قبل حلول الشتاء فى سوريا حيث يظهر الثلج ٠ أن يكون بعد وصول أنواع معينة من الأسلحة ٠ ضوء القمر ٠ المد والجزر فى مياه القناة ٠ ظروف سوريا ٠ الى آخر مثل هذه العوامل التى دوست بعناية شديدة ٠ وأخيرا قررنا ساعة الصفر بالساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ٠ ولم يكن يعرف هذا الموعد الا الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الأسد وأنا ٠ وطبعا علم به القادة المتصلون اتصالا كاملا بالحرب ، مثل رئيس الأركان ورئيس العمليات ٠ تم التحديد فى أوائل سبتمبر ، وبدأ العد التنازلى ابتداء من ٥ سبتمبر ولمدة ٣٠ يوما ٠٠

قلت : ما معنى العد التنازلى ٠٠

قال المشير : معناه أنه لا يمكن ايقاف العملية ٠ وكان كل يوم يعنى تنفيذ جزء من الاستعداد ٠ وقبل ساعة الصفر بعشرة أيام مثلا تحركت البحرية المصرية الى المواقع المحددة لها فى الخطة ٠

قلت : ما الذى كان يتم يوميا من اجراءات ٠٠

قال : تنفيذ كل جزئيه ٠ ولكن الوحدات المقاتلة لم تكن لتعلم شيئا ٠ لقد بدأنا منذ أول أكتوبر بتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى على مستوى القوات المسلحة كاملة ٠٠ وفى يوم ٣ أكتوبر زرت سوريا سرا ، للتأكيد على اللمسات النهائية للمعركة ، وقابلت القادة هناك ، وقابلت الرئيس الأسد الذى بارك بدء المعركة ٠٠

قلت : ومتى عقد آخر اجتماع عسكرى شامل للقيادة المصرية ؟

قال المشير : عقد اجتماع استمر ١٠ ساعات كاملة ، هو اجتماع القائد الأعلى بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وهو اجتمـــاع يحضره قـــادة الأسلحة وقادة الجيوش فقط ٠ قمت بتقديم الخطة العامة ، وشرحت المشكلات وكيف ذللناها ، وكان شرحى للخطة على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم قـــام كل قائد وشرح ما يقوم بتنفيذه ، وما يجب أن يستكمل فى هذه الساعات الأخيرة ٠ وناقش القائد الأعلى كل القادة

فيما عرضوه ، والحق أن كل قائد منهم كان يتحدث بثقة كاملة واقتناع تام ، وفى نهاية الاجتماع قال الرئيس السادات :

ــ أحمد الله أننا وصلنا الى هذه اللحظة ، لنضع اللمسات الأخيرة على العمل ، ونقول للعالم أننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته فى نفســه وفيكم • وأنا واثق أن كل فرد فى قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملا باحساسه بمسئولياته تجــاه وطنــه وسأتحمل معكم المسئولية كاملة ، تاريخيا وماديا ومعنويا • وفى نفس الوقت أثق ثقة كاملة فيكم ، وأنكم ستنتصرون بكل ثقة وأطمئنان وحرية •

ورد القائد العام على الرئيس بقوله :

ــ باسم القادة • وباسم القوات المسلحة ، نعدكم ، ونعاهد شعبنا أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا ، ولتثقوا سيادتكم فى أن كل القادة متفائلون ، وفى مقدورهم تحقيق مهامهم • واننا نشترك معكم فى المسئولية ، فجميعنا مسئولون عن بلدنا معكم •

قلت للمشير : ومتى بدأت القوات تعرف ساعة الصفر ••

قال : جاء هذا بأسلوب تدريجى •• بحيث يعرف القادة والقوات فى التوقيت المناسب لتحقيق مهمتهم • ففى ٦ أكتوبر •• وعندما صدرت الأوامر للطيارين بالاقلاع مثلا •• كانوا يتساءلون •• هل سنقلع لنضرب •• أو أنها المناورة التدريبية •• وصدرت لهم الأوامر بالضرب فى اللحظة الأخيرة فى الوقت المناسب •

قلت : ولكن خطة الخداع كانت ستتعرض للفشل •• قبل المعركة بيومين ••

قال المشير : متى ؟ ••

قلت : عندما بدأت السفارة السوفيتية ترحل العائلات السوفيتية على طائرات منذ الفجر ••

قال : هذا صحيح •• وعرفت اسرائيل طبعا •• ولكن بصيرتهم عميت •• ولم يستنتجوا أن هذا دليل على اقتراب ساعة الصفر •• بل أن السرية تعرضت أن تكشف من تصرف محلى فى مطار القــاهرة يوم الخامس من أكتوبر ؟ ••

قلت : أى قبل المعركة بيوم واحد ••

قال : نعم •• يوم ٥ أكتوبر • أتخذ وزير الطيران المدنى قرارا بوقف رحلات الطيران فى مطار القاهرة • وكان هذا تصرفا شخصيا من الوزير ، لم يطلب منه • ولكن الذىحدث أن السيد الرئيس كان قد نبهه الى المحافظة على الطائرات المدنية فى مطار القاهرة ، عندما تجىء ساعة الصفر • وقد استنتج الوزير مما كان يجرى حوله •• وخاصة من ترحيل العائلات الروسية •• ان شيئا قريبــا سيحدث • فأمر بوقف رحلات الطيران •• وأذيع هذا طبعا فى جميع مطارات العالم •• وكان يمكن أن يؤدى هذا التصرف الى كارثة •• ولكننى طلبت منه على الفور أن يعلن الغاء قراره وإعادة الطيران مع الاعتذار أن الموقف كان لأسباب فنية أمكن اصلاحها •• ولكن ما جرى زاد فى الخداع بالنسبة للعدو •

قلت : وكيف أمضيت أيام ما قبل أكتوبر ••

قال المشير : منــذ أول أكتوبر وأنا فى مركز العمليــات ، أتابع كل ما يجرى •• الصدى اليومى على العدو •• تحركات العدو •• وكنت أحسن أنه لا يوجد أى صدى •• وكان عملنا يجرى بهدوء •• حتى حانت ساعة الصفر ••



الفصل الثالث

٦ عقبات أمام العبور

●●● « وعن عقبات ومصاعب العبور كان حديثى مع مصدر عسكرى فنى بدأ حديثه قائلا : كانت هناك ٦ عقبات ضخمة أمام تحقيق العبور . أمكن التغلب على كل هذه العقبات فى مايو ١٩٧٣! » ●●●

ـ أتيحت لى الفرصة لمقابلة مصدر عسكرى فنى كبير ليحدثنى عن العقبات الفنية التى كانت تقف أمام تحقيق العبور .

قلت لمحدثنى : أريد أن أبدأ القصة من أولها[1] ..

---

(١) قال تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية العسكرية التى زارت ميادين القتال - فى شهر نوفمبر ١٩٧٣ للتعرف على حرب ٦ أكتوبر عن المعركة المصرية فى نواحى متفرقة ما أقتطف منه هذه الفقرات :

« بالاضافة الى عملية العبور التى تعد فى حد ذاتها مظهرا أكيدا لتحسن القدرة القتالية المصرية ، فان عمليـة التمويه والخـداع التى صـاحبت الاستعداد المصرى للقتـال ، والقـدرة على كتمان هذه الاستعدادات لمدة طويلة من الزمن واخفائها عن أعين الاسرائيليين ، هى التى تعتبر من وجهة نظر اللجنة موضـع اهتمام كبير . ولم يـدخل العسكريون المصريون فى تفاصيل كثيرة مع اللجنة أثناء مناقشاتهم فى وسائل الاخفاء التى لجأوا اليها فى استعداداتهم العسكرية ، لكنه كان من الواضح أن الحماس هو الذى يحركهم طوال هذه المدة .

وقد تنبهت المصادر الاسرائيلية الى وجود تحركات عسكرية مصرية كبيرة على الضفة الغربية من القناة . الا أن الاسرائيليين افترضوا أنهـا مجرد مناورات تدريبية عادية . وهكذا استطاع المصريون تحريك عدد يقرب من ٧٠ الف الى ٨٠ الف من قواتهم المسلحة بالاضافة الى اعداد هائلة من الدبابات والمعدات على ضفة القناة .

ومن العوامل التى ساعدت المصريين على نجاح عمليتهم ، تلك السواتر الرملية التى بنوها على امتداد ضـفة القناة الغربية ، والتى لم تسمح للمصريين بمراقبـة التحركات الاسرائيليـة ونقاط نيرانهم فحسب ، بل استخدمت كسواتر لتغطيـة تحركات المعدات والأفراد المصريين . وقد تخللت هذه السواتر فتحات منخفضة استخدمت كنقاط للعبور وللاطلاق النـارى .

وعند بدء عملية ٦ أكتوبـر من جانب المصريين ذكر الاسرائيليون ان المصريين قاموا باسقاط العـديد من قوات الكوماندوز بالباراشوت وراء الخطوط الاسرائيلية على الضفة الشرقية ، واعترف الاسرائيليون بحيرتهم فى تفسير هذا الاجراء ، حيث ان هذا الانزال لم يستتبعه اى ربط مع أية قوات مصرية أخرى ، ولم تبذل أى جهود لتغطيته ، الا أن العسكريين المصريين ـ عندما ناقشناهم فى هذا الأمر ـ أشاروا بأن هـذا الانزال كان جزءا من خطة التعمية المصاحبة لعملية العبور ، مستهدفا مواجهة الاسرائيليين « من كل الاتجاهات » لارباك خطوطهم ، وبهذا ـ على حد قول المصريين ـ يمكن شل استراتيجية الاسرائيليين وعدم تمكينهم من معرفة من اى الاتجاهات ستأتى الضربة الاكبر .

. . . .

ودرجة الاستعداد العسكرية المصرية على امتداد جبهة القناة لاتوصف فمن القاهرة حتى قناة السويس ، شاهدت اللجنة مواقع لا حصر لها من الصواريخ والدبابات والمعدات وغيرها من الآليـات العسكرية . لم يـكن هناك كيلو متر واحد بين القاهرة والقناة لم يتم تقويته وتحصينه . كذلك شاهدت اللجنة كميات كبيرة من المعـدات المذكورة مبعثرة فى أماكن من الصحراء المجاورة لخط القتال . وقـد حفرت اعداد هائلة من الخنادق فى الرمال شاهدتها اللجنة بوضوح .

ويعتقد المصريون ان الوقت فى صالحهم حيث انهم يرون ان اسرائيل تواجه موقفا صعبا فى استمرارها الابقاء على قواتها المسـلحة فى حالة استعداد خاصة وان الغالبية العظمى من تلك القوات قد استدعيت من الاحتياطى الذين يمارسون أعمالهم الانتاجية المدنيـة المؤثرة على الحياة الاقتصادية فى الدولة .

ان الاحساس بالفخر العربى بالانجاز الذى تم فى السادس من أكتوبركبير، ظاهرة لا يمكن تجاهلها لأى زائر لمصر فى الوقت الحالى . وقد انتبهت اللجنة الى أن القادة المصريين مدركون تماما للهزائم السابقة وللنظرة التى كان الرى العام العالمى ينظر بها الى العسكرية المصرية . وقد كرر الرئيس السادات أكثر من مرة فكرة الاحساس « بالاهانة والتحقير » الذى عانى منه الجيش المصرى منذ حرب الأيام الستة . ويشعر القادة العرب بأن قواتهم المسلحة قد استعادت ثقتها بنفسها بعـد نجاحها فى هجومها فى السادس من أكتوبر ، ويشيرون الى الروح العالية التى تمتع بها الجنود والالتزام بالطاعة الذى ساد فى هذه الحرب بعكس الحال فى الماضى ويبدو ان القادة العرب ما كان من الممكن لهمأن يذهبوا الى أى مؤتمر للسلام دون أن يشعروا بأن قواتهم المسلحة قد استعادت شرفها فى ساحة القتال .

ويشعر المصريون بفخر شديد لنجاحهم فى الحصـول على الكثير من المعدات الحربية الأمريكية التى سلبوها من الاسرائيليين . وخلال زيارة اللجنة للقاهرة كانت بعض الدبابات والمعدات الامريكية المستولى عليها تعرض فى بعض الميادين والحـدائق حتى يراها المصريون وقيل لنـا أن معرضا للغنائم الحربية سوف يفتتح للجمهور قريبا .

وقد ادعى الاسرائيليون أن التخطيط السوفييتى للعمليات المصرية لم يقتصر فقط على الاعداد العسكرى بل لقد ذهبوا أبعد من ذلك باشتراك بعض العسكريين السوفييت فى الحرب . وقد نفى المصريون ذلك تماما ولم ترى اللجنة أى دليل يثبت تواجد قوات سوفيتية أو أفراد منهم خلال زيارتها .

وعند مناقشة تنفيذ البند رقم ٢ من اتفاقية وقع اطلاق النار ، والذى ينص على انسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ أكتوبر والذى يعتبر أكثر بنود الاتفاقية حساسية فى مباحثات الكيلو ١٠١ — أشـار الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى الى أن القوات الاسرائيلية كانت تتقدم فى الثانى والعشرين من أكتوبر على الضفة الغربية للقناة متجهة جنوبا حتى منتصف البحيرات المرة . وأكد الوزير المصرى أن لديه صورا تؤكد تقدم

قال : ان عبور قناة السويس بواسطة جيش كبير بل بواسطة جيشين فى وقت واحد بكامل أسلحتهم وعتادهم وفى وجه مقاومة من العدو على الضفة الشرقية يعتبر مشكلة ضخمة بل كانت تبدو أحيانا كأنها عملية مستحيلة • أن عبور الموانع المائية بواسطة الجيوش كان دائما من العمليات الصعبة ولكنها لم تكن أبدا من العمليات المستحيلة فكم من جيوش عبرت موانع مائية فى الماضى البعيد والماضى القريب دون أن يشد ذلك انتباه العـالم • لقد فقدت الموانع المائية قيمتها بعد تطور أسلحته القتال وادخال المركبات والدبابات البرمائية والدبابات التى تستطيع الغوص فى الماء والسير على قاع المانع المائى ضمن تنظيم القوات البرية • أما قناة السويس فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الأنهار والقنوات للأسباب التالية :

١ — انحدار الشاطىء من الناحيتين وتدبيشه مما يعوق المركبات البرمائية من النزول الى المانع المائى أو الصعود منه الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة • وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية •

٢ — قيام العدو بانشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ — ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أى مركبة برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر •

٣ — انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على أى قوات تحاول العبور • وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة بحيث تتحكم فى جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة وفى أى جزء منها •

٤ — وجود خزانات للمواد الملتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من المواد الملتهبة على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها

القوات الاسرائيلية الى الامام فى يومى ٢٤ و ٢٥ من اكتوبر حتى مدينة السويس حتى صدرت اليها تعليمات التوقف .

ولم تحصل اللجنة على اية معلومات من المصريين فيما يتعلق بالامدادات السوفيتية بالعتاد العسكرى لمصر بعد ٦ أكتوبر .

فوق سطح المياه ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى حمم ملتهبة تحرق كل شيء فوق الماء بل وتشوى الأسماك فى عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ٠ ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد الملتهبة الى سطح الماء ٠

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائى بل انه مانع فريد ليس له شبيه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المانع ٠ وكان من واجب القيادة العامة للقوات المسلحة وأجهزتها الفنيــة أن تحل جميع هذه المشاكل وقد تم بتجزئة مشكلة العبــور الكبرى الى عدد من المشاكل الصغيرة وبعد الكثير من المحاولات والتجارب نجحنا فى حل جميع هذه المشاكل ٠

وقد صرح قادة اسرائيل أكثر من مرة أننا لن نستطيع أن نعبر وأن قواتنا ستدمر تدميرا كاملا قبل أن تصل الى الشاطىء الشرقى للقناة اذا نحن تجسرنا وحاولنا العبور ٠

قلت : ولكن ٠٠ كيف بدأ العبــور ؟ وكيف تغلبتم على كل هــذه المشــاكل ؟ ٠

قال : كانت المشكلة الأولى التى يجب أن نتغلب عليهــا هى كيف نتغلب على النيران الملتهبة التى ســوف تغطى سطح القناة عند بدأ العبور ٠ وقد اتجه التفكير أول الأمر الى اطفائها وتم عمل تجــارب عملية على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة فاتضح لنا أن عملية الاطفاء تحتاج الى مجهودات ضخمة وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة اذا لم يتم تزويدها بكميات اضافية من المواد الملتهبة ٠ ومن هنا اتجه تفكيرنا الى ضرورة ابطال استخدام هذه المواد قبل العبور واذا حدث أن أخفقنا فى أبطال استخدامها فى بعض الحالات فانه يجب علينا أن نمنع العدو من تغذية الحريق بكميات اضافية من المواد الملتهبة ، وذلك لاقلال فترة تعرض قواتنا للحريق الى أقل وقت ممكن ٠ بدأنا العمل وصدرت أوامر القيادة العامة بالبدء فى استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع واتضح أنه يضع هذه المواد فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لينــدفع منها الســوائل

الملتهبة الى سطح المياه • ومن الواضح أنه لو أمكن اغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية العبور فان السوائل الملتهبة لن تصل الى سطح الماء ولن يحدث الحريق • وكانت خطة القيادة تتضمن أن يقوم بعض الأفراد المتسللين لاغلاق هذه المواسير بالأسمنت مع تكليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها فى حالة الفشل فى اغلاق المواسير الموصلة الى المياه • وزيادة فى الحيطة تم دراسة اتجاه التيار فى القناة على طول ساعات اليوم وتم انتخاب قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار وبذلك نتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء •• وقد تمت العملية بنجاح تام ولم ينجح العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القناة وتم الاستيلاء على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها بل وتم أسر الضابط المهندس الاسرائيلى الذى قام بتصميمها وقد أدلى فى أقواله أنه حضر الى القناة فى اليوم السابق للقتال لكى يختبر هذه المستودعات •



وكانت المشكلة الثانية هى كيفية ازالة الساتر الترابى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن نقيم المعديات والكبارى على القناة • ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية اذا علمنا أن ثغرة واحدة فى الساتر الترابى بعرض حوالى ٧ أمتار تعنى ازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الأتربة ؟ كانت احتياجاتنا تتطلب فتح ٦٠ ثغرة على طول القناة فى كل جانب ، أى ازالة حوالى ٩٠,٠٠٠ متر مكعب من الأتربة من الساتر الترابى شرق القناة • فاذا علمنا أننا خلال السنوات الست الماضية كنا قد أقمنا أيضا ساترا ترابيا فى غرب القناة فاتضح لنا أن المشكلة أصبحت مضاعفة وأنه يتحتم علينا أن نفتح ثغرات مماثلة فى الساتر الترابى الغربى • اتجه تفكيرنا أول الأمر الى أن نفتح هذه الثغرات بواسطة التفجير واستمرت نظرية التفجير هى السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ الى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف وهى استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال فى ازالة هذه الرمال • قمنا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظرية التفجير وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات الى أن أصبح فى مقدورنا أن نفتح الثغرة الواحدة فى مدة تتراوح بين ٣ ــ ٥ ساعات •

ـ لم يكن فتح الثغرة فى الساتر الترابى هو نهـاية المشكلة بل كان من الضرورى تهذيب أجناب القناة بالنسف والتسوية حتى يمكن تثبيت الكبارى أو تجهيز هـذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبـور المركبات البرمائية •

ـ واذا جاز لنا أن نقدم كشف حساب عن ما قمنا به فاننا نقول ان المهندسـين العسـكريين قاموا بشـق ٦٠ ثغـرة فى الساتر الترابى وأقاموا عشرة كبارى وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ٦ ـ ٩ ساعات وقد تم التنفيذ طبقا لما كان مخططا تماما فيما عدا القطاع الجنوبى من القناة حيث كانت الأرض غـير صـالحة لعمليات التجريف ونتج عن ذلك بعض التأخير فى اقامة الكبارى والمعديات عما كان مخططا • وان هذه الأعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائما مثار فخر للمهندسين المصريين فى جميع أنحاء العالم •

* * *

كانت المشكلة الثالثة هى كيف نستطيع أن نقـوم بهذه الأعمـال الهندسـية الضـخمة تحت نيران العـدو المسيطر فى الضـفة الشرقيـة ؟ وكانت الاجابة هى ضرورة دفع المشـاة عبر القنـاة لتأمين المهندسين وهو ما يطلق عليه التعبير العسكرى تأمين رؤوس الكبـارى •

* * *

وكانت المشكلة الرابعة هى كيف تستطيع المشاة أن تعبر القناة وتؤمن رؤوس الكبارى الى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة الثقيلة عبر المعديات والكبارى التى أقامها المهندسون ؟ وكيف تصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ ـ ٢٤ ساعة الى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة • وقامت القيادة العامة بحل هذه المشكلة على الأسس التالية :

١ ـ المشاة التى تكلف بالعبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعيين والمياه وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة وكان اجمالى ما يحمله

كل جندى حوالى ٢٥ كيلو جراما وكان يصل أحيانا مع بعض الجنود الى حوالى ٣٥ كيلو جراما •

٢ ــ ابتكار عربات جر صغيرة يضع فيها المشاة مالا يستطيعون حمله ويجرونه بأيديهم عبر الساتر الترابى وعند تحركهم شرق القناة •

٣ ــ تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ولا سيما الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة مدرعاته •

٤ ــ تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات وخاصة الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسـطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا أثناء وبعد العبور •

٥ ــ تجهيز المشاة بسلالم لمساعدتهم فى تسلق الساتر الترابى وجر أسلحتهم وذخائرهم المحملة فى عربات الجر •

٦ ــ تنظيم عبور المشاة فى قوارب تنظيما تفصيليا بحيث يعلم كل جندى مكانه فى القارب ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور • الخ •

٧ ــ التسلل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقط القوية لهذا الخط الا بعد استكمال عملية العبور واكمال حصارها •

* * *

وكانت المشكلة الخامسة هى كيف يمكن للمشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم نقم بتدمير واسكات الرشاشات والمدافع التى تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولهـا ــ وقد قامت المدفعية بحل هذه المشكلة على أحسن وجه • وكان نتيجة لنيرانها المؤثرة أن تمكنت مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جدا •

* * *

وكانت المشكلة السادسة هى كيف يتم اعادة تنظيم قواتنا على الشاطىء الشرقى وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة الى وحدات المشاة التى

سبق عبورها •• وكيف يتم كل ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تميز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها • ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة اذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان يتحتم عبورها لتنضم الى وحدات المشاة التى عبرت لتزيد من قدرتها على التمسك بالأرض وصد هجمات العدو المتكررة •• وقد قامت ادارة الاشارة وادارة الشرطة العسكرية بواجبها على الوجه الأكمل فقد أمكن مد كوابل الاشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور وتم تحديد الطرق والمدقات التى تسلكها الدبابات والعربات وتم تمييزها بالألوان المختلفة بحيث كان يعلم السائق انه يتبع اللون الأحمر مثلا فى رأس الكوبرى بينما يتبع سـائق آخر اللون الأخضر وهكذا • وقد تم تنفيذ كل ذلك أثناء المعركة بكفاءة تامة •

قلت : سمعت أن غارات طيران العدو المكثفة ، قد فشلت فى اصابة الكبارى ••

قال : كنت أحب أن توجه هذا السؤال للسيد قائد الدفاع الجوى فهو أعلم منى بالاجابة عليه ، ولكنى أضيف فأقول : أن عملية العبور لم تكن لتنجح لولا الدفاع الجوى والصواريخ التى كانت تغطى المنطقة •• ان مظلة الدفاع الجوى كانت هى الواقية لكل ما بذله المشاة والمدفعية ، والمهندسون من جهد •• لقد كانت هجمات العدو الجوية شديدة متتابعة •• وذلك بالاضافة الى ما قامت به القوات الجوية من ضرب تجمعات العـدو التى فى العمق والتى كانت خارج مدى الصواريخ المضـادة للطائرات •

قلت : ولكن غارات العدو لم تصب الكبارى ؟

قال : لقد أصابت طبعا بعض الكبارى •• ولكننا كنا نقوم باصلاحها فور اصابتها حيث أنه كما تعلم أن الكبارى العسكرية مصنوعة من قطع متصلة ببعضها البعض فاذا أصيبت احداهما بالتلف أمكن تغييرها بقطعة أخرى •• وعملية اصلاح الكوبرى كانت تستغرق من نصف ساعة الى ساعة فى بعض الحالات ••

قلت : لقد روى لى شاهد عيان ، ان معظم قنابل طائرات العدو •• كانت تقع بعيدا فى الماء ••

قال : هذا صحيح •• ان بعضها كان يقع على بعد كيلو متر كامل ••

قلت : ولماذا •• رغم قدرتهم الجوية ؟

قال : كنا نتبع معهم أساليب ايجابية وسلبية فى نفس الوقت وعلى سبيل المثال كنا نقوم بتحريك أماكن الكبارى باستمرار من مكان لآخر • وحيث أن الطيار عندما يكلف بضرب كوبرى فان قيادته تحدد له مكان هذا الكوبرى بناء على استطلاع سابق فانه اذا ذهب الى هذا المكان ولم يجده فمعنى ذلك انه فشل فى تحقيق مهمته ونجحنا نحن فى خداعه ولو افترضنا أنه استطاع أن يصل الى الكوبرى قبل أن نقوم بتغيير مكانه فأننا نقوم بتوليد ستارة كثيفة من الدخان تجعل الرؤية متعذرة بالنسبة اليه وبالتالى لا يستطيع اصابة الهدف • كل هذه اجراءات سلبية • أما الاجراءات الايجابية فهى حراسة هذه الكبارى بالأسلحة المضادة للطائرات واستقبال الطائرة المغيرة بستارة كثيفة من نيران الأسلحة الصغيرة والصواريخ • وقد تم اسقاط العديد من الطائرات المغيرة •

قلت : لقد سبق أن صرح موشى ديان أن عملية عبور القوات المسلحة المصرية مقضى عليها فى يوم واحد ، وهو قد غامر فى هـذا التصريح بسمعته العسكرية فعلى أى أساس بنى هذا التصريح •

قال : لقد أعلن موشى ديان ذلك عن حساب وقد كان هذا الحساب يعتمد فيما أعتقد على التقديرات الآتية :

١ — ضرورة فشل المصريين فى العبور نتيجة النيران الكاسحة التى يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتهبة التى كان يأمل أن تغطى القناة • وبذلك فليس هناك أى أمل فى وصولنا الى الشاطىء الشرقى •

٢ — عدم قدرة المهندسين فى ازالة الساتر الترابى وانشاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى وانه بفرض نجاح المصريين فى

اقتحام جزء من القناة فاننا سوف نحتاج الى حوالى ٢٤ ساعة لانشاء هذه الكبارى وبالتالى فان الدبابات، والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم • وكان هذا الوقت يكفى لجلب احتياطات مدرعة من العمق تقوم بتصفية القوات التى نجحت فى انشاء رؤوس كبارى فى الشرق •

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لامكانيات قواتنا المسلحة فى العبور خاصة فى النقط الرئيسية التالية :

١ — قدرة المشاة المترجلة على صد الدبابات والطائرات المغيرة التى على ارتفاع منخفض والتشبث بالأرض وحدها ودون أى أسلحة ثقيلة لمدة طويلة •

٢ — كفاءة سلاح المهندسين وقدرتهم فى اقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع فى مدة تتراوح بين ٦ — ٩ ساعات •

٣ — التنظيم الجيد للعبور والذى وصل الى أن كل ضابط وجندى فى القوات التى تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له كان يعلم جيدا دوره بالتفصيل والوقت الذى ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة الى الحد الذى جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر فى وقت واحد •

٤ — المفاجأة التى حققتها قواتنا والتى ظهرت نتائجها بوضوح فى الأيام الأولى للمعركة حيث كانت جميع تصرفات العدو تتسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الأقل •

٥ — العقيدة والاصرار الذى يقاتل بها جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذى لطخته أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ ظلما بالتراب • كان يحاول أن يسترد أرضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندى الاسرائيلى يقاتل دون هدف واضح مقنع • هل وضع ديان فى حسابه الأثر المعنوى الذى يحدثه عشرات الألوف وهى تعبر القناة وتصيح فى وقت واحد الله أكبر الله أكبر ؟؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك فى حساباته •

قلت : ومعارك المدرعات التى جرت بعد ذلك .. ووصفت بأنها أكبر معارك التاريخ ؟

قال : كنت أفضل أيضا أن توجه هذا السؤال للقادة الذين اشتركوا فعلا فى هذه المعارك ولكنى أحب أن أقول لك انها كانت معارك ضخمة فعلا .. واشتركت فيها أعداد كبيرة من الدبابات من الجانبين . قد تدهش اذا عرفت ان اسرائيل بدأت القتال ولديها أكثر من ١٧٠٠ دبابة وهو عدد يفوق ما تملكه انجلترا بل ومعظم بلاد العالم . ومن النادر فعلا أن تقع معارك بمثل هذه الأعداد .. وعلى مساحات واسعة .. وفى يوم واحد اشتركت حوالى ١٠٠٠ دبابة من الطرفين فى معارك ضارية على طوال القنـــاة .

ثم أضاف : قبل أن ننهى هذا الحديث أود أن أؤكد لك أن نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود وليس سلاح المهندسين فقط . ولقد كانت توجيهـــات السيد الرئيس المؤمن أنور الســـادات ومشاركته الدائمة فى مناقشـــة المشاكل وايجاد الحلول لها خير موجه للقيادة العامة للقوات المسلحة وهى ترسم وتحسب كل الاحتمالات . كما كان السيد الوزير الفريق أول أحمد اسماعيل والقائد العام للقوات المسلحة على قمة جهاز القيادة يوجه ويناقش ويستمع ويتخذ القرارات . وكان كل ضابط وجندى يشـــارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا فى النهاية أن نحقق فى ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار لمصر ولقواتها المسلحة .

الفصل الرابع

الساعات الأخيرة.. لخط بارليف

●●● « الـكتاب الذى أصـدرته صـحيفة « السنداى تايمز » البريطانية عن حرب أكتوبر ، يتضمن فصلا ممتعا ..

انه تفريغ لشريط تسجيل ، كان دائرا منذ أن بدأ الهجوم المصرى على أحد حصون خط بارليف ، حتى انتهى الأمر ، بهرب الاسرائيليين من هـذا الحصن ..

كان أحد الجنود يحتفظ بآلة تسجيل..واستمر يديرها من الدقيقة الأولى .. حتى الأخيرة طوال يومين ..

ولا أعتقـد أن كل ما نشر ، وقيل أنه منقول تمـاما عن شريط التسـجيل ، هو الصحيح .. ولا شك أن عمليات مونتاج عـديدة ، أجريت فى تفريغ الشريط .. ولا اشك أيضا أن حقائق كثيرة عن الهجوم المصرى ، أغفلها النشر .. ومع ذلك ، فان ما نشر من هذا التسجيل كفيل بالاقتناع ، بأن الهجوم المصرى كان كاسحا .. وأن الاسرائيليين عجزوا عن حماية هذا الحصن أو الدفاع عنه ..

ربما قدم هذا الشريط نصف الحقيقة ..ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا الا أن يعترفوا بالانتصـار المصرى . ولا يمكن أن أتجاهل أن الاسرائيليين قدموا الى الصحفى الذى كتب هـذا الفصل ،

صورة ذكية ، توفر فيها الجانب الانسانى الذى يجعلك تصدق كل شىء . فهناك الجندى اليائس. وهناك الذى يفكر فى زوجته .. وهناك الشجاع المغوار الذى لا يهمه الا القتال ..

وقد رأيت أن أقدم هذا الفصل ، كما هو ، وكما نشر دون أى حذف أو تعديل فى عبارة واحدة.

ثم قدمت بعده تعليقا من أحد كبار العسكريين المصريين الذين قادوا المعركة وهو اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى حينئذ ، الذى يقع هذا الحصن فى قطاعه أمام الاسماعيلية ..

وبعد ذلك نشرت قصة سقوط هذا الحصن ، على لسان قائد القوة المصرية التى هاجمته حتى استولت عليه .. وذلك فى لقاء طويل معه .. وبعد أن شاهدت الحصن على الطبيعة » ●●●

« قصــة الســاعات الأخيرة لخط بارليف »

بقلم : بول ايدى

جريدة السنداى تايمز : ٣ فبراير ١٩٧٤

ليس من المعتاد أن يحصل المرء على صورة واقعية للحرب كما رآها جندى لطلقات الرصاص فى الخط الأمامى • •فمثل هذا الجندى يكون عادة مهتما بمسألة البقاء على قيد الحياة بصورة تجعله غير قادر على تحليل تجربته •• أما بالنسبة للمخبر الصحفى فانه اذا ذهب الى هناك فانه يكون مشغولا للغاية فى محاولة استنتاج ما يحدث وسط الاضطراب الذى تثيره المعركة •• غير أن « آفى يافى » وهو جندى احتياط يبلغ من العمر ٣٣ عاما حصل خلال الحرب العربية الاسرائيلية على تسجيل فريد للحرب •• ذلك أن « آفى » الذى يعمل فى الحياة المدنية مهندس صوت أخذ معه جهاز تسجيل للترفيه عن زملائه الجنود فى حصنهم على خط بارليف الذى كان يحرس قناة السويس •

* * *

وعندما شن المصريون هجومهم عبر قناة السويس ، أدار « آفى » جهازه الذى استطاع أن يسجل على امتداد الستين ساعة الرهيبة التالية مسار ووقائع الحرب كما جرت بالضبط •• كان الحصن الذى ـــ يرابط فيه « آفى » قد قصف بالمدفعية الثقيلة وبالطائرات وحاصرته القوات المصرية •• ومع ذلك فان هذه الوحدة الاسرائيلية الصغيرة نجت بأعجوبة وأخذت معها جهاز تسجيل آخر مسجلا عليه لحظات الهروب المثيرة •• وكانت نتيجة ذلك وثيقة غير عادية تنقل لنا بصورة أكبر ـــ مما يمكن الحصول عليه من روايات الجنرالات ـــ الفوضى والرعب الذين يصاحبان

الحرب الحديثة .. وقد قام « بول ايدى » باعادة صياغة التسجيلات وقضى ساعات كثيرة مع « آفى » لملء الثغرات كى يقدم صورة مسلسلة لما حدث ..

* * *

كان « آفى يافى » قد خرج لتوه من تحت الدش وكان يقوم بنشر ملابسه على الأسلاك الشائكة لكى تجف عندما بدأت القذائف فى الانطلاق ..وكانت طائرات الميج ترمجر فوق رأسه وبدأت قنابل الدخان تنطلق من جانبى القناة لتنطلق سحب الدخان الأخضر الداكن .. ولقد كان ممكنا من خلال ستار الدخان مشاهدة قوارب الكوماندوز وهى تنطلق الى المياه من الضفة الغربية .. وعاد آفى بسرعة الى خندق القيادة حيث يحتفظ بمعدات الراديو الخاصة به (وجهاز تسجيله) وكانت احدى وحدات الهجوم الرئيسية للجيش المصرى تتقدم على صفحة المياه فى اتجاه الحصن ..

وقد كانت وحدة « آفى » التى يقع حصنها فى القطاع الأوسط أمام الاسماعيلية تقريبا تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ولكن جنود الملاحظة فى المواقع الأمامية التابعة لحصن « آفى » لم تشهد الا حوالى ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر دلائل خطيرة على قرب حدوث متاعب .. فقد انسحب جنود الملاحظة المصريون من مواقعهم وأسدل الستار من الصمت المريب على الضفة الغربية وفى حوالى الظهر تلقى رئيس آفى ، الذى كان يعرف بين رجاله باسم ميرك (اسمه الحقيقى مائير) من مقر قيادة الجيش أمرا باخلاء حصنين أصغر حجما يقعان ناحية الجنوب .. وقد تم نقل هؤلاء الرجال فى حاملة جنود مدرعة وصلت الى الحصن قبل الساعة الثانية مباشرة ، الأمر الذى رفع عدد جنود الحصن الى ٣٢ .. وبعد ذلك بدقائق بدأت القذائف الأولى فى الانفجار . وعندما بدأ الهجوم المصرى فتح « آفى » ميكروفونين وأدار جهاز التسجيل ...

وفى أول الأمر كانت هناك سلسلة طويلة من التقارير من الرجال الذين يرابطون فى مراكز الملاحظة الأمامية الى ميرك فى خندق القيادة .

« المصريون ينزلون قوارب كوماندوز فى المياه المواجهة لنا مباشرة ..
انهم يعبرون الآن . القوارب مليئة بجموع المشاة .. انهم يهبطون الآن
بصواريخ مضادة للدبابات على الضفة الشرقية . عدد قليل من دباباتنا
يندفع نحو المصريين .. مدفعية العدو تطلق نيرانها .. القذائف تسقط
قريبة منا .. تقترب أكثر .. النيران تقترب .. حاملات الجنود المدرعة
تعبر .. الكثير من الجنـــود يقفز على الضـــفة وينطلق بسرعة حـــاملا
الصـــواريخ .. ست طائرات هليوكبتر مليئة بالكوماندوز تحلق فوق
رؤوســـنا » .

* * *

كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين فى الحصن فى حالة من الذهول
الشديد من جراء الهجوم ، لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على
طائرات الهيلوكبتر ، ولكن هذه الطائرات أسقطت فيما بعد عودتها فارغة ،
بطلقات المدافع الأوتوماتيكية .

* * *

« دبابة ت ــ ٥٤ تواجهنا .. تطلق نيرانها نحونا .. يعبر الان مزيد
من القوارب ،موجة بعد أخرى .. الجنود ينتشرون فى منطقتنا .. أنهم
يرفعون علم الكوماندوز على ضفتنا .. يقيم المصريون الآن جسرا ..
تقوم رافعة آلية بانزال عوامات .. قافلة ضخمة .. اعداد كثيرة من
المدرعـــات .. دبابات .. عربـــات نصف مجنزرة .. عربات محملة
بالصواريخ ، صفوف من عربات الجيب وبطاريات المدفعية » .

* * *

كانت توجد مدرعات مصرية كثيرة تنتظر عبور الجسر العائم ، لدرجة
أن زحمة مواصلات ضخمة قد حدثت على الضفة الغربية .. وكان جنود
الملاحظة فى المواقع المتقدمة يشكون متساءلين : لمـــاذا لم يتدخل سلاح
الطيران الاسرائيلى ؟ ! فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات
الى حطام وبعد ذلك أطلقت مدافع هاون مصرية مختفية فى غابة عبر القناة

طلقات من نيرانها وأصبحت ساحة التدريب بالحصن مليئة بالفجوات والحفر •• وقد رد الاسرائيليون بكافة أنواع الأسلحة •• المدافع الأوتوماتيكية والبازوكا ومدافع الهاون عيار ٨١ مم ••

وأطلق الاسرائيليون نيرانهم على الجسر المصرى وجنود الكوماندوز الذين يعبرون القناة وبطاريات المدفعية على الجانب الآخر وطبقا لما ذكره جنود الملاحظة فى المواقع الأمامية فانهم وجهوا ضربات قوية •• قوية للغـاية •• وبعد ساعتين من القتال ، أطلق المصريون قذائف انفجرت فى الحصن وملأته بدخان أصفر خانق •• وشعر الجنود بالرعب •• ولكن طبيب الحصن (الذى كان فى حياته المدنية يعمل طبيبا متمرنا حديث العهد فى احدى المستشفيات) أكد لهم أنها ليست غازا ساما ، وانما مجرد ستار من الدخان •• والآن وبعد أن أصبح المصريون يحاصرونهم من كل ناحية بدأ الرجال يستعدون للدفاع عن حصنهم وللقتال بالأيدى •

غير أن الهجوم على الحصن لم يقع •• وأصبحت القذائف الآن تنفجر فى أماكن أعمق داخل صحراء سيناء خلف الحصن •• وكان الكوماندوز المصريون والدبابات والعربات نصف جنزير واللوريات المحملة بالصواريخ تنطلق بسرعة عبر الحصن دون أن تطلق طلقة واحدة •• وفى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر ، أى بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من بدء الهجوم توقف القصف من الضفة الغربية •• وعندما بدأ الغسق فى القاء ظلاله • أدرك الاسرائيليون أنهم أصبحوا خلف خطوط العدو وأنهم معزولون تماما ••

وفى خندق القيادة كان آفى وميرك يستمعان للراديو ، بينما كانت القوات المدرعة الاسرائيلية الضئيلة فى المنطقة تحاول وقف الهجوم المصرى •• على مسافة ميل من الحصن على طريق يسير بحذاء القناة توجد وحدة دبابات اسرائيلية وفى مكان ما بالمنطقة وحدة مدفعية متنقلة • وكان قائد المدفعية يريد ضم قواته للدبابات للقيام بهجوم مشترك على رأس الجسر المصرى عبر القناة •• غير أنه قبل أن يحدث ذلك كان العدو يهاجم وقد تسلح المصريون بالصواريخ القاتلة المضادة للدبابات من طراز ساجر وأرسل قائد المدفعية تحذيرا سريعا الى الدبابات :

« حذار أن تصابوا •• أريد توفير كل قوتكم للقيام بهجوم مضاد » •

وتفتح المدفعية نيرانها على الدبابات المصرية ولكنها أيضا تعرضت للهجوم بالصواريخ .. وقد استطاع بيهوشيا الشهير باسم شوكى وهو نائب مييرك .. استطاع أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وهى دائرة وبعث بتقرير يقول أن الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجىء لمساعدة الحصن .. وقال أنها فى حالة فوضى شاملة .. واتصل قائد الدبابات بالحصن يسأل مييرك عما اذا كان يريد شرذمة من المشاة المدرعة ..

مييرك : مشاة مدرعة ؟ هل أنت واثق ؟

غير أنه بعد فترة توقف بسيطة غير قائد الدبابات رأيه ..

قائد الدبابات : آسف .. المشاة المدرعة لا تستطيع أن تفعل أى شىء هناك .. اذ يوجد ضباب لا يمكن تصوره . لا أستطيع أن أرى أى شىء .

وابلغ الحصن ان دباباته ومدفعيته المتحركة قد انسحبت لكى تعيد تجميع نفسها .. وانضم مييرك الى شوكى فى الموقع المتقدم حيث كانا يستطيعان رؤية الدبابات على الطريق على مسافة ميل .

مييرك : هل تلك دبابات مصرية التى تبدو هناك ؟

شوكى : نعم .. ولكنها لا تطلق نيرانها علينـــا فى الوقت الحاضر (وبصق بصوت مسموع على الخط) .

مييرك : شوكى .. ابحث عن قطعة خشب بسرعة .. والمسها ..

وعن طريق الراديو علم الحصن ان المصريون اسقطوا قوات مظلات من طائرات نقل على مســافة عشرة أميال داخل سيناء .. وفيما وراء الحصن وعلى ضوء القمر كانت المعركة مستمرة مع زحف الليل .

***

ومع تحول ليلة السبت الى صباح الاحد ، تعرض الحصن للهجوم مرة واحدة .. وانفجرت القذائف وأصيب أحد جنود الملاحظة يعرف باسم « مارشيانو » فى العنق بشظية . ولم يكن الجرح خطيرا وقد وصل الى خندق القيادة دون مساعدة من احد لكى يتلقى العلاج من الطبيب .. غير انه جاءت انباء عبر الراديو بأن الحصن التالى الذى يقع على مسافة

خمسة أميال الى الشمال قد أصيب ضابط القيادة فيه أصابة خطيرة وقتل رجلان .. وظل الحصن يوجه نداءات الاغاثة لاخلاء الجرحى .. وكان مقر القيادة الاسرائيلى الرئيسى فى « طاسا » يعانى أيضا من المتاعب .. فقد قصفت طائرات الميج المعسكر وقتل من جراء ذلك عدد من الجنود وسكرتيرة القائد .. وشنت عملية انقاذ لنجـدة الحصن الشمالى ولكن الكوماندوز المصريين الذين نقلوا بالهيليوكبتر أوقعوا طابور النجـدة فى كمين وأرغموه على التراجع ..

وفى تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعى ضد المصريين .. وتدخل قائد المدفعية المتحركة .. فى راديو « آفى » لكى يسأل عما اذا كانت القذائف تصيب أهدافها .

شوكى : القصف سلبى .. المدى ٢٠٠ ياردة ناحية الجنوب ..

ثم اتصل مقر القيـادة ..

مقر القيـادة : ما هو الجديد لديكم ؟

شوكى : (بصوت هادىء لا ارتعاش فيه) لا شىء معين هنا يوجد نيران حولنا وشاهدنا قاربا آخر يعبر القنـاة .. وباستثناء ذلك يوجد مصريون من حولنـا .

مقر القيادة : هل طلبتم مدفعية .

شوكى : نعم طلبنا ذلك .

وكان تماسك شوكى وتقليله من شأن الأمور أكثر مما يستطيع الطبيب ان يتحمله .

الطبيب : انها جهنم دموية .. لا تتركوا شوكى يبعث بالتقارير عن الوضع .. فكل شىء على ما يرام بالنسبة له حتى عندما يعبرون ــ أى المصريون ــ القنـاة .

آفى : (الى مقر القيادة) هناك اعدادا كبيرة من المصريين من حولنا .

ميبرك : (الى مقر القيادة) لا أعرف ما يحدث عندكم •• فمدافعكم تضرب بعيدة عن الهدف •• أنتم تضربون منطقة جرداء •• لا استطيع الرؤية ولكن الضرب بعيد عن الهدف ••

وحاول مقر القيادة مع وحدة المدفعية أن يصحح المدى ولكن بدون نجاح كبير •• مازال ميبرك لا يستطيع رؤية أية اصابات ويقوم بابلاغهم بذلك •• وكان الحصن الشمالى لا يزال يطلب النجـدة ••

آفى : (وهو يقدم زمزمية مياه للطبيب) تناول بعض المـاء •• تناول ثلاث رشفات لتعويض ما فقدته من العرق •• وسوف أقتفى أثرك •• يا لله •• كل هذه الحرب •• من اخترعها ؟

الطبيب : جنون !القتـال ! التعرض للقتل ••

آفى : وماذا تحصل من كل هذه العملية ؟ فبدلا من الحصول على اجازة سوف يتعين أن نبقى هنا حتى نهاية جولتنا ••

جندى القسم الطبى : بعد الحرب سوف يتركونك تعود الى منزلك ••

آفى : (ساخرا) بعد انتهاء هذه العملية سيكون حصننا فى الخطوط الخلفية •• هذا واضح •• سـوف نجلس هنا وسـيكون أولادنا فى القـاهرة •• مضبوط ؟

جندى القسم الطبى : انك تسخر الآن ولكن جيشنا سيكون خلال أيام قليلة عبر القنـاة •

آفى : اننى لم أمر بمثل هـذا الموقف من قبل (آفى محارب قديم اشترك فى حرب الأيام الستة) لقد كان الموقف دائما ان العدو على مسافة كيلو متر ، أو على مسافة ٢٠٠ متر أو أمامى مباشرة •• ولكن ان يكون العدو من حولى من جميع الجهات !! بالمناسبة سـوف نتمكن قريبا من الاتصـال بمنازلنا •• فى أى يوم نحن ؟ الاحـد ؟ (قبل الحرب اتم الاسرائيليون اقامة شبكة تليفونية فى معظم خطوط الجبهة تسمح للجنود بالاتصال بأسرهم بطريقة دورية) •

آفى : نستطيع ان نتصل بمنازلنا من الســاعة الثالثة حتى الرابعة صباحا •• اننى أتشــوق لطلب منزلى •• اننى أريد مكالمة واحدة مع منزلى •• سوف تبعث هذه المكالمة الدفء فى أسرتى وسط هذا الجو من التوتر •• انهم لا يعرفون ما يجرى هنا ••

جندى القسم الطبى : انهم أكثر قلقا مما نحن عليه •

آفى : أنى لست قلقا بصورة كبيرة على نفسى قدر قلقى على أسرتى •

وعلى مسافة بضعة مئــات من الياردات من الحصن أصيبت دبابة اسرائيلية تقف بمفردها بقذيفة •• واتصل قائد الدبابة بالحصن •

قائد الدبابة : لقد أصبت •• سوف اهبط لتقدير الاصابة لقد تلقينا أن قوات المظلات المصرية موجودة فى هذه المنطقة •• انظر الى اليسار قليلا من دباباتهم •• يوجد مظليون هناك الآن •

آفى : حسنا •• مظليون مصريون •• هذا أمر جديد •

جندى القسم الطبى : وأين قوات المظلات التابعة لنــا ؟

***

لم تستطع الدبابة التى كانت على اتصال بالحصن التحرك وقد أحاط بها المصريون • استسلم ثلاثة من طاقم الدبابة •

وفى نفس الوقت جرت محاولة ثانية لنجدة الحصن الشمالى قامت بها وحدة اسرائيلية للعربات المدرعة نصف جنزير •

وحدة النصف جنزير (من خلال الراديو) توجد ثلاث دبابات معادية عند مدخل الحصن الشمالى •• لقد أصبناها وهى تحترق الآن كلهــا •

قائد المدفعية المتنقلة : خذوا حذركم .. انهم يطلقون الصواريخ عليكم غيروا مواقعكم .. وراقبوا الموقف طول الوقت ..

وقد أرغمت الوحدة نصف جنزير على الانسحاب فى النهـاية لاعادة التزود بالوقود ، والحصول على مزيد من الذخيرة .. ويواصل الحصن الشمالى فى طلب النجدة .. وأخذت حالة القائد الجريح فى التدهور . ولكن مقر القيـادة لا يزال غير قادر على تزويد الحصون الا بمسـاندة المدفعية .. وكانوا لا يزالون يواجهون المشاكل ..

مقر القيـادة : هالو .. ابلغونا كيف تسير نيران مدفعيتنا ؟ هل تحتاج الى تصحيح ؟

مييرك : لا أرى أية اصابات (موجها حديثه الى آفى) لعلهم لا يطلقون مدافعهم على الاطلاق ..

مقر القيـاد : ماذا تقول ؟ هل توجهونهم (رجـال المدفعيـة) الى أهدافهم ؟

مييرك : نوجههم ؟ هذا ليس عملنا على الاطلاق .. اننى لا أرى أية اصابات .. ينبغى عليكم أن تصوبوا الى مسافة أبعد ناحية الغرب .. اليس كذلك ؟

آفى : (يوجه حديثه عن طريق تليفون الحصن الى شوكى الذى يقف فى احد المواقع الامامية) : من الذى يطلق النار الآن ؟

شوكى : المصريون .

آفى : على من ؟

شوكى : علينا على ما اعتقد .. لقد توقفوا لتوهم .

مييرك : اعطنى شوكى .. شوكى هل تسمع صوت مدرعات ..

شوكى : هكذا يقول مارشيانو .

***

وكان يمكن سماع ضوضاء عنيفة تزداد ارتفاعا •• انها صوت زمجرة آلات قادمة من المدرعات المصرية خلف الحصن •• وكانت الجبهة كلها قد استيقظت •

***

آفى : (متحدثا من خلال ميكرفون جهاز التسجيل الخاص به) الساعة الخامسة الا الثلث صباح الاحد •• سوف تكون هناك بتأكيد معركة خطيرة فى الصباح •• التوتر يسود الجو ••

ويعلق آفى صــور زوجته وأولاده الثــلاثة فوق الراديو •• ويبحث الطبيب فى محفظته عن صور ابنته ••

آفى : هل تعرف انها تبدو شبهك •

الطبيب : يقولون انها أكثر شبها بزوجتى •

آفى : ما نوع الافلام التى تستخدمها ؟

الطبيب : كــوداك •

آفى: : الألوان جيــدة •

ويستطيع الرجال فى الحصن ان يسمعوا من خلال الراديو وحدتين من الدبابات الاسرائيلية كانتا قد وصلتا الى الطريق الذى يبعد مسافة ميل ولكنهما الآن تواجهــان المتاعب • ويتصــل القائد بمقر القيــادة عن طريق الراديو •

قائد الدبابات : المشــاه المصريون يحوطوننا من جميع الجهات •• ارسلوا تعزيزات وساعدوا على تخليصنا •

***

وفى هذه اللحظة انفجرت القنابل فوق الحصن وحوله .وقد اصابت احداها خندق القائد اصابة مباشرة .. وينهار السقف المقام بالحديد المموج وانهارت الأرض والاحجار على الرجال الذين بالداخل وملأت الجو بالتراب الخانق ..

***

آفى : الآن تبدأ المعركة .

الطبيب : ايقظ كل شخص فى الخندق .

مارشيانو : (عن طريق التليفون من موقع امامى) استطيع أن أرى طائراتنا تحلق فوقنا .

لقد بعث مقر القيادة بالقاذفات المقاتلة من طراز فانتوم لمساندة وحدات الدبابات والحصن وبعث قائد الدبابات بتحذير متأخر الى الحصن .

***

قائد الدبابات : خذوا حذركم .. لقد بعثنا بالطائرات الى هذه المنطقة .

مييرك : لحظة .. لحظة .. يوجد الى الشمال منا هدف .. يوجد بيننا وبين المعبر المصرى على مسافة تتراوح بين ٧٠٠ر١٠٠٠ متر مشاة مصريون يرابطون فى خنادق معدة جيداً .

قائد الدبابات : أرى سحابة صفراء ضخمة على شكل عش غراب فوق موقعكم .. هل هناك ثمة خطر ؟

آفى : (يعيد تكرار حديث قائد الدبابات على مسمع من مييرك) توجد سحابتان ضخمتان لونهما أصفر على شكل عش غراب فوق موقعنا هل هناك خطر ؟

مييرك : لا .. انها ستار من الدخان ..

قائد الدبابات : هل تستطيع رؤية الجسر عبر القناة ؟

مبيرك : لا •• مازال هناك بعض الضباب (دخان أصفر) •

قائد الدبابات : حاول وابحث عنه •• وخذ حذرك ••

موقع امامى : المصريون يطلقون نيرانا كثيفة مضادة للطائرات ناحية الطائرات التى كانت تقصفنا ••

جندى : الدلائل تشير الى أنها طائراتنا •• أليس كذلك ؟

مارشيانو : (من موقعــه الامامى) : طائراتنا تمطــر المصريين بالصواريخ •

آفى : رائع •• انك حبيبى يا مارشيانو •

مبيرك : آفى •• ابلغ المدفعية اننا لا نرى أية اصابات تلحق بالمشاه المصريين •

وينقل آفى الرسالة ولكن الرد لم يكن مشجعا •

قائد المدفعية : مقر القيادة يقول على التليفون ان عليكم ان تنتظروا •• اذ انهم فى الحسبان •

مبيرك : (بنفاذ صبر) : أريد ان اعرف لماذا لا أحصل على نيران ضد المشاة المصريين •• أريد ان أرى اصابة واحدة •

***

وظلوا ينتظرون نيران المدفعية بلا جدوى غير انه على حين غرة زمجرت فوقهم طائرتان فانتــوم اخريان والقت بقنابلهــا على المصريين الذين يرابطون فى خنادق قرب الحصن على ضفة القناة •• ويقع جزء من حمولة القنابل فى القيادة وتغمر موجة ضخمة من الميــاه الحصن ويهرع الرجال فى المواقع الامامية الى الخنــادق وملابسهم مبللة بالميــاه •• ولكنهم يتصايحون بسرور •

وعند هذه المرحلة أصبح الحصن ذا أهمية تكتيكية حيوية للاسرائيليين .. فقد كان آخر وحدة رصد متبقية لضربات المدفعية والقصف الجوى على مرمى البصر من رؤوس الكبارى المصرية عبر القناة .. ولم تكن وحدة ميبرك تتوقع ان يتم انقاذها على عجل .. فقد كان من الواضح انها ذات قيمة كبيرة للقائد الجديد للقطاع الاوسط فى سيناء ميجور جنرال (اريك) شارون الذى كان قد وصل فى هذه اللحظة الى مقر القيادة فى « طاسا » لمحاولة تفهم الأمور ..

ومن مركز قيادته المتقدم امسك بتليفونه الميدانى وطلب ميبرك للحصول على بعض المعلومات من مصادرها الأصلية .

***

ميبرك : (يقدم تقريرا لشارون) لدى قوة هنا .. ليست فقط قوتى وانما جميع اصـناف المعالين وأناس حوصروا هنا .. لا يوجد جرحى بيننا حمدا لله باستثناء اصابات بالشظايا .. ولكنها ليست خطيرة ..

شارون : هل اصيب موقعك ؟

ميبرك : ليس اصابة مباشرة حتى هـذه اللحظة .. ولكنهم ينظمون أنفسهم من حولنا وهناك وحدتان من المشاة خلفنا . ونستطيع أن نرى ناقلات جنود مدرعة تصل وربما دبابات أيضا .

شارون : قل لى .. هل توجد حركة كبيرة على طريق القناة .

ميبرك : ليست كبيرة .. قبل ذلك كانوا يتحركون عليه .. ووصل عدد من ناقلات الجنود المدرعة حتى موقعنا .. وقد بدأنا فى ضربهم ومن ثم فقد ابتعدوا .. تركوا جنودا .. مجموعات قليلة منهم .. وحتى هذه اللحظة ، لا أستطيع ان افهم منطق بعثرة الجنود على طول الطريق .. لقد عادت ناقلات الجنود ناحية الشمال الغربى الى المنطقة التى توجد بها كافة دباباتهم .. الدبابات التى تلقت ضربات من سلاحنا الجوى قبـل ذلك ..

شارون : هل كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة ؟

ميرك : كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة •

شارون : من أى منطقة أنت ؟

ميرك : من هالاميد ــ هيه (وهى كوبوتز بالقرب من القدس حيث كان يعيش ميرك) •

شارون : ورجالك هل هم أيضا من القدس ؟

ميرك : نعم من القدس •

شارون : هل اشتعلت النيران فى دبابات العدو أم ماذا ؟

ميرك : (برضـا واضح) نعم •• لقد اشتعلت فيهـا النيران •• لا أعرف كم عددها ••

شارون : عندما لا يكون المصريون يهاجمونكم هل يقومون بعمل شيء آخــر ؟

ميرك : لا شيء على قدر ما أستطيع أن أرى والوضع الآن هو أن الدبابات وناقلات الجنود قد اقتربت حتى مسافة ٧٠٠ أو ٨٠٠ متر منا •• وايديهم مشاة فى الخنادق • وعندما يرفعون رءوسهم تطلق النار عليهم كما اننا نوجه اليهم ضربات بمدافع الهاون عيار ٨١ مم •

شارون : هل لديك ذخيرة كافية ؟

ميرك : ذخيرة ؟ •• نعم •• فاننا نحاول ألا نبددها وقـد بدأت أبخل بذخيرة المدفع ٨١ مم •

شارون : هل توجد فى مواجهتكم ناحية الشـمال وبالقرب من نقطة العبور أى قوات للعـدو ؟

ميرك : لقد ذهبت الى موقع امامى منذ حوالى خمس دقائق ولم تكن هناك أية قوات فى ذلك الوقت •• لحظة واحدة •• سوف أرى اذا كان نائبى يستطيع أن يرى أى شىء •• شوكى •• شوكى •• كلم (ويتم وصل شوكى فى الموقع الامامى بشارون) •

شارون : السـلام عليكم •• قل لى ••

شوكى : السـلام والبركة •

شارون : كم عدد الدبابات التى تراها هناك ؟

شوكى : حوالى أربعين الى ٤٥ دبابة •

شارون : فى أى تشكيل ؟ متجمعة ؟

شوكى : بعضها متجمع والآخر يقف فى صفوف ••

شارون : هل احترقت أية دبابات ؟

شوكى : لم تحترق وانما أصيبت دون ان تحترق • لقد هبط كل الرجال منها •• وهم حولنا الآن •• هناك خنـادق •• وهم على قمتها •• فى تلك المنطقـة ••

وأخذ شارون يستجوب شوكى حول مكان العدو بالضبط ولكن يحدث بعض الاضطراب ويتدخل ميرك ••

ميرك : أريك ، أرجو ان تفهمنى •• انهم يسـيطرون على منطقة مستوية •• هل تسمعنى انها منطقة مستوية طولها بضع مئات من الامتار وعرضها بضع مئات من الامتار وهم يتخـذون مواقع تواجه الاتجاه الذى يبدو ان مدرعاتنا تسـد الطريق عليهم منه •• يوجد عدد كبير من المشـاة خلف الدبابات ومع عربات نقل الامدادات •• وكل ما يحتلونه منطقة يبلغ طولها حوالى الكيلو متر •

شارون : ايها الرفاق •• لقد وصلنا لتونا الى هنا •• وانني اخطط لبذل كل جهد لتخليصكم •• سوف نتصل بكم فيما بعد لابلاغكم بما يمكن ان تفعلوه ••

وسأل شارون عن وسائل النقل فى الحصن وقال انه سيتصل بالمدفعية لتزويدهم بمزيد من التعليمات حول رصد الأهداف •

* * *

شارون : سوف اشرح لكم فيما بعد الطريقة التى آمل بها ان أخرجكم من هذا الوضـــع •• وما أريده منكم فى هذه الأثنـــاء هو أن توفروا ذخيرتكم وان تأخذوا حذركم فى المواقع العالية عندما يطلقون النار عليكم •• فهذه الاماكن التى يمكن ان تقع لكم فيها خسائر كبيرة •• وسوف نبذل كل ما فى وســعنا لتخليصكم وكل شىء ســيكون على ما يرام •• لا تقلقوا واصمدوا ••

* * *

وعقب انتهاء محادثة شارون التليفونية ، عاد المصريون الى قصف الحصن •• وكان من الواضح انه سيكون اعنف هجوم ••

* * *

ميرك : شوكى •• اقفز الى الموقع رقم ٣ واتصـــل بى عندما تصل هناك • جندى الاشـــارة شلومر (مساعد آفى) سيذهب معك •• انتظر لحظة •• أريد احدا فى الموقع الامامى الشمالى •• فمن المحتمل انهم سيهاجموننا من ناحية الشمال •• اعطنى الموقع رقم ٤ ••

آفى : انك على اتصال به الآن •

ميرك : هالو •• آفى •• انهم لا يردون ••

آفى : (من خلال مكبر للصوت) الموقع رقم ٤ ارفع التليفون •

ميرك : على التليفون من هناك ، دوبيك ؟ ــ اسم الشهرة لجندى ملاحظة اســمه مورخاى ايكباوم ــ فالبياركك الرب • كيف حالك ــ صوت انفجار قوى ــ ماذا اصاب هذا الانفجار فى الخندق ؟ •• ولكن عليك من آن لآخر ان ترفع رأسك وتنظر الى الخارج لأنهم قد يأتون من ناحية الشمال •• هل تفهم ؟ •• ويجب ان أعرف ما يجرى •• وسوف نرى بسرعة •• لا أعرف من اين يوجهون الينا الضربات ••



وبدأت قذائف ثقيلة من هاونات عيار ١٦٠ مم فى التساقط على الحصن •

* * *

آفى : يقدم تقريرا لميرك ــ يقولون ان القذائف تسقط عند بوابة الحصــن ••

ميرك : موجها حديثه الى موقع البوابة ــ خذوا حذركم طول الوقت تنبطحوا أرضا ، ولكن عليكم ان ترفعوا رءوسكم فى اقرب فرصة بعــد القصف وتراقبوا البوابة • •أوكى ؟

وتنفجر قذيفتان فوق خندق القيادة مباشرة •

آفى : شوكى لا يرد ••

ميرك : يخطف السماعة ــ شوكى ــــ شوكى ــ لا رد •• يوجه حديثه الى آفى ــ لعله ذهب الى الموقع رقم ٣

* * *

جندى فى الموقع رقم ٤ : انه فى طريقه الى هنـــاك •• ربما تعطل فى الطريق بسبب القذائف ••

* * *

ويتصاعد القصف وتسقط الآن كل قذيفة تقريبا على هدف ، وأخذت الممرات ــ التى تصل الخنادق ببعضها ــ فى الانهيار وتحطم هوائى الراديو ، وقطعت بعض خطوط التليفونات بين خنـــدق القيادة والمواقع الامامية •• وخرج « آفى » و « شالومى » ، جنديا الاشارة معرضين نفسيهما للنيران ، لكى يستبدلاها •• وأخذت القذاف تنهمر ••

ميرك : اعطنى مقر القيادة •• هالو •• بيجال ــ عامل التليفون بمقر القيادة ــ اصغ الى •• انهم يقصفوننا بشدة قصف مدفعى ربما بالدبابات أيضا •• القذائف تسقط على مباشرة •• لا أعرف اين تسقط •• اعتقد ان الدبابات تطلق النار علينا من مربض الدبابات (على الجانب الآخر من القناة) ولكن مدفعيتهم هى التى توجه لى اعنف الضربات •

مقر القيادة : هل المدفعية على الجانب التابع لنـــا ؟

ميرك : لست متأكدا •• لا أستطيع ان احـــدد ولكن هناك قذيفة تسقط كل دقيقة (موجها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى •• اين شوكى ؟

جندى فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخندق التابع للموقع رقم ٤

ميرك :هل أنت متأكدا ؟ حسن •• هل تواصل ملاحظة ذلك الجانب ؟ أوكى •

* * *

ويسقط مزيد من القذائف والقنابل الهاون محققة اصابات مباشرة •

* * *

جندى فى الموقع رقم ٤ : شــوكى موجود فى الخنــدق • الممر المؤدى للموقعين رقم ٢ ورقم ٣ مسدود •

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الممرات المؤدية الى ٢ و ٣ سدت •

ميبرك : موجها كلامه اليهما معا : ستبقيان فى الموقع رقم ٤ أوكى ؟

* * *

ويدخل جندى برتبة سيرجانت ، يدعى باروخ خندق القيادة مترنحا ينزف دما من رأسه •• لقد مزقت احدى الشظايا خوذته ، وما زالت فى جانب من رأسه •• وقد قطعت اذنه وكانت تنزف ••

باروخ : ساعدونى يا أولاد •• ساعدونى •• ويهب جندى الشئون الطبية والطبيب لمساعدته ويتم انتزاع الشظية وتعطى له حقنة مسكنة •• ويستغرق باروخ فى النوم فى سرير الطبيب • ويستمر القصف ••

آفى : يجب ان نشرح للقيادة ان الأمور تزداد خطورة •

جندى : ابلغهم بأن لدينا اصابات •

ميبرك : وماذا اذا كانت هناك اصابات ؟

جندى : يجب ان يسرعوا •

ميبرك : (الى مقر القيادة) : انهم يقصفوننا •• لا أعرف من أين •

آفى : لا تجعل الأمور تبدو بسيطة بهذا الشكل أمامهم ••

ميبرك : وماذا يتعين علي أن أفعله ؟ لقد قلت انهم يقصفوننا • ثم ماذا ؟

آفى : بالغ فى الأمر بعض الشىء •• وبث بعض الحرارة فى الموقف ••

ميبرك : لقد بالغت فى الأمر (الى مقر القيادة) يجب ان أعرف من اين يقصـــفوننا •• انهم يطلقون قذائفهم علينـــا •• وهذا هو كل ما لدى (موجها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى الخندق رقم ٤ ••

آفى : اعتقد ان الخط قطع •

شلومو : (من خلال مكبر صوت) شوكى •• ارفع سماعة التليفون •

شوكى : (من خلال مكبر صوت :) تحدث الى عن طريق مكبر الصوت •

شلومو : (من خلال مكبر صوت) ان لديك تليفونا •• حاول ان تلتقط ســماعته ••

ميبرك : (الى آفى) اعطنى مقر القيادة من جديد • (ويقطع المكالمة للحديث مع الخندق رقم ٤) شوكى اين انت ؟ أريدك فى الموقع رقم ٤ ••

شوكى : من المستحيل الخروج •• فكل شىء ينفجر فى الخارج ••

ميبرك : ولكن لابد أن يقفز احــد الى هناك لكى يرى ما يحــدث فى الشمال •• أوكى ؟ (موجها حديثه الى آفى) والان اعطنى مقر القيادة •

آفى : مقر القيادة لا يرد •• اننى احاول طوال الوقت انهم يعتقدون ان لديهم الوقت الذى فى العــالم كله •• أولئك الرجال الذين فى مقر القيــادة •

مقر القيادة : هالو •• هالو ••

آفى : ايوه •• لحظة •• ياللعنة •• لقد قطع الاتصال مرة أخرى •
مقر القيادة : ايوه •• هالو •

آفى : هالو •• هالو (القذائف تنفجر كل بضــع ثوان وأصبح من المستحيل سماع شىء •• يصيح) ميبرك •• تكلم •

ميبرك : (الى مقر القيادة) هل تســمعنى •• اننا نتعرض للقصف الشــديد ••

يقع انفجار ضخم آخــر •

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الخندق رقم ٤ عزل تماما •• لقد حوصرت هنا •• هل استطيع العودة •• يجب ان يذهب احد بالقرب من البوابة ••

ميبرك : (الى مقر القيادة) والان اصغ لحظة •• بيجال •• بيجال ••

مقر القيادة : سوف تحصل عليها حالا ••

ميبرك : مــاذا ؟

مقر القيادة : المدفعيــة •

ميبرك : على ماذا ؟ ســأقول لك على ماذا يجب ان يطلقوا نيران المدفعية •• على مربض الدبابات ••

* * *

وفجأة تسمع اصوات المدافع الاتوماتيكية •

* * *

جندى : (بالحاح) انهم يطلقون نيرانهم •• انهم يطلقون نيرانهم من جهة الشمال •

آفى : شوكى •• ماذا يجرى ؟

شوكى : ماذا يحدث ؟ انهم يواصلون القصف •• لقد غادرت الخندق •• اننى فى الموقع رقم ٤ فى هذه اللحظة مدفون تماما وأحاول الخروج •• ربما ينجح شىء •

ميريك : شوكى •• قل لى هل ترى أى شىء من ناحية الشمال ؟ •• وما هـــذا القصف ؟

شوكى : انها هادئة الآن ••

* * *

ويهز الحصن انفجار ضخم •

* * *

ميريك : ما هـــذا ؟

شوكى : انه السقف يسقط فوقى ••

ميريك : اين أصابت القذيفة ؟

شوكى : لا استطيع الرؤية الآن •• اعتقد انها فى وسط الحصن •• ولقد أصيب أيضا الممر فى الموقع رقم ٤ •• وقد انهار كل شىء على السقف فوقى •

* * *

ويطلب شوكى ايفاد احد لتطهير المدخل الى الخندق رقم ٤ ولكنه يستطيع الخروج قبل ان يتم ذلك ••

* * *

شلومو : الموقع رقم ١ يقول انهم يسمعون صوت مدرعات ولكنهم لا يعرفون من اين تتقـــدم •• وهناك عربات نصف جنزير ، على طريق القنـــاة المواجه لنـــا ••

ميريك : اعطنى مقر القيادة •• مقر القيادة •• أصغ •• الحصن مرة أخرى •• نستطيع ان نرى أضواء على طريق القناة •• ونحن نتعرض للقصف بشـــدة ••

مقر القيادة : : بدلا من الكلام حدد لى أهدافا .

ميبرك : (وسط مزيد من الانفجارات) .. سأحدد لكم أهدافا .. بادىء ذى بدء طريق القناة .. الطريق كله .. تسير عليه عربات نصف جنزير .. والسؤال هو هل هى تابعة لنا أم لهم ؟ .. لا أعرف ولا أستطيع ان أرى فى الظلام .. أضربوا طريق القناة بأسره على طول المنطقة المواجهة لحصنى .. ثانى شىء .. اعتقد ان لديكم مدفعية كثيرة .. فاذا كان فى امكانكم ابدءوا الضرب فورا .. هل تسـمعونى ؟ لأنهم يمحوننا هنا تماما .. عن طـريق القصف .. مواقعنا الرئيسـية .. لا نستطيع ان نصل اليها لأنها قد سدت .. ولذا أريد الآتى : اقضوا على نقطة التجمع (ج) أشارة الى خريطة رمزية ــ وبعد ذلك أريد نيرانا بالقرب من الكنيسة فى الاسماعيلية .. يوجد موقع مدفعية هناك .. ثم على مربض الدبابات .. وكذلك ناحية الشمال .. على مسافة ٢٠٠ متر الى الشمال الشرقى .. والسؤال الآن هل تستطيعون ..

* * *

ويحـدث انفجار رهيب .

* * *

ميبرك : أوه .. كل الخنادق تنهار.. توجد اعـداد من الهليوكبتر هنـا .. أريد نيرانا سريعة الآن ابلغونى متى يمكنكم بدء القصف ..

جندى : هل من المستحيل عليهم ارسال تعزيزات ؟

ميبرك : الى أين ؟ هنـا ؟ اننا لا نحتاج لتعزيزات اننا نحتاج للاخلاء .. فما مبرر الاحتفاظ بالحصن هنـا ؟

جندى : الا يستطيعون ارسال أى نوع من المركبات الى هنا لأخذنا ؟

ميبرك : سوف نقتل فى الخارج .. واذا بعثوا دبابات فانها ستعطب خلال القصف .

* * *

ويرن جرس تليفون فى الخندق •• كان احد رجال المدفعية فى الموقع رقم ١

* * *

شارلى : اننى شارلى •• ماذا هناك ؟

ميرك :شارلى •• هل تسمعنى ؟ أريدك ان تطلق ضوءا ساطعا ، فى اتجاه الطريق الى الشرق اطلق الضوء فورا ••

ويقع انفجار هائل آخــر •

شوكى : (يتحدث تليفونيا من انقاض الخندق رقم ٤) •• لقد أصبنا الآن أصابة كبيرة •• اننا مدفونون تماما تحت الرمال •

ميرك : هل ترى أى شىء من طريق القناة ؟

شوكى : لا •• لا أرى شــيئا ••

ميرك : نعم بالتأكيد • أبلغونى انهم سيضربون الشمال وكذلك مربض الدبابات ، ونقطة التجمع (ج) ولكن ذلك سيستغرق بعض الوقت •• (مزيد من الانفجارات) اين أصابت الآن ؟

شوكى : لقد سقطت على رقم ٤ •• سقطت عليه مباشرة •• ووقع السقف كله فوقنــا •• ارجو ان نكون على ما يرام •• هل انت على ما يرام ؟

ميرك : (وصوته يختنق من التراب) لا نستطيع رؤية أى شىء •• هل تسمع • اننا نختنق هنا •• لقد كسر جهاز التهوية ••

* * *

كانت الصدمة التى وقعت من جراء القذيفة الأخيرة قد كسرت جهاز ضخ التهوية فى خندق القيادة •• وأرسل جندى شاب ، على شفا الفزع ،

لتشغيل الجهــاز باليد وكان الطبيب يغمس قطعــا من القماش فى الميــاه ويعطيها للجنود ليضعوها على افواههم ••

غير انه لم يكن هناك مزيد من القذائف •• فقد توقف القصف فجأة كما بدأ •• وبقى بعض الرجال فىمواقعهم متيقظين وعاد البعض الآخر الى خندق القيادة للراحة •• وبدأ فى تسجيل رسالة خاصة الى زوجته ••

***

آفى : داس هل تسمعيننى •• اشعر اننى أريد الحديث اليك ••

ويقطع التســجيل بيأس فانه يخشى انها قــد لا تسمع الشريط على الاطــلاق ••

وفى الساعة العاشرة والربع ، من صباح اليوم التالى ـــ الاثنين ـــ كان الطبيب ومســاعده الطبى مشغولين •• وكان السيرجانت باروخ الذى جرح فى اليوم السابق يتجول الآن حاملا حقيبة الحقن •• وكان الجنود الذين يشعرون بآلام فى الظهر يحضرون الى خندق القيادة •• انهم لم يتبولوا منذ يومين وقد صدرت اليهم الأوامر بأن يشربوا كميات كبيرة من الميــاه ••

ودارت مناقشة خفيفة بين آفى والطبيب حول الوقت الذى ستصل فيه القوة الجوية الاسرائيلية •• قال الطبيب الساعة العاشرة و٢٠ دقيقة وقال آفى العاشرة والنصف •

***

ميرك : (فجأة) : ناقلات الجنود المدرعة تتحرك نحونا ••

الطبيب : (من خلال مكبرات الصوت) عودوا الى مواقعكم •• عودوا الى مواقعكم ••

ميرك : انهم يتقدمون نحونا •• هل تفهمون ؟

شوكى : ماذا جرى لمدفعنا الهاون والبازوكا ؟

ميبرك : هاون •• أى هاون •• أى بازوكا ؟

دعهم يضربون بالمدفعية •• (موجها حديثه الى آفى) ابلغ المدفعية انهم يتقدمون نحونا ويدخلون الموقعين (أ) و (ب) ••

آفى يبلغ مقر القيـــادة •

مقر القيادة : لحظة واحـــدة •

آفى : يالهذه اللحظة الواحدة التى يرددونها ••

ميبرك : (بنفاذ صبر الى مقر القيادة) ثمان ناقلات جنود مدرعة تطلق النيران علينا •• (زئير طائرة •• قنبلة تنفجر •• اضطراب صيحات الفـــرح) •

الطبيب : رائع •

ميبرك : طائرة •• الطائرات تتقـــدم •

مقر القيادة : هل ناقلات الجنود ما زالت تهاجمكم ؟

ميبرك : (مؤكدا) نعم •• ولكن الطائرة تقصف •• وتنفجر قنبلة بالقرب من الحصن ••

***

وينتهى الابتهاج فجأة عندما بدأ الاسرائيليون يدركون ان الطائرة ليست تابعة لهم ••

***

الطبيب : لم يطلق المصريون النار على الطائرة اطلاقا •

ميرك : لم يطلقوا النار لأنها طائرتهم .

* * *

وأصبح المصريون على مسافة ٢٠٠ ياردة من مدخل الحصن .. وخرج ٨٠ جندى من ناقلات الجنود وشرعوا فى التقدم .. وفتحت المدافع الأتوماتيكية الاسرائيلية فى الموقعين رقم ١ و ٢ نيرانها .. وفى خندق القيادة يسحب الرجال اسلحتهم ويستعدون للقتال بالايدى ..

* * *

المساعد الطبى : آفى .. هل هذا مدفعك الاوزى الرشاش ..

آفى : لا أعــرف ..

الطبيب : انه مدفعى .

ويرن جرس التليفون ..

مقر القيادة : ما هى مشكلتكم ؟

ميرك : ما هى مشكلتنا .. ان عشر ناقلات جنود مدرعة تواجهنا .. الجنود ينتشرون ويتقدمون نحونا وفضلا عن ذلك فان سلاحهم الجوى كان يلقى بقنابله علينا .. وانتم تسألون ما هى مشكلتنا ؟

مقر القيادة : ايها الابطال .. استمرا فى ضربهم بأعنف ما تستطيعون .

ميرك : اننا نطلق النار عليهم .. ولكن اين مدفعيتكم ؟

مقر القيادة : سوف تأتى المدفعية حالا .. يستغرق الأمر بعض الوقت للحصول عليها ..

مييرك : ولكن ابدءوا فورا لاننى اطلبها منذ فترة طويلة •

مقر القيادة : أوكى •• لقد بعثت بها بالفعل •

ميبرك : ايوه •• ايوه •• فى الحال ••

* * *

مقر القيادة : هل حققنا أية اصابات ؟

ميبرك : انكم حتى لم تطلقوا النـــار ••

مقر القيادة : يا لجهنم •• أصغ •• سوف تكون هناك بعض المدفعية حالا •• اننا مقصرون قليلا •• اصبروا يا رجال وســيكون كل شىء على مايرام •

ميبرك : (بسخرية) مؤكد •• مؤكد •• سنتحلى بالصبر ••

مقر القيادة : هل انتم من القدس ؟ برافو (وبعد دقائق) ما هو الموقف الآن ؟ •• على ما يرام ؟

ميبرك : يا الهى •• ما هو الذى يجب ان يــكون على ما يرام ؟ ان ناقلات الجنــود المدرعة التى كانت على الطريق ، دارت الى الخلف وانزلت رجالا وتركت علامات تشــير الى الاتجاه الذى يجب الهجوم منه •• ويبدو انهم يدبرون لهجوم آخر فى المساء أو الليل •• والآن ذهبوا فى اتجاه الشمال •• وهناك شىء آخر أريد أن اعرفه : ماذا تفعلون بالجسر الجديد الذى اقامه العدو ؟ انهم يرســلون قوات عبر القناة بلا توقف ••

مقر القيــادة : اين الجسر ؟ هل هو بعــد النصب (نصب تذكارى للجندى البريطانى المجهول على الضفة الغربية بالقرب من الاسماعيلية)

ميرك : لقد أبلغتكم أين يوجد •• بجانب النصب بالضبط •

مقر القيادة : سأقول للفرقة •• وسيهتمون به •• (ويهدأ القتال ويذهب احد الجنود الى بقايا غرفة طعام الحصن بحثا عن سجائر •• ويقوم آخرون بترتيب خندق القيادة وتنظيف أرضيته) •

مقر القيادة : انتبه الحصن •• سوف نطلق كميات ضخمة من المدفعية فى اتجاهكم •• سوف ترون اصابات كثيرة •• ابلغونا بالاصابات •• اذا لم تكن على ما يرام سنصحح الضرب •• اننا نطلق النيران الآن (توقف) هالوا يا حصن هل رصدتم اية اصابات ؟

ميرك : لم نرى أى شىء ••

مقر القيادة : لم تروا أية اصابات ؟

ميرك : لا ••

مقر القيادة : ابق على الخط •

الطبيب (ساخرا) : ياله من عمل هذا الذى يقوم به رجال المدفعية انه مرعب •

* * *

وفى النهاية يصل الضرب المدفعى الموعود ، منذ فترة طويلة ويسقط على الهدف ، حيث كان المشاة المصريون يرابطون فى الخنادق خلف الحصن •• وبعد انتظار طويل ، استحق الاسرائيليون المديح لدقتهم •• ولم يستمر القصف طويلا •• كان الحصن الشمالى فى متاعب ضخمة •• ان جميع الحصون متصلة سويا بالراديو ، وكان الرجال فى خندق القيادة يسمعون صرخات طلب النجـــدة •



الحصن الشمالى : انهم يواصلون قصفنا •• نحتاج مدفعية نرجوكم ارسال طائرات •• تلك الدبابات ليست تابعة لنـا •• انتباه •• اننا محاطون بالمعنى الحرفى للكلمة بعشرات الدبابات وهناك الجنود الذين يتقدمون نحونا • لابد أن نحصل على طائرات لتدميرهم •

* * *

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) •• كبداية •• نقدم الآن تعزيزا بالمدفعية وسوف نستمر فى القصف طول الوقت •

(ويواصل الحصن الشمالى الصمود) •

آفى : ما يقلقنى هو القميص الذى تركته بالخارج يوم السبت سوف آخذه معى فى نهاية الحرب لأقدمه هدية •

الطبيب : هل تأمل فى ذلك ؟

آفى : توقف عن مسألة « آمل •• آمل » هذه •

الطبيب : وهو كذلك •• أننى أثق فى قواتنا الجوية •• سوف يرسلون طائرات ومقاتلات وسوف يدمرون المنطقة كلها •• وبعد ذلك سـوف يقومون بعملية انزال لقوات المظلات •• وسيكون هذا نهاية المطاف •• بضعة جنود من قوات المظلات سوف يقومون بالعمل ••

جندى : ماذا عن الحصن الشمالى ؟

آفى : لم يسقط بعد •• اننى آسف لحالهم •• فانهم يتعرضون لضغط مريع •

الحصن الشمالى : (لمقر القيادة) انهم يطلقون نيران المدفعية علينا •• نطلب مساندة جوية •• المدفعية على مسافة ٧٠٠ متر الى الجنوب •• انها مركزة ــ ٧٠٠ متر الى الجنوب •• اطلقوا النيران •• اطلقوا النيران ••

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) أننا نقوم بارسال المدفعية لكم .
الحصن الشمالى : أطلقوا النيران .. أطلقوا النيران ..

* * *

ويبدأ مارشيانو فى الغناء لكسر التوتر الذى يسود خندق القيادة ، ويغنى بصوت أجش « انتظر قليلا .. وبرهة أخرى قصيرة » وينضم اليه الطبيب ..

* * *

الحصن الشمالى : توجد قوة ضخمة من هاونات العدو الى الجنوب الغربى منى .. والآن توجد قوة ناحية الشرق .. أنهم يتقدمون من الجنوب .. أحضروا الطائرات ..

تفوق طاغ علينا .. هذا طلب اغاثة عاجلة .

وبدأ أحد الجنود الشبان فى خندق القيادة فى الانهيار تحت ضغط الموقف .. ويشرع مارشيانو فى الغناء من جديد ..

* * *

آفى : هذا هو الحل يا أولاد .. دعونا نغنى لنحتفظ بروحنا المعنوية .. أنظر أيها الجندى .. أننى أيضا متزوج وعندى ثلاثة أطفال ..

الطبيب : كل فرد هنا عنده أولاد .. أنظر .. سأريك صور أبنتى ..

الحصن الشمالى : حشود ضخمة للغاية لقوات العدو ناحية الجنوب .. دبابات ناقلات جنود مدرعة ومشاة .. ابعثوا بالمدفعية .. أرسلوا طائرات .. بسرعة .. حالا .. أطلب اهتماما سريعا وفوريا لطلبنا .. الرجال هنا يتعرضون لضغط كبير .. لسنا قوة كبيرة هنا ..

الطبيب : ان الأمر كما اعتقدنا .. الموقف سىء فى الشمال ..

جندى : انهم يواصلون طلب النجـدة ••

ويغنى مارشيانو « هافا ناجيلا » دعونا نحتفل وندخل البهجة للقلوب •• ولكن العلاج هذه المرة لا ينجح ••

الطبيب : (الى الجنود) •• لماذا تشعرون بالقلق ؟ •• اننا لم نفقد أحـدا بعد •• لم نفقد أليس كذلك ؟ بلى ! ولم يكتسحوا الحصن •• أليس كذلك ؟ بلى •• وعلينا أن نحافظ على روحنا المعنوية عالية ••

الحصن الشمالى : توجد حشود ضخمة على مسافة كيلو متر ونصف الى الجنوب •• مزقوها •• دمروها بشـدة ••

وفى تلك اللحظة يهتز خندق القيادة بفعل انفجارات ضخمة وبدأت المعركة من جـديد •• ويسمع الرجال عبر مكبرات الصوت قائد حصن آخر على مسافة خمسة أميال الى الجنوب وهو يعلن ان موقعه يتعرض للهجوم من جانب المشـاة والدبابات المصرية •• انهم لا يسـتطيعون الصمود أكثر من ذلك •• كذلك فان الحصن الشمالى كان يتعرض للهجوم الى جانب الدبابات المزودة بقاذفات اللهب •• ويسمع الرجال أصوات صراخ أثناء استخدام هذه الاسلحة الرهيبة ضد الخنادق •• ثم يخيم السكون •• ويستمر مقر القيـادة فى توجيه ندائه للحصن الشـمالى بلا مجيب ••

وعندما يخيم ظلام ليلة الاثنين كان يمكن مشـاهدة المصريين وهم يحتشدون على الطريق الواقع خلف الحصن ، استعدادا لهجوم جديد •• واستطاع رجال ميبرك ان يروا الدبابات المزودة بقاذفات اللهب وتوقعوا مصيرهم •• وفى الساعة الثامنة انطلقت احدى ناقلات الجنود المدرعة للعدو ناحية الحصن •• ويضع جنديان عربيان مصـابيح على جانبى البوابة ثم تنسحب الناقلة ••

ميبرك : أيها الأولاد •• سوف نغادر الحصن الليلة ! ولكن علينا أن نطلب تصريحا رسميا •• فعلى أية حال هذا ليس ماخورا ••

مقر القيادة : (بعد أن قدم ميبرك طلبه) : سوف تسير الأمور على ما يرام اذا بقيتم ••

ميرك : لا أريد أى وعود جديدة •• أريد ردا فى غضون عشر دقائق ••

* * *

ويحصل على الرد من ميجور جنرال شارون شخصيا ••

* * *

شارون : ليس امامكم فرصة كبيرة •• ونحن لا نستطيع أن نحضر لمساعدتكم ••

ميرك : سوف نغادر على أية حال ••

شارون : حسن اذا كنت تعتقد أن ذلك سينجح ، نفذه •• اعتنوا بأنفسكم •• وحظ سعيد ••

* * *

ويستعد الرجال الذين قضوا الستين ساعة الأخيرة بدون نوم •• ويملأون زمزمياتهم بالمياه ويرتدون جاكتات واقية ثقيلة •• ويجمعون أسلحتهم •• مدفع أوزى وقنبلتان يدويتان لكل فرد •• ومدفع بازوكا وست مدافع أوتوماتيكية بالاضافة الى ذخيرة وطلقات اضاءة ••

* * *

ميرك : هدفنا الرجوع سالمين بأدنى قدر من الخسائر •• والشيء الرئيسى هو الاستمرار فى التحرك الى الامام وعدم التأخير ، فاذا أطلق علينا النار ، حاولوا القتال ، ارهقوا العدو وتحركوا الى الامام بسرعة ••

وفى الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثاء وبينما كان القمر قد بدأ فى المغيب تسلل الرجال الثلاثة والثلاثون من الحصن وشرعوا فى المسير وسط الظلام الدامس •• وفى الخارج انقسموا الى قسمين •• ميرك وآفى يتقدمان احدهما وشوكى وشلومى يتقدمان الآخر •• ويسيران منفصلين ولكن فى نفس الاتجاه العام : ثلاثة كيلو مترات الى الجنوب

بمحاذاة ضفة القناة ثم الاستدارة ناحية الشرق وعبور طريق القناة وبعد ذلك السير ١٣ كيلو مترا ناحية الشمال الشرقى عبر الكثبان الرملية ..

وفى الساعة الخامسة والنصف يبزغ الفجر ويدرك مبيرك ان جماعته ضلت الطريق .. ويغير الاتجاه ناحية الشمس الآخذة فى الشروق .. ويخلعون جاكتاتهم الثقيلة ويدفنونها فى الرمال . .وفجاءة تقترب منهم الدبابات بسرعة فائقة من جميع الجهات .. وقد احصوا ، ٣٠ دبابة نصفها اسرائيلى . لقد حوصروا وسط قوتين متعارضتين فيما يبدو فى معركة كبيرة من معارك الدبابات ..

ويسرعون الى الاختباء فى مكان داخل الكثبان الرملية بينما كانت القذائف تنفجر من حولهم من جميع الجهات وطائرات الميج والفانتوم تتصارع فى السماء فوق رءوسهم .. ويتم اسـقاط طائرتى ميج ويهبط قائداهما بالمظلات فى الصحراء القريبة .. وتتاقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم أخذهما أسرى ولكنهم يقررون عدم تعقيد الأمور .. ومع شروق الشمس يرصدون المجموعة الأخرى من الرجال على مسافة كيلو متر .. انها مجموعة شوكى وينضمون لبعضهما البعض ويتبادلون التجارب التى مرت بهم أثنـــاء الليل ..

ويكتشف آفى ان أحد الجنود قد انقـــذ ، رغم التعليمات الصارمة ، جهار تسجيل صغير يعمل بالبطارية من الحصن .. ويشعر بالضيق من الجندى لعدم اطاعته الأوامر وحمله ثقلا اضافيا ولكنه يستغل الفرصة ويفتح الجهاز لتسجيل المناقشة .. وبعد مناقشة قصيرة يتابعون السير ويطلق المصريون عليهم طلقاتهم ويتعرضون لنيران الدبابات ثم ترسل القيادة اليهم دبابة لانقاذهم ..

اما بقية القصة فهى عملية الانقاذ التقليدية المعروفة .. ولكن المصريين يرصدون الدبابة بعد أن صعدوا عليها ويوجهون اليها كل أنواع الأسلحة بما فيها الطائرات ولكنها لا تصيبها ويصـل الرجال فى النهاية الى مقر القيادة فى « كاسا » ســالمين . .ويستقبلونهم هناك استقبال الابطال ويسمحون لهم بالاتصال بعائلاتهم ثم يمنحون اجازة أسبوع وكانوا على مسافة ٧٠٠ ميل من وطنهم ولا توجد أية وسيلة للمواصــلات يمكن

الاستغناء عنها •• ولم يكن أمامهم من خيار سوى العمل على ايقاف السيارات فى الطريق ولم يكن لدى آفى القوة لذلك •• ويرى آفى طائرة هليوكبتر تابعة للميجور جنرال شمويل جونين الذى كان القائد المسئول عن الجبهة الجنوبية ويرجوه السماح له بالسفر معه ••

جونين : أوه •• أنك أحد الرجال الذين أنقذناهم من الحصن ••

آفى : لا ! أننى أحد الرجال الذين أنقذوا أنفسهم ••

* * *

وبعد انقضاء اجازاتهم قضى رجال مييرك بقية الحرب فى أريحا ينتظرون هجوما من جانب الاردنيين وهو هجوم لم يقع على الاطلاق •• وعندما تم وقف اطلاق النـــار فى ٢٢ أكتوبر كان الحصن الذى قضـــوا فيه ٦٠ ساعة مروعة ، وبالتالى جهـــاز التسجيل الآخر الخـــاص بآفى ــ تحت سيطرة المصريين المحكمة ••

●●● « ماذا يقول..اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فى ذلك الوقت..عن قصة سقوط هذا الحصن ، كما نشرها كاتب السنداى تايمز ؟ .. ان تعليق اللواء سعد مأمون يكشف شيئا هاما . ان هذه القصة تعترف لأول مرة بأن الجنرال « ايريل شارون » كان يتولى قيادة قوات العدو على المحور الأوسط فى اتجاه الاسماعيلية منذ اللحظة الأولى من الحرب (جنوب وشمال الاسماعيلية) . وأن سقوط خط بارليف فى هذا المحور تم على يد الجنرال شارون نفسه!»●●●

البطولة .. فى الانسحاب !

تعليق اللواء سعد مأمون

قال اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى خلال المعركة :

من المحتمل أن تكون هذه القصة حقيقية وقد تكون خيالية أو مزيجا بين الاثنين بهدف محاولة اثبات أن هناك قوة اسرائيلية تعدادها لم يزد عن ٣٢ فردا صمدوا ثم انسحبوا بالكامل من أحد المواقع الحصينة لخط بارليف فى منطقة الاسماعيلية فى قطاع الجيش الثانى .

ومن الواضح أن مزج جزء من الحقيقة بالكثير من الدعاية الخبيثة وسردها بطريقة انسانية بسيطة هى الطريقة المثلى الآن لتشويق القارىء، فمن من القراء يسمع عن تسجيل حى حقيقى لما دار خلال الستين ساعة الأولى لحرب أكتوبر من أحد الحصون الأمامية لخط بارليف فى جهاز تسجيل يصف أحداث الستين ساعة الأولى من الحرب ويسجل أصوات المدافع والطائرات والدبابات كما يسجل ما دار من أحاديث بين الرجال ويصف مشاعرهم علاوة على ما سجله من نقاش وحوار دار بين الجنرال اريل شارون من مركز قيادته فى سيناء فى الأيام الأولى للحرب وبين قائد هذا الحصن .. من يمكن ألا تشده هذه القصة . ويقرأها ويصدق كل ما فيها .. ومن خلال القصة المشوقة ، لا مانع من دس السم فى العسل !

ومع هذا سأفترض أن القصة وحوارها صحيحة ١٠٠٪ ، ان كل سطر من سطورها يروى فخرا للمقاتل المصرى وعلى النقيض فان الفخر الاسرائيلى فى هذه القصة هو كيفية انسحاب قوة اسرائيلية من حصن من حصون بارليف . وجدير بالذكر بل جدير بالفخر أن أذكر هنا جزءا من حديث ايجال ألون الذى ظهر فى جريدة « الأخبار » يوم الخميس ٢٥ أبريل ١٩٧٤ والذى قال فيه « أن أمر الانسحاب قد انتهى من القاموس العسكرى المصرى » . وشتان بين حالين فمقارنة بسيطة بين قوة هذا

الحصن والقوة المصرية التى دافعت وصمدت أكثر من ١٢٠ يوما فى كبريت ولم تستسلم قط للعدو تبين الفرق بين المقاتل المصرى والمقاتل الاسرائيلى.

وسأحاول فى السطور التالية أن ألقى بعض الضوء على ما جاء فى هذه القصـــة :

١ ــ من الواضح أن هناك ارتباكا فى التفكير الاسرائيلى، هل من الأفضل لهم أن يعترفوا بأنهم فوجئوا ،أم الأفضل أن يؤكدوا أن الشواهد كانت تدل على أن شيئا ما سيحدث على جبهة قنـــاة السويس ، وأنهم كانوا يعلمون وتوقعوا الحرب على الأقل وطبقا لتقديراتهم كانوا متأكدين من أن الحرب واقعة لا محالة وبصفة خاصة خلال الــ ٢٤ ساعة الأخيرة قبل السادس من أكتوبر .

وظاهر من القصة أن القادة المحليين بل القيادة فى سيناء كانت تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ومع هذا شل التفكير الاسرائيلى فى اتخـــاذ الاجراءات المناسبة لمجابهة الموقف حتى آخر دقيقة .

٢ ــ يتصور الاسرائيليون أن الموجات الأولى التى اقتحمت القناة هى من الكوماندوز المصريين .. ظهر كل ذلك فى ســـياق القصـــة وفى جميع حلقاتها .. متصورين أن من قام بهذه الأعمـــال البطولية أمام القوات المقتحمة لابد أن يتصف بصفات خاصة .. لهذا فهم كوماندوز ، والواقع أن الكوماندوز قامت أجزاء منها بالعبور فى الموجات الأولى وكان لهـــا أهداف خاصـــة .. أما كل ما ذكر فى هذه القصـــة عن الكوماندوز الذين تقدموا صفوف المشاة ، فانهم فى الواقع أفراد عاديون من المشاة كانت لهم أهدافهم .. وما البطولات التى قاموا بهـــا الا بطولات من أفراد عاديين أسوة بعشرات الآلاف من المقاتلين الآخرين .. ولكنه اعتراف ضمنى بأن قواتنا المسلحة كلها فى حرب أكتوبر ما هى الا كوماندوز وعملت بروح الكوماندوز .

٣ ــ ما هو رد الفعل من القوات الاسرائيلية فى حصون خط بارليف ضد الهجوم المصرى ؟ ..

طبقا لمــا جاء بهذه القصة •• ارتباك واضح فى كل شىء •• شلل فى التفكير •• سلبية فى الاجراءات على كافة المستويات •• القاء اللوم كل على الآخر •• فقــدان الثقــة فى القيــادة •• ضعف غريب فى التدريب الاسرائيلى وكفاءة أسلحتهم •• هل هذا التعليق أو التحليل من عندى ؟•• أبدا أنه من سياق القصة •• ماذا قيل فيها ؟ •• يكفى اعادة ذكر بعض منه:

ـــ كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين فى الحصن فى حالة من الذهول الشديد من جراء الهجوم لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على طائرات الهليوكوبتر •

ـــ كان جنود الملاحظة فى المواقع المتقدمة يشكون متسائلين : لمــاذا لم يتدخل سلاح الطيران الاسرائيلى، فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات الى حطام ••

ـــ واستطاع نائب ميرك (قائد الحصن) أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وبعث بتقرير يقول أن الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجىء لمساعدة الحصن •• وقال أنها فى حالة فوضى شاملة ••

ـــ وفى تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعى ضد المصريين •• ومع هذا كان القصف سلبيا بعيدا عن الأهداف المحددة •

٤ ـــ ظهر للعدو فى هذه المرة أنه أمام حرب حقيقية « جهنم دموية » كما ظهر تماما أن الاسرائيلى اذا لم يحارب فى ظروف مواتية وفى تفوق عظيم على خصمه ، ينهار تماما ويكون كل هدفه هو الانسحاب من هذا الموقف •• وليس أدل على ذلك مما ذكر على لسان بطل القصة من أنه لم يمر بمثل هذا الموقف من قبل •• لقد كان الموقف دائما أن العــدو على مسافة كيلو متر وعلى مسافة ٢٠٠ متر وأمامه مباشرة •• ولكن أن يكون العدو من حوله من جميع الجهات فهذا شىء آخر ••

٥ ـــ كما أن هناك شيئا آخر وضح تماما باعترافهم وهو أن المصريين كان لهم ـــ طبقا للتخطيط • أهداف معينة لا يحيدون عنها •• فمثلا كان هدفهم فى هذا القطاع هو الوصــول بأسرع ما يمكن بقواتهم الى خلف

العدو •• خلف خط بارليف •• وحصار المواقع التى لاتشكل تهديدا مباشرا للخطة •• على أن تصفى الحصون المتبقية فى توقيتات تالية •• ولم تحد القوات المصرية عن أهدافها أبدا ••

٦ ــ اتضح أن الجنرال ايريل شارون كان يتولى قيادة قوات العدو على المحور الأوسط فى اتجاه الاسماعيلية « جنوبها وشمالها » منذ اللحظة الأولى من الحرب •• هذا الجنرال الذى حاولت اسرائيل اظهاره بأنه أحد عباقرة الحرب ••

ومع هذا فان الشىء الوحيد المؤكد وبصفة خاصة خلال المراحل الأولى من الحرب أن أعظم نجاح للقوات المسلحة المصرية كان فى هذا القطاع (جنوب وشمال الاسماعيلية) وتكسرت جميع موجات الهجوم المضاد والمحاولات الاسرائيلية لتدمير قواتنا فى هذا الاتجاه والذى بلغت ما لا يقل عن ٣٦ محاولة باءت جميعها بالفشل • أى أن سقوط خط بارليف جنوب وشمال الاسماعيلية كان على يد الجنرال شارون نفسه •

والغريب فى الأمر أن كل هدف الجنرال شارون كان هو تخليص القوة من المــأزق التى كانت فيــه وليس تدمير القوات المصرية التى تقــوم بالهجوم على خط بارليف •

٧ ــ ظهرت كفاءة المقاتل المصرى فى القتال ضد مدرعات ومجنزرات العدو • فلقد باءت جميع محاولات العدو الاسرائيلى فى فك الحصار حول هذا الحصن حتى فى ما يدعى أنه ماهر فيه وهو القتال بالمدرعات والوحدات المجنزرة • فواضح من القصــة أن الوحــدة نصف جنزير اضطرت الى الانسحاب فى النهاية •كما يواصل الحصن الشمالى (فى منطقة الفردان) فى طلب النجــدة •

٨ ــ كان العدو دائما يفتخر بمدفعيته وفى جميع سطور القصة كان العتاب بل السب لا ينقطع عن ضعف مدفعيته فى أصابة المصريين •

ولقد جاء اليوم الذى يعترف فيه العدو ــ بل يعترف العالم أجمع ــ بكفاءة المقاتل المصرى فى العمل ضد مدرعات العدو •• ففى كل معركة سواء كانت بين المشــاة أو المدرعات المصرية ومدرعات العدو لم تذكر

القصة معركة واحدة نجحت فيها المدرعات الاسرائيلية • ومع أن هذا الحصن كان له أهمية كبيرة لدى القيادة الاسرائيلية ، فان الاسرائيليين لم يتمسكوا به •• أسوة بباقى حصون خط بارليف •

٩ ــ وعندما نتوغل فى الجزء الأخير من القصة يثبت لنا كفاءة نيران مدفعيتنا ودباباتنا • لقد وصفت القصة مدى دقة قصف حصون العدو والحالة النفسية التى كان عليها جنــود العدو • وكيف تهدمت المواقع والحصون على من فيها • ولقد كان الاختباء خلف وتحت التحصينات هى كل ما يهم الاسرائيليون فى هذا الحصن • ولم يكن القتال والدفاع عن الحصن نفسه • بل كان اهتمام بعض الجنود فى ان يبالغ القائد فى وصف سوء الموقف حتى تضطر القيادة الى العمل بسرعة لانقاذ القوة • لقد كان العدو يعيش فى ضباب • لا معلومات •• لا تقدير حسن للموقف •• كل شىء غامض •• لاثقة للمرءوسين فى الرؤساء •• بل لاثقة للمرءوسين فى أنفسهم •• ماذا كانت عليه الروح المعنوية للعدو حقيقة ؟ •• هل كانوا يريدون القتال ؟ •• أبدا ••

ولنكرر مرة أخرى بعض ما جاء على لسان أبطال القصة :

ــ أننا لا نحتاج الى تعزيزات •• اننا نحتاج للاخلاء •• فما هو المبرر للاحتفاظ بالحصن هنا ؟ •

ــ سوف نقتل فى الخــارج •• واذا بعثوا دبابات ســتعطب خلال القصف •

ويشمل الحوار وصفا يبين كيف اطبقت قواتنا المسلحة المصرية بالدبابات والمشاة الميكانيكية والمشاة على حصون خط بارليف • والوصف بلسانهم يدل على مدى احكام الحصــار المصرى على احــد حصون خط بارليف الأخرى وهو موقع الفردان شمال الاسماعيلية •

لقد كان كل هدف القيادة الاسرائيلية هو بث الطمأنينة فى قواتها فى خط بارليف وان يتحلوا بالصبر بوعدهم بمساعدات سواء من الطائرات أو من المدفعية •• ولكن دون جدوى •

١٠ ــ وأخيرا نقرأ أن القــوة الاسرائيلية نجحت فى الانسحاب ..
بطولة فى الانسحاب ! .. ولذلك فقد استقبلت عند عودتها فى مركز القيادة
استقبال الابطال !

ولكننا نريد ان نتساءل هنا .. هل تمكنت القوة ــ وعددها ٣٢ أو
٣٣ فردا ــ جميعها من الانسحاب .. أم أنه نصف هذا العدد أو ربعه ..
أو لعله بطل القصة فقط ؟ .. الله أعلم ! ..

وعندما نقرأ وصفهم لكيفية سقوط حصون بارليف الواحد تلو الآخر
فى يد قواتنا المسلحة .. نفهم من سياق القصة ان الذى سقط هو حصون
الفردان شمال الاسماعيلية وحصون الدفرزوار جنوب الاسماعلية وان
البطولة انحصرت فى كيفية هروب ابطال هــذه القصة من يد القوات
المسلحة المصرية .. وياله من فخر !

ويثور السؤال .. متى بدأ التفكير الجدى فى الهرب من الحصن ؟ ..
والجواب عندى أن الهرب بدأ عندما أحست قوات الحصن ان الدور قد
جاء عليها وان القوات المصرية قد قررت بشــكل لا لبس فيه ــ طبقا
للتخطيط ــ الهجوم على هذا الموقع الحصين ورتبت أمورها ..

وكان الواجب القتالى يقتضى الدفاع عن الحصن لآخر طلقة ولآخر
رجل .. هذا ما يتعلمه العسكريون ــ ألف باء العسكرية . .ولكن لا ..
لقد أصبحت البطولة الاسرائيلية فى الانسحاب .

ومن المخجل ان الجنرال شارون كان يريد من هــذه القوة البقاء فى
مواقعها والقتال وان الموقف سوف يسير على ما يرام اذا ما بقيت فى
مكانها .. ولكن كان الحاح قائد الحصن على الانسحاب وضغطه على
قيادته سببا فى موافقته على الانسحاب . ولكن هل كان الجنرال شارون
مقتنعا حقيقة بقراره للقوة ببقائها فى مواقعها للقتال ؟ .. الجواب بالنفى ،
ويتضح ذلك من رد شارون على قائد الحصن عند طلبه الانسحاب واصراره
عليه .. قال شارون : « ليس أمامكم فرصة كبيرة .. ونحن لا نستطيع
ان نحضر لمساعدتكم .. واعتنوا بأنفسكم » .. الى آخر ما قاله ، وجاء
فى القصة على ألسنتهم ..

١١ ــ ثم ملاحظة واحدة •• لقد جاء على لسان بطل القصة أن طائرات الفانتوم والميج كانت تتصارع فى السماء بينما معركة دبابات من الطرفين كانت تدور رحاها امامهم وزعم أنه تم اسقاط طائرتين من طائرات الميج وهبط قائداها بالمظلات فى الصحراء القريبة وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم أخذهم أسرى ولكنهم يقررون عدم تعقيد الأمور ! •• يالها من ايجابية فى العمل •• وشجاعة فى القتال ! ••

* * *

١٢ ــ وفى النهاية أريد أن أوكد حقيقة واقعية بصفتى قائدا للجيش الثانى الميدانى فى ذلك الوقت •• وهو أننا أقتحمنا هذا الموقع وكان به الاسرائيليون بين قتلى وجرحى وأسرى • وان كان قد هرب جزء منهم ــ ولعل هذا أيضا غير صحيح ــ فقد لا يزيد ذلك عن أصابع اليد الواحدة • وكان اجمالى قتلى العدو لهذا الموقع هو ٢٣ قتيلا وتم أسر خمسة اسرائيليين ــ أى أن الذين هربوا لم يزيدوا عن خمسة •

ومرة أخرى أكرر •• أنه حتى ولو كانت هذه القصة حقيقية ١٠٠٪ فانها فخر للمقاتل المصرى سواء بين ثنايا القصة أو فى مدلولها العــام •

أمامى ٢٥٠ قتيلاً .. يا شارون !

لم تكن صرخات الاسرائليين فى هذا الحصن .. هى صرخات الفزع الوحيدة وطلب النجدة اليائســة التى سمعها ايريل شارون قائد القطاع الأوسط الاسرائيلى ، الذى وصل مقر قيادته فجر يوم الاحد ٧ أكتوبر كما تعترف التسجيلات .. لقد تلقى شارون صرخات باكية أخرى على مدى أيام القتال الشرس .. التقطتها أجهزة الاستماع المصرية .. وهذه واحدة منها ، كانت الصرخة فى اشارة تليفونية فى الساعة السادسة من صباح الاربعاء ١٠ أكتوبر . كان المتحدث هو قائد طائرة هليوكبتر جاء لنقل جرحى وقتلى معركة مشهورة لن ينساها الاسرائيليون ، وقعت على بعد ١٧ كيلو مترا شرق الحصن الذى نشرنا تسجيلاته . أسمها معركة « المثلثات المائة » .. وهى باسم تبة ارتفاعها مائة متر ، قررت القوة المصرية فى القطاع الأوسط أن تستولى عليها لتسيطر على المنطقة كلها وهى متقدمة الى الشرق .

وكان قائد الهليوكبتر الاسرائيلى يبكى وهو يتحدث الى شارون . والتسجيل موجود فى ادارة المخابرات العســكرية المصرية . وبصوته المختلط بالدموع كان يقــول : « الموقف خطير .. أمامى ٢٥٠ قتيلا غير الجرحى . أرسلوا بسرعة طائرات هليوكبتر لتساعد فى نقل الضحايا » .

وأقفل التليفون ..

* * *

ولا أريد ان استطرد الآن فى رواية تفصيلات هذه المعركة المشهورة التى يعرفها شارون جيــدا ..

ولكننى أبدأ القصة من أولها .. لأروى على لسان أبطالنا ، قصة هذا الحصن الذى سجلوا بأصواتهم أحداث انهياره ، وان زعموا فى نهاية

المطاف أنهم جميعا (٣٣) تمكنوا من الهرب حتى وصلوا الى مقر القيادة فى الطاسة فجر الثلاثاء ٩ أكتوبر ..

لقد قرأ العقيـــد المصرى قائد اللواء مشاة ، الذى كان على عاتقه مجهود ضخم فى الخطة الموضوعية للهجوم على المحور الأوسطفىسيناءأمام الاسماعيلية .. قرأ القصة كما نشرتها السنداى تايمز . وابتسم بهدوء وقال بصوت خفيض . الحمد لله أنهم يعترفون ، ولكن لعلهم حتى الآن لا يعرفون ..

لقد استمالنى هذا الرجل بوجهه الجاد .. وكلماته المحددة .. وعباراته المختصرة وبساطة تعبيره ، وهو يروى بكل ثقة ، كل حقائق ما جرى .. وبعضا مما سجله فى يوميات المعركة .. ونحن نتجول معا .. يصحبنا بعض الأبطال ، على أرض المعركة ..

ــ هذا هو الحصن الذى يتحدثون عنه .. لقد أصبح حطاما ..

ونتوغل فى الصحراء .. هذا موقع القيادة .. لقد رأينـــا ألا ندمره للذكرى . بناء رهيب فى بطن الجبل . ثلاثون حجرة .

ولكننى لا أريد أن أسبق الأحداث فى الوصف ..

* * *

نعم الأحداث مثيرة .. مثيرة جدا . لا تحتاج من الصحفى الى جهد فى التعبير لأنها تتحدث عن نفسها ..

كان أمام هذا اللواء على الضفة الشرقية ٥ نقاط حصينة .

٣ نقاط متقاربة ومتصلة (التى تحدث عنها تسجيل السنداى تايمز) .. ويسميها العسكريون المصريون (نمرة ٦) .. لأنهـــا تقع أمام المعبر السادس . ثم نقطتان عند كوبرى الفردان ..

وأمام اللواء أيضا •• ومن مهامه الاستيلاء عليه ، مركز قيادة القطاع الأوسط ، فى « تبة الشجرة » على المحور الأوسط •• وعلى عمق ٨ كيلومترات •

والخطة المصرية موضوعة على أساس التقديرات التالية :

«العدو له احتياطى قريب خلف نقاط بارليف الحصينة عمقا فى الشرق وهو مكون من كتيبة دبابات (٣٦ دبابة) ، وسرية مشاة ميكانيكية عند تبة الشجرة •

« ثم له احتياطى قوى ، وهو اللواء ١٤ مدرع فى الطاسة (١١٠ دبابة) ويسمى احتياطى تعبوى • وهو يشكل جزءا من مجموعة عمليات شارون •

الهدف المصرى أولا ، هو تدمير هذه الاحتياطيات فى الساعات الأولى للقتال ، وقبل أن تعبر الدبابات المصرية •• أى بالأسلحة الخفيفة وقوات المشاة الحاملة للأسلحة المضادة للدبابات •
هدف طموح •

ولكى يتحقق ، لا داعى لتضييع أى جهد فى ضرب نقاط بارليف أولا • يكفى محاصرتها وشغلها بالمدفعية •• لأننا اذا منعنا الاحتياطى من أن يتقدم للدفاع عنها ، أصبحت مشلولة تماما •• وهى فى قبضة يدنا • وهذا يفسر دهشة الاسرائيليين فى هذه الحصون (نمرة ٦) من ان القوات المصرية ، تحاصرهم ، ولا تتقدم للقضاء عليهم •• كما ان قوات أخرى تتركهم وتتقدم الى الشرق ، وتعطى (نمرة ٦) ظهرها !

وكان المقدر ان يتم تدمير الاحتياطيات فى أربعة أيام ••

أما بالنسبة للنقطتين الحصينتين عند كوبرى الفردان ، فقد كان من المقرر تصفيتهما منذ الساعات الأولى للقتال ، نظرا لخطورة سيطرة العدو على كوبرى الفردان •• واذا استطاعت امدادات من العدو أن تصل الى هاتين النقطتين •• فقد كان من الممكن المرور الى كوبرى الفردان •• ثم الى الاسماعيلية •

وكان المفروض أن تتم مرحلة التدمير الأولى بعد ساعتين من العبور • لتأكل الاحتياطى القريب فى تبة الشجرة •• (٣٦ دبابة وسرية مشاة ميكانيكية) ثم تأتى المرحلة التالية ••

التقدم الى الشرق ، لتدمير اللواء ١٤ مدرع •• عند قيادة شارون فى الطاسة وهو رابض على بعد ٣٠ كيلو مترا •• وبقوات المشاة ، دون استخدام الدبابات ••

ألم أقل أنها خطة طموحة ••

ولكننى أترك الشرح العسكرى للقائد العقيد المصرى • •وهو يمثل المقاتل المصرى فعلا ••

— فى الساعة الثانية • ساعة الصفر • وبعد طلعة الطيران • ثم جهنم المدفعية المصرية •• دفعت بقوات امامية ، وهى سرايا مشاة ، متفادية النقاط القوية •• وقامت على الفور بالاستيلاء على خط القتال الثانى الذى كان يجهزه العدو وراء النقاط بحوالى كيلو متر ونصف ••

وفى نفس الوقت كانت سرايا برمائية تعبر بحيرة التمساح •• وتتقدم لحصار النقاط القوية الثلاث (نمرة ٦) ••

وعند بدء الحصار ، وكنت لا أزال فى مركز القيادة المتقدم (غرب القناة) فوق المصطبة الترابية •• رأيت قوات العدو فى النقطة رقم ١ ، وفى النقطة رقم ٢ •• تنسحبان ، وتنضمان الى النقطة رقم ٣ •• تماما كما ذكرت تسجيلات الاسرائيليين • ولكننا ضربناهم بقصف المدفعية • أصيب عدد منهم • بعضهم هرب شرقا • وانضم الباقون الى الحصن الثالث كان هذا المشهد واضحا أمامى ، وأنا أرقبه بالتلسكوب • وخلال هذا •• كانت قوات اللواء الرئيسية ، تعبر باعداد هائلة وتقوم بالاستيلاء على مواقع مختلفة فى الضفة الشرقية •• ومنها ما هو مكلف بحصار النقاط •• ومنها ما هو مكلف بالتقدم لتدمير احتياطيات العدو •••

وعند الساعة الرابعة •• وطبقا للخطة •• أنتقل القائد وعبر الى الضفة

الشرقية •• وأعاد بسرعة تجميع قواته •• وبدأت القوات تتقدم شرقا دفع العدو احتياطيه القريب ••

على الفور تم تدمير ١٣ دبابة وانسحبت ٢٠ دبابة الى الشرق فى العمق •• واستمرت القوة المصرية تتقدم شرقا ••

واختار العقيد المصرى موقع قيـادته شرق (مجموعة نقاط نمرة ٦) •• وأدار المعركة ••

لقد جمع العدو احتياطيه مرة أخرى •• وقام بهجوم مضـاد حوالى السادسة من المسـاء •• وفشل الهجوم •• وانسحب العـدو للمرة الثـانية شرقا ••

فى هذا الوقت •• كان الحصار قد استكمل تماما حول نقاط (نمرة ٦) •• وتقدمت كتيبة لمهاجمة موقع الفردان •• النقطة الأولى تم حصارها • والنقطة الثانية بدأ الهجوم عليها •

العقيد المصرى يتابع تقدم قوات المشاة الى الشرق • تصل القوات الى عمق ٦ كيلو مترات • يأمر بالتجهيز الهندسى • حفر الخنادق • تمهيد الخنادق بشكاير الرمال • فتح الأسلحة الخفيفة (م • د) المضـادة للدبابات على الخطوط التى سيتم منها تدمير العدو • تم التجهيز • بلغت الساعة العاشرة من المساء • كان المتوقع ان يبدأ هجوم العدو باحتياطيه قبل ذلك ••

ولكن العدو لم يقم بالهجمة المضـادة ! •

والسؤال — لمـاذا ؟ ••

والجواب : عم الارتباك قوات العدو • لم يستطع أن يقدر الموقف تقديرا سليما • عملية العبور على نطاق واسع ، لم يتبين أهدافها تماما • اسقاط قوات خاصة فى الاعماق اثارت بلبلة تقديراته ••

— ومتى قام بالهجوم المضاد ؟ ••

ــ فى الساعة الثانية من الصباح • وهذا التأخير أعطى فرصة لمزيد من التجهيز والاستعداد عندنا • كشفت لنا أجهزة الرؤية الليلية ان طلائع اللواء المدرع الاسرائيلى بدأت فى الوصول لكى تحدد أوضاع قواتنا • أننى أعرف هدف استطلاعهم دائما ، وهو اختيار النقطة الضعيفة لكى يركزوا عليها الضرب •

أجرينا عمليات خداعية ، حتى لا يتمكن العدو من تحديد أوضاع قواتنا بدقة • دفعنا عددا من الكمائن أمام الخط الذى يحتله لواء العدو • أفراد مشاة عاديين يحملون أسلحة مضادة للدبابات قصيرة وطويلة المدى • هذه الكمائن مهمتها ان تترك العدو يتقدم ، ثم تهاجمه من كل اتجاه •• دمرت كل عناصر العدو المتقدمة وكانت ١٠ دبابات •

فى هذا الوقت كانت كبارى العبور قد احتلت مواقعها طبقا للخطة الموضوعة ••

الساعة الرابعة صباحا •• كنت جاهزا تماما ••

بدأ العدو فى الخامسة والنصف هجوم عناصره الرئيسية التى كانت تقف على بعد ٥ كيلومترات منا •• أى خارج مرمى أسلحتنا (٣ كيلومترات) •

واستطعنا ان ندمر حوالى ٣٠ دبابة للعدو •• وانسحب باقى لواء العدو شرقا الى منطقة « الطاسة » ليعيد تجميع نفسه ••

استمرت هذه المعركة حتى العاشرة والنصف من صباح ٧ أكتوبر ، واستخدم فيها العدو كل حيله •• الهجوم من الجنب • ثم الانتقال الى الجنب الآخر لشغلنا ، حتى يتيح لنفسه فرصة أن ــ يضربنا فى الوسط • ولكن لعبته كانت مكشوفة ومعروفة مقدما ••

وتوقعت أن يعيد العدو الهجوم فى نفس اليوم ••

لا وقت للضياع أو الراحة فى هذه الساعات الفاصلة •

أعدت تنظيم مواقعى مرة أخرى ، استعدادا للضربة المضادة القادمة ، التى بدأها العدو فى الساعة الرابعة بعد الظهر (٧ أكتوبر) بالعناصر المتبقية من لوائه وكانت حوالى ٣٦ دبابة ••

استمرت المعركة حتى السابعة من المساء •• واضطر العدو ان ينسحب بعد أن فقد جزءا كبيرا من عناصره ••

الى هنا • •كنا قد أنهينا الجزء الأكبر من مهمتنا الرئيسية ، وهى تدمير الاحتياطى القريب للعدو والاحتياطى التعبوى لمجموعة عمليات شارون • ولا أبالغ اذا سجلت أن هذا تم طبقا للتوقيت الذى وضعناه فى خطتنا تماما •• وتدربنا عليه مئات المرات قبل ٦ أكتوبر •

••••••••••••

قواتنـــا لا تزال تحكم الحصـــار على نقـــاط (نمرة ٦) •• ولا تزال تهاجم نقطة الفردان بهدف تدميرها ••

••••••••••••

وكان علينا فى الصباح (٨ أكتوبر) أن نبدأ تنفيذ المهمة الثانية • تطوير الهجوم شرقا ، للاستيلاء على مركز قيادة العدو فى الطريق الأوسط أننا الآن على بعد ٦ كيلو مترات من شاطىء القناة (خلفنا) • علينا أن نتقدم ٩ كيلو مترات •

ولكننى تلقيت ان العدو قام بوضع لواء آخر ، حركه من بير سبع ، هو اللواء ١٩٠ مدرع (الذى عرف بعد ذلك ان قائده هو عساف ياجورى) •• فى اتجاه محور الفردان •

نقطة الفردان الحصينة لم تقع بعد • كان يريد الوصول اليها • ومن ثم يسيطر على كوبرى الفردان ومنه يدخل الى الاسماعيلية •

لقد افشلنا هجومه المضـــاد بلوائه رقم ١٤ على المحور الأوسط •• واكتشف نقطة ضعف عند الفردان •• الذى يقع على جانبنا الأيسر •

فأسرعت بتأمين جانبى الأيسر بعدد من الدبابات ..

وانتهت قصة اللواء ١٩٠ كما هو معروف . نقطة الضعف التى تصورها العدو خالية من المدرعات .. كانت قد امتلأت ، بعد عبور الدبابات .. وابيد اللواء عن آخره بعـــد أن دخل فى مصـــيدة الموت فعلا . ووقع قائده أســـيرا ..

كانت أخبارا ســـارة لنـــا ..

وقررت فى المساء مع هيئة القيادة تنفيذ تطوير هجومنا الى الشرق للاستيلاء على مركز قيادة العـــدو فى تبة الشجرة .. وفى الوقت نفسه أصدرت الأمر بتصفية النقطة الحصينة (نمرة ٦) .. وهذا يفسر صيحات الاسرائيلى داخل هذا الحصن المسجلة باعترافهم « المصريون يستعدون للهجـــوم » ..

وفى هذه الليلة تمت فعلا تصفية هذا الحصن ، وتم الاستيلاء عليه تماما .. ولم تقـــابل الكتيبة المكلفة بهذه المهمة بقيادة العقيد شفيق أية صعوبة تذكر . العدو كان مرهقا للغاية كما تدل على ذلك اعترافاتهم . بعضهم هرب خلال عملية الحصار . وكل من بقى فى الحصن قضى عليه . ٢٣ قتلوا و ٥ أسروا .. ومن قبل كنا دمرنا دبابة فى اليوم الأول وأسرنا ٣ أفراد منهـــا .

ويروى القائد قصة ، تفسر عجز الاسرائيليين فى هذا الحصن عن فهم ما كان يدور فى اللحظات السابقة للعبور ..

عنـــدما كان العقيـــد المصرى فى مقـــر قيـــادته فى الغـــرب قبيـــل ساعة الصفر بحوالى عشر دقائق . ظهرت أمامه على الضفة الشرقية ، وعند التحصينات (نمرة ٦) مجنزرة اسرائيلية ، هى التى كانت تقوم بنقل الجنود الاسرائيليين من الموقعين الأول والثانى الى الموقع الثالث .

لم يكن العبور قد بدأ .

وتلهف رجال المدفعية المصرية لتدمير هذه المجنزرة •• ولكن العقيد المصرى أصدر أمرا بعدم التعرض لهـا أطلاقا • ان ضربها كان يعنى تنبيه الاسرائيليين الى أن هناك حربا وشيكة • وكان هذا سيقتضى من الاسرائليين أن يحـركوا احتياطى الدبابات القـريب خلف الحصـون (حوالى ٨٠٠ متر) •• ليظهر على الشاطىء •• وكان من الممكن أن يضرب الجنود المصريين عند عبورهم ••

وكان عدم ضرب هذه المجنزرة او التعرض لهـا •• تأكيدا للتعمية ••

ان الاسرائيليين يشـاهدون حركة غير عادية فى الضفة الغربية •• ولكنهم لا يعرفون لهـا تفسيرا • تلقوا الأمر بالتجمع فى حصن واحد ، من باب الاحتياط لمفاجأة يشكون فى فهم طبيعتها • لم يتعرض أحد لهم ، وهم يتجمعون ••

وفجأة أنطلقت المدفعية المصرية لحماية العبور •• وهنا انهالت عليهم القذائف ••

ومن قبل المدفعية كانت طلعة الطيران •• التى مرت فوق الحصون ، ولم يفهم الاسرائيليون شـيئا ••

وخلاف ضربات المدفعية كانت هذه المجنزرة •• قد دمرت تماما ••

ولكن قوات المشـاة المصرية كانت قـد عبر ت•• وكانت قد دمرت الاحتياطى القريب من دبابات العدو • •وكانت قد بدأت أحكام حصارها حول حصن (نمرة ٦) •• وبدأت تدميره •• وقوات العقيد المصرى تتقدم شرقا للاستيلاء على مقر قيادة العدو !

* * *

بدأ تقدمنا للاسـتيلاء على مركز القيـادة فى العاشرة من مسـاء ٨ أكتوبر • وتم تنفيذ المهمة •

كان هجوما واثقا وعنيفا • وكان العدو لا يزال فى مراحل فزعه ••

كل هجماته المضادة ضدنا فشلت • لواء الـ ١٩٠ تدمر وأسر قائده •
ومع ذلك فقد دهشنا لأن كل هيئة القيادة الاسرائيلية قد هربت وتركت
الموقع ؛ ولم تدافع عنه !

لقد رأيناهم يركبون دبابتين فوق الاسطح مثل قطارات الصعيد ••
وتجـرى الدبابتان بأقصى سرعة •• وبكل أسف لم نتمكن من اللحاق
بهما •• فقد كان موقع القيادة كله بين ايدينا ••

هذا الموقع منحوت فى قلب التبة على ارتفاع ٧٤ مترا •• وهو ضخم ،
مبنى بالخرسانة والحديد • دوران بهما ثلاثون غرفة ! •• والارتفاع
يعطيه السيطرة ، ولكن أعصابهم فقدت كل سيطرة ! •• وله طريقان
سفلتان يصعدان اليه •

كانت الغنيمة دسمة فعـلا ••

أكلة شهية جـدا ••

قبل ان ندخل الى الموقع • •أمامنا ٤ دبابات سليمة لا تزال دائرة !••
ثم سيارة جيب أمريكية رشيقة ، سليمة ودائرة أيضا •• انها تخص
القائد •• وقد انتقلت ملكيتها الى القائد المصرى العقيد المصرى ولا يزال
يستخدمها حتى الآن !

ثم ندخل الى الموقع ••

ـ جميع تجهيزات ومعدات مركز القيادة موجودة فى أماكنها • وكان
من الممكن أن ينسـفوها قبل الهـرب •• ولـكن الذعر تملكهم فتركوا
كل شىء ••

ـ حتى الصناديق الملأى بالخرائط والوثائق التى تبين جميع مواقع
العدو فى سيناء •• تركوها دون أن يحرقوا خريطة واحدة ! (نقلت على
الفور الى المخابرات الحربية المصرية) ••

ـ أجهزة المراقبة البصرية • •ومنها تلسكوبات تستكشف حتى بعد
٣٠ كيلومترا •

ـ مقطورة كبيرة ملأى بقطع غيار الدبابات والمجنزرات .

ـ مقطورة كبيرة بها كل معدات اللحام ..

ـ جميع مهماتهم الشخصية .. محافظ .. نظارات .. ساعات .. أجهزة تسجيل .. ملابس ..

التليفونات « ١٠ خطوط » ، والأجهزة اللاسلكية « ٥ » .

ـ الغرف الثلاثون التى يتكون منها المبنى .. كاملة بالأسرة والدواليب والملابس على الشماعات !

ـ المطبخ الحديث بكل معـدات . أجهزة التكييف . مكتب القائد . ومكاتب معاونيه ..

ألم أقل أنها غنيمة دسمة وأكلة شهية ؟ ..

ولذلك لم ندمرها .

تركناها للذكرى . وزارها الرئيس أنور السادات يوم ٥ يونيو .. سنة ١٩٧٤ .

* * *

ولم يكن لدى العقيد المصرى وقتا للفرحة .. وان كان المشهد مفرحا ، وخاصة أن زينات الاحتفال بعيد الغفران كانت لا تزال فى موضعها .. وأطباق الفاكهة وزجاجات الويسكى التى لم يهنأوا بها .. منذ يومين !

كان عليه أن يستعد لمحاولة مؤكدة من العدو أن يسترد هذا الكنز الثمين ..

غارات طيران العدو لم تتوقف ..

الضرب بالمدفعية كان مركزا بشـدة ..

وبدأ هجوم المضاد بالمدرعات فى الساعة الخامسة والنصف من فجر ٩ أكتـــوبر •

وكان الهجوم بكتيبة دبابات (٣٦) من اتجاه المحور الأوسط ، تدمر منهـــا ١٠ دبابات وانسحب العدو شرقا !

أصبح الانسحاب عادة يومية !

* * *

وبدأنا نستعد للمهمة الأخيرة للواء •

التقدم شرقا لتدمير باقى عناصر العدو • التمركز فى خط المهمة النهائى ، وفقا للخطة ، وهو على مسافة ١٦ كيلو مترا •

هناك نقطة التقاطع رقم ٢ — وكتيب ابو كثيرة — ونقطة المثلثات ١٠٠ • هذه هى النقاط التى تحكم خط المهمة الأخيرة •

وبدأنا نتقدم فى الساعة التاسعة من مساء ٩ أكتوبر •

لم نصادف مقاومة تذكر •

وصلت القوات فى الساعة الثالثة من صباح ١٠ أكتوبر •

كانت مفاجأة للعـــدو •

كان يتصور أننا سنتمركز فى مركز القيادة الحصين الذى اســتولينا عليه ، ولم تتوقف غاراته الجوية لضربنا فيه ••

وبدأ العدو يستكشف مواقعنا الجديدة • بنفس الأسلوب • محاولة العثور على نقطة الضعف ، ليقتحم منها ••

ولكن وضح أن من كانوا يقومون بالاستكشاف • كانوا يعانون من

الارتباك • ولذلك تجنبوا الاشتباك الفعلى • ودمرنا عددا من دباباتهم ومجنزراتهم قبل أن تهرب !

ولعلهم عادوا من الاستكشاف بفكرة أن الضعف فى جانبنا الأيسر •

فعند الظهر (١٠ أكتوبر) •• هاجم العدو من اليســار بحوالى ٣٦ دبابة •• وفشل الهجوم •

ان نقطة المثلثات ١٠٠ (وارتفاعها ١٠٠ متر) تسيطر على المنطقة الجديدة التى وصلنا اليها •• كما أن هذا الجنب يطل على محور الفردان الذى تم تدمير اللواء ١٩٠ فيه •• واحتلال العدو له واجلائنا عنه . كان يعتبر بالنسبة له كسبا كبيرا من ناحيتين ••

الوصول الى موقع مسيطر يستطيع أن يوجه منــه هجمات مضادة ناجحة ••

محاولة الوصول مرة أخرى الى محور الفردان ••

١١ أكتــوبر :

كرر العدو هجماته طوال النهار •• على نفس المكان • وفشل •

فى الساعة ١١ مساء • اجتمعت هيئة القيادة • العقيد المصرى • رئيس العمليات • قادة الوحدات المشـــاة وقائد كتائب الدبابات • تمت دراسة الموقف • قـــدروا أن العدو سيهاجم عند أول ضـــوء • وسيكون الهجوم انتقاميا كبيرا • تم توزيع القوات طوال الليل ، فى مواقع مستعدة لمواجهة الهجوم •

١٢ أكتــوبر :

ـ المقاتل محرم فى الخط الأمامى يبلغ العقيـــد المصرى فى الســـاعة ٥ صباحا ، أن العدو بدأ ينقل وحدات كوماندوز بالهليوكبتر ، ويقوم بانزالها أمام الموقع المصرى بمسافة ٣ كيلو مترات • وفى الوقت نفسه

قام بتجميع ٥٥ دبابة على مسافة ٥ كيلو مترات • الهليوكبتر انزل ١٩ عربة مجنزرة ، وعلى كل عربة ٢٠ مقاتلا •

— العقيد المصرى يطلب من القيادة المعاونة بمجهود جـوى لتدمير هذه الدبابات •

— سرب من طائرات الميج ١٧ والسوخوى ، يظهر • يقصف تجمع الدبابات بشراسة • الغارة تستمر ١٥ دقيقة • خسائر العدو جسيمة • تم تدمير حوالى ٢٥ دبابة •

— العدو يقرر ضربة يائسـة • هاجم الموقع المصرى بـ ١٩ عربة مجنزرة ، ووحدة كوماندوز ومعها ١٠ دبابات فقط •

الملاحظ أن هذه وحدات جديدة ، استدعيت ولا تعرف تماما ، ماذا ألم بوحدات العدو السابقة • ولذلك فهى أكثر ثباتا •

— كانت معركة فاصلة • الكتيبة المشاة بقيادة المقاتل محرم • كتيبة الدبابات بقيادة المقـاتل عادل • مدفعيـة اللواء بقيـادة المقـاتل الحماحمى • التصدى • تم تنسيق رائع • تدمرت قوات العدو عن آخرها • القتلى ٢٥٠ •• غير الجرحى ! •• قتل قائد الكوماندوز وضابط ملازم •

— جاءت طائرة هليوكبتر لنقل القتلى ••

— قائد الطائرة تحدث باكيا فى التليفون الى شارون • التقطنا الحديث بصوته الباكى • « الموقف خطير يا شـارون • أمامى ٢٥٠ قتيلا غير الجرحى • أرسلوا بسرعة طائرات هليوكبتر لتساعد فى نقل الضحايا » •• واقفل التليفون !

***

ومنذ تلك الليلة •• لم يهاجم العدو هذا الموقع ، حتى تم وقف النار •

وبقى جنودنا يروون الذكريات •

لا أحد ينسى هجوم العدو المضاد عند الفجر فى التاسع من أكتوبر • كان أحد جنود اقتناص الدبابات نائما بجوار زميله فى الخندق ، بعد جهد شـــاق • ايقظه زميله ــ أصحى يا واد •• أصحى • فيه ٥ دبابات للعـــدو جايين •

واستيقظ الجندى •• وتقدم الى الدبابات الخمس ، ودمرها بخمسة صواريخ •• صاروخا •• وراء صاروخ •

* * *

وبعد •• هكذا يبدو أن معركة سقوط حصـــن (نمرة ٦) • كانت أصغر المعارك اذا قورنت بكل ما جرى فى هذا القطاع ••

ومع ذلك •• فان الذعر الذى أثبته الاسرائيليون على أنفسهم فى شريط مسجل ، يصورها وكأنها أخطر المعـــارك ••

ترى •• ماذا كانت ستقول آلات تسجيلهم • •لو كانت دائرة طوال هـــذه الأيام ؟

ومع ذلك •• فنكتفى مكالمة قائد الهليوكبتر التليفونية •• مع شارون •

أننا نحتفظ بتسجيلها •

الفصل الخامس

قائد .. لا ينام !

●●● « كيف جرت المعركة الجبارة على طول قطاع الجيش الثانى فى مواجهة تمتد الى ١٠٠ كيلو متر ؟ .. كيف أدار اللواء سعد مأمون قائد هذا الجيش حينئذ ، هذه المعركة الضخمة ؟ .. كيف تلقى الأخبار السيئة .. وكيف تلقى الأخبار السارة ؟ .. لماذا استمر بلا نوم .. حتى وقع فى مقر قيادته فى ١٤ أكتوبر ولم يشعر بنفسه الا وهو على سرير مستشفى وحوله الأطباء » ●●●

اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فى موقع قيادته على جبهة القتال •

● الوقت الساعة ١١ من مساء ٦ أكتوبر :

اللواء سعد مأمون يتصل بالعميد فؤاد عزيز غالى قائد الفرقة ١٨ المكلفة بتطهير مدينة القنطرة شرق • الرد ان قائد الفرقة غير موجود • قائد الجيش الثانى يتابع الاتصال مرة أخرى •• ثم مرات • الرد أيضا غير موجود ! •• عاود سعد مأمون الاتصال برئيس أركان الفرقة وقادة اللواءات •• اطمأن على الموقف بشكل عام • ولكنه شعر بقلق كبير • ان تغيب فؤاد عزيز غالى عن قيادته يعنى أن هناك مشكلة ما • لابد أن تكون مشكلة كبيرة • دار فى مخيلته ما دار •

عند منتصف الليل تماما ، اتصل العميد فؤاد غالى بقائد الجيش •

سعد مأمون : يا فؤاد قطعا كان عندك موقف عسير •

فؤاد غالى : فعلا يا أفندم • ولكننا تغلبنا عليه •

سعد مأمون : لماذا لم تتصل بى على الفور ••

فؤاد غالى : ان من عادتى عندما أواجه موقفا مفاجئا ، الا أثقل على قائدى • ولذلك لم أرد يا أفندم حتى أنتهى من مواجهة الموقف على أحسن وجه •

سعد مأمون : هذا خطأ ••

فؤاد غالى : ولكنى كنت متابعا لكل اتصالاتك يا أفندم ، وسامع قراراتك ومشورتك •• وكنت أعمل بها •• وبغيرها من واقع ما أراه على الطبيعة •• وكل هدفى ألا أزعجك •• فأنا أعرف مسئولياتك مع مواجهة ممتدة ١٠٠ كيلومتر ••

سعد مأمون : أكرر أن هذا خطأ • لأننى عندما لا أسمع صـــوت أحد تـدتى لمدة ساعة وهو فى موقف حرج لابد أن أقلق • لو ضـــاع منك نصف رأس الشاطىء لا أقلق ، لأننا نتصدى معا لأى موقف • ولكن عدم ردك أقلقنى جدا • لا تفعل هذا مرة أخرى • هذه آخر مرة •

فؤاد غالى : حاضر يا أفنـــدم •

• • • • • • • • • • • • • • •

• الوقت الساعة ١٠ من صباح ٨ أكتوبر :

العميد فؤاد غالى يتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى •

— اننى فى مأزق • لواء مدرع للعدو فى طريقه الى مهاجمتى من الجنب الأيسر • أرجو حمايتى بالطيران والمدفعية ••

سعد مأمون : سأفترض أننى لم أسمع • سأقفل الخط ، وأرد عليك بعـــد ســـاعة !

فؤاد غالى (ضاحكا) : لا •• فى عرضك ! ••

سعد مأمون : هل عرفت الآن معنى عدم ردك على لمدة ساعة ••

فؤاد غالى : عرفت • ولن تحدث مرة أخرى • أرجوك • أطلب الحماية السريعـــة ••

سعد مأمون : حرمت ! ••

فؤاد غالى : تبت !

وضحك قائد الجيش وقائد الفرقة •• وتم على الفور اتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف تقدم اللواء المدرع الاسرائيلى ••

• • • • • • • • • • • • • • •

ان التكوين العسكرى للقواد ، شىء مذهل حقا !

وسط الدماء والقصف والنيران •• والمواقف الحرجة •• هناك أيضـا « الهزار » •• وتبادل النكت !

وسط الأخبار المزعجة التى تعنى الحيـاة أو الموت •• هناك دائمـا الابتسـامة !

ولكن قائد الجيش الثانى يتلقى أخبارا سعيدة كثيرة •• رغم أن العدو قام بـ ٣٦ هجمة مضادة ضد فرق الجيش الثانى حتى مسـاء ١٣ أكتوبر • ومنها ٧ هجمات بقوات للعدو من ١٠٠ الى ١٥٠ مدرعة باعتراف اسرائيل بعـد ذلك •

• • • • • • • • • • • • • • •

أول خبر مفرح تلقاه كان من العميـد عبد رب النبى حـافظ قائد الفـرقة ١٦ •

كان ذلك بعد حوالى نصف ساعة من بدء الهجوم •

ــ أفندم • عبرنا بالبرمائيات من بحيرة التمساح ، فى المكان المحدد ، طبقا للخطة الجديدة المصدق عليها فى أول أكتـوبر • عبرت جميـع البرمائيات ما عدا ، ٢ فقط غرقتا فى المـاء • عبرت بكل القوات مع سيطرة كاملة على القوات طبقـا للمخطط •

* ثم توالت بلاغات قواد الفرق فى اليوم الأول بنفس المعنى •

ولكنها لم تكن نزهة •

قال لى اللواء سعد مأمون :

● أول خبر مقلق تلقيته كان عن نجاح العدو فى شمال جزيرة البلاح ، فى الوصول من الخلف الى الساتر الترابى الذى نفذنا منه • تقـدم العدو بـ ١٠ دبابات رغم الخسائر الفادحة التى تكبدها • اسـتطاع أن يطلق النار على معدات العبور المحدودة التى لدينا ــ دمر نصفه

كوبرى • دمر حوالى ٤٥ ٪ من المعديات • كان ذلك بعد الغروب مباشرة يوم ٦ أكتـــوبر •

وواجهنا الموقف الخطير ، بتعاون كامل بين كافة الأسلحة ، وأمكننـــا تدمير قوات العدو وتراجع • ولو أن ذلك عطل عملية العبور فى توقيتها المحدد فى هذا القطاع بالنسبة للدبابات •

* وفى الساعة السابعة والنصف من مساء ٦ أكتوبر ، أى بعد ٥ ساعات و ٣٠ دقيقة من بدء المعركة كان المتحدث الى قائد الجيش الثـــانى ، هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية •

ـــ استطلاعى يقول أن هناك حوالى من ٣٠ الى ٤٠ دبابة للعدو تتقدم فى اتجاه لواء العقيد المصرى • المتوقع أن يصطدموا بالمصرى بعـــد حوالى ١٥ دقيقـــة ••

سعد مأمون : كنت أتصل الآن منذ دقيقة واحدة فقط برئيس أركان الفرقة • أول دبابة فى القوات المسلحة المصرية تعبر الآن على الكوبرى ، فى قطاع العقيد المصرى ، ووراءها كل كتيبة الدبابات • أدخلها فورا فى قطاع المصرى بصرف النظر عن عدم تبعية هذه الكتيبة له ••

••• كان الخبر مذهلا •

••• حسن أبو ســـعده لم يكن يتوقع أن الدبابات ســـتعبر فى هـــذا التـــوقيت •

••• كان قلقا من استمرار مواجهة دبابات العدو بالمشاة فقط ••

••• ولذلك علا صوته مجلجلا وهو يقول للواء سعد مأمون :

ـــ مش معقول يا أفندم •• هذا الكوبرى بالذات أمامه أكبر ساتر ترابى للعدو ارتفاعه ٣٢ مترا • دى أعلى حتة •

سعد مأمون : حظك كده يا أبو على •• يا دناصور (هكذا كان يلقبه) • أعلى حتة فتحت فى أسرع وقت • الدبابات الآن تعبر • مبروك •

ــ أنا مش مصدق نفسى !

ــ وفقك الله • اطمئن • كل شىء يسير فى طريقه المرسوم •

• • • • • • • • • • • • • • •

وتقدمت كتيبة الدبابات المصرية الى اتجاه العقيد المصرى •• وفوجىء العدو الذى كان يتصور أنه لا يمكن لدبابة مصرية أن تعبر القنـــاة فى أقل من ٢٤ ســـاعة •• فوجىء العـــدو بحـــوالى ٣٠ دبابة تدخل المعركة معه مدعمـــة لأعمال المشاة • وتدمرت هجمات العدو ، وارتفعت الثقة بين القوات المصرية الى قمتهـــا ••

• • • • • • • • • • • • • • •

ان اللواء سعد مأمون الذى يشغل منصب مساعد وزير الحربيـــة ، قائد من نوع فريد • يبدو لك أنه قصير القامة ، ولكنه اذا تكلم ارتفعت قامته عنك • لو خلع رداءه العسكرى وارتدى حلة مدنيـــة كنت تقسم أنه محامى يترافع ، أو أديب يروى لك قصة • شىء واحد يربط كلماته بالروح العسكرية أنها متدفقة سريعة مثل طلقات الرصاص • دهاؤه يسبق ذكاءه • صريح عندما يريد ، وحذر عندما يريد • يعرف كيف يتحدث الى العسكرى والسياسى والوزير والصحفى ، كل بلقبه • يخفى كل الأسرار ويهيأ لك أنه يعطيك كل الأسرار !

. خلال عام ١٩٦٧ ، كان مديرا للعمليات الحربية فى اليمن •

ثم استدعى بعد الهزيمة ، وكلف فى يوليو ١٩٦٧ باعادة انشـــاء القوات المدرعة المصرية ، فأشرف على تدريب أطقم المستجدين ، وأرسلهم الى الجبهة فى سرعة ملفتة للنظر • نفذ المهمة فى ثلاثة أشهر فقط !

ثم تولى قيادة الفرقة ٢١ مدرعة فى نوفمبر ١٩٦٧ •

ثم أصبح رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة من سبتمبر ١٩٦٩

واستمر حتى مايو ١٩٧١ • وكان ذلك خلال مرحلة الاستنزاف التى اشترك فيها بكل عملياتها •

ثم تولى منصب مساعد رئيس أركان حرب القوات المسلحة من مايو ١٩٧١ حتى ديسمبر من نفس العام •

وابتداء من أول يناير ١٩٧٢ عين قائدا للجيش الثانى الميدانى •

• • • • • • • • • • • • • • •

سألته : هل كانت حرب الاستنزاف مفيـدة ؟ •• هل كانت توازى الخسائر التى تكبدناها ؟ •• وماذا أثمرت ؟ •• العدو لم ينسحب • ثم جدد قواه • فماذا استفدنا ؟ ••

قال : لا مناقشة ان الاستنزاف كان مرحلة ناجحة للغاية ، فى تكبيـد العدو أكبر الخسائر ، واقناعه أن الحرب لم تنته ، وأنه لا سـلام الا اذا أقدم العدو على الانسحاب • ودليل ذلك أن أمريكا واسرائيل كانتا متلهفتين على وقف النار ، وأنتج ذلك مبادرة روجرز •

قلت : ولكننا تكبدنا خسـائر ••

قال : هذا صحيح • ولكن خسائرهم فى الاستنزاف أزعجتهم تماما ، بعد أن كانوا مطمئنين الى اننا لن نرفع رأسنا بعد الهزيمة •• وقـد حطمنا المشروع الأول لخط بارليف •

قلت : كان جمال عبد الناصر متحفظا فى اعلان ذلك •• وأذكر أنه أعلن أنه أبلغ بذلك من الفريق محمد فوزى •

قال : لقد حطمناه فعلا •• ولكنه لم يكن بالقوة والتحصين ، كمـا أعيد بعد وقف الاستنزاف وحتى ٦ أكتوبر ، وصرفوا عليه مئـات الملايين •• لقد تمكن العدو من بناء خط بارليف بكل حصـونه التى عرفناها ، فى فترة وقف النار ••

وهو يقول أن حرب الاستنزاف بدأت بقناصة يعبرون من الضـفة

الغربية •• وضرب بنيران المدفعية •• ثم تطورت الى عبور كتائب كاملة تهاجم النقط الحصينة • والهجوم على لسان بور توفيق وقتل كل من فيه وهــذا معــروف •

كان السؤال دائما : هل من الأفضل أن أدمر كل شيء يقيمه العدو ؟ •

أو أن أتركه يكمل ما يريد اقامتــه •• حتى أدمره فى الهجـــوم الشـــامل ؟ ••

وكان الاستنزاف هو الحل • فلم تكن قواتنا قادرة على هجوم شامل فى ذلك الوقت •• كما كنا نؤكد للعدو كل يوم أننا لن نقبل الاستسلام • ولا شك أن عمليات العبور أثناء الاستنزاف أعطتنا خبرة •• وثقـة بالنفس • لأول مرة كان جنودنا يعبرون ويقتلون أفرادا للعدو ويعودون بأسرى ••

لقد كانت فرحتنــا لا تقــدر بأول جنــدى مصرى عبر فى حــرب الاستنزاف •

لقد كوفىء بوسام عســكرى •

• • • • • • • • • • • • • • •

وبدأت المهمة الكبرى لقائد الجيش الثانى فى أول يناير ١٩٧٢ •

مهمة الاعداد للقتال ، على الرغم من أن الأجواء العامة فى ذلك الوقت كانت توحى بأن اقدامنا على المعركة يحتمل الشكوك • وعلى الرغم من أن وزير الحربية والقائد العام فى ذلك الوقت (الفريق صادق) كان يصارح القادة وفى اجتماعات عامة بأنه لا يمكن أن يدخل المعركة ، اذا لم يستكمل التسليح الحديث القادر على المعركة ••

ولكن اللواء سعد مأمون لم يتأثر بهــذا المنطق •• وكان له منطق آخـــر •

منطق يقول • لا شيء مؤكد مائة فى المــائة • ولكننى سأفترض بنسبة ١٪ فقط احتمال دخول المعركة • اذن يجب أن أستعد بكل ما أملك •

ليست السياسة عملى • اننى قائد عسكرى وأمامى مهمة • حتى لو كان احتمال القتال ١ ٪ •• يجب أن أستعد ، ولا أنتظر المفاجئة وأنا غير مستعد لأننى اشتغلت بالفلسفة السياسية •• وهذه ليست عملى •

وبدأ قائد الجيش الثانى مهمته منذ اللحظة الأولى فى أول يناير ٧٢ • الاعداد • والتــدريب •

يقول : اعددنا خطة • بدأنا اعداد مسرح العمليات • ولكن كل شىء كان يتعسر • كان ينقصنى الشىء الكثير • تحسين منطقة الهجوم هندسيا اعداد طرق • اعداد منازل كثيرة للكبارى والمعديات والدبابات • ثم كانت فكرة انشاء المصاطب الترابية على طول امتداد الجبهة • وكل هذا يحتاج الى ملايين الجنيهات • • ولكن الأهم هو اقتناع قيادتى • • واعطاء دفعة قوية الى العمــل ••

وهنا يسجل اللواء سعد مأمون ، ان صاحب فكرة المصاطب الترابية التى كان لهــا فضل فى نجا حستر خطتنا العسكرية ، ثم نجاح العبــور هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية •

لم يجد حسن أبو سعده أحدا يقتنع بفكرته • ثم أقام هو بنفسه وعلى مسئوليته ســاترا ترابيا ولكن بأسلوب بدائى •• وكان يصرخ : يا ناس •• لازم أشوف العدو •• أنا مكشوف أمامه • أنا فى الخندق ، وهو يرى كل شىء • ولكن قائد الجيش الثانى — قبل سعد مأمون — لم يقتنع بالفكرة أبدا ! •• وقال احسن أبو سعده : أنت رجل خيالى •• يعنى عاوزنا نعمل أهرامات على طول الجبهة ••

أبو ســعده : وماله ••

القائد : لا داعى لهذا الخيال ••

وعندما تولى سعد مأمون قيادة الجيش الثانى اقتنع بالفكرة تماما •• ودعا الى اجتماعات فنية حضرهــا مهندسون متخصصون لتطويرهــا ، واستخدامها فى اغراض عسكرية عديدة لم يفطن اليها العدو • • •

وتولى الفريق احمد اسماعيل وزارة الحربية والقيادة العامة • •

وزار وحدات الجبهة ..

ووافق على الفكرة المجنونة. .وعممت فى الجيشين الثانى والثالث!

وبدأ العمل . . وتكلف ملايين الجنيهات . . ولكنها كانت فى موضعها، وأقيمت فى نطاق جبهة الجيش الثانى ٥٦ مصطبة ترابية . .

. . . .

أعطى الفريق احمد اسماعيل دفعة قوية للاستعداد العسكرى .

تعددت الاجتماعات لدراسة كل احتمال .

كان الاحتمال البالغ الأهمية الذى استغرق دراسة مستفيضة متصلة، ما هو العمل لو ضربت اسرائيل فى العمق ؟ . . لو اختارت ان تدمر القاهرة مثلا أو الاسكندرية أو أى مدينة كبيرة ؟ . .

المعروف لدينا ان اسرائيل تملك هذه اليد الطويلة .

والواقع يقول ان القوات المسلحة المصرية لم تحصل على هذه اليد الطويلة . .

ولذلك كان تقدير اسرائيل أن مصر لن تجازف بدخول الحرب . ولعل هذا هو السبب فى انهم تجاهلوا كل التقارير التى تلقوها عن الاستعداد العسكرى المصرى للحرب . . درست القيادات المصرية الجديدة هذا الوضع . ووضع فى التخطيط احتمال قيـام العدو بضرب العمق . دخل ذلك فى الحسابات والتقديرات العسكرية . وكانت هناك مخاطر ومحاذير أخرى دخلت فى الدراسة أيضا . ولكن موازنة القرار المصرى كله . . وموازنة الخطة كلها . . انتهت بأن مثل هذا الخطر لا يمنع الحرب .

. . . .

والسؤال : هل حصلنا على طائرات حديثة تصل الى عمق اسرائيل .

الجواب : لا ..

السؤال : كيف اذن جازغنا ..

الجواب : لقد درسنا كل شيء . والدليل أن اسرائيل لم تجازف بالضرب فى العمق ..

السؤال : هل كان هناك ضمان سياسى بأن اسرائيل لن تضرب فى العمق ..

الجواب : بالقطع لا ..

السؤال : اذن ماذا كان الضمان ..

الجواب : هذا سر عسكرى على الأقل حتى الآن ..

السؤال : اسرائيل تقول ان لدينا صواريخ عابرة .

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه ..

السؤال : الرئيس أعلن عن الصاروخ الظافر ..

الجواب : هذا صحيح ..

السؤال : اذن هذا شيء آخر غير الذى تحدثت عنه اسرائيل ..

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه .. وأرجو الرجوع الى تصريحات السيد الرئيس السادات .. انعمق بالعمق ..

السؤال : اذن لماذا بنى الفريق صادق رأيه فى تعذر الحرب ، على أن اسرائيل سوف تضرب فى العمق ..

الجواب : لقد وضع هذا طبعا فى الحسابات .. وانتهينا الى أنه لا يمنع الحرب . والدليل مرة أخرى أن اسرائيل لم تجازف بالضرب فى العمق ..

. . . .

واعتمدت خطتنا العسكرية أيضا ، على معرفتنا الكاملة بكل الأسلحة التى فى حوزة العدو • وأسلوب استخدامه لها • واستفدنا فى ذلك من خبرات الاستطلاع خلال حرب الاستنزاف • ومن مراقبة العـدو من الشاطىء الآخر • ومن الاشتباك خلال الاستنزاف • ومن منـاورات العدو بالطيران وتجاربه معنا فى الكمائن . فان الاصطدام الجوى لم يتوقف أبدا حتى بعد وقف النار • كنا ندخل فى كمائن العدو ؛ لـكى نعرف أسرارها •

• • • • • • • • • • • • • •

● ومن معلوماتى الصحفية •••

●● اننا كنا نعرف الكثير عن خصائص تسليح العدو • ولكن العـدو هو الذى فوجىء ببعض أسلحتنا • لقد فوجىء العدو بكفاءة استخدام الصواريخ المضادة للطائرات • كما فوجىء بكفاءة استخدامنا للصواريخ المضادة للدبابات • وهذه فقرة من مؤلفهم العسكرى عن حرب عيد الغفران• الذى كتبه مقاتلون اسرائيليون ومراسلون عسكريون •• تقول على لسان أحد المقاتلين الاسرائيليين فى سيناء واسمه باروخ :

ــ بالقرب من البحيرة المرة الصغرى ، وغير بعيد عن المكان الذى تتصل منه البحيرة بالقناة ، توقفت دبابة باروخ ، وبدأت فى فتح نيرانها• كان الهدف على الأرض المواجهة لها ، هــو المشــاة المصريون ؛ وليس الدبابات • وأحس باروخ بالدهشة أكثر مما أحس بالارتياح •

وسأل قائده : « هل يحاولون القيام بعملية انتحارية أم ماذا ؟ •• لقد علمونا فى مدرسة المدرعات أن مشكلتنا الأولى هى دبابة العـدو •• وأن مشكلتنا الثانية هى المدافع المضادة للدبابات وبعد ذلك فقط ؛ يمكن أن نلتفت الى المشاه » •

ويمضى الكتاب الاسرائيلى واصفا :

●●وكلما فرغت أشرطة الرصــاص فى المدافع الرشــاشة ؛ انطرح الجنــود المصريون خلف كثبــان الرمــال • وقــد عجــزت الكتيبــة

الاسرائيلية عن احتـواء الهجوم ، فقـد كان العـدو يجيء بأعـداد كبيرة • وألقى باروخ أغلفة القذائف الفارغة خارج الدبابات ، وعنـد ذلك رأى النار تخرج من مدفعه • وفى نفس اللحظة • شعر بحـروق رهيبة فى ذراعيه • واستطاع أن يقفز على الأرض •

ويقول باروخ :

ــ كانت دبابتى تشتعل وقد تفحم ما فيها • وقد ألقيت نظرة حـولى فرأيت كرات من النار تتراقص فى الهـواء وتندفع نحو المدرعات • ولقد أدركت فيما بعد أن هذه هى الصواريخ • لقد سمعت الحـديث عنها ، ولكنها بكل تأكيد لم تكن واردة فى قائمـة الأشياء التى نوليهـا الأولوية فى اهتمامنا • وقضينا طوال النهار نختبىء من كرات النار التى كانت تنطلق فى الصحراء •

وأضـاف باروخ :

« لقد كنا فى غاية الارهاق ، فاختبأنا خلف أحد كثبان الرمال ، ورحت طوال الوقت أفكر فى هذه الصواريخ • كنت أجهل اسمها ، ولـكننى كنت أعرف أنهـا عندما تدخل المدرعة فانهـا ترفع درجة الحرارة الى ألف درجة مئوية • وهذه هى فعالية هذه الصواريخ • ان بقية الدبابات لم يكن لديها الوقت ولا الحظ الذى يتيح لنـا ، والى ما وراء الكثبـان رأينا النار مشتعلة فيها وكان الذين بداخلها هم زملاؤنا » •

• • • • • • • • • • • • •

ولكن هذه الأسلحة لم تكن لتتصل بسهولة •

ويمكن الآن أن نذيع سرا كبيرا •• ان الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات التى كان لها فضل التصدى لمدرعات العدو مع باقى الأسلحة المضـادة للدبابات قبل أن تعبر الدبابات المصرية الى الشرق •• لم تكن لدينا بالاعداد الكافية كما تصور العدو بعد المعركة • بل لعلهـا كانت باعداد محدودة •• وجزء منهـا وصـل فى الأيام الأخيرة •

ولكن وجود أطقم مدربة عليها • ومسـتعدة لاستعمالها بمجـرد

وصولها .. خفف العبء كثيرا . ولو كانت لدينا الأعداد التى كنا نريدها فعلا من هذه الصواريخ ، لكنا حققنا نتائج ايجابية أكثر فى معارك المدرعات الرهيبة التى وقعت فى الأيام الأخيرة قبل وقف النار ..

ولم يكن السوفيت على ثقة أبدا ، من أننا سنستطيع العبور ..

والخطط التى شاركونا فى وضعها قبل الحرب ، كانت تدريبية أكثر منها خطط كاملة لعبور أو لمعركة شاملة .

والخطة المصرية الشاملة التى وضعت بعد خروج الخبراء السوفيت ، وعدلت عشرات المرات طبقا لآراء القادة المحليين فى مواقعهم ، وطبقا لتقديرهم الشخصى .. لا يعرف عنها السوفيت شيئا . بل كان لايمكن أن يتخيلوها بعد خروجهم ، طبقا لخبراتهم السابقة معنا خلال وجودهم، وأثنـــاء التدريبات المحددة التى حضروها .. فانهم ــ أى ــ الخبراء السوفيت . كانوا يلاحظون عدم ثقة المقاتل المصرى ببعض من السلاح السوفيتى ، واقتناعه بأن الاسرائيليين يملكون أسلحة أحدث وأكثر فاعلية.

وقد حدث أن حضر كبير الخبراء الســـوفيت الجنرال لاشنكوف الى مصر ، لدراسة مطالبنا من بعض الأسلحة فى أبريل ١٩٧٣ .. وزار بعض مواقع الجيش الثانى فى الجبهة . ولعله كان مثل كل السوفيت مقتنعـــا بأننا سوف لا نحارب ، وأننا نطالب بأسلحة ، لكى نتعلل برفض السوفيت مدنا بمـــا نريد ..

وقد أخطر اللواء سعد مأمون ، من القائد العام ، أن يستقبل الجنرال لاشنكوف ..

وبدأ الجنرال السوفيتى مناقشة طويلة مع قائد الجيش الثـــانى ، كان يريد منها أن يستشف مدى اقتناعه بالحرب ، وبقدرة قواته على القتال .. ودار بينهما حوار هام يحسن تسجيله ..

ــ كيف ترى الكفاءة القتالية لقواتك ؟

ــ ممتازة .. ممتازة جدا ..

— وما تقديرك للكفاءة الفنية للأسلحة ؟ ••

— مائة فى المـائة ••

ثم نظر الجنرال السوفيتى الى المصاطب الترابية المرتفعة ، التى أنشئت بعد خروج الخبراء السوفيت •• وسأل عن الهدف من اقامتها •• وشرح له سعد مأمون : فكرتها بصفة عامة دون أن يتحدث عن تفصيلات المهام التى تستخدم فيها هذه المصاطب ••

ثم وجه الجنرال السوفيتى بصره الى الضفة الشرقية •• حيث تقوم السواتر الترابية للعدو •• وسأل قائد الجيش الثانى :

— ما هو تصورك •• كيف يمكن أن تعبر قواتك مع وجود هذا الساتر المرتفع الى ٢٠ مترا ؟ ••

وقال سعد مأمون أنه يقدر أن الدبابات تستطيع أن تعبر فى ٣ ساعات (وهذا طبعا غير صحيح لأن تقدير خططنا ٨ ساعات) •• وقال أنه سيفجر هذا الساتر بالديناميت والمفجرات (وهذا غير صحيح ، لأن المتفجرات فشلت فى التجارب وابتكرنا استخدام المـاء المندفع) ••

فقال الجنرال السوفيتى :

— أنتم تفكرون فى الحرب بأساليب عام ١٩١٤ ، قبل أن تخترع الدبابات • هل تتصور يا جنرال أن المقاتل الفرد فى الحرب الحديثـة يمكن أن يتصدى لدبابة ؟ ••

ان دبابات اسرائيل أمامكم •• فكيف يمكن مقاومتها بغير الدبابات ؟ •

وعلق اللواء سعد مأمون بمنتهى الخبث :

— وماذا نستطيع أن نفعل •• هل لديكم فى الاتحـاد السـوفيتى شيئا نقاوم به هذه السواتر الترابية •• لقد وصلتم الى القمـر •• ولابد أن لديكم شيئا حديثا يمكن أن يفيدنا ••

الجنرال لاشنكوف : آسف •• آسف جدا •• اننا لم نواجه مثـل هذا المـانع من قبـل ••

اللواء سعد مأمون : أرجو الله أن يعطينى العمر يا جنرال •• وأمكن من العبور بأساليب ١٩١٤ . وتحضر لزيارتنا بعد القتال . وأستمع الى رأيك فى حرب ١٤ أمام حرب ٧٣ ••

• • • • • • • • • • • • • • •

وقد حدث • انتهت الحرب • وجـاء الجنرال السوفيتى لاشنكوف وزار الجبهة : فقال له اللواء سـعد مأمون :

ـــ هل تذكر حديثنا يا جنرال •

وقال لاشنكوف : نعم •• أذكر حديثنا جيدا • لا يمكن أن أنساه • انه عمل بارع بلا مناقشة ••

ثم انتقل بسرعة الى حديث آخر ••

• • • • • • • • • • • • • •

خطة المعركة وضعت حسابا دقيقا لكل الاحتمالات ••

احتمال هام كان يحذر منه القـائد الأعلى أنور السـادات فى كل الاجتماعات العسكرية •• وهو الحذر من خديعة للعدو بالنسبة لبعض القطاعات مثل بور سعيد أو بور فؤاد • وكان السادات يتصور الخديعة فى أن العدو يهاجم فى اتجاه رئيسى ، فننشغل بهذا الهجوم •• ويكون العدو فى نفس الوقت قد أعد شـيئا آخر لكى يستولى على بور فؤاد وبور سعيد على سبيل المثـال •••

• • • • • • • • • • • • • • •

احتمال آخـر ••

أن يبدأ العبور • فيتقدم العدو على الفور بكل دباباته الى حـافة الشاطىء الشرقى ، ويضرب قواتنا العابرة فى أضعف أوقاتها وهى فى

المـاء • وللعدو موقع ضرب نار لدباباته كل ١٥٠ مترا على امتـداد الشاطىء وبطول ١٧٢ كيلو مترا ! •• ثم كان يستطيع أن يحدث خسائر فى منطقة الهجوم ، حتى عمق الموقع الأول غرب القنـاة ••

وقد حوسب الجنرال جونين قائد الجبهة الاسرائيلية ، بعد الحرب ، أنه لم يفعل ذلك ولكن الخطة المصرية وضعت فى اعتبارها هذا الاحتمال • وكان معدا لكل دبابة للعدو ثلاثة مدافع تضرب فى وقت واحد •• لتحقق التـــدمير •

• • • • • • • • • • • • • • •

وكانت الخطة المصرية تضع ثقلا كبيرا على ضرورة احتلال القنطرة • وكان الرئيس السادات يردد للقادة العسكريين : القنطرة لازم تسقط • انها ثانى مدن سيناء • والعدو يحصنها بأقوى ما عنده • والاستـيلاء عليها سيكون له أهمية خاصة ، سواء بالنسبة لمصر انتصارا ، أو لاسرائيل هزيمـــة •

وقد عدل اللواء سعد مأمون خطة الاستيلاء على القنطرة أكثر من مرة • وأعطى لهـا قوات أكثر وعناية أكبر ••

• • • • • • • •
• • • • • • • •

ولكن السؤال •• بعد كل ذلك •

هل انتصرنا فى معارك أكتوبر لأننا كما يزعم الاسرائيليون فى مؤلفاتهم ، وفيما أدلوا به للجنة الكونجرس الأمريكية ، نملك أسلحة أكثر ، وبكثافة تصل نسبتها الى ما يملكه الاسرائيليون ٣ الى ١ أو ٤ الى واحد ؟ ••

ثار هذا السؤال وأنا استرجع مع اللواء سعد مأمون ، حوارا ضاحكا أجراه معه الرئيس ذات يوم وهو يزور مواقع القتال • سأله الرئيس عن قواته وأسلحته • وأجاب سعد مأمون • فعلق الرئيس ضاحكا :

ـ أنت عندك قوات أكثر من مونتجمرى •• اللى اجتـاح بها شمال أفريقيـا •

عارف يا سعد لو ماتجحتش .. !!

ويقول سعد مأمون ردا على سؤالى :

ـ لا شك أننا متميزون عن العدو فى الكثافة البشرية . والعدو يعرف هذا . وقد قاوم ذلك : بحصــوله على نوعيات غالية الثمن جــدا من الأسلحة . وبحرصه على تأمين قواته . أننا لم نشاهد جنديا اسرائيليا واحدا يسير على قدميه . وكان علينا ان نستفيد من التفوق العددى . وكان هذا له أثره فى دعم الثقة فى جنودنا . كنت أقول لهم . احنا أكثر وأشجع ولازم نكسب .ولكن كثافة الأسلحة لاتقاس بعددها . كثافةالأسلحة تقاس بكمية النيران التى تقدمها هذه الأسلحة . وفى الطائرات تقاس بمدى طيرانها : ووزن حمولتها . وفى هذا لا يستطيع العدو أن يزعم أننى كنت أملك أكثر مما يملك . هناك نقط قوة وضعف عندنا . الأمر كذلك بالنسبة له . وكسب المعركة يتوقف على اجادة استثمار كل منا لنقط قوته والاستفادة من نقط ضعف الآخر .

. . . .

ولنعد الى الأيام الحاسمة قبل ساعة الصفر ..

ان مهمة الجيش الثانى قاسية . انه يمثل القطاع الرئيسى .. تتبعه ثلاث فرق . الفــرقة ١٦ بقيادة العميد عبد رب النبى حافظ . الفرقة الثــانية بقيادة العميد حسن أبو ســعده . الفرقة ١٨ بقيــادة العميد فؤاد عزيز غالى ..

ثم قوات أخرى .. ولا تزال الأسرار العسكرية تحول دون الكشف عنهــا ..

الجبهة متسعة من بور فؤاد شرقا الى منتصف البحيرات المرة ..

آخر مؤتمر عقــده اللواء ســعد مأمون للقــــادة كان فى صــباح ٣ أكتوبر فى مركز القيادة المتقدم . لم يخطرهم بســاعة الصفر . ولكن تقرر اجراء آخر تحركات للهجوم تحت ستر المشروع التدريبى . ولكن القادة أحسوا أنها مسألة يومين أو ثلاثة . كان المهم مراقبة جميع تصرفات

العدو على الشـــاطىء الآخر ، بكل اليقظة • ان هذه المراقبة يمكن أن تكشف اذا كان العدو قد عرف شيئا • اللواء سعد مأمون يخطر لو أن جنديا اسرائيليا فى نقطة ملاحظة خلع خوذته • ان هذا يعنى أن العـــدو غير متأهب لقتال مفاجىء • اذا خرج جندى من مخبأ • الى اين ؟ •• ومتى عاد ؟ •• كان القائد فى هذه الساعات يقوم بتحليل أى تحرك للعـــدو مهما كان تافها • عربة مجنزرة • دبابة • سيارة جيب • أى شىء يمكن أن يوحى بأشياء •

ووضح أن خطة الخداع المصرية ناجحة مائة فى المـــائة ••

••••••••••••

والغريب أن اللواء سعد مأمون اذاع فى هذا اليوم ــ ٣ أكتوبر ــ نداء مكتوبا ، الى جميع الضـــباط والجنود • طبعت منـــه عشرة آلاف نسخة •• قرىء بالميكروفونات فى جميع الوحدات ، النداء يطالب الجنود بالاستشهاد فى ســـبيل كرامة الوطن • يحثهم على القتـــال الشجاع • النداء يقول أن المعركة قريبة جـــدا •

ولا شك أن أجهزة التصنت الاسرائيلية التقطت هذا النداء الذى أذيع على أوســـع نطاق •

ولا شك أيضا أنهم تصوروا أنها تمثيلية مصرية ! ••

لقـــد كان القرار الاسرائيلى كما اتضح بعـــد ذلك ، من التحقيقات الرسمية فى تل أبيب ، ان مصر لن تقدم على الحرب !

وكان ايبان وزير الخارجية الاسرائيلى فى فندق « بلازا » بنيويورك • أعطى نفسه أجازة يوم عيد الغفران • طلب من الفندق ألا يتصل به أحد بالتليفون • وحاول موظف القنصلية الاسرائيلية الذى تلقى تقريرا عاجلا بأن القتال قد بدأ ان يتصل بأبا ايبان لابلاغ رسالة من الوزير الاسرائيلى جاليلى الى الدكتور كسينجر • لم يرد أبا ايبان • دقوا على بابه ربع ساعة كاملة حتى استيقظ • ارتبك الوزير عندما قرأ الرسالة • لقد ترك اسرائيل فى ٢٥ سبتمبر ولم يكن هناك ما يوحى بأى بادرة حرب • كما

ان المخابرات الاسرائيلية أخطرت المخـابرات الأمريكية يوم ٤ أكتوبر بكل تطورات الموقف ، وأكدت أن الحرب لن تقع فى المستقبل القريب (من كتاب عيد الغفران بقلم « كتاب اسرائيليين ») •

••••••••••••

حتى هذا النـداء المعلن الى الجنـود •• لم يفطن الاسرائيليون الى حقيقتـه ••

وهذا النداء قرأه الرئيس أنور السـادات ، عندما قدمه اليه اللواء سعد مأمون فى جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى أول أكتوبر التى استمرت ١٠ ساعات • وفى هـذا الاجتماع التاريخى دار حوار هام مع الرئيس •

قال الرئيس لسعد مأمون : أراك تتحدث بثقة • هل أنت متأكد من نجاح مهمتك •

سعد مأمون : متأكد يا أفندم • أنى أعطى تمام • أننى مسئول عن دخول الحرب وقادر على تنفيذ المهمة •

الرئيس : بتتكلم بثقة مطلقة ليـه ؟

سعد مأمون : لسببين يا أفندم • الأول •• احنا تعبنا جدا جدا فى اعداد القوات ووضع الخطط والتدريب ، من أكبر قائد الى أصغر جندى • وأتصور أن النتيجة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا •

والسبب الثانى أننى متأكد ان معنويات ضباطى وجنودى عالية جدا • وهم واثقون أن مهمتهم هى الدفاع عن كرامة مصر • وبعـد عبورهم سيكون العـدو أمامهم والبحر خلفهم • وكرامة مصر هى مسئوليتهم • أهم من الموت •• أقوى من أى خوف •

••••••••••••

وقدم سعد مأمون للقائد الأعلى نداء القتال الذى أعده •

٥ أكتــوبر :

الفريق أحمد اسماعيل القائد العام يتصل بقائد الجيش الثانى — « عدت من سوريا • وكل شىء تمام » •• على بركة الله • تأكد يا أفندم أن كل شىء هنا تمام •

٦ أكتــوبر :

كل القوات علمت بساعة الصفر • الاستعداد الأخير •
ساعة الصفر :

خرج سعد مأمون فوق الأرض ، لكى يشاهد على الطبيعة ، ما سيجرى. مشهد التــاريخ المثير • النــار • اللهب • العبــور العظيم ، نداء الله أكبر يهز الفضــاء •

وبدأت العجــلة •

••••••••••••

سر عسكرى أذيعه لأول مرة • كان من الممكن أن يتغير كل شىء قبل. ســاعة الصفر يوم ٦ أكتوبر بسبع دقائق فقط •

دبابة مصرية فى أحد القطاعات ، أطلقت النــار بغير تعليمات ، على دبابة للعدو على الشاطىء الآخر وأصابتها •

مفــاجأة !

أن هذا يمكن أن ينبه العدو فى آخر الدقائق الى بداية معركة شاملة •

ان هذا كان يمكن أن يدفع العدو الى تقديمه دباباته على الفور الى حافة الشـــاطىء .

ان هذ اكان يمكن أن يدفع دبابة مصرية أخرى ، أن تطلق النيران ، لمجرد الحماس .. أو للشعور خطأ أن المعركة قد بدأت .

ان هذا يمكن أن يحدث فى الحروب .

ان الأعصاب يمكن أن تتوتر عند بعض المقاتلين . أن الأصابع يمكن أن يفلت زمامها على الزناد .

وهنا تصرف اللواء سعد مأمون أمام هذه المفاجأة .. بكل برود الأعصاب لم يعلق بشىء .

لم يرسل أى اشارة ليسأل .. من أطلق النار . ولمـــاذا ..

ان مجرد السؤال سيحدث ارتباكا . وسيشغل كل مسئول فى موقعه عن مهامه الخطيرة فى هذه الدقائق الحاسمة ..

ومرت الدقائق الســبع ..

وجاءت ساعة الصفر ..

وبدأت المعـــركة ..

وانتهت المعركة .. ولم يسأل اللواء سعد مأمون حتى الآن من أطلق النـــار ..

— لمـــــاذا ؟ ..

— هذا شىء يمكن أن يحدث فى الحروب . المهم كيف يعالج !

....

ماذا كان الهدف من حرب ٦ أكتوبر ؟ ..

لماذا لم نتقدم فى مواقعنا الى خطوة أخرى •• وكان الانتصار معنا ؟ ••

واذا كان الهدف محددا من قبل •• لماذا طورنا الهجوم يوم ١٤ أكتوبر ؟ •• لماذا ليس قبله •• ولماذا ليس بعده ••

••••••••••••

أسئلة لا تزال تتردد •

ـ الهدف من حرب أكتوبر سياسيا •• هدم نظرية الأمن الاسرائيلية التى تعتمد على الحدود الآمنة واثبات فشلها •

ـ والهدف عسكريا •• هزيمة التجمع الرئيسى للعدو فى سيناء ، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الأراضى المحتلة بالقوة المسلحة ، لعرض الحل السياسى العادل للمشكلة •

••••••••••••

لماذا طورنا الهجوم عسكريا يوم ١٤ أكتوبر ؟ ••[١]

ما يمكن أن أقوله من تحرياتى الصحفية فى الاوساط العسكرية والسياسية ، ان قرار تطوير الهجوم ، فرضته طبيعة القتال فى سوريا فى هذا الوقت بالذات ، وعلاوة على اكتساب مزيد من الأرض لصالح المعركة •

••••••••••••

اشتد الضغط على القوات السورية •

تجاوزت القوات الاسرائيلية خطوط ١٩٦٧ •

---

(١) راجع الفصل الحادى عشر عن حقائق الثغرة كما يرويها الفريق الجمسى •

كان لابد من جذب القوات المقاتلة فى الجولان •• الى سيناء ، لتخفيف الضغط المتركز على سوريا ، واعطاء القوات السورية فرصة لاعادة تنظيم هجــوم مضـــاد •

وحقق قرار تطوير الهجوم هذا الهدف •

وكانت معارك التطوير قاسية •• وتطورت وأصبحت دموية رهيبة • وصفها موشى ديان فى مساء يوم ١٤ أكتوبر بقوله : « ان اسرائيل تخوض الآن حربا صعبة •معارك الدبابات فيها قاسية • ومعارك الجو مريرة •

انهــا حرب ثقيلة بأيامها وثقيلة بدمائها » •

•••••••••••
•••••••••••

ويجب أن نعترف أننا تكبدنا خســائر كبيرة فى المدرعات فى هذه المعارك •• ولكننا كبدنا العدو خسائر أفدح • كان القتال رهيبا حقا • دمويا حقا • والمواجهة بين المدرعات قريبة جدا ، لم تشهدها حروب من قبــل •

•••••••••••

وحدثت مفاجأة مؤسفة صباح يوم ١٤ أكتوبر • يوم تطوير الهجوم •

لقد سقط اللواء سعد مأمون فى مقر قيادته وفقد وعيه تماما •

أصابت قلبه أزمة مفاجئة •• كان الجميع يتوقعونها الا هو • بل أنه فى الساعة ١١ من مساء ١٣ أكتوبر ، اتصل به القائد العام الفريق أحمد

اسماعيل وقال له : حتى الآن لم تنم يا سعد • وده مش كويس • يجب أن تستريح •

وقال سعد : حاضر يا أفندم •• لكن مش قادر أنام •• مهام التطوير شـــاقة جــدا •

القائد العام : يجب أن تستريح ، حتى تستطيع أن تعمل •

كان اللواء سعد مأمون فى يقظة غريبة منذ ٥ أكتوبر •

لم ينم ليلا أو نهارا • مجموع ساعات نومه فى ثمانية أيام ، حتى سقط مغمى عليه ، لم يزد على ثلاث ساعات !

لقد سلبته اجواء المعركة ، الشعور الطبيعى بالحاجة الى النوم •

وكان ذهنه صافيا • وكان خفيف الحـــركة • كان يتابع المعركة على الطبيعة ، ويتفقد المواقع فى أقصى الشرق كل يوم • مرة ومرتين وثلاث مرات ابتداء من الثامن من أكتوبر • وفى اليوم الأخير قبل اصـــابة قلبه (١٣ أكتـــوبر) كان فى قطـــاع الفرقـــة ١٦ مع العميـــد عبـــد ربه • ووصل حتى ٥٠٠ متر من الحد الامامى للقتال ولم يشعر أنه مجهد • فى اليوم الأسبق كان فى قطاع الفرقة ١٦ ، والفرقة ١٨ • ولم يشعر أحـــد بأنه تغير فى قسماته • وهذا خدعه • اعتاد أن يدخن ٣ سجائر يوميـــا فكان يدخن ٦٠ سيجارة • كان يشرب فنجـــانين من القهوة أصـــبحوا ٢٠ فنجانا •

وفى صباح ١٤ أكتوبر لاحظ أركان حربه ان الارهاق يغطى وجهه •• ســـأله : أنت شاعر بحاجة يا أفندم ••

ولم يجب القـــائد •

ســـقط فجأة !

ولم يشعر بشىء الا بعد ثلاثة أيام وهو فى المستشفى •

قلت : لقد أخذ عليك هذا العيب •• أنك لم تكن تنام • والقائد يجب أن يستريح •

وأجاب : وقيل ان الجنرال مونتجمرى . دخل الى حجرته لينام بمجرد بدء الهجوم وقال لأركان حربه •• أيقظنى عندما ينتهى الهجوم •

قلت : أنا لا أصدق أن مونتجمرى فعل هـذا •• ولكننى لا أتصور أنك تبقى ٨ أيام بلا نوم ••

قال : قد يكون هذا خطئا •• ولكننى لم أستطع النـوم فعلا أمام الشعور بالمسئولية من يوم ٦ أكتوبر • كنت أشعر أن العدو سيركز هجماته على قطاع الجيش الثانى ، بعد أن أصبح لدى فى الشرق قبل منتصف ليلة ٦ أكتوبر ٥٠ ألف مقاتل ، بما فيهم الوحدات المدرعة والمدفعية •• وفى الصباح التالى مئات الدبابات • وكانت دبابات الجيش الثالث لم تعبر بعد • ثم بدأ العـدو يركز هجومه بالطيران والمدفعية والمدرعات فى جنوب الاسماعيلية على الفرقـة ١٦ وشـمال الاسماعيليـة عـلى الفرقة الثانية • كنت مصمما على ألا يحقق العدو هدفه وهو تدمير القوة الرئيسية للجيش الثانى بدليل أنه قام بـ ٣٦ هجمة مضادة بكل أسلحته • ومنها ٧ هجمات استخدم فيها من ١٠٠ الى ١٥٠ دبابة •

هذا هو الموقف •• واستمر هذا القتال الضارى ليل نهار حتى مساء يوم ١٣ أكتوبر •

ولذلك لم أنم ••

•••••••••••

تولى رئيس أركان الجيش الثانى القيـادة بعد اللواء سعد مأمون

ثم تولاها قائد آخر •

وخاصة أن تسلل العدو يوم ١٦ أكتوبر الى الغرب •• كان قد بدأ يشكل خطرا ••

ونجحت قوات العدو فى العبور بعد معارك دامية رهيبة ، وبعد خسائر خيـــالية •

ويسجل الضابط الاسرائيلى آموس قائد رأس الجسر فى خطاب الى زوجته ليلة ١٨ أكتوبر •

ــ « اذا كانت قد كتبت لى النجاة هذه الليلة ، فانها معجزة • فلم تكف قذائف الكاتيوشا عن السقوط على رؤوسنا • وكان الجنود يغـــادرون سياراتهم دون أن يسعفهم الوقت بايقاف المحرك • لقد كانت أكثر الأمور رعبا هى عمليات القصف التى تلتها هجمات الطائرات ، وبالنسبة للقصف المدفعى فهذا أمر تعودنا عليه ، ولكن عندما تشترك الطائرات فان ذلك لم يكن بالأمر المحتمل • ان أفضل شىء هو أن يظل الانسان فى مخبئه وأن ينتظر وهو يصلى • لقد كان المصريون مصرين على تصفية رأس الجسر • أنه الجحيم بعينه • لقـــد كانت الصواريخ والقنابل والنابالم تنهال ، وكان علينا أن نصلح باستمرار ما يعطب » ••

وقال الجنرال برن : لقد عبرنا القناة فى الساعة العاشرة مساء •• ولم تكد ثلاث من دبابات تعبر القناة حتى أعطب أحد الجسرين • وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطىء الغربى تعرضت لقصف شديد لم نشهد له مثيل فى حياتنا •

كل هـــذه الأقوال وردت فى المؤلف الاسرائيلى « عيد الغفران » •• وقد سجل المؤلفون أن الجزء الأكبر من القوة الاسرائيلية لم يستطع أن يعبر يوم ١٧ أكتوبر ، لأن المصريين شـــنوا هجوما مضادا كاد يسحق رأس الجسر •

•••••••••••

وفى اليوم التاسع والعشرين من أكتوبر عين اللواء سعد مأمون مساعدا لوزير الحربية •

وفى أوائل ديسمبر صدر قرار بتعيينه مندوبا عن القائد العام ، لقواتنا المسلحة غرب القناة ، وكلف بتنفيذ خطة لمواجهة الوجود الاسرائيلى فى الغـــرب .

وفى ٢٤ ديسمبر تم وضع الخطة « شامل » ، وصدق عليها القائد الأعلى الرئيس أنور السادات فى اجتماع خاص تم بالقناطر الخيرية[١] .

وكان من الممكن أن يكون قدر سعد مأمون ، قيـــادة القوات المصرية لتطهير الغرب من القوات الاسرائيلية .

ولكن الاسرائيليين أدركوا أن مصلحتهم الأولى هى فى الانسحاب .
وتم الانســـحاب .

---

(١) تفصيل الخطة « شامل » فى الفصل الأخير من هذا الكتاب .

الفصل السادس

عملتها يا بابا!

●●● « العسكرية هى هوايته، وطفله الأصغر شريف (١٢ سنة) أمضى معه فى الجبهة طوال أشهر عطلة الصيف حتى أول أكتوبر . وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الأسلحة ! .. أمله أن يراه مقاتلا . وكان الطفل يقول لوالده العميد فؤاد عزيز غالى « امتى بقى ، تنزلوا علم اسرائيل ! »

وبعد أن تحقق الانتصار ، وفى أول اتصال تليفونى للأب مع أسرته صاح شريف فى التليفون ضاحكا « عملتها يا بابا برافو عليك » !

وكانت هذه التحية أول وسام يحصل عليه قائد معركة القنطرة ! » ●●●

اشترك فى معارك فلسطين عام ١٩٤٨ وهو ملازم .. فى شمال غزة . فى بيت جالون فى جباليا . وفى رفح . كان يعمل تحت قيـادة الضابط المشهور السيد طه الذى اطلقت عليه الصـحافة حينئذ لقب « الضبع الأســود » ..

ثم اشترك فى حرب اليمن ثلاثة وثلاثين شهرا و ١٧ يوما ! .. بدأها فى ٣ فبراير عام ١٩٦٣ ، قائدا لمجموعة قتال .. ثم قائدا للكتيبة .. فى مناطق مختلفـة .

ومنذ نوفمبر عام ١٩٦٧ ومواقع عمله فى الضـفة الغربية .. جنوب الاسماعيلية .. وشمالها حتى أصـبح قائد للفرقة ١٨ مشـاه ، وقائدا للمحور الساحلى العريش ــ قنطرة ــ غزة ..

ومنذ أن أصبح المشير أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما .. كانت كلمته له ، التى لم تتغير .. « مسئوليتك تحرير القنطرة شرق .. هذا قدرك مع الحرب . ومعى » !

وفى ساعة الصفر .. فى السادس من أكتوبر .. بدأ فؤاد عزيز غالى لقاءه مع قدره . وتحررت القنطرة شرق بعـد قتال مرير عنيف .. ثم أصدر القائد الأعلى قراره فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ بتعيينه قائدا للجيش الثـانى ..

هو اذن نموذج للمقاتل المصرى ، الذى لمس فى صدر حياته العسكرية ، الخيانة العربية فى حرب ٤٨ .. وكان الفشل .. ثم عرك حرب اليمن التى تكبدنا فيها خسائر كثيرة .. ولكننا ــ على حد قوله ــ خرجنا منها

بخبرات عســكرية كثيرة •• الاعتماد على النفس •• حرب الجبال •• خبرات لتخصصات مختلفة •• حرية التصرف للقادة المحليين •• الضبط والربط • ثم واجه مرارات المقاتل المصرى بعد هزيمة ٦٧ التى ابتعلت معارك عسكرية قاتل فيها الجندى المصرى بكفاءة وبسالة •• ولكن التاريخ أغفلهـا •• وأحس بالمهـــانة تأكل قلبـــه • وكان لا يرتدى حلتـــه العســكرية ، عندما ينزل الى المدينة • فالجماهير كانت كافرة بجيشها • والجيش كافر بالقيادات الكبرى التى حرمته من اثبات وجوده وقدراته •• وهكذا أمضى وقته بعد ذلك • ينتظر ســاعة صفر جديدة ، يستعيد فيها كرامته ••

كان يحاول خلال حرب الاستنزاف أن ينتقم لمهانة ٦٧ • قام بأكثر من عملية عبور •• ضرب ودمر •• وعاد بالأسرى بين الكاب والتينة •• ومرة أخرى فى منطقة الجيش الثالث •• ومرات بعد ذلك ••

وهاجم منطقة شمال البلاح من قبل ثلاث مرات •• نجح فى هجوم عــام ٦٩ •• فشل فى الهجوم الثانى فى نهاية عام ٦٩ • اســتخدم فى الهجوم الثالث عام ١٩٧٠ أسلوبا مختلفا ••

وفى أبريل عام ١٩٧٠ •• قام فؤاد غالى مع مجموعة قتالية بعبور •• وهاجم احد المواقع بعنف شــديد • وكان قتالا عنيفا • انسحب بعده واختبأ فى موقع قدر أن القوة الاسرائيلية ستعود منه ، واستمر مختبئا أكثر من ٩ ساعات •• وتحقق تقديره •• وفاجأ القوة الاسرائيلية بنيران لاترحم ، التهمت ٤٨ من جنود العدو • وكانت مجموعته من ١٣ مقاتلا •

وصمم الاسرائيليون فى اليوم التالى على الانتقام من هذه الضربة المــرة ••

وألقوا فى غاراتهم الانتقامية بقنابل ثقيلة ، تعادل فى مجموعها ، ما ألقى فى حرب الأيام الستة كما أعلن ذلك قادتهم ••

وكأن هذا حقيقيا • لقد بلغ مجموع الحفر التى أحدثتها قنابل العدو من زنة ألف رطل وألفى رطل فى موقع دفاعى مساحته ٦٠٠ متر × ٨٠٠ متر •• بلغ عدد حفر القنابل ٤٨٠ حفرة !

وقد ذهل ضابط أجنبى كبير زار هذا الموقع •• عندما سمع فؤاد غالى يطلب من الجنود أن يظهروا من مخبئهم ••

قال الضابط الأجنبى الكبير :

وهل يوجد موضع لهم هنا •• بعد أن أصبح موقعهم هدفا معروفا ••

وكان رد فؤاد غالى :

بالعكس •• كان يجب أن أستمر فى استخدام هذا الموقع ، لأنه من وجهة نظر العدو قـد تدمر تماما •• ولن يكون فيه موضع لقدم •• كانت كل جزئيات فى أرض القنطرة شرق •• مرتسمة فى ذهنه كصورة فوتوغرافية كاملة •• المعلومات اليومية التى يحصل عليها من نقط الاستطلاع • المراقبة الجوية •• المراقبة بالنظر ••

عاش خمس سنوات وثمانية أشهر •• يدرس الأرض والتحصينات •• ويحلم بالتهامها •• العسكرية هوايته •• وطفله الأصغر شريف عمره ١٢ سنة •• أمضى معه فى الجبهة طوال أشهر عطلة المدرسة حتى أول أكتوبر • وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الأسلحة ! •• أمله أن يراه مقاتلا •• وكان الطفل يقول له : « أمتى بقى •• تنزلوا علم اسرائيل » !

وبعد ان تحقق الانتصار •• وفى أول اتصال تليفونى للأب مع أسرته صاح شريف فى التليفون ضاحكا : عملتها يا بابا •• برافو عليك ••

وسألت الرجل : ألم تفكر فى أسرتك ، ليلة الهجوم ••

ـ مطلقـــا ••

ـ حتى مع هذه العاطفة القتالية التى تربطك بطفلك شريف ••

ـ مطلقـــا ••

ـ وكيف أمضيت الليل بعد أن عقدت الاجتماع الأخير مع قيادتك •• وسلمتهم مظروفات ساعة الصفر ••

ـ لم أنم • كنت فى تفكير هادىء متصل • كانت أمامى كل الاحتمالات •• وكنت أراجع أساليب تصرفنا أمام هذه الاحتمالات ••

ـ هل كان منها توقع ضربة مفاجئة من العدو ••

ـ طبعا •• كان هذا الاحتمال محسوبا وخاصة فى الأيام الأخيرة ••

ـ وبماذا تعلل هدوء أعصابك وأنت مقدم على تجربة الحياة والموت ••
ـ لم تكن بالنسبة لى تجربة حياة أو موت •• لقد أخذتها من جانب الموت فقط •• كان شعارى الذى غمر أيضا كل قلب من الجنود •• « يا قاتل •• يا مقتول » •• اما أن نحرر الأرض •• أو أن نموت عليها حتى آخر رجل •• هذا أمر ليس موضوع مناقشة أو تردد •• المستحيل هو أن أعود من القنطرة شرق حيا •• وأتركها للعدو ••

وكانت كلمات الرئيس السادات فى آخر اجتماع شهده ، هى التى تسيطر عليه تماما :

ـــ يا أولادى •• هذه هى امكانياتنا •• ليس فى مقدورنا ان نحصل على مزيد من السلاح •• هذا أقصى ما استطعنا أن نوفره • وانتم عارفين كل حاجة •• وأنا مطلعكم على التفاصيل أول بأول •• تقولوا أسلحة دفاعية •• أسلحة هجوميه •• سموها زى ما أنتم عاوزين •• لكن ده اللى عندنا •• هنقدر نحارب وألا لأ ؟ •• ده هوه السؤال • احنا مؤمنين بأن تحرير الأرض هو قدرنا •• أم لأ ؟ •• ده هوه السؤال • نموت أحرار •• أشرف ألف مرة من حياة المذلة •• والعــدو قدام عينيا •• وواقفين عاجزين •• اذلاء » •

وهذا فى رأيى أقوى بطولات معركة ٦ أكتوبر •

القتال بالامكانيات التى بين ايدينا ، والى الحد الذى تستطيع هذه الامكانيات ان تحققه مــع التخطيط الجيــد ، والاســتعداد الكامل ، والاقتحام المتفانى ••

كما أن التخطيط للمعركة لم يفرض من « فوق » ••

لقد أعطيت لكل القيادات الميــدانية •• حرية الحركة والتصرف •• وكل قائد فرقة أبدى ملاحظاته على الخطة •• بعد استشارة القيادات التى تتبعه •• ونوقشت كل الملاحظات مع القيادة الأعلى وهكذا •• حتى آخر سلسلة قيادية ••

ومن هنا كان كل قائد مقتنعا بخطة معركته ••

وعندما قام المشير أحمد اسماعيل بآخر زيارة له لجبهة القتال •• فى الأيام السابقة على ساعة الصفر •• وبالتحديد قبلها بسبعة أيام ••

ناقش المشير قائد بور سعيد فى خطته •• ثم اتجه الى فؤاد غالى :

— وانت كيف ستستولى على هذه النقط .. (من حصون بارليف).

وأجاب باعتزاز :

هادوس على زرار يا أفندم .. وبعدها ستسقط جميع النقط القوية فى القنطرة شرق !

ولم يظهر على وجه المشير احمد اسماعيل أى تعبير ، يمكن أن يوحى بأن هذ هالاجابة أعجبته أو لم تقنعه ..

وانتظر لحظات ثم قال : لا .. أشرح لى خطتك الأخيرة ..

وشرح قائد الفرقة ١٨ كل التفصيلات ..

وأقرها القائد العام فى شكلها النهائى ..

* * *

وحانت ســاعة الصفر ..

بدأت هجمات طائراتنا على العــدو ..

بدأت نيران المدفعية تحمى العبور ..

وعبرت قوات الفرقة ١٨ . وعبر قائدها ..

وبدأ تنفيذ الخطة على الفور ..

صعوبة القنطرة شرق •• ان العدو يعرف ان سقوطها له معنى سياسى كبير ، لأنها المدينة الثانية فى سيناء بعد العريش •• ولذلك فان تركيز العدو عليها أمر مفترض ••

والصعوبة الثانية •• ان أرض القتال فيها تتوسطها مبانى المدينة •• وهذا عائق قتالى فى وسط المعركة ••

* * *

ولم تكن معركة سهلة ••

ويجب أن نعرف أن القوات الاسرائيلية ، قاتلت بشراسة واستماتة ، ودافعت عن مواقعها بكل امكانياتها ••

انني أكتب هـذا •• لأن الكثيرين فى مصر •• تصـوروا ان العبور والاستيلاء على حصون بارليف •• والتقدم فى العمق •• مر هكذا سهلا وكأنه نزهة •• وكأن الاسرائيليين هربوا منـذ الدقائق الأولى وانتهى الأمـر !

لقد أخذتهم المفاجأة فعلا فى الساعات الأولى من المعركة •• ولكنهم قاتلوا بكل احتياطياتهم القريبة ، وراء بارليف على ثلاثة خطوط ••

ولما أفاقوا من المفاجأة •• استخدموا كل امكانياتهم •• حتى تحطموا فعلا •• لولا الانقاذ الأمريكى الذى بدأ فى اليوم الرابع للقتال •• واستمر وبدأ يظهر منذ الحادى عشر من أكتوبر • وكانت معارك الدبابات رهيبة فعلا • ولم تكن الدفرسوار هى الثغرة الوحيدة التى حاول العدو ان ينفذ منها • الدفرسوار كانت واحدة من المحاولات • حاولوا عند الفردان واستطاعت دبابة اسرائيلية أن تصل الى قرب كيلو متر واحد من كوبرى الفردان ولكن لواءهم ألـ ١٩٠ تدمر تماما • وحاولوا مرة ثانية وفشلت المحاولة •• معركة دبابات رهيبة سميت معركة « الطالية » •• وثالثة •• ورابعة •• ان كل الهجمات المضادة الاسرائيلية طوال أيام القتال كانت محاولات لاختراق قواتنا للوصول الى الضفة الغربية •

وسيجىء تفصيل ذلك ، فى موضع آخر من هذا الكتاب ..

* * *

كانت المعركة صعبة فى القنطرة شرق .. لأسباب عديدة .. منها ان موقع الهجوم المصرى فى الضفة الغربية .. منخفض (أرض زراعية) . وموقع العدو مرتفع فى الشرق . كما ان أرض المعركة ليست جافة .. معظمها (سبخ) لا تصلح للسير ولا تيسر التحرك العسكرى شرقا أو غربا . كما ان تحصينات العدو فى الشرق (خط بارليف) كانت من أكبر تحصيناته .

وقد اختار القائد المصرى أن يهاجم تحصينات بارليف فى معظم نقاطها .. من الأمام لا من الخلف .. اختار المواجهة ، وهى المهمة الصعبة .. وفى التحصينات البعيدة هاجمها من الخلف والأجناب ..

كما أنه بنى خطته على مواجهة سريعة جدا ، بكل القوة الضاربة دفعة واحدة .. مع محاصرة المدينة بنفس السرعة باندفاع قوى بقوته الرئيسية .

كانت أمامه ٧ نقاط لخط بارليف . وكانت مسافة المواجهة ٣٧ كيلو مترا فاختار أولا : أن يركز قواته وهجومه على امتداد ١٨ كيلو مترا فقط أمام النقاط الرئيسية وهى أربع . واقتصر ضربه على النقاط المتطرفة شمالا ويمينا بالضرب النيران . واختار أولا ان يهاجم النقطة الأولى .. والنقطة الرابعة .. وأن يحيطها بدرع من قواته خلفهما . حتى يكون فى وضع يتصدى فيه لاحتياطات العدو الخلفية عند تقدمها .. وجعل لدرعه اعماقا متتالية . من الصعب اختراقها ..

. . . .

تم احتلاله للنقطة الأولى والنقطة الرابعة بعد ٢٥ دقيقة من العبور بالمشاة والأسلحة الخفيفة . ورفعت القوات المصرية الأعلام عليها ..

وبدأ حصار المدينة بعد ٣٥ دقيقة ..

ثم هاجم النقطة الثانية وأحتلهـا ••

ثم سقطت النقطة الثالثة التى قاومت بشدة حتى الساعة الثامنة من المســاء ••

أن الجانب الأيمن الذى بدأ منه عملية الحصار •• هو منطقة شمال البــلاح ••

والجانب الأيسر هو منطقة الحرش ••

وقد بدأ الهجوم الاسرائيلى حوالى الساعة الثالثة الا الربع ••

واستمرت هجماته المضادة •• وحتى الغروب فى السادسة مساء •• فشلت هذه الهجمات المضــادة أمام مقاومة المشــاة المصريين بالأسلحة الخفيفة ••

وكان العدو يهاجم من اليمين واليســار •• وفى المنتصف بهدف فك الحصار على قواته داخل مدينة القنطرة ••

وفى الساعة السادسة والربع من المساء •• ركز العدو ضربة شديدة على الجانب الأيمن •• واخترق الحصار المصرى فعلا •• وتخلت القوة عن مسافة تتراوح بين كيلو مترين ونصف وثلاثة كيلو مترات •• الى الوراء • •وركز القائد المصرى مواقعه الدفاعية بسرعة •• وعلى أعماق متتالية •• ومن هنا اطمأن الى أن العدو ، لو أنه اخترق هذه الدفاعات ، فانه سيكون فى مصيدة نيران من جميع الجهات ••

وكانت مساحة هذه العمليات بعرض من ٦ الى ٨ كيلو مترات •

واستمرت المعارك طوال الليل •• وكانت الدبابات المصرية قد عبرت (على معديات ــ لا كوبرى) ••

وكان يمكن أن تؤدى نجاح هجمات العدو الى نتائج خطيرة .

ـ لأنها أولا عطلت قدرتنا على عبور الدبابات .. وبعد تركيز الضرب على المعديات .. ثم قوة الهجوم الاسرائيلى على الجانب الأيمن .. لم نتمكن الا من عبور عدد بسيط من الدبابات فقط كل ساعة ..

ولكن الاختراق من الجانب الايمن لم يفلح ..

لقد استعاد العدو الموقع الحصين شمال البلاح .. ثم استعدناها .. واستمر الموقع طوال الليل ، مناصفة بين قواتنا وقوات العدو .. ولكن الجندى المصرى لم يخرج منه أبدا ..

وفى الساعة السادسة من الصباح قام فؤاد غالى بهجمة مضادة عنيفة .. واستعادت قواتنا الموقع تماما .. وتقدمت ٣ كيلو مترات جنوبا ..

وقد قاتل الاسرائيليون بعناد واصرار ..

وتحطم لهم فى هذه الهجمات ٣٧ دبابة .. ولم يبق للعدو الا أربع دبابات .. ومع ذلك تقدم بها ، يريد أن يكمل رأس حربه ..

وقضينا على هذه الدبابات الأربع ..

وخلال هذه المعركة القاسية .. لم يتوقف العدو عن الهجوم من اتجاهات أخرى . وجه ضربات للجانب الأيمن للقوات المصرية من اتجاه حوض أبو سمارة جنوب رمانة ..

وفى ٧ أكتوبر نجح العدو فى اختراق جزء من مواقعنا ..

ولكن قواتنا استعادت مواقعها بمعونة الدبابات التى عبرت خلال الليل ..



وفى اليوم التالى — ٨ أكتوبر • قرر العدو أن يوجه ضربة عنيفة بلواء مدرع تقدم من رمانة فى اتجاه القنطرة •• ووجه ضربته فى خطين ••

وتمكنت وسائل استطلاعنا من استكشاف الموقف •

واتصل اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، بقائد قواتنا فى القنطرة •• وحذره :

— لواء مدرع اسرائيلى يتقدم اليك مع أول ضوء لضربك •

وبنى فؤاد غالى خطتــه •• على انتظار العــدو عند نقطة معينــة بحيث يفاجئه بقصف بنيران عنيفة ••

لقد اختار القائد المصرى موقع قيادته فى مكان مرتفع يطل منه على الجبهة كلهــا •• ويستطيع أن يراقب الموقف ، ويقدر المسافات ••

ان المعركة الناجحة فى رأيه تقدير مسافة أولا •• مع تقدير وقت ••

فوجئت القوات المهاجمة بالقصف الشــديد •• فوقع الارتباك بين صفوفها •• وهنا •• كان الطيران المصرى ، قد ظهر فى الوقت المناسب المحدد له ، ليضرب بعنف ••

وباعتراف أحد الأسرى أن ٧٠٪ من الكتيبة الميكانيكية لهذا اللواء المدرع الاسرائيلى ، قد ابيدت تماما ••

ويقول فؤاد غالى :

كان مشهد الطيران المصرى ، مثيرا وممتعا حقا • ولم يكتف طيار واحد بضربة واحدة •• كان بعضهم يدور ثلاث دورات ويضرب ويضرب ويضرب ••

وانتهى هجوم العدو بالفشـــل ••

أننا الآن فى الثامن من أكتوبر ••

فشل هجوم العدو على الجانب الأيمن ••

ولكنه كان يهاجم فى الوقت نفسه الجانب الأيسر من قوات هجومنا على القنطرة •• ونجح فى تحقيق اختراق جزئى بهـــا ••

وطهرت قواتنا هذا الاختراق الجزئى فى ٤٥ دقيقة ••

وبعد هذا يئس العدو فعلا •• من محاولات استعادة القنطرة •

وسألت فؤاد غالى : ولماذا لم ينجح طيران العدو فى حماية اللواء المدرع المهـــاجم ••

قـــال :

الملاحظة العامة أن طيرانه كان « مهزوزا » •• فى هذه المراحل الأولى من القتـــال ، بعد أن سقط منه الكثير ••

* * *

ولكن العدو لم ييأس ••

بدأ تجميع قواته •• وأعد لهجوم مدرع آخر على شمال الاسماعيلية • وكانت هذه مهمة عساف ياجورى قائد اللواء مدرع ١٩٠ اسرائيلى ••

وتصدت الفرقة الثانية بقيادة أبو سعده لهذا الهجوم ، كما شرحنا فى فصل آخر ••

•• فى هجوم آخر للقوات المدرعة الاسرائيلية على قوات الجيش الثانى

شمال شرق الاسماعيلية •• تقـدم بقوات الى اليمين •• وأخرى الى اليسار •• واخترق من الوسط •• وحقق نتوءا فى الوسط •• أمام كوبرى الفردان •• وتمكنت احدى دباباته أن تصل الى بعد أقل من كيلو متر من الكوبرى ••

وهذه هى الثغرة التى فشل فى صنعها •• ليصل الى الضفة الغربية •• وليستولى على مدينة الاسماعيلية ••

هنا وجد اللواء سـعد مأمون قائد الجيش الثـانى ، الموقف بالغ الخطـورة !••

وتصرف بهـدوء ••

دفع بقوات جديدة من الغرب ، عبرت الى الشرق • لكى تعاون فى التصدى من الوسط ••

وفى الوقت نفسه •• طلب من قوات القنطرة بقيادة فؤاد غالى •• التقدم وتوجيه ضربة الى جنب وظهر دبابات العدو التى تقوم بالهجوم على الجنب الأيسر للفرقة الثانية •

وتم كل ذلك بنجاح ••

ولكن المعركة الرهيبة استمرت ثلاثة أيام ••

وقد ذهبت الى موقع هذه المعركة ••

ومن تبة وبالمنظار المكبر •• رأيت آثار المعركة ، فى الدبابات الاسرائيلية المحترقـة ••

وفى يوم ١١ أكتوبر قام العدو بمحاولة أخرى ..

كان يريد أن يصل الى مفترق الطرق .. الذى يمكن أن تنفذ منه قواتنا الى الطريق الساحلى اذا تقدمت شرقا ..

وقام العدو بهذه المحاولة مستخدما طريقين ..

وحقق نجاحا جزئيا .. ثم تدمر هجومه تماما ..

* * *

وخلال ذلك .. بدأت معركة دبابات أخرى فى التاسع من أكتوبر ..

يسمونها معركة (الطاليا) .. وهى التى استشهد فيها قائد اللواء الذى منح نجمة سيناء ..

وتصدت فى هذ ه المعركة .. الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ (مما سيجىء تفصيله فى فصل آخر) .

كانت على مساحة شاسعة من أرض الصحراء ..

ولم تتوقف هذه المعركة التى كانت تتجـــدد كل يوم ، حتى يوم ٢٢ أكتـــوبر !

وقد زرت أرض هذه المعركة .. وهى تواجه مدينة الاســـماعيلية ..

وفى هذه الأرض ، ظهر عبد العاطى المشــهور ، الذى دمر وجماعته ٢٤ دبابة اسرائيلية بصواريخ اليــد !

والمشهد رهيب حقا ..

على امتداد الأفق دبابات محترقة ، نراها من بعيد كأنها علب كبريت صغيرة ســوداء .. ويقربها الينــا المنظار الكبير .. وهى منتشرة فى الصحراء ، صــفوفا وراء صــفوف .. هــذا عدا الدبابات التى تمكن الاسرائيليون من رفعها .. ونقترب من الدبابات المحترقة .. بســيارة صلبة تخترق طريقها فى الرمال .. ويأخذنا المنظر المخيف .. أطنان من الصلب المحترق . وعلى بعضها علامات (X) بالطباشير الأبيض .. ان هذا يعنى أن الاسرائيليين أخرجوا الجثث منها ..

* * *

وبعد .. أنى أعتبر عرضى السابق لمعركة تحرير القنطرة .. عرضا جافا .. ولأننى أغفلت فيه ، وأنا أحدد الخطوات العسكرية ، الجانب الاهم والأخطر .. وهو الجانب الانسانى ..

الانسان المصرى الذى واجه هذه الحرب المريرة ..

انســان معجزة ٦ أكتوبر ..

الانسان يتمثل فى القائد أولا .. الذى كانت القنطرة بالنسبة له .. « يا قاتل . يا .. مقتول » ..

كانت هذه الخطة الأولى .. أن نحرر القنطرة .. أو نبقى فيها ،

ولنكن جثثا .. حتى آخر رجل .. اذا عجزنا عن التحرير ..

هذا هو الوقود الأول للمعركة .. الذى ملأ قلب كل مقاتل فى هذه المعــركة .

ولذلك لم يكن غريبا أن نرى الجنــود المصابين فى معركة القنطرة ، وهم عائدون فى القوارب الى الغرب ، لكى ينقلوا الى المستشفيات .. بعضهم فقد أصابع قدمه .. دمه يسيل . .وهو لا يشعر .. انه يغنى ؟ .. ويصفق ! .. وكأنه راجع من رحلة ! ..

وهذا معنى الانتصار !

وهنا نسمع من فؤاد غالى .. أنه يعتز بالمقاتل الفلاح !

وعند تعويض خسائره فى عمليات اعادة تنظيم القوات ، وكان الفريق أول محمد فوزى ، وزير الحربية .. طلب فؤاد غالى ، جنودا من الفلاحين .. وكان الاتجاه حينئذ أن يعاد تكوين القوات المسلحة .. بالشباب المؤهل فى الجامعات .. واستدعاه محمد فوزى وسأله : هل تريد أن توجد تنظيما خاصا لك .. يختلف عن التنظيم العام للقوات المسلحة ..؟

وكانت وجهة نظر فؤاد غالى ،التى احترمها وزير الحربية ، أن المقاتل الفلاح اذا درب تدريبا حسنا ، فان ذكاءه فى التنفيذ خارق .. وان قدرته على الاحتمال تصل الى حد الاعجاز .. وهذا يعنى عدم الاحتياج الى نسبة كبيرة من المؤهلات .

لقد خبرها فى حرب الاستنزاف ..

انه لا ينسى مروره على قواته بعد ١٥ يوما من الضرب المتواصل بقنابل العدو من طائراته .. الضرب الذى لم يتوقف ليلا أو نهارا ..

— الواحد مهم واقف زى السبع فى موقعه •• وأسأله •• أنت مش خايف يا فلان •• وأسمع رده : العمر واحد والرب واحد يا أفندم ••

❋ ❋ ❋

هذا المقاتل المصرى •• هو الذى اندفع الى حقول الألغام •• دون أن يفكر فى حياته لحظة •• وهو يصرخ « الله أكبر » ••

ان المجموعة الأولى التى هاجمت نقاط بارليف •• كان من بينها جنود ، رقدوا على الاسلاك الشائكة بأجسادهم ، لكى يعبر فوقهم زملاؤهم !•• لقد استشهدت هذه المجموعة ، وبقى منها جندى واحد على قيد الحياة •

وضابط شاب بطل حصل على نجمة سيناء •• تفخر به قوات القنطرة • كانت مهمة هذا الضابط اقتحام النقطة الأولى من حصــون بارليف •• ونجح •• ولكن زملاءه الذين اقتحموا النقطة الثــانية لم يســتطيعوا الوصول اليها ، لأن الطيران الاسرائيلى طاردهم •• فتأخروا • واذا بالضابط الأول •• يقتحم النقطة الثانية أيضا •• بنفس قوة أفراده التى اقتحم بهــا النقطة الأولى !

❋ ❋ ❋

قلت للواء فؤاد عزيز غالى :

— اذاعت اسرائيل انها دمرت موقع قيادتك فى القنطرة •• هل هذا صــحيح ؟ ••

— نعم •• هذا صحيح •• ومع ذلك رفضت تغييره ، ولو أن هذا خطأ عسكرى ولكننى قدرت أن وجودى فى موقعى رغم ضربه ، له أثر طيب على معنويات المقاتلين معى •• ولذلك لم أغيره ••



لقد تعرض للموت ثلاث مرات ..

المرة الأولى فى أول أيامالقتال .. فى ٦ أكتوبر . لقد قصفوا الموقع بقنابل ألف رطل .. رمى نفسه فى حفرة بدون غطاء ، على بعد ٧ أمتار من الضرب . ونجا . ولن ينسى أن الجنود ارتموا فوقه لانقاذه . أرادوا أن يفتدوه !

وكانت المرة الثانية فى ١٧ أكتوبر .. والثالثة فى ٢١ أكتوبر ، لم يكن بمركز القيادة فى المرة الثانية . كان يقود مفرزة تقدم بها بعد حدوده الأمامية .. ومعه طقم صواريخ ..

وكانت هذه احدى واجباته .. التى كان يكلف بها نفسه .. ومن الممكن أن يؤديها ضابط برتبة صغيرة .. ولكن قيام القائد بهذه العملية الاستطلاعية .. كان يؤكد لكل مقاتل معه . أنه معهم جميعا على خط النار والاستشهاد ..

وفى احدى هذه الجولات الاستطلاعية الخطيرة لاحظ تقدم مجموعتين من دبابات العدو .. الى يساره .. وفى مواجهته . وبدأ طقم الصواريخ بمجموعة اليسار .. فأصاب الدبابة الأولى . ثم الثانية .. وبقيت الثالثة .. وقبل أن يصوبوا نحوها .. كانت الدبابات المواجهة تقصفهم .. ونجوا بأعجوبة !

* * *

وكانت هذه الجولات الاستطلاعية تسمى رحلات اقتناص الدبابات خارج الحدود . وفى احداها تمكنوا من الاستيلاء على أحدث دبابة أمريكية . سليمة تماما .

ولا ينسى القائد يوما تقدم اليه ضابط برتبة ملازم ، يعمل فى الشئون الادارية للفرقة ..

قال الضابط الصغير : أننى أشعر يا أفندم .. أننى لا أحارب . أريد أن أشترك فى عمل قتالى .. فوق الشئون الادارية ..

واشترك هذا الضابط فى كمين ليلى لدبابات العدو خارج رأس الكوبرى •• وعاد الى عمله فى الشئون الادارية ، مستريح الضمير ••

ان خسارة العدو فى الدبابات أمام رأس الكوبرى تصل الى ٥٨ دبابة •

وخسائره فى الداخل فى مواقع التحصينات •• وفى هجمات الاحتياطى المضادة •• تصل الى ٦٧ دبابة •

أما الأرواح •• فالتقدير يتراوح بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ قتيل فى حصون بارليف ، وعلى أرض المعارك ••

وكات خسائر قواتنا فى الأفراد فى معارك تحرير القنطرة •• هى بنسبة الخمس ، اذا قيست بمتوسط خسائرنا فى جبهات القتال الأخرى ••

ولم نفقد أسيرا واحدا ، حتى ٢٢ أكتوبر ••

* * *

وفى يوم ١٣ أكتوبر كان واضحا فى كل جبهات جيوشنا شرق القناة ، أن الجيش الاسرائيلى قد واجه انهيارا كاملا ••

وبدأت تظهر فى اليوم الحادى عشر •• طلائع الامدادات الأمريكية بالدبابات والطائرات والصواريخ الحديثة التى لم تستخدم فى فيتنام •

وفى ١٦ أكتوبر بدأت محاولة العدو •• فى التسلل الى الغرب عن طريق الدفرسوار ••

وبدأت معارك رهيبة ••

وهذه قصة أخرى ••

الفصل السابع

العميد.. في شهر العسل!

●●● « كان فى أول أيام شهر العسل ، عندما تلقى الاستدعاء التليفونى الى الجبهة ..! واستطاع أن يقدم الى حبيبته الأولى مصر .. أروع هدية . دمر اللواء الاسرائيلى المدرع ١٩٠ ، وأسر قائده عساف ياجورى .

وأوقف اطلاق النار . وعاد الى عروسه برتبة اللواء على كتفيـــه ..

قصته .. هى قصة الحب والحرب »●●●

فى الحادية عشرة من مساء ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اجتمع قائد الفرقة الثانية فى الجيش الثانى ، بجميع قيادات فرقته •• وأبلغهم ساعة الصفر • الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالى •

وتسلموا منه مظروف ساعة الصفر عند منتصف الليل ، لابلاغه الى وحداتهم فى الصباح • وقرأوا الفاتحة معـا •

وكان قسمهم على القرآن معا •• أن ننتصر أو لا نعود •

ثم انصرف القادة الى وحداتهم •• للاستعداد لآخر اللمسات •• وجميعهم يعتز بشعار هذه الفرقة « المبادأة ــ المفاجأة ــ الخداع » ••

أما قائد الفرقة العميد حسن أبو سعده ، فقد توجه الى لقاء قائد الجيش الثانى اللواء محمد سعد الدين مأمون •• واستكمل معه بعض المعدات الأساسية الناقصة من مخازن الاحتياطى •• ثم عاد الى مقر قيـادته ••

ولم ينم ••

ان جبهته تمتد من الاسماعيلية الى الفردان ، على مسـافة حوالى ٣٠ كيلو مترا • وهم يطلقون عليها « صرة » الجبهة •• لأن العدو لو نفذ اليها ، استطاع أن يستولى على الاسماعيلية •• وانتهى الأمر !

والعدو له على الضفة الشرقية المقابلة ٥ نقاط حصينة •• تدعم ظهرها ٥٠ دبابة قريبة •• وكتيبة مشاة ميكانيكية •• وفى الخط الثانى للعدو يوجد لواء مدرع قد يصل الى مائة دبابة أو أكثر ••

وفى الاجتماع الأخير للقيادات على مستوى الفرق الذى تم ذات يوم

من شهر سبتمبر •• احتدمت المناقشات حول كل احتمال •• واستكملت القيادات كل مطالبها الناقصة ، فى حدود ما هو ممكن • ووضع احتمال أن يقوم العدو بضربة « اجهاض مفاجئة » •• وتم الاستعداد لذلك • وكان العميد أبو سعدة يتوقع أن يقوم بها العدو فى الثالث من أكتوبر • وقد انتظر متوثبا للمفاجأة فى ذلك اليوم •• ولكن العدو لم يقم بالضربة •• وعرف بعد ذلك أن رئيس أركان العدو لم يزر جبهة القتال منذ ثلاثة أشهر •• وأن الضـــباط المهندسين المختصين بأنابيب النابالم التى كان مخططا لها أن تحول مياه القناه الى جهنم عند وقوع أى هجوم •• عرف أن هؤلاء المختصين لم يتفقدوا هذه الأنابيب منذ شهرين ! •• وقد أسر مهندس كان يتفقدها يوم الهجوم فقط •• فى ٦ أكتوبر !

وأشرق فجر ٦ أكتوبر ••

وأطمأن القائد على اللمسات الأخيرة ••

ثم سجل خطاب الهجوم ، الذى كان مقررا أن يذاع بالميكروفونات على الجنود مع أول طلقة ••

ثم صلى آخر ركعتين •• واتجه الى السماء ولسانه يردد : اللهم أنت تشهد أننى بذلت أقصى جهدى من علمى وأخلاصى ••

وكان ذلك فى الساعة السادسة والربع من الصباح ••

وغمرت نفسه سكينة صـــافية ••

وبدأ يشرف على تنفيذ كل التفصيلات ••

لحظات المخاطرة الرهيبة تقترب ••

ولا يستطيع المحارب حتى فى أحرج اللحظات الا أن يفكر فى زوجته •• أنه عريس لم يستمتع بأجازة شهر العسل الا يوما واحدا •• لقد عقد قرانه فى يوليو ٧٣ •• وأجل الاجـــازة التى بدأت فى ٢٦ سبتمبر

ولكنه تلقى اشـــارة تليفونية فى صباح اليوم التالى •• بالعودة الى موقعه على الفور ••

وفهمت زوجته كل شىء ، عندما كتب لها شيكا بكل ما يقتصده فى البنـــك ••

وتماسكت •• ودعت له بالتوفيق •

وتذكرت كلماته عندما اتفقنا على الزواج ••

قال لها : لا أريد ان اخدعك •• اننا مقدمون على الحرب ••

وقالت : الأعمار بيد الله •• وفخرى ان زوجى سيكون من الأبطال ••

قال : أرجو ان تفكرى مرتين ••

قالت : أنت تطعننى فى مصريتى ••

* * *

وجاءت لحظة الصفر ••

ودوت المدفعيـــة المصرية •• وانطلقت الصـــواريخ •• وأنطلقت الطائرات ••

وبدأ العبور العظيم ••

وخطواته متفق عليها ، بالدقيقة والثـــانية ••

عبور بالقوارب والأسلحة الخفيفة على ظهر الجنود وفى أيديهم ••

اختراق السواتر الترابية الضخمة التى أقامها العـــدو ••

اقـــامة الكبارى ••

خلال ذلك الاستيلاء على مواقع بارليف وتدميرها •

التصدى بالمشاة فقط لدبابات العدو •• واحتياطى دباباته ••

التمسك بالأرض •• حتى تعبر دباباتنا فوق الكبارى ••

التصدى للواء مدرع للعدو فى « المليز » •• خلف مواقع بارليف ••

والساتر الترابى المواجه فى هذه المنطقة رهيب •• ان ارتفاعه هنا يصل الى ٣٢ مترا ••

وكان الرئيس أنور السادات قد زار هذا الموقع •• ورأى من الضفة الغربية ، ضخامة هذا الساتر •• وكان سؤاله :

ــ هل استعددتم لضخامة هــذا الساتر •• ؟

وهذا الســـاتر • ســبق أن رآه جنرال ســوفيتى •• وكان معــه اللواء سعد مأمون •• وقال الجنرال يومها أن العبور مستحيل ••

وسأل القائد العــام أحمد اسماعيل •• قائد الفرقة الثـــانية أمام الرئيس •• كان ذلك فى شهر مايو ١٩٧٣ ••

ــ هل تستطيع أن تعبر بقواتك غدا •• ؟

وكانت الاجابة : انا جاهز الليلة يا أفنـــدم ••

القائد العام ـ هل تعنى ما تقول •• ؟

ـ أننى أعنى ما أقــول تماما ••

وشد الرئيس على يده ••

ثم تفقد الرئيس « المصطبة » المقامة على الضفة الغربية •• والمواجهة لمواقع العدو •• هذه المصاطب فكرة مصرية مائة فى المائة • وصــفها « بوفر » القائد الفرنسى بأنها أهرامات •• وضعت فوقها للتعمية نقط مراقبة مكشوفة •• ولكنهاكانت تخفى كل أنواع الأسلحة « من مدفعية وصواريخ ، ودبابات بمدفعية •• » وبحجم من ١٥٠ ألف الى ٢٠٠ ألف متر مكعب للواحدة وتكلفت ملايين الجنيهات •• وتصوير العـدو لهـا لم يكن مجديا فى معرفة أسرار استخدمها ••

وسأل الرئيس أنور السادات فى ذلك اليوم عن مهمة الهجوم ، والأرض المفروض الاستيلاء عليها ••

ثم قال : هل تستطيع الاستيلاء عليها فى ليلة واحدة ••

واجاب : ممكن يا أفندم •• لو فتحت الكبارى فى الوقت المحدد تماما

ودارت مناقشـــة حول التوقيت •• وهو أهم وأخطـــر عامل فى معركة العبور •• لأن المشاة كانوا سيواجهون وحدهم دبابات العدو ، لعدة ساعات ، حتى تصل مدرعاتنا ••

وفى ذلك اليوم •• قدم قائد الفرقة الثانية الى الرئيس علم الفرقة ، وقال له :

« أرجو أن تحتفظ بهذا العلم يا سيادة القائد الأعلى ، حتى تضعه

أمامك على مكتبك عندما يصلك البشير بأن الفرقة الثانية •• نفذت مهمتها •• وحققت النصر » •

* * *

اقتربت لحظة الصــفر ••

وكل هذه الرؤى لا تفارق مخيلة قائد الفرقة الثانية •• وهو يشرف على آخر لمســات المخاطرة الكبرى ••

انه يفترض فى تقديره أن العدو سيفاجئنا •• رغم كان عمليات الخداع وعلى هذا الأساس كان تخطيطه لكل تحرك • ولذلك كان مستعدا لكل احتمــال •

ان امامه ٥ نقاط حصينة للعدو •• علاوة على السواتر •••• محــاطة بكل أنواع الوقاية •• حقول الغام •• أسلاك شائكة •• ســيارات ميكانيكية •• عدا ثلاثة خطوط احتياطية من الدبابات خلفها ••

وبدأ العبور بالقوارب المطاط ••

وتم تسلق الضباط والجنود للسواتر •• والتقدم كيلو مترين •• فى عشر دقائق فقط •• وكان الوقت المقدر من ٣٠ الى ٤٠ دقيقة !

وظهرت دبابات العدو بعد وصولهم بعشر دقائق •• وبدأت تضرب ولكن القوات المصرية فى نشوة خالدة •• لقد ارتفع العلم المصرى على الأرض المحتلة • وأصاب الآلاف بهزة فرح خارقة وانطلقت أصواتهم كالرعد •• الله اكبر •• الله اكبر • كانوا يصرخون فى وقت واحد •• وعلت أصواتهم على دوى المدفعية والصواريخ •• انطلقوا كالمارد ••

وكان القائد يرتب كل شىء على الضفة الغربية •• حتى حان الوقت المحدد لعبوره • بعد ساعة ونصف • وكانت أعصابه هادئه • بل انه

دخن سيجارة فى القارب أثناء عبوره القناة . واستقبله الجنود على الشاطىء الشرقى بالهتاف والتصفيق .. وعلت صيحاتهم .. « ايوه يا وحش » .. وانتشر نبأ وصوله بين وحدات الفرقة .. وكان لهـذا أثره فى مضاعفة معنويات المقاتلين .. القائد بين ضباطه وجنوده معا.. لتحرير الأرض .

وتسلق العميد حسن ابو سعده الساتر الترابى ، على قدميه .. ولم يستخدم سلم الحبال بل انه وجد ان جهازا لاسلكيا يحمله احد الجنود ، ثقيلا على كتف الجندى .. فحمله هو بدلا عنه ..

وهو يعبر عن نفسه فى هذه اللحظات : وعندما رأيت علم مصر .. شعرت كأننى أرى مصر لأول مرة .. وجه انسانة عزيزة غالية أعرفها منذ سنوات طويلة .. وحولهـا وجوه كل من حاربوا من أجل مصر .. واستشهدوا من أجل مصر ..

وتم تركيب كل أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية ..

واتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى .. وأعطى « تمام » .

* * *

أول انتصار كان عند موقع العدو امام بحيرة التمساح ..

كان العبور الى هذا الموقع مفاجأة فعلا للعدو .. لأن كل التقديرات أن بحيرة التمساح غير قابلة للعبور .. ما دام العدو لا يتصور ان العبور ممكن منها .. فلابد أن نعبر منها وعبرت كتيبة ، وقابلها حقل الغـام عمقه ٣٠٠ متر .. فتحت فيه ثغرة ..

ثم تقدمت قوة لمحاصرة موقع العدو ..

ورأى العدو ان المقاومة غير مجدية •• والتقطت القيادة المصرية رسالة لاسلكية من هذا الموقع الى قيادته بأنه سينسحب بعد آخر ضوء •

وتم على الفور اعداد كمين مصرى على مسافة كيلو متر ونصف •• بعد ان تحدد الطريق الذى يمكن ان يسلكه •• وأبيدت قوة العدو المنسحبة •

* * *

وقبل أن استطرد فى رواية معارك الفرقة الثانية (للجيش الثانى)•• أحب ان أوضح هذه الصورة ••

السؤال هو •• ان مواقع خط بارليف ، أقيمت بحيث لا يؤثر فيها أى ضرب بمدفعية أو صواريخ •• فاذا كان الجندى الاسرائيلى مطمئنا بداخلها انها لن تتهدم فوق رأسه •• فلماذا يهرب ؟ •• ثم ما هو السبيل الى اجباره على التسليم ؟ ••

والجواب ان المقاتل الاسرائيلى •• أولا •• يحرص على تأمين حياته • هذا عنصر أساسى فى طبيعته القتالية • وكان الهجوم على أى موقع ، قد تم التدريب عليه مئات المرات • هل يكون من الامام •• أو من الخلف •• أو من الجانبين • وكانت الخطة •• احداث ثغره ••للدخول الى الموقع •• ثم القتال وجها لوجه ••

وقد أثبتت الاشارات الملتقطة •• واثبت التسجيل الذى نشرته « الصانداى تايمز » من أحد المواقع •• ان الجنود الاسرائيليين داخل هذه المواقع ، كانوا يطلبون نجدتهم بالمدرعات أو ضرب المدفعية •• أو ضرب الطيران •• وكانوا يرون القوات المصرية تحيط بهم من كل جانب •• ثم جاءت المدرعات المصرية •• وكانت القيادة الاسرائيلية تعدهم •• وتعدهم •• ولم يتحقق الوعد •• ففكر الجنود داخل المواقع فى

الانسحاب •• أو التسليم •• وفريق منهم أضطر أن يقاتل أمــام موقعه • وكان قتالهم شرسا ••

وفى موقع لسان بور توفيق مثلا •• قاتلوا من داخل الموقع الى أكبر وقت ممكن •• ثم لم يجدوا مفرا من طلب التسليم تحت علم الصليب الأحمر •

* * *

وفى معــارك الفرقة الثانيــة أكثر من قصة عن ســقوط المواقع الاسرائيلية ••

نقطة جنوب الفردان مثلا ••

لم يستطيع الملازم المصرى قائد الهجوم على الموقع من الامام مع جنوده فهاجم الى اليسار •• ولكن ضربات مدفعية العدو والطيران •• لم تهيىء له النفاذ الى الموقع ••

فتسلل ضابط آخر ومعه جنديان من وسط الالغام والأسلاك الشائكة •• وتسلقوا دشمة •• وكان خارج الموقع جنديان أحدهما معه مدفع رشاش •• قفزوا عليهما •• قتلوا الأول بخنجر • استولوا على مدفعه ووجهوه الى الثانى •• فتقدمت نحوهم سيارة مدرعة للعدو •• وكان طيرانه يهاجم أيضا •• فأصاب الاسرائيلين •• فخرج أفراد قوة العدو من داخل الموقع •• وجرى قتــال متلاحم حتى سقط الموقع صــباح ٨ أكتوبر ••

وفى الليلة الأولى •• تقدمت ٨ دبابات للعدو لحماية هذا الموقع •• وتصدى لها الجنود المصريون •• فنسفوا أربعا منها بالصواريخ ••وكان قائد المفرزة المصرية (نقيب) قد أصيب فى بطنه •• ولم يتراجع ولم يتخل عن موقعه •• وأصر الجنود على ملاحقة الأربع دبابات الأخرى المنسحبة ودمروهــا •

وهكذا لم يكن القتال سهلا •• وكانت المعارك دموية قبل عبور المدرعات المصرية •• وبعد وصولها • المقاتلون المصريون متعطشون للأرض •• وبمعنويات قتالية ملتهبة ، وخاصة بعد أن نجح العبور •• والاسرائيليون يحاولون تأمين أنفسهم ، لحماية مواقعهم •• ولكن القتال يجرفهم الى المواجهة •

وكان صراع الزمن هو المحك الصعب ••

هل تصل دبابات العدو الاحتياطية فى خطوطه الخلفية ، لنجدة المواقع الاسرائيلية • أولا •• أم ان القوات المدرعة المصرية سوف تصل من الغرب قبلها ••

وقد حسبت القيادات المصرية هذا التوقيت •• على أساس استطلاعهم لمواقع دبابات العدو فى الخطوط الخلفية •• والمدى الزمنى الذى يستغرقه وصولها •• وحساب توقيت تركيب الكبارى •• وعبور الدبابات ••

* * *

وكان السؤال الخطير فى احد الاجتماعات العسكرية التى حضرها الرئيس •• وما هو الموقف •• لو وصلت مدرعات العدو الرئيسية قبل مدرعاتنا ••

وكان جواب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى : لا حل الا موقف واحد •• الرجولة والتشبث بالأرض •• وصد دبابات العدو مهما كانت التضحيات •

* * *

ومفاجأة عبور الدبابات ليست بالأمر الهين ••

ان تعطل دبابة واحدة فجأة فوق الكوبرى •• استدعى رفعها بونش

•• واعادتها •• لمرور باقى الدبابات • عملية صعبة فى ظل القصف الجوى للعدو •• ومع سباق الزمن •• الدقيقة الواحـــدة لهـــا أثرها فى توجيه المعركة ••

وقد كانت التعمية حتى فى تركيب الكبارى وعبور الدبابات عليها •• وأضرب لذلك مثلا ••

فى هذه المنطقة بين الاسماعيلية والفردان •• هناك موقع على القناة ، يفتح على طريق مسفلت فى الضفة الشرقية •• والضفة الغربية أيضا • وهذا الموقع أيضا ، قريب من الطريق الأوسط فى سيناء •

وكان من الطبيعى ان يتصور العدو ان القوات المصرية ، ستقيم كوبريا ضخما فى هذه المنطقة ••

وفكرت القيادة المصرية ، ان هذا سيكون تصور العدو ••

فأوحت فعلا بأعمال معينة على الضفة الغربية •• انها تستعد لاقامة الكوبرى •

وكان قائد الفرقة الثانية ، يخرج فى الأيام الأخيرة •• ومعه ضباط •• وخرائط •• ويظهز أمام قوات العدو على الجانب الآخر •• وكأنه يعد فعلا ، لاقامة كوبرى فى هذه المنطقة ••

وفعلا فى يوم العبـــور •• تم أنزال قطع كوبرى (غير حقيقى) •• وانزلت عليه هياكل خشبية لدبابات ••

وانشغل العدو بضربه بالطيران أكثر من مرة ••

وكان القائد يأمر باصلاحه بعد كل ضرب ••

وكان العدو يعاود الضرب ••

وكان كل ذلك تعمية ، لحماية الكبارى الأخرى الحقيقية •• وتخفيف وطأة طيران العدو عليها •• واستمرت هذه العملية طوال الليل •• وقد عاش هذا الكوبرى أربعة أيام يؤدى مهمته بنجاح حتى أغرق !

* * *

وقد تم انشاء الكوبرى الحقيقى الأول فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة من مساء ٦ أكتوبر وبدأ عبور الدبابات ••

وتم انشاء الكوبرى الثانى بعده بثلاثين دقيقة •• وعاشا الى ما بعد انتهاء المعركة •

قلت ان الصراع الزمنى الرهيب كان هو العامل الأول •

ولذلك فان قائد الفرقة الثانية ، بعد ان عبر •• وبعد ان أكمل تحديد موقع قيادته ، وتم تركيب وسائل اتصاله السلكى واللاسلكى •• بقواته •• وبقيادته فى الجيش الثانى •• كان يعد الدقائق •• لوصول أول دبابة مصرية ••

ولقـــد وصلت أول كتيبة من دبابات العدو من خطوطه الخلفية فى الساعة الثامنة والنصف تماما •

كان العدو يتقدم مجزءا •• تقـــدم بكتيبة • وتم ابادتها بقوات المشـــاة •• ثم تقدم بالكتيبة الثـــانية ••

وتحرج الموقف ••

وفجأة تلقى القائد الاشارة بالشفرة :

« هالو •• هنا كيتوكو ٣١٧ • تم العبور » ••

وصرخ القائد من فرحته وهو يرسل اشارته ••

ــ انطق بالعـــربى ••

وجاء الرد — تم عبور الكوبرى .

وبدأت معارك الدبابات الرهيبة ..

* * *

لقد وجد العدو .. ان الجزء الوحيـد من الجبهة الذى عبرت اليه الدبابات ، هو فى هذه المنطقة ، وهى التى تؤدى الى الطريق الأوسط فى سيناء .. أهم الطرق ..

فركز مجهوده الرئيسى عليهـا ..

وبدأ الصراع الجبـار ..

* * *

يوم ٧ اكتوبر :

العدو يضاعف ضربات الطيران ..

العدو يضاعف الضرب على الكبارى ..

العدو يضاعف تحدياته للدفاع الجوى المصرى .

وعند أول ضوء .. كانت معنويات المقاتلين المصريين فى قمتها ..

أول شمس تطلع عليهم .. وهم على أرض سيناء .

وكان الجنود يضحكون .. وهم يسمونها « الصباحية » ..

بدأ الاحتياطى الكبير لقوات العدو المدرعة .. يصل الى أرض القتال فى الساعة السابعة من مساء ٧ أكتوبر ..

وبدأ العدو يتصرف بخطه ..

كان تصرفه فى النهار الأول .. والليلة الأولى .. والنهار الثانى .. تصرف الرد على فعل قواتنا وهجومنا والمفاجأة السريعة ..

كان تصرفه رد فعل ..

الآن تصرف العدو .. هو فعل .. مبادرة منه بخطة موضوعة ..

***

الساعة الثامنة من مساء ٧ أكتوبر صدر أمر قيادة العدو الى اللواء ١٩٠ مدرعات بالتحرك من بير سبع على الطريق الساحلى .. على أن يلحق به جزء من اللواء متمركز من قبل ، فى العريش ..

وكانت المهمة هى تدمير القوات المصرية فى الفردان .. ثم العبور الى الضفة الغربية ـ كما عرف بعد ذلك ..

وبدأت مدرعات العدو تظهر فى الساعة ١١ من صباح ٨ أكتوبر .

ظهرت سرية من ١٠ دبابات هاجمت الجانب الأيسر من قوات الفرقة الثانية .. وتم تدميرها بالكامل .. واستشهد فى هذه المعركة العقيد فطين .. الذى منح نجمة سيناء ..

ثم هاجمت سرية ثانية .. دمرنا منها ٦ دبابات ..

ثم هاجمت سرية ثالثة ..

وكان هذا يعنى ان هذه الهجمات المتتالية فى ثلاثة مواقع من الجانب الأيسر لقواتنا .. تعنى ان وراء هذه الهجمات شيئا كبيرا .. وخطة .

وطلب العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية ، من دوريات الاستطلاع ، ان تبحث عما يختفى وراء هذه القوات المدرعة التى هاجمت ثلاث مرات ..

وكانت نتيجة الاستطلاع ان قوات مدرعة بأعداد كبيرة ٠٠ على مسافة من ١٠ الى ١٥ كيلو مترا من مواقعنا فى طريق العريش ٠٠

وقدرت دوريات الاستطلاع عدد دبابات العدو من ٧٠ الى ٨٠ دبابة ٠٠ وأن موتوراتها ، دائرة ٠٠ وتقف متأهبة ٠٠ وأن مدافعها فى اتجاه الفردان ٠٠ أى فى اتجاه قوات الفرقة الثانية ٠٠

وتتابعت تقارير الاستطلاع ، بما يؤكد أن معركة كبير تقترب ٠٠

ثم التقطنا أشارة لاسلكى تعطى بلاغا من قائد هذه القوات المستعدة أنه سيبدأ هجوما بعد عشرين دقيقة وبأقصى سرعة ٠٠

كانت الاشارة باللغة العبرية طبعا ٠٠ وترجمت وأرسلت للقائد المصرى ٠٠ واستغرق هذا حوالى ١٠ دقائق ٠٠ ومعنى ذلك أنه لم يتبق امامه الا ١٠ دقائق للتصرف ، فى كيفية مواجهة الهجوم ٠٠

وقواتنا على مسافة ٥ كيلو مترات من القناة ٠٠ وهى التى تشـــكل رأس الكوبرى ، عند نقطة العبور ٠٠

وكان السؤال امام القائد المصرى ٠٠

هل يصد القوات المهاجمة عند حد قواته الامامى ٠٠ ومعنى ذلك ان تتجمع قواته ومدرعاته على الفور عند الحد الامامى لصد الهجوم ٠٠

أم ان يترك القوات المهاجمة تتقدم ٠٠ وتدور المعركة فى الداخل ؟ ٠٠

وكان يجب ان يتخذ القرار على مسئوليته ٠

ولا يكفى ان يصد القوات فقط ٠٠ لأن الصد يمكن ان يوقف الهجوم بعض الوقت ٠٠ ثم يتابع العدو الهجوم للمرة الثانية ٠٠

وفكر القــائد لحظــات ٠٠

ان أى معركة على حدود القوات ، لن تمنع العدو من الاختراق ٠٠ واذا ركز كل جهده وقواته على الحد الامامى ٠٠ فمن الممكن أن يتطور الموقف الى أســوأ ٠٠ بعد ان يخترق العدو ٠٠

وكان الأهم ان يحدد القائد المصرى ، استنتاجا ، المكان الذى يستهدفه العدو بعد هذا الهجوم ..

كنات هناك نقطة للعــدو فى الجانب الأيسر ــ على خط بارليف ــ لا تزال تقاوم .. ولم تقع .. ولم تستسلم ..

وكان من الطبيعى ان يهاجم العدو بالمدرعات ليصل الى هذه النقطة .. ومنها يحاول العبور الى الضفة الغربية ..

واستطاع القائد المصرى ان يحدد الخط الذى سيسير فيه العدو فى هجــومه ..

* * *

وكان هجوم العدو وبتشــكيل دباباته على هيئة رأس سهم .. فى قــوات متتابعة .

وكان يؤمن هجومه .. بغارات طيران مستمرة ..

وأصدر القــائد المصرى أمره الى قائد الكتيبة الواقعة على حدود قواتنـــا ..

ــ العدو ســيخترق فى اتجاهك . دعه يمر .. قبلت الاختراق .. سيتم ضربه فى الداخل ..

وكان المشهد رهيبا .. أصــوات المدرعات المخيفة .. زئير غارات الطيران .. زوبعة مريعة مفزعة من الرمال ..

وكان صعبا على قائد الكتيبة المصرية المقدم «الشهيد» ابراهيمزيدان .. ان يترك دبابات العــدو تخترق بدون مقاومة .. لأنه كما يلقبونه استاذ القتال المتلاحم فى المدرعات ..

ولكنه امتثالا لأمر القائد •• نزل فى الحفر مع رجاله ••

وسارت دبابات العدو فوق الحفر ••

وفى الوقت نفســـه كانت الكتيبة المصرية تضرب على جانبى طريق دبابات العدو بالطلقات حتى تأمن عدم تفرقها الى عدة طرق ••

وكانت مدرعات العدو تجرى بسرعة عالية جدا وهى ٤٠ كيلو مترا •• والسرعة العادية للمدرعات من ١٥ الى ٢٠ كيلو مترا ••

ولكن العــدو شـــاء ان يكون اختراقه سريعا ومفزعا ••

ان مدى مدفعية الدبابة يصل الى كيلو مترين •• ويجب ان تتدمر دباباته قبل أن تصل الى عمق رأس الكوبرى المتمركز ••

دخلت مدرعات العــدو ٥٠٠ متر ••

واصلت التقــدم ٥٠٠ متر أخــرى ••

ثم بدأ اطلاق النار عليها من جميع الجهــات •• من اليمين واليسار وأمامها •• وحتى كتيبة زيدان التى تركت دبابات العدو تخترق •• بدأت تضربها من الخلف •• وكانت هذه الخطة هى مصيدة الموت ••

فوجئت قوة العدو انها فى كمين «أرض قتل» كما يقول العسكريون ••

كانوا يهاجمون باثنين وسبعين دبابة ••

وكان ترتيب وقوف قواتنا انتظارا لتطويقهم ، بحيث تصوب أكثر من ٦ مدافع من أنواع مختلفة على كل دبابة ••

ولم يكن ليستطيع الانسحاب •• لأن قوة ابراهيم زيدان • تقدمت خلفه •• وكانت تضربه فى المؤخرة وعلى مسافة ٥٠ مترا ! •• وبعض

الجنــود المصريين •• هاجموا وهم جرحى •• وبعضـــهم هاجم ويده اليسرى مقطوعة !

وانتهت هذه المعركة الخيالية فى دقائق !

ان معركة لواء فى العلم العسكرى ، تســتغرق من ساعتين الى ثلاث ساعات •• ولكن ما حدث •• كان حدثا فعلا !

ولم يشـــأ القائد أن ينتظر لكى يتفقد المعركة ••

لقد أمر على الفور ، بمجرد احتراق دبابات العــدو •• وتعطلها •• وتدميرها •• بتطوير هجوم قواته الى الجانب الايمن ••

فاستولى على مركز قيادة للعــدو فى « تبة الشجرة » •• وهرب منه جنــوده ••

ثم اندفع بقوات أخرى الى الموقع الذى كان لم يستسلم بعد •• وكان ينتظر وصول لواء المدرعات اليه •• وسقط هذا الموقع فى الساعة الرابعة مســاء ، أى بعد أربع ساعات ••

اما قواته على جانبه الأيسر الذى تم منه الاختراق •• فقد تقدمت الى اليسار لتحسين أوضاعها ••

وبقيت دبابة للعدو لم تدمر •• وتحاول الافلات من رأس الكوبرى •

تصدت لها دبابة مصرية •• ضربتها مباشرة فى مقتل •• تحت برجها مباشرة ••

قفز من دبابة العدو المحترفة أربعة •• جروا وسط الرمال •• وأختبأوا فى حفرة انضم اليهم أربعة آخرون من عربة مدرعة للعدو •• وأصبحوا كلهم فى الحفرة الواحــدة ••

دفعنا اليهم سيارة مجنزرة حتى لا يهربوا ••

طوقتهم ••

تقدم اليهم المقاتل فتحى نجيب ومعه عدد من الجنود •• خرجوا من الحفرة •• رموا السلاح •• رفعوا الأيدى •

قـــال واحد منهم بلغة عربية ركيكه : انا قائد اللواء الاسرائيلى •• عاوز أقابل القائد المصرى •

الملازم : اثبت هذا ••

أخرج الطبنجة •• وبطاقة تحقيق شخصية ••

كان يرتدى حلة عسكرية بلا رتب عليها ••

❋ ❋ ❋

وغمى وجهه • ووثقت يداه من الخلف • طبقا لمعـــاهدة جنيف • وتم الاتصال بالقائد المصرى •• العميد حسن أبو سعده ••

كان القائد منشغلا •• باكمال تطوير الهجوم •

طلب ان يرسل اليه فى الصباح •

تم اللقاء • قال ان اسمه الكولونيل عساف ياجورى •

ــ وظيفتك ••

ــ قائد لواء مدرع ١٩٠ (قالها بالانجليزية) •

ــ انت ضــابط احتياطى ••

ــ نعـــم •

ــ وما هو عملك المدنى ••

ــ مدير فنـــدق فى تل أبيب •

❋ ❋ ❋

وفى اليوم الثامن من أكتوبر أصدر الفريق أول احمد اسماعيل القائد العـــام ، هذا النداء •

نـــــــداء

من القـــائد العام للقوات المســلحة

الى جميع افرع وتشكيلات القوات المســلحة

يسعدنى ان ابلغكم ان الفرقة الثانية المشاة • قد دمرت اللواء ١٩٠ مدرع الاسرائيلى بالكامل صباح اليوم • وأسرت قائده العقيد عساف ياجورى ، وقد بلغ ما تم تدميره من قوات العـــدو المدرعة فى القطاع الأوسط صباح اليوم ١٥٠ دبابة •

وانى باسمكم جميعا أحيى العميـــد أ•ح• حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية المشاة ، وضباطه وجنوده وأشد على يدهم فردا فردا ••

كما أقدم شكرى لكل من رجال قواتنا المسلحة فى البر والبحر والجو ، على كل ــ ما بذلوه ويبذلونه فى أداء واجبهم ••

ان عدوكم اليوم قد عرف من هو الجندى المصرى ، ومن هو القائد المصرى ، عرف المقاتل المصرى الذى اتيحت له الظروف المتكافئة ليثبت قوته وقدرته وعزمه •

ان عدوكم اليوم فى ذهول من هذا النوع الجديد من جنود مصر •

فعلى بركة الله •• تقدموا ايها الأبطال •

وعلى بركة الله حققوا النصر لمصر •

فريق أول أحمد اسماعيل على

القائد العام للقوات المسلحة



ونعود الى الوراء مرة اخرى • الى السادس من اكتوبر الساعة السادسة والنصف من المساء ••

انتهت المهام الأولى المكلفة بها قواتنا فى الفرقة الثانية .. وهى تدمير الأهداف القريبة . محاصرة النقط القوية .. وقد تم الاستيلاء على نقطة منها . وتم عزل ٣ نقط وحصارها ..

ولم يتوقف القتـــال ..

بدأ لواء مدرعات العدو .. الرابض خلف مواقعه ويسمى لواء «المليز» الهجوم بأكثر من ٣٥ دبابة .. تتقـــدم بأصوات رهيبة .. وكشافاتها مضاءة ..

دباباتنا لم تصـــل بعد ..

أمر القائد ، بأن تهاجم هذه المدرعات بـــ « أطقم » اقتناص الدبابات. وسألت محدثى .. ما معنى « أطقم » ..

قال ــ انها مجموعات من ٣ أو ٤ أفراد .. تقترب من الدبابة على بعد ١٠٠ متر وتضربها بصواريخ محمولة بالأيدى ! .. وقد تدربوا على هذه العملية آلاف المرات خلال السنوات الماضية .

وكان هؤلاء المقاتلون يختارون بمواصـــفات خاصة .. حتى يكون التعاون بينهم كاملا !

تقدمت مجموعات المشـــاة ..

ضربت كشافات الدبابات أولا .

دمر جـــزء منهـــا ..

أطفأ العدو باقى كشافاته .. واعتمد على الأشعة تحت الحمراء .. وهى محدودة المدى .. تقدمت « الأطقم » نحوها ..

هاجمت بعدد كبير .. دمر منها ١٢ دبابة ..

حدث الارتباك . اختلطت الدبابات .. فقدت اتجاهها . بعضها ضرب بعضـــه !

كانت هذه المعركة من أول مفاجآت ضرب المدرعات •• بالمشـــاة •• بالنسبة للعدو •• الفكرة فيها بسيطة ••

مشهد الدبابة مخيف • حجم كبير • صوت مفزع • مجهزة بمدفعية • أبسط أسلوب للهجوم •• عليها •• ان تقترب منها جداً •• وتكون فى حماية من ضربها « لكى تهاجم الفيل البد تحت ودنه » كما يقول المثل العـــامى • وكان هذا المثل هو التطبيق العملى لحرب المشـــاة للدبابات

أنها عملية انتحارية •• تحتاج الى شجاعة • حسن رماية • لياقة بدنية •

وقد ساعد فىمعركة لواء المليز •• ان احدى دباباته انفجرت وظلت مشتعلة طوال الليل •• مما سهل لرجالنا مهمة الضرب بالصواريخ •

بعد الضربات الأولى ••

تقدمت كتيبة دبابات أخرى للعدو •• وهاجمت من اليمين •• ودخلت وسط قواتنا • لم يبق منها الا دبابة واحدة • كلها تدمر • وهربت الدبابة الوحيدة •• وسارت على غير هدى •• الى ان ضربت •• وتوقفت •

وتم أسر طاقمها •

وسط كل هذه النيران • لم ينس القـــائد عروسه ! •• لم ينس انه استمتع بيوم واحد فقط من شهر العسل ! ••

وعندما اتيح الاتصال التليفونى من أرض المعركة •• كان أول صوت يسمعه هو صوتها !

كانت تبكى من الفـــرح ••

وكان يضحك من الفرح ••

ان الزوجة لا تنتظر الآن عريسها •• انها تنتظر البطل !

وعاد البطل بعد وقف النار •• ورتبة اللواء على كتفيه !

الفصل الثامن

وحوش ونيران ودماء

●●● « القصـة الكاملة لمعـارك الدبابات الرهيبة التى لم تشهد مثلهـا الحـرب العالميـة الثانية . لم تهـدأ النيران الا لكى تتجـدد أكثر التهابا . لم تصمت المدافع أبداً . كل الأسلحة اشتركت فى هـذه المعارك الدموية الوحشية . الدبابات وجها لوجه . المقاتلون وجهـا لوجه . اروع قصص البطولة والاستشهاد . المدرعات تحولت الى علب كـبريت . الصـواريخ تمـلأ الصحراء . انها قصة الرعب والموت » ●●●

ماذا لو لم تنجح خطة الخداع التى برعت فى كتمان كل الأسرار حتى الطلقة الأولى فى ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر ؟ ..

هذا السؤال كان موضع دراسة دقيقة مستفيضة من قيادات القوات المسلحة على مختلف المستويات .

كان المتوقع ، اذا انكشف السر ، أن يقوم العدو بما يسمى ضربة أجهاض . أن يسبق فى الهجوم . أن يقضى على كل الخطة .. أو على الأقل يعطلها وبخسائر فادحة من جانبنا .

ولكن هذا الاحتمال ، درس ، بأكثر مما درست تفصيلات خطة العبور وما تلاها من خطط . درس فى وقت أطول .. وبدخول الى كل الاحتمالات .

كان من الممكن أن يضرب العدو من مواقعه على الضفة الشرقية بنيران المدفعية ، وأن يهاجم بنيران الطيران ..

وكان من الممكن أيضا أن يقوم العدو بعملية عبور من الشرق الى الغرب .. ويهاجم قواتنا المستعدة فى الأيام الأخيرة ، لتنفيذ مهامها فى ساعة الصفر ..

واذا نجح العدو ، فى ضربة أجهاض شاملة .. فقد كان هذا يعنى نكسة أخرى .. بل هزيمة أشد قسوة من هزيمة ٦٧ .. ويعلم الله متى كنا نستطيع أن نجمع قواتنا لحرب جديدة !



ولذلك درس هذا الاحتمال بعناية شديدة •• ووضعت الخطة المضادة لضربة الاجهاض المتوقعة ••

كان التفكير المصرى •• ان العدو قد يوجه ضربة اجهاض جزئية ، اذا لم يسعفه الوقت وكان اكتشافه لنوايا الهجوم المصرى فى وقت متأخر • أو أن يوجه ضربة اجهاض كاملة •• اذا كان عنصر الزمن فى صالحه ، وأكتشف نوايانا فى وقت مبكر • ووضعت الخطة المصرية المقـــابلة للاحتمالين ••

وتم التدريب على الخطة ، تدريبا قاسيا وصل الى أدق الجزئيات •• بأكثر مما تم التدريب على العبور والاقتحام ••

وكانت الأيام الثلاثة الأخيرة قبل ساعة الصفر •• هى الأيام الفاصلة • هل يسبق العدو بالضرب ؟ •• هذا هو السؤال الذى شغل ذهن كل قائد فى جيشنا على امتداد الجبهة •• وكانت كل العيون والآذان مفتوحة •• لأى تحرك مشبوه من العـــدو ••

وكانت خطواتنا المضادة لضربة الاجهاض ، تتركز فى ثلاثة اجراءات •

١ ــ ايقاف الضربة ••

٢ ــ ثم تدميرها ••

٣ ــ ثم تنفيذ العبور الى الضفة الشرقية ••

ولم يسمح لى القادة الذين تحدثت اليهم ، بأكثر من هذه الخطوط العامة •

* * *

ومع ذلك •• وفى تقديرى •• أن أية ضربة اجهاض من العدو ، مهما نجحنا فى امتصاصها كان سيكون لها أسوأ الآثار •• على الأقل فى ارتفاع

خسائرنا قبل العبور •• وفى « الفركشة » التى كان يمكن أن تحدثها الضربة •• وفى تبريد الحماس المعنوى الملتهب الذى ملأ قلوب جنودنا ، وهم يعبرون بنجاح ، بنداء « الله أكبر » •• الذى كان يدوى بأقوى من أصوات الصواريخ ••

وقد ثبت فيما بعد ، ومن الوثائق العسكرية للعدو التى استولت عليها قواتنا ، ان العدو كانت له خطة اجهاض فعلا ••

* * *

لقد نجحت خطة الخداع المصرية • ولم يتأكد العدو من أن هجوما مصريا سيقع الا فى الساعة الرابعة من صباح ٦ أكتوبر • وعلى الرغم من أن المعلومات التى حصل عليها العدو ، هى أن الهجوم المصرى كان سيبدأ فى الساعة السادسة من المساء •• أى أنه كانت أمامه ١٤ ساعة لتنفيذ خطة الاجهاض أو الاحباط •• فانه لم يتخذ قراره •

وقيل بعد ذلك أن جولدا مائير رفضت اتخاذ القرار السياسى بالمبادرة بالهجوم ، بحجة انها لا تستطيع أن تقنع العالم ، بعدالة الهجوم •• وأنها تفضل أن يهاجم العرب ، حتى تكسب التأييد الدولى ••

ولكن الحقيقة غير هذا • لأن اسرائيل لم تكن يوما ، تهتم بالرأى العام العالمى اذا كانت تتصور أنها معرضة فعلا لخطر من هجوم مصرى •

لقد تراجعت اسرائيل عن خطة ضربة الاجهاض ، لعدة أسباب •• أهمها انهم كانوا يتصورون ، حتى بعد تأكدهم من معلومات الهجوم ، أن مصر ستخسر المعركة فيما لا يزيد غلى اليومين •• وأن اسرائيل ستتمكن من الابادة الشاملة للقوات المصرية •• فلماذا تبدأ اسرائيل بهجوم ، وهى واثقة من الانتصار المكتسح السريع ؟ ••

وقد ثبت فيما بعد ، ممـــا أذاعته اسرائيل ، ان موشى ديان وزير الدفاع ، رفض أيضا ضربة الاجهاض • وعندما بدأ الهجوم المصرى ،

قال تصريحه المشهور ، الذى يعنى أنه سيمسح القوات المصرية من الوجـــود •••

وكانت لدى ديان أسباب عسكرية فنية أخرى ••

فلم يكن متيسرا أن يقوم بضربة الاجهاض أو الاحباط ، على اتساع كافة خط المواجهة •• واذا فعل ، فستكون الضربة ضعيفة •• ولو كانت المعلومات عن الهجوم المصرى ، قد تأكدت لديهم قبل ثلاثة أو أربعة أيام •• كان يمكن أن يكون الوضع مختلفا ••

* * *

قال لى اللواء عبد رب النبى حافظ (سكرتير عام وزارة الحربية الآن) قائد الفرقة ١٦ التى كانت مكلفة بأشق مهام القتال فى خطة ٦ أكتوبر •• فقد كانت مسئولة عن التقدم فى القطاع الأوسط للجبهة ، المتجة الى العوجة والقسيمة •• وكان القائد الاسرائيلى الذى يواجهه هو ايريل شارون الذى تسلم القيادة بعد أن استدعوه من مزارعه فى بير سبع ، وقطع ٢٢٠ كيلو مترا حتى وصل الى مقر قيادته فى الطاسة ••

قال لى اللواء عبد ربه (هكذا ينادونه) ••

ـ لقد وضعنا توقيتات عديدة لاحتمالات ضربة الأحباط من العدو •• وخاصة فى الأيام الثلاثة الأخيرة •• وقبل كل توقيت ، كنا نستعد بكل أعصابنا وقواتنا •• لتنفيذ الخطة المضادة • حتى جاءت الساعة السادسة من صباح يوم ٦ أكتوبر •• ولم يهاجم العدو • فلم تبق أمامه الا فرصة واحدة •• كان تقديرنا أن تكون الساعة العاشرة من الصباح •• وتجاوز عقرب الساعة رقم ١٠ •• فامتلأ قلبى بالتفاؤل • ليس أمام العـــدو فرصة أخرى •• ومن هنا تركت موقع قيادتى •• ومررت على القوات •• وأطمأننت الى أن كل شىء معد تماما لساعة الصفر ••

القوات فى أوضاع الهجوم •• بعد أن تمت اعادة تجميعها ، فى المواقع

التى ستثب منها الى مهامها •• كل معدات العبور فى مرابضها •• كل قيادة صغيرة تعرف مهامها دقيقة بدقيقة ••

ان خط المواجهة فى هذا القطاع الأوسط يمتد ٤٠ كيلو مترا ، من منتصف بحيرة التمساح شمالا ، الى منتصف البحيرات المرة جنوبا • العدو على الضفة الشرقية له نقطتان فى الدفرسوار ونقطة ثالثة فى تل سلام على البحيرات المرة ، تؤمن نقطتى الدفرسوار • ومركز قيادة العدو المجهز فى منطقة الطالية (تم الاستيلاء عليه مساء ٨ أكتوبر) ••

التخطيط هو التقدم •• والتعاون مع الفرقة الثانية شمال الاسماعيلية ، لتشكيل رأس شاطىء للجيش الثانى ••

هجمات العدو متوقعة • الدراسات الدقيقة لتوزيع قوة العدو ، وخطوط احتياطية ، أوحت باحتمالات هجماته التى وصلت فى المعركة الى ١٨ هجمة دموية • عمليات الاستطلاع التى استمرت سنوات ، أعطت صورة دقيقة شاملة ، لمسرح العمليات أمامنا •• الاستطلاع بالنظر من الأبراج • تقارير عملائنا وسط صفوف العدو • التصوير الجوى • حتى أننا وضعنا « ماكيتات » لحصون العدو من الخارج والداخل •• وكأننا كنا نعيش بداخلها !

* * *

وأرجو أن أتمكن من تسجيل معارك القطاع الأوسط •• يوما بيوم •• كما سمعتها من قادة هذه المعارك ، حتى يعايش القارىء معارك الدبابات الكبرى ، التى كانت أضخم بكثير من أكبر معارك الدبابات فى الحرب العالمية الثانية •• ولم يكن موشى ديان ليتوقع أن تصل هذه المعارك ، الى هذه الدرجة من الضراوة والدموية عندما وعد بسحق عظام المصريين• فقد عاد فى رابع أيام القتال ليقول أن معارك بهذه الدموية وبهذه الخسائر الفادحة لا يمكن أن تستمر طويلا • وهذا حق فقد اشترك فيها من الجانبين أكثر من ألف وخمسمائة مدرعة •• وكان القتال يجرى فى كثير من الأحيان ، مواجهة بين عشرات المدرعات التى لا يفصل بينها أكثر من

مائة متر ! •• ويسجل التاريخ بالفخار للجندى المصرى ، أنه لم توجد دبابة مصرية محترقة على أرض المعــارك ، الا وكانت فوهة مدفعهــا (الماسورة) فى مواجهة العدو •• وقد رأى شـــهود العيان ، دبابات اسرائيل المحترقة ، وعدد كبير منها متجة الى الشرق تسللا من رهبة المعركة ••

وكاتب هذه السطور من هؤلاء الشهود •

٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

حانت ساعة الصفر • العميد عبد رب النبى فى موقع الملاحظة على الضفة الغربية الذى يبعد ٩٠٠ متر فقط من الشاطىء ، وفى مكان مرتفع يرى منه كل شىء • الساعة الثانية ودقيقتـــان •• انطلقت الطائرات المصرية على ارتفاع منخفض جدا ، وكأنها زاحفة فوق الرؤوس •• (على ارتفاع ١٥ مترا) •• اتجهت الى جميع مواقع مطارات العدو ومراكزه المؤثرة ••

شعور شامل بالارتياح والأمل ••

بدأ التاريخ يكتب أول سطور الملحمة ••

القوات الأمامية للعدو أذهلتها المفاجأة • لم تفتح نيرانها ! سمعنا أصوات اشتباك الطيران فى العمق •• أول بشرى لنجاح أول ضربات الخطـــة •

الساعة الثانية و ٥ دقائق • المدفعية المصرية تصب نيران جهنم على امتداد الجبهة • بطاريات مدافع العدو بدأت التدخل • أسكتناها •

الساعة الثانية و ٢٠ دقيقة عادت الطائرات المصرية ••

التهب الحماس ••

أطقم اقتناص الدبابات تنزل الى الماء • بدأ العبور • صرخة الايمان المدوية « الله أكبر » تهز الأجواء •

الموجات تتدفق • العـــدو يتدخل بالمدفعية • اســكتناها • الطيران الاسرائيلى لم يظهر بعد • معابر الاقتحام يتم تركيبها • معابر الناقلات البرمائية تظهر على الشاطىء ، وتمتد سريعا الى وسط الماء • المعديات يحملها مئات الرجال • قطع الكبارى تظهر من مكامنها •• المهندســون الأبطال يتحركون بأسرع من الطلقات ••

عالم جديد •• ولد فى لحظات •• ولا دقيقة للضياع • الكل يعرف واجبه •• الكل يعرف أنه معرض للضرب بكل أنواع الصواريخ • لا شىء يهم • المهم فقط أن نعبر • هذا هو اقتحام الموت كما لا يستطيع أن يسجله خيال الكتاب • مصر تبدأ الميلاد الجديد •

عشرات من الرجال يصلون الى الشاطىء الآخر • اصبحوا مئات • أصبحوا آلاف • أعلام مصرية ترفع • رجال يبكون • الكل يقبل التراب والرمل والطين • لا تهمه طلقات الرصاص حوله أو أمامه • كأنها ناموسة بجوار أذنه • الكل يؤدى مهامه • يأخذ مواقعه • جنود مشاه بأســلحة خفيفة وصواريخ الكتف قاتلة الدبابات •

الساعة الخامسة • فرقة المشاة كلها على الشاطىء الآخر • وكتيبة برمائية عبرت من منتصف بحيرة التمساح • وكانت هذه هى المفاجأة • ان هذه البحيرة مشطوب عليهــا من العسكريين فى أية خطة • المــاء ضحل • ولا يصلح لأى عبور • ولكننا أخذنا المواقع والأساليب التى لا يتوقعها العدو • استفدنا تماما من الدروس السابقة •

وكان قائد الفرقة قد عبر •

وهذا هو المبدأ الذى التزمت به ملحمة ٦ أكتوبر • القائد فى الصف الأمامى وسط الجنود يدير المعركة معتمدا على الرؤية الشخصية فى قلب اللهيب والنار • وقد نتج عن هذا نسبة خسائر كبيرة فى القيادات • ولكنها سطور فخار •

استولى الجنود على المصاطب الترابية فى الشرق •• تسلقوا بأسرع من لمح البصر • القائد فى موقع قيادته الجديد ••

الاقتحام الأول بدأ بعد ٤٥ دقيقة من العبور •

المشاة المصريون أمام دبابات العدو التى بدأت تهاجم من الجانبين بالاحتياطى القريب • اشارت عديدة تصل الى القائد • « ظهرت دبابات • أننى قادر على تدميرها » •• الاجابة على الفور « تصدق • دمرها » •• فشلت الهجمات المضادة • القائد يصدر أوامر التقدم شرقا لتنفيذ المهمة الثانية • الكل يجب أن يكون فى موقعه على الخط الجديد على أبعاد تتراوح بين ٤ و ٦ كيلو مترات شرقا • الكل يستعد للضرب انتظـارا لوصول مدرعات العدو •

هذه أحرج الأوقات •

الوقت المحدد لعبور الدبابات ووصـولها الى المواقع الشرقية هو التاسعة مساء و ٢٠ دقيقة • على أحسن تقدير •

المشاة ستظل وحدها تقاوم هجمات المدرعات •

ماذا لو نجحت هجمات الـ عدو ، قبل أن تعبر الدبابات ؟ ستستطيع دبابات العدو أن تصل الى الشـاطىء • ستوجه نيرانهـا على المعابر والكبارى وتعيق العبور • لقد دمرنا الاحتياطى الأول • بقى أمامنـا الاحتياطى الثانى من مدرعات العدو • لحظات فاصلة • سنقاتل بشراسة مهما كلفنا الأمر • هذه هى الحماية الحقيقة للعبور •• بل لكسب المعركة كلها •• لقد قدرنا أن تنجح هذه المفاجأة التكتيكية ، وهى تواجد تسليح مدرب على الضفة الشرقية ، فى توقيت لا يتوقعه العدو •• وفى أمكنة تفاجىء هجماته المضادة •• كان المكان الذى تم منه العبور مفاجأة • استخدام البرمائيات (عربات مدرعة برمائية ذات تسليح خاص) •• كان مفاجأة ••

الانتشار السريع فى أماكن تتجاوز مواقع العدو الحصينة .. كان مفاجأة أخرى . المشاة تواجه المدرعات .. مفاجأة رابعة . حدث الارتباك العظيم.

ولكن هذا لا يمنع أن عبور الدبابات كان هو المقياس الفاصل للنجاح ..

القائد يواجه موقفا رهيبا . قواته من المشاة فى الشرق .. وأسلحته فى الغرب ..وبينهما القناة! ..أى اختلال فى التوقيت يهدم الخطةكلها.

وبدأت الدبابة الأولى تعبر فى الساعة التاسعة و ٢٠ دقيقة من المساء .

كان صوتها المزعج .. هو أحلى أغنية سمعها القائد !

ولكن كل ما حضر له منذ ٦ سنوات ، وبتدريبات يومية تعرض أيضا للمفاجآت !

العبور لم يكن نزهة . طائرات العدو تغير . مدفعيته تضرب . ضوء القمر النصفى لا يسعف . قذائف الأنوار تنطلق ولكن للحظات خاطفة .

دبابتان برمائيتان غرقتا فى المـاء . ليس هذا أمرا سهلا . الكوبرى الأول تعطل . المرساة لم تكن مضبوطة تمـاما . غرست دبابة عنـد وصولها . وراءها مئات الدبابات واقفة . ضربة من العدو من الممكن أن تحطم العبور كله . ونش يجب أن يصل الى الضفة الشرقية . ينتشل الدبابة . المهندسـون الأبطال يصلحون مرسـاة الكوبرى . الدبابات الواقفة تتقدم . الدقيقة لها ثمن ، هو الانتصار أو الانكسار . الكوبرى الثانى ضرب . لابد من ابدال الوصلة من احتياطى قطع الكبارى المخبأ على الشاطىء . اقتضى الأمر بعد ذلك تحويل الدبابات كلها الى كوبرى واحد . والفاصـل بين الكوبرى رقم ١ والكوبرى رقم ٢ يزيد على ٥ كيلومترات !

أن تحويل المرور من كوبرى الزمالك الى كوبرى قصر النيل ، يربك شوارع القاهرة كلها . فلنتصور تحويل عبور الدبابات من كوبرى الى كوبرى .. والنيران تغطى السماء ! .. والقائد فى الشرق يستعد لتطوير الهجوم .. ليواجه هجوما اسرائيليا مضادا . ولكن المراسلين الأجانب

شهدوا بأن مرور العبور بالدبابات كان أكثر تنظيما من مرور السيارات فى القـــاهرة ! ••

القوات تتدفق • كل وحدة لها نور خاص ملون حتى تعرف مواقعها • ولها دليل يقودها الى الموقع • ومن الممكن أن نتخيل الصورة فى الظلام •• والعابرون وصلوا فى النهاية الى أكثر من ٥٠ ألف مقاتل فى الجيش الثانى فقط وحتى صباح يوم ٧ أكتوبر ، وعلى اتساع هذه الجهة العريضة •• وبمختلف الأســلحة التى تعرفهــا الحــروب الحديثــة •• وبكل الأجهزة الدقيقــة ! العــدو يزداد ارتبــاكه • العــدو يطلق النــيران فى كل اتجــاه • تاهت دبابتان للعدو وسط قواتنــا • وجدناهمــا على الطريق •• ثم تدميرها على الفور • تراشق النيران مستمر • العبور البالغ السرعة أفقد العدو القدرة على القيام برد فعل • لا هجوم الليلة على مواقع بارليف القوية • المهم محاصرتها واسكات نيرانها ، لمنعها من الانسحاب •• ولحجب وصول أى امدادات اليها • كل الجهود الرئيسية مركزة الآن فى مواجهة الخطر الكبير من الهجمات المضادة المتوقعة من احتياطيات العدو فى العمق •

أول هجمة مضادة فى العاشرة من المساء من احتياطى العدو •

تم تدمير الهجوم •

نقط الملاحظة تتقدم • التصنت على الأصوات • استراق اشارات العدو اللاسلكية •• المعلومات تتجمع •• القائد مع مجموعة القيادة ، يستعد للمعارك المقبلة ••

الحرب فى ليلتها الأولى لا تعرف النوم !

٧ أكتوبر :

القائد منذ الفجر يتفقد كل مواقع القوات • الأوامر مستمرة لتعديل المواقع ، وحل المشكلات المفاجئة • عبور الدبابات مستمر • العدو يبدأ

هجوما كبيرا فى الثامنة والنصف صباحا فى الجانب الأيمن للقوات من اتجاه حبيطة • قوة الهجوم ٥٠ دبابة ووحدة مشاة ميكانيكية • أمكن صدها وتحقق تدمير ٢٠ دبابة • المعركة على بعد ٣ كيلو مترات فقط من مركز القيادة • مسرح العمليات أمامه يراقبه ويوجهه بالعين المجردة • المعركة دائرة وطيران العدو يركز ضرباته منذ أول ضوء على جميع مناطق العبور • حائط الصواريخ فى الضفة الغربية يؤدى مهمته بنجاح ساحق • قوات من الدفاع الجوى كانت قد انتقلت شرق القناة • المعارك بكل أنواع الأسلحة • القوات الجوية تنطلق فى طلعات اعتراض • الملاحظ اننا تمكنا من كسر موجات هجمات العدو بالطيران • كانت على ارتفـــاع منخفض • كل موجة من ٨ طائرات الى ١٢ طائرة • وكل مجموعة ٤ طائرات • الأخبار سارة • الضرب على المعابر غير مؤثر بسبب كفاءة الدفاع الجوى • الغرور الاسرائيلى هيأ لهم أنهم قادرون ، على ما فشلت فيه قوات الطيران الأمريكى فى فيتنام • (قالت البعثة العسكرية الأمريكية التى جاءت الى المنطقة لدراسة حرب أكتوبر ، أن اسرائيل لم تأخذ العبرة من درس فيتنام) •• كل هذه الطلعات لم تحدث أصابة ماشرة الا فى كوبرى واحد • صاروخ أصاب أحد البراطيم • فك البرطوم •• أبدل بآخر من الاحتياطى المجهز على الشاطىء الغربى ••

• • • • • • • • • • •

هجوم ثان من العدو بالمدرعات عند الظهر • من نفس قطاع الهجوم الأول • قوة الهجوم ٥٠ دبابة • دمرنا ١٥ • تراجع العدو • استمرت المعركة أكثر من ساعتين •

• • • • • • • • • • •

قواتنا مستمرة فى التقدم • الهدف الوصول الى منطقة « الطالية » وتطويقها • التعبير العسكرى أن الطالية •• هيئة متحكمة بسبب ارتفاعها ـ ٣٤ مترا ـ تسيطر على الأرض حتى القنال • كانت هذه هى المهمة الأولى ابتداء من بعد العبور مباشرة •

أمكن تحقيق الجزء الأكبر من المهمة ••

لابد بعد ذلك من السيطرة على ثلاثة مواقع تحيط بالطالية .

* أبو طربوش .. وارتفاعها ١٠٩ أمتار .
* الخيل .. وارتفاعها ١٢٣ مترا .
* أبو وقفة .. وارتفاعها ١٠٣ أمتار .
* بير حبيطة .. وارتفاعها ٨٧ مترا ..

على يسارنا .. قوات الفرقة الثانية من الجيش الثانى ..

هناك فاصل ..

التقدم يعنى أيضا الالتحام مع قوات الفرقة الثانية وتكوين رأس كوبرى موحد .. اسمه العسكرى .. رأس كوبرى جيش ..

. . . .

استمر الليل هادئا من المعارك حتى الصباح .

تراشقات بسيطة بالنيران .

العدو يستعد لهجوم جديد .

قواتنا تستعد للتقدم ومواجهة الهجوم .

الساعة الثالثة صباحا . من حق القائد أن يستريح ساعة واحدة فقط .

٨ أكتوبر :

العدو يهاجم الجانب الأيسر للقوات مرة ثانية ، فى الثامنة صباحا . نفس الاتجاه .

بدأ الهجوم بـ ٥٠ دبابة . لم ينجح .

العدو يعاود الهجوم •• فى نفس الاتجاه فى الساعة العاشرة والنصف صباحا • قوة الهجوم ٥٠ دبابة •

المعركة تستمر ثلاث ساعات •

• • • • • • •

قواتنا تستغل هذا النجاح ، لتحقيق المهمة النهائية • الاستيلاء على مواقع الخيل ، وأبو طربوش ، وأبو وقفة •

أوامر اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بتطوير الهجوم وذلك بالتعاون مع الفرقة الثانية وفى نفس الوقت •

القوات تتقدم فى ثلاث اتجاهات كما تتقدم الفرقة الثانية من ثلاث اتجاهات أخرى •

• • • • • • •

الساعة الرابعة مساء • العدو يعاود الهجوم على يسار قواتنا ، لكى يمنع الاتصـــال مع قوات الفرقة الثـــانية • الهجوم بالغ العنف هذه المـــرة •

عند آخر ضوء •• أمكن التحام قوات الفرقتين • تم انشـــاء رأس كوبرى الجيش الثانى • تجهيز المواقع الجديدة • القادة يتبادلون التهانى • تم اخلاء الجرحى •• والشهداء • اصلاح الدبابات التى أصيبت ولا تزال قابلة للعمل • حفر الخنادق طوال الليل • مشـــاورات بين قادة مختلف الأسلحة لتعديل المواقع • وحدات الاستطلاع تقدم المعلومات • اشارات من القيادة فى القاهرة ، بما التقط من اتصالات العـــدو •

استخدم العدو حوالى ١٥٠ دبابة • تركيز متتابع على الجنب الأيسر • قائد لواء اليسار العقيد عادل يسرى يدير المعركة من الحـــد الأمامى •• القائد البطل يصـــاب فى ساقه اليسرى بطلقة دبابة • الاصـــابة شـــديدة • الدم ينهمر • القـــائد يرفض أن تقـــدم له معـــونة من

أى فرد ، بعد أن فشـل رباط الميـدان فى وقف النزيف • المقـاتل الشـامخ يقفل الجرح برمال سـيناء ! •• لم يكن مجـرد جـرح • لقد فقد ساقه بأكمله • طارت الساق من عنف الاصابة • استمر يقاوم نزيفه بساق واحدة •• وهو يصدر أمرا لا يقبل المناقشة • « استمروا فى القتال » • القذائف تدوى • زوابع الرمال تغطى المكان كله • صرخات انتصار • وصرخات موت •• صرخات حياة •• وصرخات هزائم •• دبابات تحترق • أحياء يتحولون الى فحم فى دقائق • القتال لا يتوقف • وأخيرا وبعد أكثر من أربع ساعات •• قدر العدو أن تقدمه مستحيل • بدأ يتراجع •• قائد اللواء البطل العقيد عادل سليمان يسرى ، لا يزال يتابع المعركة بساق واحدة • رمال سيناء لم تقو على اندفاع الدم • كان دمه متعطشا الى مزيد من الرمال •• لواءه يسجل الانتصار • والعدو يتقهقر • وامتزجت دموع الألم من عيون رجاله بدموع الانتصار •• لحظات عجيبة • النقيض يمتزج بالنقيض •• الحيـاة والموت • الألم والفـرحة •

ولكن الحرب يجب أن تستمر !

تم اخلاء العقيد البطل الى المستشفى حيث أسعف بالعلاج •

العميد عبد رب النبى يتلقى النبأ القاسى باصابة البطل •

ما أقسى مهمة القائد •

لا وقت حتى للألم •

لابد من الاعداد السريع لاستكمال المهمة ••

ولكن القائد انسان • جاء اليه من روى قصد الجريح البطل • أبلغ قيادة الجيش الثانى باشـارة عاجلة • فى نفس اللحظات يتلقى أشارة مفرحة • قائد اللواء المكلف بمهاجمة نقطتى الدفرسـوار أنجز مهمته • أتم هجوه من أجنـاب الموقعـين الحصينين •• ومن الخلف • الاشارة تقـول « تم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار • تم أسر ٣٧ من قوات العـدو » •

الاشارة تقول « تم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار •
تم أسر ٣٧ من قوات العدو » •

الرد العاجل « ألف مبروك • أرجــو أن يتم التمسك بهــذه النقط
وألا يسمح للعدو باستردادها مهما كانت الأسباب • رحلوا الأسرى الى
الخلف » ••

يتبين بعد ذلك أن اثنين من الأسرى من قوات البوليس الدولى • قصف
المدفعية حول كشك البوليس الدولى الى قطعة من النار كما قالا بعد
ذلك • أضطروا الى الاحتماء داخل ملاجىء الحصين • شاهدوا قتالا
مرعبا • الفاصل بين القوتين لم يزد عن ٦٠٠ متر فقط ! ••

كان العميد عبد رب النبى يتمنى أن يرى هذا الطابور الطويل من
الأسرى • ولكن لا وقت أيضا ، حتى للاستمتاع برؤية أسرى الجيش
الذى كان يتصور أنه لا يقهر ••

انها الحرب التى تؤجل كل العواطف ••

كل ما يمضى يدخل التاريخ ••

و اللحظة الجديدة استعداد لكتابة تاريخ جديد ••

وطوى سجل الحرب صفحات هذا اليوم ••

وأشرق فجر جديد ••

٩ أكتوبر :

القائد يقول أن العدو حتى الآن لم يقم بالهجمات الحاسمة النهائية ••
أن محاولته منع الالتحام مع الفرقة الثانية كانت أول مؤشر لضرباته
القوية المقبلة • طوال ليلة الأمس ، الاستعداد لهذه الضربة • المعلومات
أنه حشد اللواء ٦٠٠ مدرع بالاضافة الى القوات الموجودة أصلا لديه •

فى التاسعة صباحا بدأ الهجوم بحوالى ١٥٠ دبابة ..

الاستطلاع يقول أن هجوم العدو على مدى المواجهة كلها .. صفوف من المدرعات تظهر على شكل نصف دائرة ..

القائد يقدر الموقف سريعا ..

ليس هدف العدو هذا الهجوم المواجه . ليست هذه كل قواته . الهدف هو أن يشغل قوات المواجهة ، حتى يختار نقطة ضعف يخترق منها بقوة وسرعة وبأعداد ضخمة لا تزال فى الخلف وبذلك يشطر قطاع الفرقة الى شطرين .. ومن ثم يستطيع النفاذ والوصول الى شاطىء القناة ..

ولهذا احتفظ القائد بجميع الاحتياطيات فى الخلف وعلى الأجناب حتى يتبين اتجاه الضربة الرئيسية للعدو ..

فى التاسعة والنصف .. اندفع العدو الى منتصف التشكيل بقـوة اللواء المدرع ٦٠٠ بالكامل ..

احتياطينا المدرع والمضاد للدبابات يدخل بهجمة مضادة عنيفة ..

القتـال لا يتوقف ..

العدو يحاول شغل الأجناب .. ويعود الى الاقتحام .. من الوسط . قواتنا تتصدى ببسالة خارقة .. المواجهة بين الدبابات لا تزيد على مائة متر !

قناصة الدبابات يقومون بأعمال خرافية ! ..

الاقتراب الى بضعة أمتار من الدبابة المهاجمة لا يخيفهم ..

مجموعة منهم دمرت ٢٤ دبابة ، على التوالى ..

العدو يرتد .. ولكنه يعاود التقدم ..

محاولات مستميتة من الاسرائيليين لنقل جرحاهم ..

الدبابات تحترق كأنها من خشب •• بل من ورق ••

المشهد مريع •• المواجهة واسعة •• موقع الطالية مرتفع تستطيع أن ترى منه الدبابات المنتشرة تواجه بعضها •• وكأنها علب كبريت صغيرة سوداء •• النار تشتعل كأنها عود كبريت • التلسكوب يقرب المشهد •• أبشع مجازر الحرب • لا رحمة • لا هوادة • كر وفر والتفاف • كل فنون قتال المدرعات على مسرح العملية الرهيبة • المدفعية تزمجر من الجانبين • اشتباك الطيران لا يتوقف • الصواريخ تملأ الفضاء • دخان ووهج وأتربة ودماء ••

مشهد التاريخ يستمر سبع ساعات كاملة حتى الرابعة والنصف !

لقد زرت هذه المنطقة بعد المعركة ••

كنت أتمنى أن تبقى كل آثار المعركة فى موضعها •• لتزورها الأجيال • بقيت بعض الآثار • ولكن كثيرا من الدبابات المحترقة قد رفعت بالأوناش ونقلت لتستخدم كحديد خردة ! ••

قائد الجيش الثانى اللواء سعد مأمون يتابع المعركة دقيقة بدقيقة ويعاون الفرقة بامكانيات عديدة •

الساعة السابعة مساء •• القائد العام الفريق أول أحمد اســماعيل يرسل برقية مكتوبة الى العميد عبد رب النبى حافظ يشيد فيها بموقف الفرقة البطولى فى صد وتدمير اللواء المدرع الاسرائيلى ٦٠٠ ويتمنى للقوات استمرار النصر ••

العميد عبد رب النبى •• يأمر بابلاغ تهنئة القائد العام الى قادة اللواءات ومنهم الى الجنود ••

الروح المعنوية فى قمة ازدهارها •• فى الصباح التالى وصلت ١٠ نسخ من جريدة القوات المسلحة وفيها نص التهنئة • الجنود يتخاطفون هذه الاعداد القليلة • الأعداد العشرة تنتقل من يد الى يد ليقرأها الآلاف !

القائد يتابع اشاراته لقيادة الجيش الثانى بنتائج المعركة • الأرباح والخسائر • فقدنا اليوم بطلا كبيرا •

الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء الأوسط .

كان فى سيارته المدرعة ، يدير المعركة الدفاعية ضد أقوى هجوم على رأس شاطىء الفرقة فى كثيب أبو طربوش .

كان فى الخط الأمامى يواجه خطر الموت كل لحظة ..

أرتد الهجوم .. ولكن طلقة دبابة أصابت سيارته .. فتحولت بمن فيها الى رماد فى لحظات !

١٠ أكتوبر :

يوم آخر مشهود . هجمات العدو لم تتوقف .

بدأت فى الخامسة صباحا . نفس الهدف . اختراق التشكيل من الوسط للوصول الى القناة .

الهجوم هذه المرة بأعداد أقل . سبعون دبابة بعد تمهيد المدفعية والطيران .

ولكن العدو لم ييأس ! ..

بدأ هجوما ثالثا على يمين التشكيل فى الخامسة من المساء . وانتهى أيضا الى انسحابه .

الخسائر كبيرة من الجانبين فى العتاد والأرواح .

كل هذه المعارك فى قمة الشراسة والضراوة . ان العدو الاسرائيلى عندما يقاتل باعداد كبيرة ، وبعد أن يؤمن نفسه بضرب المدفعية وحماية الطيران ، فانه يقتحم المعركة بكل قواه .. ويستخدم كل فنون التكتيك .. ولا يهرب من المواجهة . هذه حقيقة يجب أن نسجلها .

العدو دائما يتجنب الخسائر الكبيرة .. هذه فلسفته القتالية .

وهو يحاول بالحيل العسكرية ، أن يختار منافذ الضعف ، ويجيـد استغلالها • وهو يستخدم أسـلوب الارباك فى أكثر من جهة باعداد قليلة ، ثم يقتحم بكل قواه •• وهو يقاتل الى آخر المدى ••

وهو فى اليومين الآخيرين ، كان قد تمالك نفسه ، وتخلص من ارتباك مفاجأة العبور •• ونظم قياداته ••

وكان يريد أن يحقق هدفا واحدا •• الاختراق بأى ثمن للوصول الى شاطىء القناة •• ثم العبور الى الغرب •

وحتى الآن فشل فى تحقيق هذا الهدف •• وبخسائر ضخمة •

وسألت قائد الفرقة ١٦ :

ـ يقولون أن العدو يقاتل بالأسلوب الغربى •• أى أنه لا يعتمد على الكثافة •• ونحن نقاتل بالأسـلوب الشرقى (السوفيتى) وهو الاعتماد على الكثافة العـددية •• ومن هنا كانت خسائرنا فى معارك هذين اليومين كبيرة رغم أننا احتفظنا بمواقعنا ••

وأجـاب :

ـ فى رأيى أن كلا الأسلوبين الغربى والشرقى •• هو قتال بأحدث الفنون العسكرية • ولكن المهم هو التصرف أثناء المعركة • ولا توجد قواعد جامدة نظـرية تطبق على أرض المعـركة • الموقف وتطوراته ومفاجآته •• كلها تتحكم فى الأسلوب سواء كان غربيا أو شرقيا ••



١١ أكتوبر :

هجمات العدو المضادة مستمرة •

التركيز على الجانب الأيسر •

الهجمات لا تزال قوية •

١٢ أكتوبر :

ضعفت هجمات العدو • وضح الارهاق • كان ينتظر تجمع الاحتياطيات• استولينا على النقطة القوية من خط بارليف فى تل سلام • رفع عليها العلم المصرى •

نجا العميد عبد رب النبى من الموت بأعجوبة ! •• كان يمر فى جولة تنظيمية على قواته ، فى سيارة جيب يقودها مساعده والى جواره ضابط العمليات وهو فى الخلف • كان على الخط الأمامى فى كتيب أبو طربوش ، وهو فى طريق العودة الى الطالية • ضرب الطيران من العدو كان مركزا • رأوا فجأة غمامة سوداء متسعة نتيجة انفجار أمامهم • أضطر قائد السيارة (مساعده) أن ينحرف بها ، وبسرعة جدا ، ٩٠ درجة • أى أنه دار بسرعة على شكل زاوية قائمة • وانطلق بالسيارة وزجاجها قد تهشم ، وضغط الانفجار كاد أن يقذف بالسيارة فى الهواء • توقفوا بعد أن انقشعت الغمامة • هى نتيجة انفجار دانة ألف رطل ! •• تضخم اطار العجلات من شدة الحرارة ، وتحول الى بالون ! •• عادوا الى موقع الانفجار • تبين أن حفرة الانفجار كانت تبعد عن موقع انحراف سيارتهم بثمانية عشر مترا فقط !•• لو كانوا قد تقدموا ثانية واحدة •• لتحولوا جميعا الى رماد ••



هذه هى المرة الثانية التى ينجو فيها من الموت بأعجوبة •• المرة الأولى كانت يوم العبور •• وبعد أن استقر فى موقع قيادته على الضفة الشرقية • انفجر صاروخ من العدو بالقرب من موقع القيادة وهو واقف على بعد ٦ أمتار فقط ! ••



ومن قبل استشهد قائد لواء وجرح قائد لواء آخـر من الفرقة •• وما أروع تقديرنا لبطولة القـادة عندما نعرف أن الفرقة مكونة من ثلاثة ألوية !

١٣ أكتوبر :

بدأ العدو يسحب قواته من الجانب الأيسر • سحب النيران لا تزال تملأ الفضاء • استعدنا كفاءة التجهيز • المهندسون يبذلون جهدا رائعا فوق طاقة البشر • السيطرة من جديد على كافة المواصلات • استمر الحفاظ على رؤوس الشـواطىء • تطوير الهجوم بالمدرعات • عناصر مدرعة جديدة تنضم الى التشكيل • احتياطيات جديدة للعدو تصل من جبهة سوريا • معارك تصادمية بالدبابات بدأت من السادسة والنصف صباحا • لم يحقق العـدو أهدافه •

اشارات عديدة متبادلة بين قيادة الجيش الثانى •• وقيادة الفرقة •

الدروس المستفادة من معارك الأيام السابقة •

فى ٨ و ٩ و ١٠ أكتوبر خسـائر العدو فادحة جـدا فى المدرعات والأرواح • بدأت بعد ذلك تظهر أسلحة جديدة • فى القطاع الشـمالى استولينا على دبابتين دائرتين هرب منهما الأفراد ، دون اصابة الدبابة • عداد الدبابة كان متوقفا عند الكيلو ١٧٠ • عرف أن الامدادات الأمريكية تصل الى العريش •

١٤ أكتوبر :

صدرت أوامر القيادة العامة بتطوير الهجوم واكتساب مواقع جديدة •

العدو يتصدى بعنف • ظهرت أسلحة جديدة • الصاروخ الأمريكى « تاو » ميزته أن أرضه الميتة قصيرة المدى • كل صاروخ عندما ينطلق ، لا يبدأ توجيهه بالسيطرة الا بعد مسافة •• هذه المسافة تسمى الأرض الميتة • هذا الصاروخ يمتاز بأن السيطرة عليه وتوجيهه تبدأ بعد انطلاقه بمسافة قصيرة جدا • وهذا يضعف فرصة أصابته فى هذه المرحلة • كما أنه قادر على اصابة الهدف ليلا وبدقة •

ليس هذا هو السلاح الأمريكي الجديد الوحيد الذي ظهر في المعارك •

لقد ظهرت في المعارك التالية صواريخ « سمارت » •• و « مافريك » •• والنوع الثاني لم تستخدمه القوات المسلحة الأمريكية الا في سيناء !• وهو صاروخ جو — أرض وقد اعترف بذلك تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية العسكرية ، التي زارت اسرائيل بعد الحرب ••

يقول التقرير الأمريكي بما نصه : « لقد تم ارسال صواريخ Tow بحرا الى اسرائيل قرب نهاية النزاع (هذا غير صحيح ، لأن هذه الصواريخ استخدمت في اليوم الخامس للقتال • وارسالها بالبحر يعني أن تصل متأخرة جدا) » ••

ثم قال التقرير الأمريكي : « كان للصاروخ مافريك Mavrick » • وهو صاروخ جو — أرض زودنا به اسرائيل ، انطباع جيد للغاية خلال الحرب • (معنى هذا أنه أرسل مبكرا) • فقد استخدمه الاسرائيليون بكفاية أثناء الحرب وأعطى أحسن النتائج • وكانت أهدافه الدبابات ومخازن الوقود • ان المافريك يمكنه اختراق أكثر الدبابات المدرعة السوفيتية ثقلا وسمكا • وجدير بالذكر أن المصريين على علم تام بكفاءة وقدرات هذا الصاروخ ، وقد أشار الرئيس أنور السادات الى المافريك في عدة مناسبات » •

ثم يقول التقرير الأمريكي : « وقد أفرط الاسرائيليون في الثناء على سرعة وكفاءة الامداد الجوي ، خاصة بالطائرات نوع (C.S.A.) • وقال الاسرائيليون ان الجسر الجوي الأمريكي لاسرائيل ، ومجهودات الاحلال العسكري ، كانت أكثر كفاءة من الجانب الآخر » •

ويقول التقرير الأمريكي : « ان الدبابة السوفيتية ت — ٦٢ لفتت الأنظار أثناء الحرب • وتعتبر واحدة من أحدث الأسلحة التي أعطيت للحرب • وعلى الرغم من أنها ظهرت لأول مرة في هذه الحرب الا أن أنتاجها يرجع الى سنة ١٩٦١ ، وهي بلا شك أقل كفاءة من مثيلتها الأمريكية » •



هذا بعض ما جاء فى التقرير العسكرى الأمريكى .. أشير اليه هنا فقط ، بمناسبة ظهور الأسلحة الأمريكية الجديدة فى المعركة .. بعد أن واجه الجيش الاسرائيلى هزيمة كاملة ..

١٥ أكتوبر :

ليس أمام العدو الا ضربة انتقام كبرى مهما كانت النتائج . لقد فشل العدو فى تدمير القوات المصرية بضربة احباط قبل العبور . وفشل فى تدميرها أثناء العبور . وفشل فى تدميرها فى المراحل الأولى للقتال قبل وصول الدبابات الى الضفة الشرقية . وفشل فى تدميرها بضربات مضادة قوية بعد نجاحنا فى تكوين رؤوس الشواطىء وتعزيزها .

فكر العدو فى حشد ضخم بعد وصول الأسلحة الأمريكية ، يحاول به العبور الى الضفة الشرقية مهما كانت الخسائر .

الجهود الدولية مكثفة لمحاولات وقف النار . أمريكا تطالب موسكو بالحاح عنيف أن تتوسـط لدى مصر . الاتحاد السوفيتى يبذل ضغطا كبيرا متصلا لوقف النار . تل أبيب على علم بكل هذه الجهود . انها تريد أى كسب قبل وقف النار حتى تكون فى موقف يسمح لها بأن ترفع رأسها قليلا . بدأ الشعب الاسرائيلى فى الداخل يدرك فداحة الخسائر . الموقف السياسى يتطلب تقدما عسكريا بأى ثمن .

بدأ ضغط عنيف من قوات العدو بعد آخر ضوء . الضغط مركز على الجانب الايمن للفرقة فى الدرفسوار عند التقاء القناة بالبحيرات المرة . هاجم العدو بمائة دبابة . لم يتمكن من الاختراق . خسائرنا كبيرة . خسائر العدو بالغة الضخامة . القتال وصل الى أقصى درجات العنف والضراوة .

١٦ ـ أكتـــوبر :

التقطنا برقية أرسلها قائد اللواء المدرع الاسرائيلى الى القيادة . انه يطلب الغاء العملية أو على الأقل تأجيلها . الخسائر فادحة جدا .

الرد يقول من القيادة •• تمسك بمواقعك • سيصلك امداد كبير • احتياطيات ضخمة للعدو تتقدم • التركيز فى نفس الاتجاه الجانب الايمن عند التقاء القناة بالبحيرات المرة • الهجوم هذه المرة بثلاثة ألوية مدرعة • حوالى ٣٥٠ دبابة ••

استمرت المعركة الرهيبة طوال الليل[1] •

قاتلت قواتنا أمام الأسلحة الأمريكية الجديدة قتالا أسطوريا • القتال لم يهدأ دقيقة واحدة • المواجهة دموية • دمرنا للعدو ١٠٠ دبابة • خسائرنا كبيرة ولكن المقاومة مستمرة وبحماسة بالغة •

---

(١) أعلن جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى أمام احدى لجان مجلس الشيوخ الأمريكى أن الولايات المتحدة أرسلت ٧٠٠ دبابة لاسرائيل لتعويضها عما فقدته فى حرب أكتوبر وخاصة فى سيناء .
(برقية رويتر — من واشنطن — ٢١ يونيو ١٩٧٤)

الفصل التاسع

حبوب الشجاعة!

●●● « أذهلتهم شجاعة المقاتل المصرى ، فتصوروا أن القيادة تقدم للجنود المصريين حبوبا تخلق فيهم الشجاعة ! .. هــذا الفصل يروى قصة الأعمال المجيدة التى حققها سلاح الطيران المصرى .. وسلاح الدفاع الجوى .. الأعمال المجيــدة التى قضت على أســطورة طـــيران اسرائيل » ●●●

سأل رجل المخابرات الاسرائيلية ، الضابط الطبيب المصرى بعد أن وقع فى الأسر :

ــ ما هى الحبوب التى تصرفونها للجنود المصريين اثناء القتال ؟ ••

واندهش الأسير المصرى من السؤال ، وتصوره عبثا من المخابرات الاسرائيلية ، وسأله بدوره :

ــ ماذا تقصـــد بكلمة حبوب ؟ ••

الاسرائيلى : سؤالى واضح •• الحبوب الطبية التى تصرفونها للجنود أثناء القتال •• وأنت ضابط طبيب • فلا تحاول أن تتظاهر بعدم علمك •

المصرى : ولمـــاذا نصرف حبوبا للجنود ؟ ••

الاسرائيلى : لا تحاول المراوغة •• ان لصبرى حـــدود •• وتذكر أننى لا أزال أعاملك برفق ••

المصرى : أنت تسأل عن شىء لم أسمع به فى حياتى ••

الاسرائيلى : اذن •• أنا مضطر أن استخدم القوة ••

المصرى : أنا متأكد أنك تهزل •

الاسرائيلى : ان معلوماتنا موثوق بها •• أنتم تعطون للجنود حبوبا ، تلهب شعورهم ، وتنسيهم خطـــر الموت ، وتجعلهم يقتحمون المعارك بروح انتحارية ••

المصرى (ضاحكا) : من قال لكم هذه التخاريف ••

الاسرائيلى : أنت تحاول المراوغة مرة أخرى ••

وبدأ ضابط المخابرات الاسرائيلية الشـجاع ، فى تعذيب الأسير الأعزل . وانتهت الجولة الأولى من التعذيب ، وعاد يكرر سؤاله :

ـ أننا نعرف أنكم تطلقون على هذه الحبوب اسم حبوب الشجاعة .. لا تحاول أن تتنكر مرة أخرى .. والا سأعيد جولة التعذيب .. أريد أن أعرف منك كطبيب مما تتكون هذه الحبوب ؟ ..

ولما تأكد الأسـير المصرى ، أنه أمام حيوان لا يريد أن يفهم بأن شجاعة المقاتل المصرى ، هى من أعماق ايمانه الخالد بأرضه ووطنه .. قـال له :

ـ فعلا كان جنودنا يتناولون حبوب الشجاعة قبل القتال ! ..

واستراح رجل المخابرات الاسرائيلى .. وتصور أنه توصل الى سر شجاعة المقاتل المصرى ، وتحديه الموت بلا مبالاة !

روى لنا هذه القصة الواقعية المثيرة ، اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى ، وهو يقول : هكذا أفزعتهم بسـالة المقاتل المصرى ، وأخذوا يبحثون عن سرها ، بخيال مريض ..

والحق أن فدائية المقاتل المصرى ، فى ملحمة أكتوبر الخالدة ، كما يسميها قادة الأسلحة فى جيشنا ، فاقت تصور كل خيال انسانى ..

الايمان .. هو السر أولا وأخيرا .

ولم يكن الايمان ، نتيجة شـحنات كلامية لا يلبث أثرها أن يزول ، .. فهناك فرق بين بناء الايمان .. وبين الشحن بالايمان .

بناء الايمان ، هو ترسيخ صادق لكل معانى الرجولة والشرف والدفاع عن العرض وحماية التراب المقدس ..

بناء الايمان ، ينمو صحيحا سليما ، فى الوجدان الصادق ..

ومن دعائم الايمان ، أن الكل سـواء فى ميدان الفـداء . الجندى والضابط الكبير . كان القادة فى الصفوف الأمامية دائما مع الجنود .

عبر الجندى وعبر قائد السرية • وقائد الكتيبة • وقائد اللواء • وقائد الفرقة • وقائد الجيش • الكل صدورهم مفتوحة للاستشهاد • ووجبة طعام واحــدة فى أقسى ظروف القتال ، وزمزمية ماء واحــدة ، للضابط وللجنــدى •

والدليل أن خسائرنا فى القادة على كافة المستويات رغم أنها قليلة جدا ، هى أعلى نسبة فى الخسائر فى أى حرب حتى الآن •

ان البناء المعنوى هو الذى حمى المقاتل المصرى من « مرض الخنادق » كما يســميه العسكريون •

ان البناء المعنوى ــ لا الشحن ــ هو الذى جعل من صرخة الله أكبر •• متفجرة من القلوب ، حافزة لا لعبور على المــاء •• بل للسير على الماء ! •• نعم لقد كانوا يعبرون بطاقة روحية أسطورية •

الله أكبر •• لم تكن فقط صرخة العبور ••

واسمعوا معنـــا هذه الأســطورة من اللواء حسنى مبــارك قائد القوات الجــوية :

ــ كانت الطائرة المصرية تغير على مطار للعدو فى ســيناء • وألقت قذائفها ودمرت عــددا من الطائرات • وبقى عــدد آخر من الفانتوم لم يدمر • خلال ذلك أبلغت القاعدة المصرية ، الطيار المقاتل ، باللاسلكى أن طائرته أصيبت ، وطلبت اليه العودة • واذا بصوته يسمع باللاسلكى وهو يصرخ « الله أكبر » •• وأندفع بطائرته الى أرض مطار العدو ، ودمر الطائرات الباقية •• وهو يستشهد ! ••

كان السباق رهيبا بين طيارينا الى الفــداء ••

يقول قائد القوات الجــوية :

ــ لقد قاتلنا ١٨ معركة عنــد ثغرة الدفرسوار غرب القنـــاة ، ألفان وخمسمائة طلعة فى سبعة أيام ! ••

الطيار المصرى كان يقوم بست طلعات قتال فى اليوم الواحد !!

ـ الطيار المصرى كان يعود الى القاعدة ، ولا يخرج من طائرته حتى تموت بالوقود ، ثم يقلع بها ثانية الى نفس المعركة التى عاد منها !

ـ تلقت احدى قواعدنا أمرا باقلاع ٤ طائرات •• فأقلعت الطائرات الأربع فى وقت واحد خلال دقيقة ونصف دقيقة !

ـ أصيبت الطائرة ، وأضطر الطيار أن يقفز قرب أنشاص ، فربط نفسه بالشاش ، وقفز الى طائرة أخرى •• وعاد الى معركة الجو • وهذه ظاهرة نادرة ، لأن القفز يسبب للطيار رضوضا عضوية ، وخاصة فى العظام ، تستدعى الراحة والعلاج لبضعة أيام تصل الى أسبوع أو أسبوعين !

ـ احدى غارات العدو ضربت ممرا للطائرات •• وتقدم الفنيون الى اصلاح الممر واستمروا فى اصلاحه رغم انفجار القنابل حولهم • واستشهد أحدهم •• ولكن الممر أصلح ، وأقلعت طائراتنا تضرب العدو !

ـ سقطت قنبلة على ممر فى مطار آخر ، ولم تنفجر ، واذا بالمهندس الفنى يمسك بالقنبلة ويقذف بها بعيدا •• والمعروف أنها تنفجر بعد ١٥ ثانية •• ومن الممكن أن تصيبه شظاياها •• ولكنه فعلها •• وانفجرت القنبلة ولم يأبه •• وأقلعت المقاتلة المصرية لتؤدى دورها فى مطاردة طائرات العدو !

أما أطرف القصص التى تثبت ارتباك طيران العدو الذى كان يزهو بنفسه ، فقد وقعت فى بور سعيد •

هاجمت طائرات الميراج بور سعيد ، وتدخلت طائراتنا وأضطرت تشكيل العدو أن ينقسم • وأختفت طائراتنا •• واذا بطائرات العدو تضرب بعضها البعض ! •• لقد تصوروا أن مصر هاجمت بطائرات ميراج ، وأدى الارتباك الى أن أشتبكوا معا فى معركة •• وسقطت بعض طائراتهم !

ولكن ماذا حدث فى ساعة الصفر •• بالنسبة لقوات الطيران ؟ ••

قـــال اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية :

ان قواتنا الجوية قامت بضربة قوية فى تمام الساعة الثانية مساء يوم ٦ أكتوبر على مطارات العدو ومواقع صواريخه ومواقع الشوشرة •• كما ضربنا مركز سيطرة ضخم فى سيناء ،وأضطروا الى نقله لمكان آخر فى ارتباك ملحوظ ، سمع من التصنت اللاسلكى • أما مركز الشوشرة فقد دمر تماما ، ولم يستخدم حتى وقف النار • أما مطارهم الرئيسى فى ســيناء فقد عطل ٤ أيام •

ثم تكررت الهجمات بأحجام أقل • ثم بدأت قواتنا الجوية تنفذ مهامها مع باقى القوات •

وماذا عن هجمات العــدو ؟ ••

ــ قامت ٧ معارك عنيفة فى شمال الدلتـــا فى الأيام الستة الأولى ، استمرت معركة منها ٥٠ دقيقة • وهذا وقت قياسى فى استمرار معارك الطيران • واشتركت فى هــذه المعارك ٦٠ طائرة مصرية ، اشتبكت مع الفانتوم ، وسقطت قنابل العدو فى المزارع •

ــ معركتان جويتان كبيرتان فى يومى ١٩ و ٢٠ أكتوبر ، فقد فيها العدو ١٨ طائرة •• وكان قد فقد فى معركة سابقة ١٧ طائرة •

* * *

ويكمل اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى الصورة ••

ان سلاح الدفاع الجوى ، هو الذى يتولى الانذار بغارة العدو ويحدد مسارها •• وهو الذى يوجه المقاتلات بمعلومات الانذار •• وهو الذى يسيطر على غابة الصواريخ أرض ــ جو •• الصواريخ قصيرة المدى •• والبعيدة •• والمتحركة •• ثم المدفعية المضادة للطائرات • ثم وسائل الدفاع الجوى الالكترونية التى لم يفصح عنها •

ويكفى لكى نقدر قيمة الدفاع الجوى ، أن نعرف أن العدو هاجمنا فى الأيام الثلاثة الأولى مستخدما ٥٠٠ طائرة ، ألقت من القنابل ما يوازى فى أثره ، قوة أول قنبلة ذرية ألقيت فى هيروشيما

وقد بدأنا استخدام الصواريخ فى مصر فى عام ١٩٦٣ فقط • وكنا نستخدم قبلها المدافع المضادة للطائرات • والمدفعية المصرية لهـا شهرة دولية اكتسبتها فى الحرب العالمية الثانية وسجلتها المؤلفات العسكرية • ولم ينشأ سلاح لقوات الدفاع الجوى الا فى يونيو ١٩٦٨ •

وأستطعنا أن نبنى قواعد الصواريخ • أو ما يسمى حائط الصواريخ فى يونيو ١٩٧٠ •• ودفعنا بغابة الصواريخ الى الجبهة فى عام ١٩٧٢ • ولم يكن ذلك بالأمر السهل •• فان غارات العدو كانت تلاحق مواقع الصواريخ ساعة بعد ساعة •• باعداد رهيبة من القاذفات •• واستشهد أبطال مدنيون فىبناء القواعد •• وتم دفع حائط الصواريخ الى الجبهة بخطط تمويه • لم يكشف عنها حتى الآن •• حتى أن جولدا مائير صرحت بأن غابة الصواريخ المصرية كأنها عش الغراب •• كلما دمروا قاعدة •• زرعت على الفور قاعدة جـديدة !

ولغابة الصواريخ جولات مع العدو منذ تقدمت الى الجبهة •• ولعل أهمها اسقاط طائرة الاستطلاع والتجسس « الاستراتوكوزر » ••وهى من أكبر وأغلى طائرات التجسس ، فيها ٧ ملاحين ، وثمنها ملايين من الدولارات !

وفى هذه الجولات ، يذكر قائد الدفاع الجوى بالفخار •• الجندى المدفعجى خيرى زكى الذى بقى وحده جريحا فى موقع منعزل بالجزيرة الخضراء ، بعد أن استشهد كل زملائه •• واسقط طائرتين •• ورقى الى عريف •• ثم رقيب •• واستشهد أخيرا فى عملية أنزال بحرى ••

ويذكر بالفخار أيضا الرائد شـطا قائد الكتيبة ، الذى استشهد فى موقع ميدانى غير محصن بعد أن دمر ٤ طائرات للعدو ••

وهكذا سارت الأمور •• حتى فتح التاريخ صفحة الملحمة الخالدة فى أكتـوبر •

يقول اللواء محمد على فهمى :

سيطرنا منذ اللحظات الأولى على نطاق أمن شرق القناة •

وجاء أول رد فعل للعدو بعد ٤٠ دقيقة من بدء الهجوم • ويعنى هذا أن العدو كان على درجة من الاستعداد • •ولكنه كان يهاجم بغير خطة منظمة وبعد ٣ ساعات كان قد خسر ١٥ طائرة !

عم الارتباك السلاح الجوى للعدو ، بعد أن تبين له أن صواريخه الموجهة لم تحقق نتيجة •• الاعاقة الرادارية لم تحقق نتيجة • الخداع الالكترونى لم يجذب صواريخنا •

وكنا ننتظر ضربة جوية ضخمة من العدو فى صباح ٧ أكتوبر • لقد خطط لضرب مطاراتنا الأمامية • وهاجم بسبعين طائرة • وأقترب من أهدافه على ارتفاعات منخفضة ، وكانت النتيجة أنه خسر ١٨ طائرة ، ولم ينجح فى تحقيق مهمته • ولكنه عدو عنيد • كرر العملية • واجه مزيدا من الفشل ، حتى قال بارليف يوم ١٠ أكتوبر ان اسرائيل ستحاول معالجة الموقف •

وكان العلاج ، هو اختيار هدف منعزل • بور سعيد • وذلك لرفع المعنويات • وركز الضرب على بور سعيد بشراسة • وكانت ملحمة رائعة كبدته فيها عناصر الدفاع الجوى خسائر فادحة • وفى التاسع من أكتوبر أصيبت بعض صواريخنا باعطال • وتصور العدو أن المجال الجوى لبور سعيد أصبح نزهة بالنسبة له ، عندما لاحظ أن قواعدنا لا تضرب • ولم يكن يعرف أنها خطة للتمويه • أنها فترة تسكين للاصلاح ثم تأتى بعدها المفاجأة • وفى ١٢ أكتوبر جاءت طائراته للفسحة فوق بورسعيد •• وفوجىء بأنها تتساقط • لقد سقطت له ٢٢ طائرة دفعة واحدة ، وكان يتصور أن بور سعيد قد خلت من الصواريخ • وقل نشاط العدو •• ولكنه زاد النشاط فجأة بعد أن وجد الدعم الأمريكى • ان تقديرات خسائره فى الشرق ٢٥٨ طائرة •• وفى الغرب ٢٠٠ طائرة •

ويقول قائد الدفاع الجوى :

هناك أسرار فى الخداع الالكترونى لم يحن الوقت للكشف عنها . ودلائلها ماشهد به الطيارون الأسرى . أن طائرة الفانتوم ، بها لمبة حمراء تضاء اذا ما اقترب منها الصاروخ . ولكن الطيار يقول أن الصاروخ أصاب طائرته دون أن تضاء هذه اللمبة . لـــاذا ؟ .. هذا هو السر المصرى . وطيار آخر يقول .. أضاءت اللمبة ، واستطعت أن اتفادى الصاروخ .. ولكننى فوجئت بصاروخين واحد من اليسار والثانى من اليمين .. كيف ؟ .. هذا هو السر المصرى . ان تفادى الصاروخ معناه نجاح الطـــائرة فى الافلات من دائرة الضرب .. ولكنـــه ضرب .. وبصاروخين !

الاستماع ممتع حقا الى ملحمة البطولات ..

وقصص قوات الصاعقة يمكن أن تملأ مجلدات فى الفداء الانسانى . قوات الصاعقة هى التى قاتلت معركة رأس العش بعد الهزيمة . هى التى حمت البلاد فى حرب الاستنزاف .. أول أســير وقع فى قبضتها .. وآخر أسير قبل وقف النار حينئذ .

ان قائد قوات الصاعقة العميد نبيل شكرى ، يتحدث الينا عن التدريب الشاق أولا . « العرق فى التدريب يعوض الدم » .. هذا هو الشعار .

قوات الصاعقة لها أمجادها منذ الطلقة الأولى فى ٦ أكتوبر الخالد . كانت منتشرة فى كل الاعماق . لهـــا دورها الخالد فى المرات . كانت حمايتها رائعة فى حرب المدرعات . القنطرة شرق ســـوف تروى كيف طهرتها قوات الصاعقة من كل أثر للعـــدو . لم يهرب موقع للعدو من آثار هجماتها المرعبة فى كل أعماق ســـيناء . ولم يؤسر منها مقاتل واحد الا بعد أن نفذت ذخيرته .

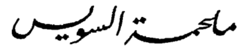
وكان العدو يتصور أنهم يتعاطون حبوب الشــــجاعة !

هكذا قدرت حساباته بعد أن روعه القتال الجبـــار .

لم يكن البطل الوحيد الذى أقدم على هذا الفداء .

ان بطولات الصاعقة ولدت مع تكوينها • •منذ عام ١٩٥٩ • ان العميد نبيل شكرى لا ينسى « الدورية » التى ضلت طريقها فى جبل عتاقة ، فى يوم ملتهب ارتفعت حرارته الى ٤٥ درجة •• وكان أفرادها الستون معرضين للموت عطشا بعد أن فقدوا مياه الشرب وتدهورت أحوالهم •• ولكن بطلا منهم ، أخذ يعدو ويعدو حتى وصل الى الطريق ، واستغاث لانقاذ زملائه •• وسـقط البطل ••

الفصل العاشر



« كل بطل . . له قصة . . وكل قصة لها أبطال »

يوم ٢٢ أكتوبر بعد وقف النار •• •• منطقة الدفرسوار التى عبر منها العدو ، والمساحة التى أمنها فى الغرب •• قطعة مشتعلة من نيران الصواريخ ، بأضوائها التى تمرق فى الظلام •

الظلام دامس • لم تتوقف حركة العدو لحظة بعد وقف النار • تقدم من جنيفة الى الجنوب على الساحل الغربى • له هدفان • الوصول الى السويس • وفى الوقت نفسه حصار قوات الجيش الثالث شرق القناة الممتدة من فنارة الى السخنة جنوبا على خليج السويس • قوات التأمين التى تركها الجيش الثالث على الضفة الغربية من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ ، لم توقف تقدم العـدو الذى بدأ تحركه فى الثامنة من المساء • استطاع العدو أن يغطى جزءا كبيرا من قطـاع الفرقة السابعة بقيادة العميد أحمد بدوى • تم أبلاغ العميد بدوى بالموقف • دفع بمجموعة اقتناص دبابات عبرت المجموعة الى الغرب على المواسير الممتدة لنقل الوقود • انتشروا فى الغرب فى المناطق الزراعية • كان التحرك ليـلا سهلا بالنسبة لمجموعة اقتناص الدبابات • لقد عاش فى هذه المنطقة ست سنوات بكتيبته ولذلك فهو يعرفها شبرا شبرا • العدو تمكن من أسر بعض أفراد كتائب نقل البترول والمـاء • أنها ليست كتائب قتـال • استطاعت قوة اقتناص الدبابات أن تدمر ١١ دبابة للعدو ومركبة قيادة فى المناطق الزراعية • ولكن ذلك لم يمنع تقدم قوات العدو • قوات أخرى من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ بقيادة العميد يوسف عفيفى عبرت الى الغرب وتمركزت فى الأماكن التى لم يصل اليها العدو بعد لتعوق تقدمه • مجموعة اقتناص دبابات أخرى بقيادة المقاتل حسان هاجمت العدو على طريق المعاهدة الشلوفة •• وجنوب طريق ١٢ • طيران العدو فى طلعات لا تتوقف بغير خوف من غابة الصواريخ التى كانوا دمروا قواعدها فى هذه المنطقة منذ يوم ١٦ أكتوبر • الضرب مركز وعنيف بصواريخ جو ــ أرض الأمريكية الحديثة • صواريخ تاو (أرض ــ أرض) التى تجيد الاصابة ليلا ، استخدمت على نطاق واسع • تجاوز العدو كل مقاومة واستطاع أن يصل الى نقطة العوايد وهى أحد مداخل السويس ، تصل الى الزيتية ومنها الى العين السخنة ••

كانت الساعة قد وصلت الى الخامسة والربع من مساء يوم ٢٣ أكتوبر • وضحت نية العدو فى حصار السويس •

تركيز الطيران بعنف على منطقة مصنع السماد • وعلى طريق عتاقة ـ الأدبيــة •

تعليمات القيادة المصرية تصل تباعا ••

ـ « نظموا سريعا الدفاع عن مدينة السويس » ••

كانت قيادة الجيش الثالث قــد خصصت قوات للدفاع عن المدينة ، تدفقت من المحور الذى يصل الى معابر الجيش • محور بور توفيق •

الخطة •• قفل مداخل المدينة الرئيســية • أى « محاور » المدينة بالتعبير العسكرى •

١ ـ محور المثلث •• مدخل المدينة من الطريق الرئيسى • القــاهرة. السويس •

٢ ـ المحور الزراعى •• المدخل من ناحية الاســماعيلية •• وهو مساحات واسعة من الحدائق •

٣ ـ محور بور توفيق •• وهو المحور الذى يصل الى معابر الجيش الثالث •

المحوران الأولان محاصران تماما من العدو •

المحور الثالث هو الباقى ••

قفل العدو طريق السويس •• فلا امداد من القاهرة •

كما قفل أيضا طريق الأدبية • بعد أن هاجم مينــاء الأدبية جنوب السويس مباشرة فى العاشرة من المســاء واستولى عليها عند صباح الرابع والعشرين من أكتوبر • أمن الميناء بعد الاستيلاء عليه • وتقدم حوالى نصف كيلو متر جنوبه •

••••••••••••••

العدو يســتعد طوال الليل بعد أن هاجم الأدبية •• للاستيلاء على السويس • وكان هذا هو خطؤه الأول •

لقد أفقد نفسه عنصر المفاجأة •• عندما لم يستمر فى هجومه ليلا ••

••••••••••••••

قوة مصرية برياسة العميد فتحى عباس •• كانت متمركزة فى مبنى احدى الشركات ترقب تحركات العدو • مرت أمامها دبابات العدو المتجهة الى الزيتية • أسرع العميد فتحى عباس بدخول السويس ، لابلاغ قيادة المدينة بالموقف • كان المتوقع أن يتم الهجوم ليلا • الموقف غامض بالنسبة لأهالى السويس • كانوا يسمعون القصف على الأدبية • لم يكن أحد يتوقع أن العدو متقدم • وأنه يحاصر مداخل السويس فى هـذه اللحظات • قيادات المدينة بدأت تستعد • المحافظ • المستشار العسكرى • مدير الأمن العام • الحكمدار • قيادات المقاومة والدفاع الشعبى ومعها القيـادة العسكرية •

تم الاتصال بالقاهرة • صورة كاملة أمام القيادة العامة لكل التطورات دقيقة بدقيقة • أصدر القائد العام أمرا بتعيين المستشار العسكرى للمدينة قائدا عسكريا لهـا • بدأ على الفور تنظيم وتحديد القوات المخصصة للدفاع عن المدينة •

كان الاجتماع الخطير فى غرفة العمليـات • عرض شامل للموقف • الدفاع العسكرى • حاجات هذا الدفاع • تموين المدينة من المخزون • المـاء • الوقود • حماية مخزن الدقيق • حماية المواقع الاستراتيجية • الاحتفاظ بالروح المعنوية •• وسـائل تنظيم الجنود غير المقاتلين من الجيش الثالث (الفرق الادارية التى لجأت الى السويس من الدفرسوار وجنوبها) تقرر أن تقسم المدينة الى عدد من قطاعات دفاعية • تم تعيين قائد لكل قطاع •

ثم قطاعات فرعية فى الزراعية واليهودية وغيرها •• انها أقل أهمية ، لأنها مكتظة بالمبانى أو فى المناطق الزراعية •

القوة الرئيسية للدفاع تتكون من وحـدة فى المدينة ، من الفرقة ١٩ • كانت مهمته الدفاع عن المدينة قبل العبور •

بدأ تركيب أجهزة تليفون •• وأجهزة لاسـلكية فى قطاعات الدفاع الرئيسية تربطها بقيادة الدفاع عن المدينة •

وزعت قوات اقتناص الدبابات • ركبت المدافع المضادة للدبابات (م•د) ومدافع ١٣٠ مليمتر بعيدة المدى فى المواقع الدفاعية الأساسية •

تم انتشار قوات الدفاع الشعبى وعناصر المقاومة الشعبية بجوار أفراد القوات المسلحة •

استمر العمل الشاق طوال الليل • الاتصالات بالقاهرة لا تتوقف • الاتصالات بقيادة الجيش الثالث فى الشرق مستمرة • بدأت فرق الاستطلاع ، تخرج الى مشارف المدينة ، لتتبين تشكيلات العدو • انتشرت الأخبار فى المدينة • استيقظت السويس كلها بنسائها وأطفالها • حركة غير عادية فى كل أرجاء المدينة •

جاءت صلاة الفجر • فاكتظت المساجد بالناس • مشاعر غامضة من التساؤل والقلق والثقة ومحاولات استطلاع الحقائق •

أعلن بدوى الخولى المحافظ فى مسجد الشهداء الحقائق لشعب السويس •

ــ المدينة محاصرة • العدو يستعد لدخول السويس بين لحظة وأخرى نظم الدفاع عن المدينة تماما • المطلوب هو الهدوء وضبط الأعصاب • كل مواطن عليه أن يساهم بكل ما يستطيع • سننتصر • لن تسقط السويس • الله أكبر •

وارتفع الدعاء الى السماء من أعماق القلوب ••

وخرج الناس من الجوامع ، وانتشروا فى المساكن • كل يأخذ له موقعا • كل مواطن جند نفسه للمعركة ، وتسلح بما استطاع ان يصل اليه • زجاجات مولوتوف • شكائر طوب • سكاكين • قطع حديد • صفائح غاز تبلل فيها كور من القماش •

المشهد لن ينساه التاريخ •

الانسان المصرى بكل طوائفه •• وطبقاته • •وأعماره •• يستعد لقتال الحياة والموت •

الأطباء والممرضات فى المستشفيات مستعدون .

قوات الشرطة تأخذ مواقعها مع قوات الجيش .

التحذير المستمر للمواطنين . لا تعرض نفسك لمنطقة مكشوفة . تحصن وراء ستر . الجأ الى أماكن الوقاية عند قصف الطائرات .

الطرق الرئيسية سدت بالسيارات والاحجار .

عادت فرق الاستطلاع عن طريق الاسماعيلية عند منتصف الليل ، لتقول ان العدو وصل الى بعد ١٢ كيلو متر . تأخر وصوله نتيجة مقاومة الفرقة ١٩ . لم يصل العدو الى مدخل السويس من هذه الناحية الا فى الصباح .

....

الساعة السادسة صباحا . العميد عادل اسلام القائد العسكرى يعطى تمام الاستعداد .

الاشارة الى القاهرة .. سننتصر . الاشارة بالاسلكى الى قائد الجيش الثالث فى الشرق . وتبلغ تليفونيا الى القائد العام . الرد . تمسكوا بمواقعكم . سننتصر .

....

العسكريون يعرفون أنها معركة صعبة . المدينة صغيرة . قوات العدو تحاصرها من كل الاتجاهات بالمدفعية والمدرعات . فى الزيتية احتل العدو العمارات وتحصنوا بمدافع الرشاشات . مقاومتنا للطيران بالأسلحة الصغيرة فقط ، وهى لا تقاوم الطيران السريع ..

ولكن العسكريين يعرفون أن العدو سيلقى ردعا عظيما . ان قتال المدن ليس بالأمر السهل على المهاجم مهما كان عتاده . والروح المعنوية الى قمة الالتهاب . وكل مواطن ينظر فى لهفة قوية ..

الساعة السادسة والنصف .

العدو يمهد لمعركة الاقتحام . غارات طيران مكثفة وسريعة ، بطلقات لا تتوقف . ضرب مدفعية من جميع الجهات . قذائف ثقيلة . كل بيت

فى السويس اصابته قذيفة • حـديد شريط السـكة الحديد فى الشارع الرئيسى انصهر من حرارة القذائف : والتوى الى ارتفاع ٣٠ مترا ! •

فرق الانقاذ تعمل بكل نشـاط وشجاعة •

المستشفى يستقبل الجرحى •

آذان أبطال السويس ، بدأت تستمتع بدوى القذائف •• وانفجارات الصواريخ •• وصوت النفاثات الرهيب •• أثناء هذا القصف الوحشى الداعى : كان أحد البسـطاء « يقلى » الطعمية فى محله المتواضـع ، ليرسلها « سخنة » فى أرغفة العيش الى المقاتلين !

استمر الضرب المتواصل العنيف ثلاث ساعات كاملة ••

تصور العدو أن المدينة اخذت درسا قاسيا ••

تصور أن الكل أصبح مستعدا للاستسلام •

تصور أن مدرعاته سوف تدخل المدينة لترى الرايات البيضاء تطلب الأمان •

ان خسائر المبانى رهيبة ••

ان رعب القصف يكفى لأن تتجمد الدماء فى العروق ••

وتوقف القصف ••

وبدأ الهجوم على المدينة من كل مداخلها ••

••••••••••••••

كانت الساعة التاسعة والنصف من الصباح ••

مدرعات العدو تتحرك من اتجـاه (المثلث) •• المدخل الرئيسى للمدينـة •

ـ من اتجاه القطاع الزراعى (الهويس) •• المدخل من الاسماعيلية •

ـ ثم من اتجاه الزيتية .. وكانوا قد احتلوها .

....

الهجوم لم ينجح من اتجاه الهويس . كان على العدو أن يجتاز كوبريا صغيرا . الكوبرى محتل بالمدافع (م . د) المضادة للدبابات . الدفاع عنه أسهل كثيرا من الهجوم .

....

القوات العسكرية تتصدى للهجوم من ناحية المثلث .. المقاومة تضرب من المساكن الشعبية .. المقاومة تستمر ساعة واحدة .. استطاع العدو أن يحدث ثغرة . وصلت مدرعاته الى مشارف الشارع الرئيسى ..

....

نجح العدو أيضا فى اختراق تحصيناتنا من ناحية مدخل الزيتية ..

....

أمن العدو قواته عند مدخل المثلث . اندفع بعشر دبابات وعشرين عربة مجنزرة . كل دبابة وراءها عربتان . هيأ له غباءه أن وضع أعلام دول عربية على المدرعات يمكن أن يخدع أحدا بعد كل هذه المعارك !

مرق العدو بدباباته ومجنزراته بسرعة ، ليتلافى أى مقاومة جانبية من الأسلحة الخفيفة .. استطاع أن يصل الى بور توفيق . اصطدم هناك بحقل الغام . انفجرت الألغام فى الدبابة الأولى . انهالت عليها قذائف الـ (م . د) .. أصابت الدبابة الثانية . ارتبكت صفوفه . كانت مدفعية الدبابات التى دخلت من الزيتية تحميه بستر من نيرانها . تقدمت الدبابات الثمانية الباقية والعربات المدرعة الى الزيتية ، هاربة من استمرار المقاومة .

بعد نصف ساعة .. « قول » آخر من دبابات العدو يقتحم مدخل المثلث ..

مجموعة منظمة سيناء ، أطلقت أول صاروخ على أول دبابة ، عند جامع الأربعين . الطلقة لم تصب الدبابة . انفجرت فى سور السكة الحديد الممتدة فى الشارع . خرج بطل من حصنه فى دار السينما الى الشارع . انتظر الدبابة . أصبح بينه وبينها ١٢ مترا فقط . طلقة (م.د) من مدفعه أطارت رأس سائق الدبابة فى الهواء . وقفت الدبابة . جنود الدبابة قذفوا حولهم قنابل يدوية للوقاية . اقتحم البطل المصرى نيران القنابل . قفز على الدبابة . رمى بداخلها قنبلة

يدوية • انفجرت • اشتعلت فيها النـــار • كان وراء الدبابة ٣ عربات مدرعة • رجالها يطلقون النيران ويملأون المكان حولهم بسياج من القنابل اليدوية • البطل يقتحم النـــار مرة أخرى • يقذف أول عربة مدرعة • تشتعل العربة • باقى الدبابات تتوقف • العربات المجنزرة أيضا تتوقف • يقفز منها الجنود الاسرائيليون محاطين بسياج من النار • المنطقةتتحول الى جهنم • كل مواطن فى المساكن والطريق الرئيسى والشوارع الفرعية الضيقة بدأ يضرب • بالبنادق • بزجاجات مولوتوف • بكور النيران • بالطوب • محافظ السويس بدوى الخولى فى قلب المعـــركة • يشجع المقاتلين • اضرب • تقدم • احترس من هذه القذيفة • روح معنوية طاغية • صبى فى السابعة من عمره يضع على رأسه خوذه • ويجرى فى وسط الشوارع يخترق النيران الرهيبة • الصبى يصل الى مبنى الدفاع الشعبى الذى أصبح مقرا للمحافظ ، ومقرا لتشوين الذخيرة • الصبى يملأ الخوذة بالذخيرة •• يعود حاملا الخوذة فى يده ورأسه عاريا ! •• يجرى وسط النيران •يسلم ابطالنا الذخيرة •• يوزعها عليهم • يعود ثانيا تحمى رأسه الخوذة • ويرجع رأسه عارية والخوذة ملأى بالذخيرة • أسطورة شجاعة لطفل فى السابعة من عمره ! ••

حماك الله ايها الشعب !

الاسرائيليون أصبحوا فى مصيدة هـــذا الشارع بين دار الســـينما والجامع • النـــار والاحجار والقذائف تحيط بهم من جميع الجهات •• يجرى بعضهم الى حارة مفتوحة أمامه ، يرى أن الحارة امتلأت فجأة بالعشرات • تهدده القنابل • يعود • يحاول البعض الآخر الاحتماء فى مسكن • ينهال عليه الطوب • رؤوس الاسرائيليين مبعثرة • المقاومة تقفز على الدبابة • شهداء ابطال يسقطون • استطاع ٢٥ اسرائيليا أن يمرقوا الى مبنى قسم الشرطة فى الوسط بين السينما والجامع • ارادوا أن يؤمنوا أنفسهم داخل القسم ، بعـــد أن تمزقت اجســـاد الباقين • استطاعوا أن يشـــقوا طريقهم بحماية المدافع الرشاشة • رجال القسم يقاومون • استشهد ١١ جنـــديا • سيطروا على القسم • المبانى حول القسم تحميه • دباباتهم وعرباتهم المدرعة احترقت • ثلاث دبابات ، ١٢ عربة مدرعة ، عربات ذخيرة • أصبحت قطعا من الفحم • شعب السويس لم يكتف بذلك • حتى بعد احتراق الدبابات • أعادوا حرقها من جديد •

بالجاز وزجاجات مولوتوف •أجساد الاسرائيليين تحولت الى لحم محترق. ودماء وقطع مبعثرة من الأرجل والأيدى والرؤوس •

••••••••••••••

استمرت الملحمة الخالدة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر • كانت قد بدأت فى الحادية عشرة من الصـباح • الأهالى ينقلون الجرحى الى المستشفى • قصص فداء من الأطباء والممرضات • الأطباء متطوعون بدمائهم • بعضهم أعطى دمه أكثر من مرة • جراحات خطيرة وجراحات صغيرة • الشهداء تحملهم الايدى الى مثواهم الأخير • المقاتلون يعيدون تنظيم صفوفهم • الدبابات المحترقة تبهر الانظار •

أما الاسرائيليون داخل قسم البوليس •• فهم فى المصيدة ••

كان أحدهم يحمل جهاز لاسلكى • اتصل بقيادته • نصحوهم بالتسليم. أخرجوا جنديا مصريا بالقسم برسالة الى قيادة المدينة •• اننا مستعدون للتسليم • أمنوا حياتنا • سنخرج ومعنا قطعة قماش بيضاء • الجندى لا يعرف أين القيادة • اصطحبه أحد أبطال منظمة سـيناء الى العميد فتحى فى غرفة العمليات • كان الجواب أننا قبلنا استسلامهم • وسنحمى حياتهم • ولكن الجندى لم يستطع الوصول مرة ثانية الى القسم • عرف الاسرائيليون أن مصيرهم الأخير داخل القسم عندما لم يتلقوا ردا •

••••••••••••••

انتشرت الانباء فى المدينة الصـغيرة أن الاسرائيليين داخل قسم الشرطة • الجمـاهير أحاطت من بعيد بالقسم من كل مكان • الاعداء يحتفظون بجنود الشرطة كرهائن داخل القسم ومع ذلك أصابهم الرعب من التجمع حول القسم • طلبوا باللاسلكى من قيادتهم • بعد أن فشلت محاولة التسليم الضغط بالنيران • بدأت المدفعية الاسرائيلية تقصف غارات طيران أخرى • محاولات هجوم أخـرى بالمدرعات من مداخل المدينة • فشلت المحاولات • الروح المعنوية مرتفعة جـدا • تضاعف تمسك الجماهير الباسلة بالمدينة الباسلة • الدبابات المحترقة أزكت روح القتـال والمقاومة •

الساعة الخامسة .

مجموعة من أبطال منظمة سيناء مع عدد من العسكريين وعدد من المقاومة الشعبية قرروا اقتحام قسم الشرطة . كانوا ٢٥ بطلا . القسم وسط منطقة مكشوفة ، ومحصن بالمبانى بعد هذه المنطقة . وصلوا الى سور القسم . تسلقوا السور . شعر الاسرائيليون . سلطوا عليهم النيران . لم يتوقف الهجوم . استشهد ثلاثة أبطال وهم يقفزون السور . نزل الباقون الى الفناء . أحد الشهداء هو البطل ابراهيم سليمان أحد رجال منظمة سيناء . أنه الشجاع الذى ضرب أول دبابة وأطار رأس قائدها وأحرقها . انه مقاتل رهيب . له سجل حافل فى العبور الى الضفة الشرقية منذ عام ٦٨ . هو الذى عاد الينا بأول أسير فى منطقة الشط فى ذلك الوقت. انه موظف كتابى بشركة السويس للتصنيع البترولى . ولكنه وهب نفسه للفداء وتطوع فى منظمة سيناء . ووصل الى رتبة نقيب . وهو متزوج وله أطفال . ولكنه كان يقدم نفسه للموت كل يوم ! .. مع القوة المهاجمة عدد من ضباط الشرطة . استشهد منهم ضابطان .

لم ينجح الاقتحام .

سقط عدد من الاسرائيليين داخل القسم .

....

خلال هذه المعركة .. أصابت قذيفة مخزن الدقيق بالمدينة . احترق المخزن . الخسارة كبيرة . انه تموين المدينة استعدادا لأيام القتال . فرقة المطافىء . المواطنون . جهود جبارة لانقاذ الدقيق . احترق ١٫٢٠٠ جوال وبقى فقط ٨٠٠

....

المقاومة الشعبية عنيفة فى الزرايرة واليهودية والمغربية والهويس . محاولات مستمرة للعدو للاقتحام . كلها دمرت .

....

محاولة أخرى للعدو لاقتحام المدينة من مدخل المثلث بثلاث دبابات وعربتين مدرعتين . الهدف هو الوصول الى مبنى قسم الشرطة ، لانقاذ الاسرائيليين . تقدمت الدبابات عربة مدرعة . سائق المدرعة أصيب بالذهول من مشاهد النيران والدبابات المحترقة وعنف المقاومة . دار بالعربة المدرعة حول نفسه مرتين ، وعاد بأقصى سرعة . هرب بجلده . هربت الدبابات وراءه . لم يكن الاسرائيليون يتخيلون أن شعبا سيقاوم

بهذه الشجاعة الخارقة • بقى ١٢ اسرائيليا أحياء داخل القسم • محاولة تخليصهم هى كل أمل العــدو •

جاء الظلام • صمتت مدفعية العدو • عرف أن القصف بالنيران والصواريخ لن يهز هذه المدينة أبدا • عرف أن الاستيلاء على المدينة كان مغامرة خاسرة •

ان عنف المقاومة • والشوارع الضيقة • واكتظاظ المدينة بالمبــانى • يمثل عقبة كبيرة أمام العــدو •

استطاع الاسرائيليون التسلل من قسم الشرطة أثناء الظلام • كان الاجهــاد قد حل بالجميع بعد المعركة الرهيبة • انشغل الكثيرون بنقل الجرحى ، واعادة تجهيز المواقع ، وتشوين الذخيرة •

تنبه بعض رجال المقاومة الى الهاربين فى طريق اليهودية والزراير • أصــابوا ثلاثة •

أمكن اكتشاف ستين جثة للعــدو • بعد وقف النار تسلموا ٢٧ جثة • عرفوا أن قواتهم ــ بعد ذلك ــ تنقص ٣٣ • قلنا لا نعرف • كنا نعرف أنهم قتلى • ولكننا أردنا أن نساوم بهم • حتى يتصوروا أنهم لا يزالون أحياء • قلنا سنبحث • كان ذلك بعد قطع المــاء عن المدينة •

•••••••••••••

٢٤ أكتــوبر :

مر اليوم هادئا • العدو لم يهاجم • القوات المسلحة وقوات المقاومة والدفاع المدنى •• يستعدون لمعركة جديدة • جمع الأحجار • حفر خنادق جديدة • اتصالات لاسلكية بقيادة الجيش الثالث • وصول أسلحة • القائد العام يصدر تعليماته من القاهرة ويتلقى تقارير تفصيلية • المستشفى الأميرى لم يعد يتسع للجرحى • فريق من الجرحى فى فرقة الدفاع المدنى ومعهم أطباء متطوعون • المخابز تعمل •• بدأ التفكير فى تحديد توزيع المؤن •

جــاء الليــل ••

بدأ العدو يتابع القصف بالمدفعية من جميع الجهات خارج المدينة •

الأنباء تصـل الى قائد مدينة السويس • الاسرائيليون يريدون البحث عن الـ ٣٣ الذين لم يعودوا • انهـم لا يعرفون عنهم شيئا • هل قتـلوا ؟ •• هل وقعوا فى الأسر ؟ انهم لا يزالون يحتلون جزاء من الزيتية • قيادتهم فى أحد مكاتب شركة تصنيع البترول • يوجد معهم حوالى ١٥٠ موظفا وعاملا مصريا • أخبارهم على ألسنة المصريين فى الزيتية تصل انى قيـادة السويس • ان الاسرائيليين يتصورون أن المدينة مسلحة تسليحا خارقا • أنهم مترددون فى القيام بهجمات جديدة • لقد أيقنوا أن التضحيات كبيرة • بدأ الاسرائيليون يستخدمون أسـاليب التهـديد • الضـباط الاسرائيليون يتصورون أنهم أكثر ذكاء • يحاولون التحدث الى المصريين فى الزيتية ، واستدراجهم الى الكلام والحصول منهم على معلومات • انهم يسألون •• بلدكم فيها ايه •• تقريبا ؟ •• حوالى ٨٠ ألف ؟ •• طبعـا كلهم عسكريين •

المصريون أكثر ذكاء • انهم يضـاعفون لهم الأرقام •

طلب القائد الاسرائيلى من سعد الهاكع الموظف بالشركة ، أن يتصل تليفونيا بالمحافظ قال له أنه لا يعرف رقم المحافظ • استخرجوا أرقاما من دفاتر التليفون •

اتصل سعد الهاكع بغرفة الدفاع المدنى • رد عليه المحافظ • قال أن القـائد الاسرائيلى يريد أن يتصل بالمحـافظ • الاسرائيلى يتكلم بلهجة عربية شامية • ليبلغه بالتهديد بهدم السويس اذا لم تسلم •

رد المحـافظ

الاسرائيلى : أنت المحـافظ

المحـافظ : لا •••

الاسرائيلى : لا •• أنت المحـافظ •

المحـافظ : أنا لست المحافظ •• عاوز ايه علشان نبلغ المحافظ ••

الاسرائيلى : شوف •• احنـا هندمر البـلد بالطيران والمدفعيـة •

مش حنخلى فيها طوبة واحدة .. فى خلال نص ساعة . اذا لم تعلنوا تسليم السـويس .

المحـافظ : لا .. نص ساعة ده وقت قليل لغاية ما اتصل بالمحافظ وأرد عليك ..

الاسرائيلى : نص ساعة بس .. بعد كده البلد حتتحول طوب وجثث .

المحـافظ : ده وقت قليل .

الاسرائيلى : ماعنديش كلام ثانى . تيجى أنت والقـائد العسكرى ومدير الأمن ومعاكم كل الأهالى . رافعين أعلام بيضاء .. وأنا منتظر فى الاسـتاد .

انتهى الحديث

كان تقـدير البعض أن هذه عمليـة تهويشية ، وأن الاسرائيليين لن يهاجموا ، بعد ما تكبدوا من خسائر بالأمس .. هجومهم مستحيل . لو كانوا قادرين لما لجأوا الى هذا الأسلوب وآراء أخرى تطالب بدراسة الموقف من جميع نواحيه ..

والكل كان مخلصا فى ابداء رأيه ..

المحافظ يتصل تليفونيا بالقائد العسكرى . روى له الحديث . شرح تفصيلات تقييم الموقف من وجهة نظره .. التموين . المـاء . الأدوية . الخبز . القتلى والجرحى . طلب من القائد تقدير موقف . هل قواتك كافية للدفـاع عن المدينة ؟ ..

القائد العسكرى يقول اننا قادرون على الدفاع عن السويس وسأقوم بالرد بعد أن أدرس الموقف مرة ثانية .

المحافظ يتصل بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

جاء رد القـاهرة بعد لحظات • انه رد الرئيس أنور السـادات • لا تسليم • قاتلوا حتى آخر رجل وأمرأة وطفل •

صفق الجرحى وأبطال المقاومة ومن يقاومون الموت •

رد أنور السـادات ضاعف من الروح المعنوية • نصف المقاتل أصبح مقاتلا •• المقاتل أصبح فى قوة عشرة مقاتلين • الجريح نسى آلامه • من يعانى حشرجة الموت دبت فيه الحيـاة •

فليذهب تهديد القائد الاسرائيلى الى الجحيم •

المحافظ يتصل بالقائد العسكرى • قرار القاهرة هو استمرار القتـال •

القائد العسكرى : هذا هو قرارى أيضـا • أننا قـادرون على معركة ومعارك أخرى •

القائد الاسرائيلى يتحدث فى التليفون بعد مرور نصف ساعة • السماعة تقفل فى وجهه بمجرد سماع صوته •

القائد الاسرائيلى يتصل بكل المكاتب التى يجد أرقامها فى دفتر التليفون•

اتصل بالحكمدار •• يا أخى ما تهد البلد اذا كنت قادر •

اتصل برئيس مباحث الأمن العـام •• ومين قالك اننا حنسلم •

فقد القائد الاسرائيلى أعصابه • كان لا يسمع الا سخريات !

المحافظ يكلف مندوب الاتحاد الاشتراكى ورجال الشرطة وعددا من رجال المقاومة ، أن يمروا بعربات فى جميع شوارع المدينة وبميكروفونات• انطلقت أصواتهم عاليـة من الميكروفونات • العدو يطلب أن نسـلم • لن نسلم • سنقاوم • سنحارب • سننتصر •

المحافظ يطلب من الشيخ حافظ سلامه أن يعلن من جامع الشهداء •• فى

الأذان •• وأثناء تأدية الصلاة •• شعار المقاومة حتى آخر رجل • الجامع الآن أصبح مقر القائد العسكرى • تحول الجامع الى ثكنة عسكرية • تشوين ذخيرة • تنظيم خطط الدفاع • رجال من المقاومة يدخلون ويخرجون• أخبار عن العدو تحملها فرق الاستطلاع •

كل جوامع المدينة تحولت الى قلاع مقـــاومة • الله أكبر •سنقاوم • سننتصر ••

يوم ٢٥ أكتـــوبر :

قصف بالمدفعية من خارج المدينة • أصوات القذائف لم تعد ترهب أحدا •

العـــدو يذيع كذبا أن المدينة استسلمت • تخرج برقية كاذبة أرسلها مراسل الأسوشيتدبرس « دافيد لانكشير » : هذا نص البرقية :

السويس المحتلة — أ•ب — من دافيد لانكشير :

« احتلت القوات الاسرائيلية كل مدينة السويس تقريبا ، وهى البداية الاستراتيجية ، الى الطرف الجنوبى من قناة السويس • صرح بذلك اليوم (الخميس ٢٥ الســاعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل) الضباط الاسرائيليون فى الوقت الذى كانت فيه طلقات المدافع تنفجر على طول القناة على الرغم من وقف اطلاق النار » •

ثم أطلق هذا المراسل لخياله العنان وقال ما نصه :

«كان الدخان الرمادى يسبح بين المبانى ، وكان يبدو أن القوات المصرية المعزولة على الجانب الآخر من القناة فى الشرق ، تقصف المدينة فى محاولة يائسة لطرد القوات الاسرائيلية التى احتلت المدينة •

وصرح لى ضابط اسرائيلى برتبة كولونيل، وعرف نفسه بأنه قائد قطاع مدينة السويس قائلا أن قواتنا داخل مدينة السويس منذ ما قبل وقف اطلاق النار الأول • وقال هذا الضابط أن المدينة محتلة بالكامل تقريبـــا ،

باستثناء جيوب قليلة للمقاومة • ربما مئات قليلة من الجنود المصريين فى وحدات متناثرة ، لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم يشكلون قوة •

ووصف دافيد لانكشير المراسل الأمين جـدا الكولونيل قائد قطاع مدينة السويس بقوله :

« ان قائد السويس الاسرائيلى كان يحمل مسدسا وخنجرا فى حزامه ، وكان يتحدث على الطريق الواقع عنـد الطرف الجنوبى من السويس ، بالقرب من منازل المدينة التى بدت مهجورة • ومن نقطة تقاطع طرق على مسافة ميل الى الشـمال كانت القوات الاسرائيلية ، والسـيارات نصف جنزير والمدرعات تتحرك داخله وخـارجه من المدينة من الغرب دون أية علامات مقاومة • وقد رفض القائد الاسرائيلى أن يحدد كم عدد قواته داخل المدينة • وصرح القائد الاسرائيلى بأنه كان هناك مقـاومة عندما تحركنا الى المدينة ، أما الآن فلا يوجد سوى جيوب قليلة لا تزال صامدة• ربما بقايا الجيش الثالث • ولكن لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم جيش • وقال القائد الاسرائيلى أيضا أن الأسرى يتوافدون الآن ، وأن لدينا حوالى ٤٠٠ استسلموا حتى الآن وما زالوا يتوافدون حاملين أعلاما بيضاء » •

هذه هى الأكذوبة التى نشرها الاسرائيليون •

ولكن قيادتهم وجدت أنها كبيرة •• وبعدها وفى يوم التالى (٢٦ أكتوبر) فى الساعة السابعة و٤٥ دقيقة مساء أذيع البيان الرسمى التالى الاسرائيلى من جميع وكالات الأنباء • وأنا أنقل نص ما أذاعته وكالة يونيتدبرس :

« نفت القيادة العسكرية الاسرائيلية اليوم أن قواتهـا موجودة داخل مدينة السويس وهى المدينة المصرية الواقعة عند الطرف الجنوبى من قناة السويس • وكان أحد الضباط الاسرائيليين قد قال للصحفيين الذين زاروا المنطقة يوم الجمعـة أن القوات الاسرائيلية موجودة بالمدينـة التى تم اخلاؤها من السكان المدنيين وكان معهم ١٥ ألفا من الجنود المصريين • وقد صرح الكولونيل مهمان كارمن ـ المتحدث الرسمى بلسان القيادة الاسرائيلية بقوله : أننا عند ضواحى مدينة السويس ، وبالتالى فنحن لا نسيطر على المدينة • أننا نحاصرها ولكننا لسنا بالداخل • ووجه حديثه الى الصحفيين

قائلا : انكم تستطيعون القول بأن مدينة السويس مستقلة عن القوات الاسرائيلية » •

• • • • • • • • • • • • •

حاول العدو دخول المدينة مرة أخرى • اندفع من أحد المداخل بدبابة ومدرعة وسيارة جيب • حمى نفســه بنيران مستمرة • كان يسعى الى استكشاف •• أين يوجد الاسرائيليون الثلاثة والثلاثون • انه يتصور أنهم أحيــاء • استطاع أن يختطف أحد المواطنين •

قوات المقــاومة تهاجم العــدو عند مدخل السويس ناحية المثث • استطاعوا أن يختطفوا أحد ضباطهم • الضابط يصيح بلغة عربية ركيكة • أنا عندى معلومات • أنا حفيدكم • ولكن الأهالى أعطوه علقة ساخنة • أصيب ونقلوه الى المستشفى الأميرى •

انتشرت اشاعة فى المدينة أن المدرعات الاسرائيلية ستهاجم المدينة ، ولكنهم سيضعون فى مقدمة المدرعات المصريين الذين يعملون فى الزيتية • سيصدرونهم أمام الدبابات حتى لا يستطيع أى مدافع عن المدينـــة أن يضرب المدرعات • الاشاعة تقول أنهم اختاروا ١٥٠ من مهندسى وعمال المصــانع •

كان لابد أن نناقش هذه الاشاعة • هكذا قال لى محدثى من أبطال السويس •

ماذا نفعل •• لو كان هذا صحيحا •• هل نضرب ونضحى بأخواننا دفاعا عن المدينة • أو أن نمسك عن الضرب • حرصا على حياة أخواننا •• ثم تسقط المدينة ••

واستمرت المناقشات •• ثم استقر الرأى على قرار واحد • سنضرب مهما كان الثمن • كرامة الوطن تطالبنا بالاستشهاد • هــذا قدرهم • وقدرنا شــهداء •

٢٦ اكتوبر •• أول أيام العيــد :

أراد العدو أن ينتقم من ضربة العبور فى عيد الغفران •• غارات طيران مكثفة على الجيش الثالث وعلى أطراف الســويس • ضرب متواصــل

بالمدفعية . الضرب وطلعــات الطيران وقذائف الصواريخ لم تتوقف دقيقة واحدة من الحادية عشر ، فى الصباح حتى الخامسة مساء .

هذا الضرب المتواصل بكل الخسائر التى سببها ، لم يؤثر على استمرار الاستعداد العسكرى . اعادة الأوضاع الدفاعية داخل المدينــة .. الكتائب الادارية التى كانت فى الغرب ، وهددها عبور الاسرائيليين . وصلت امدادات أسلحة الى المدينة من الجيش الثالث فى الشرق . ذخيرة . أسلحة (م . د) .. الصاروخ فهد .

مجموعات بوحداتها من الفرقة ١٩ انضمت للدفاع عن المدينة . الوصول الى السويس عن طريق المزارع كان ميسرا . استمر التجهيز الهندسى . خسائر ضرب الطيران محدودة . تأثيرها النفسى الآن مفقود ، من كثرة ، اعتياد الناس على دوى القنابل والصواريخ والقذائف .

بدأت تظهر مشاكل التموين والسيطرة على النظام .. لقد أخذنا درسا من ٦٧ . وأعدت أماكن لتخزين العمليات والمــاء . خزانات مياه تحت الأرض متصلة بمواسير الى داخل المدينة ١٢ ألف متر مكعب من المياه فى الخزانات . الخزان الرئيسى فى الزيتية وبه ٩٠ ألف متر مكعب . المعلبات جزء منها فى السويس .. وجزء فى الحدائق .. فى مدخل السويس .

كان لابد أولا من الاطمئنان على السيطرة على مصادر المــاء وتأمين نقلهــا فى المواســير .

تقرر وقف بيع الخبز من الأفران . لم يبق فى المدينة بعد حريق مخزن الدقيق الا ٨٠٠ شوال . تقرر لكل فرد رغيفان من الخبز يوميا .. وزع على كل فرد ثلاث معلبــات (فول ــ بامية ــ لانشون) . الخبز يوزع . كل مصلحة تقدم قائمة . القطاع الزراعى يتسلم خبزه من مراكز الشرطة .

تنظيم هذا العمل يبدو هكذا سهلا . ولكن التنفيذ صعب والمدينة تعيش جو الحرب والتهديد والموت ، وتواجه قصف المدفعية والطيران ليل نهار ، ولكن المعنويات مرتفعة .. الكل راض . الكل يريد أن يشارك بأى تضحية . يكفى أن العدو لم يستطع اقتحام المدينة بعد اندحاره فى معارك ٢٥ أكتوبر .

التنسيق كامل بين المدينة وقوات الجيش الثالث • تقرر لكل جندى ربع رغيف كل يومين • تعيين اليوم الواحد لكل جندى يقسم على أربعة أيام •

الاتصال مستمر بين القيادة العامة فى القاهرة •• وقيادة السويس •• وقيادة الجيش الثالث •

٢٧ أكتــوبر :

تراشق بالنيران على مشارف المدينة •

مدفعية العدو تضرب فى العمق •

٢٨ أكتــوبر :

وصلت أول مجموعة من قوات الأمم المتحدة • كان كل جهدها السيطرة على وقف النار • أمكن السيطرة على الاسرائيليين • المدافعون عن المدينة ، من غير العسكريين ، من الصعب السيطرة عليهم • انهم منتشرون فى كل مكان • الاسرائيليون فى مبانى شركة النصر فى الزيتية عند مشارف المدينة • رجال المقاومة فى العمارات التى تواجهها • وبينهما فضاء •

استخدم رجال الأمم المتحدة كل الوسائل لمنع اطلاق النار • اذا ساروا فرادى كانوا يحملون علم الأمم المتحدة • فى السيارات يرفعون « البيارق » بأعلام الأمم المتحدة • الضرب مستمر ، وكانوا يخشون أن يصابوا •

استمرت محاولات السيطرة أربعة أيام متصلة •

كان يتم الاتفاق بين قوات الأمم المتحدة ، على أن الضرب سيتوقف بعد ١٥ دقيقة • الاتفاق ارتضاه الاسرائيليون والمصريون • فى الدقيقة الأخيرة يصب المصريون ضربات نار قوية ومتسعة • يرد الاسرائيليون • يبطل الاتفــاق • وهكذا ••

٣٠ أكتــوبر :

بدأت تظهر مشاكل داخلية فى المدينة ، الدفاع عن المدينة فى الساعات

الحرجة اقتضى أن ينتشروا فى كل مكان ، وأن يضربوا بأى شىء • مواد التموين غير كافية • الأعصاب مرهقة • وقعت مشكلات بسبب الطعام • أمكن السيطرة عليها •

صدر قرار القائد العام بتعيين قائد عسكرى جديد للمدينة من قوات الجيش الثالث فى الشرق هو العميد الكنزى •

بدأ سريعا عمليات اعادة تنظيم الدفاع عن المدينة • تنظيمات جديدة للدفاع • مكعبات خرسانية • الاستفادة من قضبان السكك الحديدية • أسلاك شائكة • ألغام • مدافع جديدة وصلت من الجيش الثالث من الشرق • خنادق فى أماكن دفاعية جديدة ••

كان عملا عسكريا رائعا ••

كل العناصر غير المحاربة ، بين هؤلاء الجنود بدأوا تدريبا عسكريا شاقا ، رغم أن أعمارهم متقدمة •

الاتصالات بقوات بدر (٢ فرقة من الجيش الثالث شرق القناة) مستمرة عن طريق معبر لم يستطع الاسرائيليون الاستيلاء عليه أو تدميره • ضرب هذا المعبر بالطيران والمدفعية والدبابات • ضربه العدو من الزيتية يمكن أن يصل مداه الى بور توفيق • من القطاع الزراعى يستطيع أن يضرب الى موقع الكيلو ١٦٠ ، من الموقع الذى وصل اليه وهو الكيلو ٥٢ • من بور توفيق يمكننا الوصول الى حوض الدرس حيث يوجد المعبر • هناك طريق آخر الى منية الغلة • ضرب المعبر استمر ليلة بطولها ، حتى تحول الى شعلة من النور • ومع ذلك •• فلم يتحطم •• وأمكن اصلاحه •• وكان العبور الى الشرق يتم عليه !

المخابرات الاسرائيلية تحاول الحصول على معلومات عن الحالة داخل المدينة • تصوروا أن المصرى يمكن أن يكون جاسوسا • اتصلوا ببعض المصريين فى مواقع خارج المدينة • ودفعوهم الى داخل المدينة باغراءات مالية • كان المصرى يدخل الى المدينة ويتجه على الفور الى قيادة مدينة

السويس • كان يروى كل شىء • وكان يحمل معه الاجابة التى ترهق أعصاب الاسرائيليين •

كانت أسئلة المخابرات الاسرائيلية • ما هو أثر وقف مباحثات الكيلو ١٠١ على المواطنين ؟ •• هل لديهم ماء كاف ! •• كيف يأكلون ؟ •• ألم تتم مظاهرات ضد الحكومة ؟ ••

كانوا يتصورون أن هذا الشعب يمكن أن يضعف أو يرضخ •

وكانت الاجابات تصلهم • شعب السويس واثق من الانتصار • هذا التسلل الاسرائيلى مهما اتسع مداه ، واقع فى المصيدة • سيباد • الأكل عن جدا • المـــاء متوفر • كل الناس سعداء • سنقضى على هذا الحصار • قواتنا ستفتح الطريق •

فى الأيام الأولى رموا المنشورات التى تطالب بالاستسلام •• فأشعل الناس النار فى هذه المنشورات •

لجأوا الى مكبرات الصـــوت عند أطراف المدينة • سلموا • ستتحطم المدينة حجرا حجرا • سننهى حياتكم •

وكان الرد •• اشتعال المقاومة •

أوقفوا المنشورات • وأوقفوا الصراخ فى مكبرات الصوت •

انهم يواجهون الارادة المصرية لأول مرة ••

بعد اعادة التجهيز العسكرى زادت خسائر العدو فى التراشق بالنيران • كانت نيرانه بلا هدف • كانت نيراننا تعرف هدفها • كانوا يضربون ضرب عشواء ، وكنا نصيب أهدافنا •

وكانت الجماهير تستطيع أن ترى على البعد سيارات الاسعاف تنقل قتلاهم وجرحاهم بعد كل تراشق نيرانى ••

وكانت الروح المعنوية تزداد ارتفاعا رغم •• معاناة النقص فى المــاء والطعـــام •

بل حدث فى الأيام الأخيرة •• أن الجنود اليهود كانوا يصرخون •• يا مصريين •• احنـا تلامذه • عاوزين نذاكر • عندنا امتحانات • احنـا ما ضربناش • الموقع التانى هوه اللى ضرب • اضربوه ••

وتتجه نيران المصريين الى الموقع الثانى •• فيصيحون •• ما تصدقوش احنا ما ضربناش • ومش حنضرب أبدا ! •

وهكذا شعر أبناء السويس •• بقوتهم •• رغم الحصـار !

القائد الاسرائيلى يطلب مقابلة محافظ السويس تحت علم الأمم المتحدة •

القائد الاسرائيلى يريد أن يعرف مصير الثـلاثة والثلاثين اسرائيليـا المفقودين • طلب معلومات •

ولم تصلهم المعلومات •

واستمر الحصار مائة يوم •

وتأجج نضال شعب السويس مائة يوم •

بل أنهم احتفلوا بالعيد الكبير • برنامج ضخم فى جميع شوارع المدينة • المدنيون يزورون القطاعات العسكرية • الجميع يزور المرضى • حفلة خاصة للأطفال فى حديقة المستشفى • ما أروع أطباء المستشفى • كل طبيب كان هرما • كل ممرضة كانت مصر • مدير المستشفى الشهيد الدكتور أيوب • بذل فى صمت • عمل بأضعاف جهد سنه • تحدى كل شىء • أعطى دمه وعلمه وفنه وراحته • وفى يوم فك الحصار •• كأنه شعر أن رسالته قد انتهت • مات فجأة فى صمت ، كما كافح فى صمت • كانت السويس تحتفل بانتهاء الحصار •• وكان جثمانه يخرج من المدينة الى القاهرة ! ••• عندما بدأت الأفراح •• لم يكن بعد له مكان !

يا لمفارقات القـدر !

٣ ينـاير :

العيد الكبير • الآلاف فى الجوامع يؤدون صلاة الفجر • الله أكبر •• همسة الايمان تخرج من قلوبهم • العدو يضرب بالمدفعية • المدينة تهتز •

همسة الله أكبر •• ترتفع مع ارتفاع دوى المدفعية • دعاء الايمـان يتحول الى صرخة اصرار • الله أكبر • مدفعية العدو تستمر فى الضرب • الله أكبر تدوى بأقوى من المدفعية • دموع الايمـان فى كل العيون • نبض الايمان فى كل القلوب • وخرج المصلون من الجوامع •• أكثر اصرارا • وأحتل كل واحد موقعه • واستعد لمعركة جديدة •

الله أكبر !

١٦ ينـاير :

تم توقيع اتفاقية الانسحاب •

الاسرائليون عند مشارف المدينة يرقصون ويغنون ويسكرون • أسعد يوم فى حياتهم • العودة الى اسرائيل بعد المعارك الفاشلة • الانتصـار الوحيد هو أن يعودوا سالمين • كانوا يهتفون بالعربية •• السادات راجل تمام • السادات رجل جدع • جولدا مائير بنت كلب • مائير بنت •••••• (ويعف القلم عن ذكر الصفات الشائنة التى الحقوها بشرف رئيسة وزرائهم)

برقية من الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام الى قيادة السويس يوم ٢٨ يناير الساعة ٨٫٣٠ مساء :

« من وزير الحربية الى قائد مدينة السويس :

« الى قائد مدينة السويس • بمناسبة توقيع اتفاق الفصل بين القوات وانسحاب القوات الاسرائيلية شرق قواتنا فى سيناء ، أبعث اليكم والى جميع قواتكم ضباطا وجنودا ، أبعث اليكم بتحياتى القلبية وتقديرى العميق • وأؤكد أن جهودكم وتضحيتكم كانت عاملا رئيسـيا فى توقيع اسرائيل اتفاق انسحابها شرق مواقع قواتنا فى سيناء • وأؤكد ضرورة استمرار اليقظة والاستعداد وعدم التهاون اطلاقا لحين اتمام الانسحاب كاملا • والى اللقاء قريبا • باذن الله والله يوفقكم » •

هذه ليست أول برقية من القائد العام • كان الاتصال كما قلت يوميا • ومن سجلات الحرب أقدم بعض البرقيات السرية التى أرسلت من السويس الى القائد العام فى القـاهرة •

* **اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٣/١١/١٣ الساعة ٣ صباحا :**

« عن القوات شرق القنـــاة ، المعنويات ممتـــازة • الجميع فخورين بما حققوه من نصر • توجد بطولات مشرفة كثيرة • درجة الايمان عالية جدا • القادة والقواد يبذلون جهـــدا مشرفا لتدعيم الدفـــاع ورفع كفاءة التجهيز الهندسى ، علاوة على التدريب • الاتصال اليومى من الوزير يرفع المعنويات •• القائد العسكرى فى السويس يبذل جهدا مشرفا لتنظيم الدفاع عن المدينة • المعنويات ممتازة للعسكريين والمدنيين • المدنيون يقدمون كل معاونة ممكنة للعسكريين • الأطباء وهيئة التمريض بمستشفى السويس الأميرى قاموا بعمل بطولى رائع » •

* **اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٣/١٢/٥ الساعة ١١ مساء :**

« المخابرات الاسرائيلية تســـعى الى معرفـــة معلومات عن معنويات العسكريين فى رأس الشاطىء فى السويس •• وعن موقف الذخيرة والوقود فى رأس الشاطىء ، وعن صدى بيان القاهرة بايقاف المباحثات العسكرية عنـــد الكيلو ١٠١ » ••

* **اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٤/١/٣ الساعة ١٠ مساء :**

« بدأ العدو الاشتباك الساعة (٥٥٥) ـــ أى السادسة الا خمس دقائق الاشتباك من كفر جودة والمثلث وكازينو روكسى فى اتجاه كفر أحمد عبده والمثلث وحوض الدرس • تم الرد على العدو بنيران مؤثرة • استمر الاشتباك حتى ساعة (٧٥٥) ـــ أى الثامنة الا خمس دقائق • استمرت احتفالات العيد بالمدينة دون تغيير • الروح المعنوية أكثر من ممتازة •

خسائر العدو ٣ قتلى ، ٣ جرحى • تدمير عربة جيب على طريق العوايد • اصابة دبابة خلف مدرسة فى قطاع المثلث • اشتعال النيران بها • اصابة لورى • خسائر قواتنا طوال اليوم ٢ فرد شهيد » •

* * *

وبعد .. هذه بعض سطور من ملحمة السويس . الملحمة تحتاج الى مؤلفات . كل معركة تحتــاج الى أقلام . كل نقطة دم تلهب الهام الشعراء والكتاب . كل بطل له قصة . وكل قصة لهــا أبطال . والقصة الكبرى .. هى آلاف من أمجاد الرجال . ولم يكن ميسرا لى فى هذا الكتاب، أن أروى حكاية كل بطل . جرحه . قتاله . الأحياء والشهداء . ولكننى قصدت أن أقدم شريطا قصيرا لرواية طويلة . العنوان قصــير . ملحمة السويس . ولكن صفحات التاريخ أطول وأكبر وأروع من أن يسطرها قلم واحد .. بل مئات الأقلام .

قال لهم السادات : قاتلوا حتى آخر رجل وأمرأة . وطفل .
وقاتل الرجــال . وانتصر الرجــال .



الفصل الحادى عشر

حقـــائق الثغـــرة

●●● « لأول مرة ، يذيع قائد مصرى ، هو الفـريق محمد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، حقائق معارك الثغرة منذ وقوعهـا ، حتى وضـع الخطـة العسـكرية — شامل — لحصارها وابادتها .. ثم انسحابه الاسرائيليين .

لقد وقعت بعض أخطاء منا . ولا يعيبنا هذا . والحرب معارك متصلة . والفريق الجمسى يتحدث فى هذا الفصل لأول مرة عن كل الأسرار »●●●

الرئيس السادات : هل قرأت عن غزو نورماندى فى الحرب العالمية ؟

اللواء الجمسى : نعم •• ياسيادة الرئيس ••

الرئيس السادات : خذ هـذا الكتاب ، واقرأه جيـدا •• أعتقد أنه سيفيدك • وكان الكتاب الصغير ، باللغة الانجليزية ، على منضدة بجوار الرئيس ، فأعطاه للواء الجمسى ، الذى قرأه عدة مرات •• ولاحظ أن الرئيس قد وضع خطوطا وملاحظات على بعض سطور وفقرات من الكتاب • ان هناك أوجه شبه فى بعض النواحى العسكرية بين انزال قوات الحلفاء •• فى نورماندى •• وبين عبور قواتنا الى شرق القناة • تلك عملية انزال قوات فى أرض يحتلها عدو على نطاق واسع •• والعبور •• هو أيضا الوصول بقوات ضخمة الى أرض يحتلها عدو ويفصلها عائق مائى •• والكتاب يتناول عمليات الطيران •• وعمليات تنظيم القوات ذات الاعداد الضخمة بعد انزالها •• كما يتناول دور القادة المحليين فى العملية الكبرى ••

وعرف الجمسى من ملاحظات الرئيس المكتوبة ، على صفحات الكتاب ماذا يدور فى ذهن القائد الأعلى عن المعركة وامكانيات العبور •

كان ذلك ذات يوم فى أغسطس من عام ١٩٧٢ •

وكان الرئيس قد دعا وزير الحربية ورئيس الأركان وبعض القادة الى اجتماع خاص فى القناطر الخيرية ••

وفى هذا الاجتماع قدم اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بوصفه رئيسا للعمليات تقريرا شاملا عن أوضاع القوات المسلحة المصرية •• وتناول فى تقريره ، وجود المستشارين والخبراء السوفيت ، وعدم تبعيتهم للقيادة المصرية ، والنتائج التى يمكن أن تحدث من جراء ذلك اذا وقعت الحرب •

ومن هنا كما قال الرئيس أنور السادات فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى أكتوبر ١٩٧٢ ، بدأت تدور فى ذهن الرئيس فكرة انهاء خدمات الخبراء السوفيت ، حتى يمكن أن ندخل المعركة بدون وجود قوات سوفيتية على أرضنا •• ثم أخذت الفكرة تتبلور شيئا فشيئا ، وهى تنمو فى العقل الباطن للرئيس ، حتى اتخذ قراره التاريخى المشهور فى الوقت المناسب •• وغادرنا الخبراء السوفيت فى يوليو ١٩٧٣ •

وفى اجتماع القناطر (أغسطس ١٩٧٢) •• نبه الرئيس أنور السادات وزير الحربية والقادة الى عدة نقاط هامة منها ••

● قال لهم الرئيس ، أنه يحذرهم من التفكير النمطى المعروف فى وضع الخطة العسكرية •• التفكير النمطى يمكن أن يتوقعه العدو ، ويتيسر له أن يقاومه •• وطالبهم الرئيس بالابتكار والخلق ، من واقع ظروفنا الموضوعية المحلية ••

● طلب اليهم الرئيس ، أن تكون مفاجأة العدو ، هى الأساس الهام فى الخطة العسكرية •• قال : توفير المفاجأة والمباغتة يعتمد عليه نجاحنا فى تلافى خسائر كبيرة فى العبور ••

ومن هنا فعلا ، بدأ التفكير العملى فى خطة الخداع •• التى نفذت على أحسن وجه ، ووضع الجمسى أساسها فى الكشكول الصغير الذى كتبه بخط اليد من نسخة واحدة ، وقدمه الى الرئيس (كما أشار الرئيس فى حديثه الى المؤلف فى الجزء الأول من هذا الكتاب) •

● وكان الرئيس مهتما بالغ الاهتمام بوضع الطيران ، وبضرورة مواجهة تفوق العدو فى الطيران •• وفى هذا الاجتماع ، أصبح واضحا أنه من الممكن الاعتماد على القوات الجوية المصرية ، ابتداء من أكتوبر ١٩٧٢ ، بعد تنفيذ اقتراحات معينة طرحت فى هذا الاجتماع ••

خرج اللواء الجمسى من اجتماع أغسطس •• وهو على يقين كامل ، أن الرئيس أنور السادات ، جاد كل الجد ، فى أن يصدر قرار الحرب •• فى فترة قريبة ••وقريبة جدا •• وبدأ على الفور تنفيذ تكليفات القـائد

الأعلى • ولكنه كان يشعر مما يراه حوله : من تصرفات بعض القادة ، ومن أقوالهم ، أنهم لا يعيشون جدية الموقف الخطير ، كما يجب ، وبما يتجاوب مع فكر القائد الأعلى ••

ولذلك • لم يفاجأ • بقرارات اعفاء وزير الحربية وبعض القادة •• وكان فى دمشق مكلفا بمهمة عسكرية ، عندما قرأ هذه الانباء ، وملأه التفاؤل بتعيين الفريق أحمد اسماعيل وزيرا للحربية •• لقد عمل معه سنوات طويلة ، ويعرف مدى كفاءاته القيادية ، وقدراته العسكرية ••

وبدأ الوضع فى القوات المسلحة ، يتطور الى الاعداد الشامل الجدى للقتال ، عبورا ، وهجوما ، وتطويرا للقتال •• وانتقلت الخطة العسكرية الى مناقشة كل الجزئيات •• وبدأ ٦ أكتوبر العظيم ••

* * *

وكان تخطيطى وأنا أكتب فصول هذا الكتاب ، أن يكون الفريق الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، فى مقدمة من ألتقى بهم من القيادات العسكرية ، لمعرفتى بالدور الذى أداه •• ولكنه أستطاع أن يتهرب من مطاردتى له طوال أشهر اعداد الكتاب ، وفهمت أنه يريد أن يقفل فمه من أى حديث عسكرى • وأنه يرى أن من واجبه تسجيل الحقائق العسكرية لحرب أكتوبر فى مؤلف علمى ، يصدره بعد أن يترك الخدمة فى القوات المسلحة ، ليكون دليل تاريخ • ولكننى لم أتوقف عن مطاردته •• وحصلت على اذن خاص ، أن يتحدث الفريق الجمسى عن حقائق الثغرة •

لقد أمر الرئيس بعد وقف اطلاق النار ، أن يجرى حوار عسكرى فى أكاديمية ناصر ، عن الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ، يشترك فيه كل من أسهم فى المعارك ، وقد كان موضوع الثغرة ، من أهم الموضوعات التى رئى أن تسجل حقائقها يوما بيوم ، من واقع سجل الحرب •

قلت للفريق الجمسى : هل تريدون اخفاء حقائق الثغرة عن الجماهير ، وعن التاريخ ؟ ••

قال : اطلاقا •• ان كل شيء سجل • وكل ما يحيط بحرب أكتوبر ، يناقش فى دراسة عسكرية علمية ••

قلت : اذن •• لماذا تهربت من مطاردتى أكثر من أربعة أشهر ؟ ••

قال : ها أنذا أمامك الآن ••

قلت : اذن •• لن نضيع الوقت ، ما هى حكاية الثغرة ؟ •• وكيف فات على قيادة القوات المسلحة التى وضعت الخطة ، أن العدو يمكن أن ينفذ من نقطة الضعف بين الجيشين الثانى والثالث ! ••

قال : ان التنبه لنقاط الضعف بين جيشين أو لواءين أو كتيبتين •• مسألة محسوبة • وليست مفاجئة لأحد • وأساليب تأمين الحدود بين الجيشين فى الخطة العسكرية موجودة منذ أن وضعت • لم يكن الموضوع اذن خافيا ، كما نشر أحد الكتاب •• وقد كنت اعتزم توضيح الموقف للرأى العام حين نشر ذلك التحليل للثغرة •• ولكن القائد العــام رأى ألا نتكلم حتى تنتهى المعركة • أن المنطقة الفاصلة بين الجيشين الثانى والثالث ، هى منطقة البحيرات • وقد درسنا هذه المنطقة جيدا • واتساع البحيرات • وطبيعة الأرض فى الشــاطئين الغربى والشرقى ، ووضــع الألغــام فى الاتجاهين يجعل من الصعب عبورها ، من العدو أو منا • هى منطقة مؤمنة جغرافيا الى حد ما •

ولكن هل كان هذا يكفى ؟ ••

بالطبع لا • لذلك خصصنا قوات لتأمين الجنب الأيسر للجيش الثالث ، والجنب الأيمن للجيش الثانى •• بحيث تستطيع النيران أن تصل فى الوقت المناسب اذا حدث اختراق • وكان من المستحيل طبعا أن نغطى كل شبر من الأرض على امتداد المواجهة ، وهى ١٧٠ كيلو مترا ، ونؤمنها بقوات عسكرية • هذا ليس بالعمل العسكرى • ولكننا أمنا جنبى الجيشين الثالث والثانى للحماية من الاختراق • وكان هذا مخططا ومعلوما للجيش على مستوى القيادة ؟ •

فقلت : اذن •• كيف تم اختراق العدو ؟ ••

قال : ان العدو كان يقوم بهجمات مضـــادة عنيفة حتى يوم ١٣ أكتوبر ، على قوات الجيشين الثانى والثالث •• ولعلك سجلت فى كتابك تفصيلات هذه الهجمات ، وأنا أعلم أنك ألتقيت بكل القادة •

قلت : نعم •• ولولا صد هذه الهجمات ، لحدث اختراق من العدو الى الغرب فى أكثر من موضع ••

قال : وفى يوم ١٤ أكتوبر قررنا تطوير الهجوم شرقا لنحقق هدفين •

نقل ثقل العدو من الجبهة السورية الى سيناء •• والحصول على مزيد من الأرض •

قلت :يقال عسكريا ، أنه لم تكن هناك ضرورة لهذا التطوير : فقد تكبدنا فيه خسائر كبيرة ، ولم نتقدم الا لمساحات قليلة من الأرض لم تكن تساوى هذه الخسائر •• كما أن التطوير هو الذى أتاح للعدو فرصة الثغرة ••

قال : كلام غير سليم عسكريا • فقد كان من المستحيل أن نتوقف ، وكان لابد من تنفيذ الخطة ، ولا يمكن أن تبقى قواتنـــا فى مواقعها ، وتتحول من موقف الهجوم الى موقف الدفاع • ان بقاء قواتنا مدافعة فقط ، كان سيتيح للعدو أن يخترقها من أماكن عديدة ، لأن هجماته كانت مستمرة •• وهدفه الاختراق • أن العدو كان يحتفظ بشريط قتالى من الشمال الى الجنوب ، يبتعد من قواتنا ١٥ كيلو مترا ، ومن مواقعه فى خط الشريط الممتد ، كان يستطيع تركيز هجماته من أكثر من موضع •• لذلك كان لابد أن نتقدم ، لكى نصل الى هذا الشريط ، ويكون هو الخط الحدى الجديد لقواتنا •• عندئذ كان العدو مضطرا للتقهقر الى شرق المضايق • وتكون قواتنا مؤمنة من هجماته المستمرة ••

قلت : ولكن قيل أن امكانية التغطية بالصـــواريخ المضادة للطيران كانت أقل من حماية تطوير الهجوم ••

قال : هذا أيضـــا تقـــدير غير عسكرى • لأن لنـــا فى الشرق منـــذ

البداية : قواعد صاروخية •• كما كانتلدينا الصواريخ المحمولة •• وليس من الضرورى أن يكون الهجوم بتأمين كاملضد طيران العدو •• علاوة على أن قوة طيراننا كانت كافية • وعندما تمكن العدو من احداث الثغرة ، كان سلاح الطيران هو الذى يطالبنا بأن يؤدى أى تكليف •• وكان دائما لديه فائض للاستخدام • أى ان الطيران المصرى كان قادرا على حماية تطوير الهجوم •• مع قوة الصواريخ وان كانت محدودة نسبيا ••

بدأ تطوير الهجوم فى ١٤ أكتوبر • ودفعنا بفرقة مدرعة هى الفرقة ٢١ من الغرب الى الشرق ، وعبرت فى منطقة الجيش الثانى ، من اتجاه الدفرسوار بالذات • قواتنا اذن لم تكن قليلة شرق القنـاة فى منطقة الدفرسوار •• وكان العدو مركزا فى هجماته على الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ •• وقد قاتلت هذه الفرقة قتالا مجيدا ، وصدت هجمات ضارية ••

قلت : ولكننا خسرنا يوم التطوير حوالى ٢٠٠ دبابة ••

قال : نعم خسرنـا ولكن ليس كل هـذا العـدد •• وكان العـدو يسـتخدم الأسـلحة الأمريكيـة الحديثـة التى وصـلته ، ومن أهمهـا الأسـلحة المضـادة للدبـابات بالـذات •• ولـكن العدو تكبد خسائر أفدح •• فى هذه المعارك التى سميت بمعارك الدبابات الكبرى • كانت المواجهة بين الدبابات لايفصلها أكثر من كيلو متر واحد ، وهذا لم يحدث فى أية حرب سابقة فى العالم •• كانت معارك داميـة وشرسة •• وفى رأيى أن تطوير الهجوم نجح فى هدفه ، وهو أن شريحة الأرض الجديدة التى استولينا عليها ، لم تكن كبيرة •• وكانت خسائر العدو فادحة جدا ، وأكبر من خسائرنا • وهذه حقيقة معترف بها •

قلت : ولكن الثغرة بدأت يوم تطوير الهجوم ••

قال : هذا غير صحيح •• فى حوالى الساعة العاشرة من مساء ١٥ أكتوبر (ليلة ١٥/١٦) ، تمكنت قوة صغيرة للعدو تتكون من ٧ دبابات أن تصل الى غرب القناة • باستغلال ملتقى القناة بالبحيرات المرة •• فى هذا الوقت بالذات كان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، قد

فاجأه المرض منذ صباح يوم ١٤ حيث أصيب بنوبة قلبية ، ونقل من مقر قيادته الى المستشفى •• وتولى رئيس أركانه مسئولية القيادة •• الى أن عين اللواء عبد المنعم خليل قائدا للجيش الثـــانى ، وكان من قبل قـــائدا لهـــذا الجيش ••

قلت : ماذا كان تصرف القيادة العامة ، عندما أبلغت مساء ١٥ أكتوبر بهذا التسلل ••

قال : الذى حدث أن القياة العامة لم تبلغ • وهذه أول الأخطاء •• لقد اكتشف رئيس أركان الجيش الثانى هذا التسلل • وصباح يوم ١٦ أكتوبر أبلغ به القيادة العامة ، وكان تقديره أنه تسلل بسيط ، وأنه قادر على التعامل معه •• وكان صباح ١٦ أكتوبر ، هو يوم اجتماع مجلس الشعب ، حيث تحدث الرئيس أنور السادات الى الشعب •• وكان الفريق أحمد اسماعيل القائد العام موجودا بالمجلس • وعندما عاد من المجلس ، أقر كل التصرفات التى اتخذناها ، والحقيقة أن التبليغ لم يكن مستقرا • كان متضاربا • الدبابات اتجهت الى الشمال • بعضها اتجه الى الغرب • بعضها اتجه الى الجنوب • عادت الى الشمال •• وزاد عدد الدبابات المتسلله من ٧ دبابات الى ٣٠ دبابة •• لقد كانت الثغرة أكبر مما تصورها القائد المحلى • ورأت القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلى وانه يجب أن يعالج على مستوى القيادة العامة • أن الهجوم على دبابات العدو المتســـللة بقوات احتياطينا فى الغرب لم يفلح •• الهجمات كانت ضعيفة • وقررت القيادة العامة ، فى أوامرها عدم العمل بقوات صغيرة • وصدر الأمر باســـتخدام لواء بالـــكامل ، للتـــدمير •• من احتياطيـــات القوات بالغـــرب ، وتم حشـــــد نيران المدفعيـــة ضـــد العـــدو فى منطقة التســـلل • وهـــاجم الطيران ابتـــداء من صباح ١٦ أكتوبر • ولكن مقاومتنا لم تنجح ، لأن دبابات العدو الثلاثين التى تسربت ، تفرقت فى المنطقة الجبلية فى عدة اتجاهات •• وكانت لها حماية طبيعية •• ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف •• وقد قاتلت القوات المصرية المهاجمة قتالا باسلا • وأستشهد قائد كتيبة •• وقائد لواء •• وقائد فرقة •• فى الهجوم الذى تقرر يوم ١٧ ••

قلت :كانت القوات الاسرائيلية المتسللة قد دمرت مواقع الصواريخ ؟

قال : لا •• حتى يوم ١٦ أكتوبر ، كانوا قد ضربوا موقعين صواريخ فقط حتى المساء •• ولم يكن هذا الأمر ليشكل خطورة كبيرة ••

قلت : وماذا كانت خطة الهجوم الكبير يوم ١٧ أكتوبر ؟ ••

قال : كانت خطة القيادة العامة •• هى حصار الثغرة فى أضيق مساحة من الأرض فى الغرب وسرعة تدميرها •• وفى نفس الوقت قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو • وتقرر أن يهاجم الجيش الثانى جنوبا ، وأن يهاجم الجيش الثالث شمالا ، لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو فى المصيدة • وقد كان هذا الموقف الصعب ، هو موضع المناقشة الحامية فى القيادة الاسرائيلية •• وكان سؤال بعض قادتهم • وما العمل ، اذا نجح الجيشان الثانى والثالث فى سد الثغرة من الشرق ؟• واختلفت أراءهم •• وكان المثير للفزع لديهم أن خسائرهم ستكون فادحة جدا ••

قلت : وهل نفذ الهجوم ؟

قال : نعم •• تقدمت قوات الجيش الثانى جنوبا •• وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالا •• ووصلت المسافة بينهما الى ٤ كيلو مترات فقط ، ولكنهما لم يتمكنا من الالتقاء •• لقد استعد العدو لتأمين مرور قواته شمالا وجنوبا ، وكان القتال رهيبا •• استخدمت فيه كل الأسلحة • وهكذا استطاعت قواته يوم ١٧ أكتوبر أن تنفذ باعداد أكثر الى الغرب • ولكن القتال الرهيب استمر أيام ١٧ ، ١٨ و ١٩ و ٢٠ أكتوبر • وقد تكبد العدو فى هذه الأيام الأربعة أكبر خسائر فى الحرب كلها ، سواء فى العتاد أو الأرواح • وقلت لك أن القتال تم بجميع أنواع الأسلحة • المدفعية المدرعات • الصواريخ • الطيران • الهيلوكبتر • وزاد تسلل العدو الى المنطقة الجبلية متجها الى الجنوب ، مستخدما أسلوب حرب العصابات التى يجيدها ، بأن تندفع اعداد قليلة من مدرعاته (من ٤ — ٧) فى كل اتجاه ••

قلت : وماذا كان توقع القيادة العامة بعد نجاح التسلل ••

قال : توقعنا أن يتجه العدو الى الشمال صوب الاسماعيلية والى الجنوب صوب السويس • ونجحنا فى تأمين الاسماعيلية ، فلم يستطع الاتجاه الى الشمال •• ولكنه تمكن من الانتشار جنوبا ••

قلت : ولكنى أذكر أن الرئيس القائد الأعلى ، كلف الفريق سعد الشاذلى يوم ١٨ بالسفر الى الجبهة وحمله مسئولية تصفية الثغرة ••

قال : نعم •• وكانت خطة القيادة العامة احاطة قوات العدو بستارة من الدبابات والأسلحة المضادة ، لتثبيتها فى أقل مساحة من الأرض فى الغرب حتى لا ينتشر وبذلك يمكن تدميرها بالهجمات المضادة المخططة •• واتخذت بعض الاجراءات لتنفيذ ذلك •• الا أن هذه الاجراءات لم تؤدى الى النتائج المطلوبة تماما ••

ولا يزال هذا الموضوع موضع الدراسة الدقيقة حتى الآن •

والدراسة تجرى على أساس ما هو مثبت فى سجلات الحرب دقيقة بدقيقة ••

قلت : وهل تكتب سجلات الحرب ؟ ••

قال : نعم •• لأن كل أمر يصدر ، يسجل كتابة • وكل من اشترك فى معركة الثغرة ، يستدعى ، ويشرح موقفه العسكرى كاملا ، ويدافع عن وجهة نظره من الناحية العسكرية • ولا يمكن طبعا ، رغم كل هذا ، الا أن نقبل اختلاف التقدير العسكرى الذى لا يعنى ان قائدا مسئولا وان قائدا آخر غير مسئول •

قلت : ولكن قيل ، أنه لو تم من اللحظات الأولى ، مقاومة الثغرة ، بهجوم كبير •• كان أمكن القضاء عليها ، وأن الخطأ الأساسى هو فى معالجتها فى اليوم الأول بهجمات صغيرة ••

قال : على كل هذا رأى عسكرى •• ولكننى قلت لك أن التقدير المحلى لأول تسلل لم يكن سليما •• كما أن القيادة العامة لم تبلغ بالموقف الا يوم ١٦ أكتوبر •• وكان العدو قد تمكن من الوصـــول الى المنطقة الجبلية بما فيها من حماية طبيعية مع استخدام حرب العصابات •

وقد واجه العدو بعد ذلك أرهب قتال دموى شرس فى الأيام التالية ، وتكبد أفدح خسائره فى الحرب كلها • كان قتال القوات المصرية ، معبرا عن أقوى مثل الشجاعة والفداء • واستشهد كما قلت لك •• قائد كتيبة وقائد لواء وقائد فرقة •• كان القائد قبل الجندى •• مندفعا الى جسارة الاستشهاد فى سبيل تطهير الأرض • وسجل البطولات المصرية ، حافل بأروع القصص ••

قلت : كان هذا هو الموقف حتى يوم ٢٠ أكتوبر ••

قال : نعم •• وتطور الموقف بعد ذلك الى أن العدو وصـــل بقواته جنوبا الى أن قطع طريق القاهرة السويس ، وبذلك هدد طريق الامداد والتموين عن فرقتى الجيش الثالث فى الشرق ••

قلت : هل كان يمكن للعدو أن يصل الى القاهرة ؟ ••

قال : هذا هو المستحيل ، وأكررها •• هذا هو المستحيل • لقد كانت المنطقة مؤمنة بقوات مدرعة لا تسمح لأى قوة مهما بلغت أن تنفذ الى اتجاه القاهرة • ولم تكن هذه الفكرة ، تزعجنا على الاطلاق ••

قلت : لقد عاد الفريق الشاذلى من الجبهة يوم ١٩ مساء ••

قال : نعم •• وعبر عن وجهة نظره فى تقدير الموقف العسكرى للقائد العـــام •• ورؤى أن يحضر القائد الأعلى الرئيس الســـادات الى مقر هيئة العمليات •• واستمع القائد الأعلى الى وجهة نظر الفريق الشاذلى •• واستمع الى وجهات النظر الأخرى •

* * *

قلت : أنا أذكر أن الرئيس السادات قد صرح من قبل فى حديث صحفى أنه لم يوافق على فكرة سحب قواتنا من الشرق اطلاقا .

ثم تطورت الأمور كما يعرفها القارىء ؛ وكما جاءت فى فصل آخر من هذا الكتاب ..

أعلن الرئيس السادات يوم ٢٠ أكتوبر قبول وقف اطلاق النار ، بضمان من أمريكا والاتحاد السوفيتى بالتنفيذ الفورى لقرار مجلس الأمن ..

أمكن تقدم العدو بعد وقف النار فى ٢٢ أكتوبر ..

وضعت الخطة العسكرية « شامل » لمقاومة الثغرة غربا .. ولتطوير الهجوم شرق القناة . (وسيجد القارىء تفصيلها فى الفصل المقبل) .. ثم انسحبت قوات اسرائيل ، تنفيذا لاتفاق فصل القوات ..



وسألت الفريق الجمسى :

ألم يكن ميسرا أمام القوات الاسرائيلية أن تدمر قوات الجيش الثالث ! ..

وأجاب : بالقطع لا .. لقد كان رأيى الذى أعلنته فى اجتماع الساعة الواحدة ــ صباح ٢٠ أكتوبر مع الرئيس القائد الأعلى ، أن قوات الجيش الثالث فى الضفة الشرقية تكون صخرة صلبة ، من فرقتين مشاه مدعمتين مدفعية . ذخيرتها متوفرة . كانت تستطيع أن تقاتل بالتموين الذى لديها أيام عديدة . ولم يكن العدو ليقدم على هذه المقامرة أبدا .

قلت : وما هو تقديرك لدور أمريكا فى موضوع الثغرة ؟ ..

قال : ان الاستطلاع الأمريكى يوم ١٣ أكتوبر ، هـو الذى حدد لاسرائيل نقطة الضـعف التى أمكنهم التسلل منها • كما أن السلاح الأمريكى الحديث ، ساعد فعلا ، على صمود القوات الاسرائيلية رغم ما تكبدته من أفدح الخسائر • والاستطلاع الأمريكى بعد ذلك ، هو الذى عرف مدى الاسـتعداد المصرى الكامل ، لابادة الثغرة ابـادة كاملة •• ومن أجل ذلك ، فضلت اسرائيل الانسحاب الى الشرق •• بدلا من العودة الى خطوط وقف النار فى ٢٢ أكتوبر •

* * *

ولعل هذا الحديث ، وهذه الاجابات من الفريق الجمسى ، هى أول تصريح رسمى ، يقدم الحقائق كاملة عن قصة الثغرة ••

نعم •• حدثت أخطاء فى التقدير ، ولكنها لا تقلل أبدا من جلال الانتصار المصرى ، الذى كان قادرا فعلا على تطهير الأرض المصرية من كل جندى اسرائيلى استطاع أن يعبر الى الغرب •

وهنا يقول الفريق الجمسى :

ـــ وعلى الرغم من أن هـذه الثغرة تعتبر نجاحا تكتيكيـا للجانب الاسرائيلى ، الا أن الموقف الاستراتيجى العام للقوات الاسرائيلية كان يواجه الفشل الكامل • أى أن هذا النجاح التكتيكى لم ينقذ الفشل الاستراتيجى للعدو • يقابل هـذا •• النجاح الاستراتيجى المصرى الكامل •• الذى لم يؤثر فيه الخطأ التكتيكى من جانبنا فى مقاومة الثغرة •

وتاريخ الحرب العالمية الثانية ، والحروب المحلية منذ عام ١٩٤٤ حتى الآن ، تقدم لنا أمثلة عديدة ، على أن الخطأ التكتيكى لا يؤثر على النجاح الاستراتيجى ••

ان الحروب لا تقيم بمعارك محدودة •• ان التقييم السليم هو فى النتائج الاستراتيجية العســكرية للحرب بكل معاركها •• التى تحقق الأهداف العسكرية والسياسية ••

ولا أعتقد أن خبيرا عسكريا عالميا •• تناول موضوع الثغرة ؛ الا وكان هذا رأيه ••

الفصل الثانى عشر

من الدفرسوار .. إلى جنيف

●●● ((تم وقف اطلاق النار .. وبدأت حرب الجنرالات فى اسرائيل فى صحافتهم وصحافة العالم .. الشعب الاسرائيلى لم يقتنع بأن الجيب الاسرائيلى يعد انتصارا .. الحالة الداخلية فى اسرائيل يسودها الألم والمرارة ، وتعبر عنها الدموع . الرئيس السادات يروى قصة الثغرة . وقرار ضرب الثغرة . كيف أمكن تفادى قتال دموى جديد والوصول بفصل القوات الى مؤتمر جنيف.. ثم تنفيذ فصل القوات .. ماذا قال الرئيس لرؤساء تحرير الصحف فى منتصف الليل فى أسوان يوم الخميس ١٧ يناير ٧٤ قبيل اعلان الاتفاق ؟)) ●●●

نعم •• استطاع الاسرائيليون أن يعبروا الى الضفة الغربية : من الدفرسوار • وامتدوا جنوبا الى مشارف السويس • وأخذوا المدنيين أسرى ، وصـــوروا الأمر فى صحافة العـــالم ، أن قوات الجيش المصرى تستسلم بالآلاف • وهذا غير صحيح طبعا ولو كان فى مكنتهم أن يبيدوا الجزء المحاصر من الجيش الثالث لمـــا ترددوا • ولكنهم أرادوا أن يكسبوا الدعاية النفســـية ، لتغطية هزائمهم الســـاحقة فى الشرق • وصوروا جلودا مائير فى الزيتية • وكانت أيضا فرصة أمام موشى ديان لكى يظهر فى الصورة ، بعد انتهاء اسطورته كقائد عسكرى •

كان من المستحيل ابادة الجزء المحاصر من الجيش الثالث •• لعدة أســـباب :

١ ـــ كان هذا الجزء (فرقتان مشـــاة مدعمتين) يملك ذخيرة كافيـــة وقادرا على القتال •

٢ ـــ لم يكن الجيش الاسرائيلى ليحتمل مزيدا من الخســـائر : بعد أن تكبد أفدحها فى الأرواح والعتاد ، بأعتراف الاسرائيليين فى مؤلفاتهم ، لكى يحقق العبور الى الغرب بأى ثمن •

ولذلك لجأوا الى العمل المسرحى ••

من ذلك مثلا • اذاعة فىالتليفـــزيون الاسرائيلى طـــرفا الحوار فيها الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان الأسبق • ومقاتل مصرى أسير ••

بارليف :

أطلب منك أن تكون مبعوث اسرائيل لدى الجيش الثالث •

المقاتل المصرى :

لماذا ؟

بارليف :

هـذا عمل انسـانى لصالح مصر • أذهب الى رفاقك فى الجيش الثـالث على الضفة الشرقية ، وأبلغهم بعرضنا أن ينتقلوا الى الضفة الغربية ويعودوا الى الخطوط المصرية ، أننا قادرون على ابادتهم ، ولكننا نفضل الأسلوب الانسانى • قـل لرفاقك أننا مستعدون لأن نتركهم يرحلون لا بوصفهم أسرى حرب ، وانما ليلحقوا بقوات الجيش المصرى •

المقاتل المصرى :

لا •• لن أفعل ••

بارليف :

انك تستطيع أن تنقذ آلاف الارواح اذا قمت بهذه المهمة •

المقاتل المصرى :

لا •• لن أفعـل • •

وأنصرف المقاتل المصرى مرفوع الرأس •

هذا الحوار نقل الى جميع أنحاء العالم ، لتحقيق الهدف الدعائى •• كيف يمكن أن نتصور أن اسرائيل تأبى أن تبيد جيشا مصريا اذا كان هذا فى مكنتها !

ان بارليف هذا ، صاحب خط بارليف •• كان فى قمة من تلقوا الصفعة بعـد انهيار خطه •• هو بعينه الذى قال لوكالة الأنبـاء الفرنسية فى ٥ فبراير ١٩٧١ ما نصه :

« ليست لدى المصريين أدنى فرصـة للنجاح اذا هم حاولوا عبور القناة • من المؤكد أن لديهم الوسائل اللازمة لمثل هذه المهمة ، ولديهم

خطط العمل • ولكن ما ينقص مصر هو الجيش الذى يستطيع أن يخطط وينفذ ويقاتل » ••

وهو الذى قال أيضا فى ٨ مارس ١٩٧٢ : « أقول باختصار •• اذا أستأنفت مصر القتال ، فان اسرائيل لن تخسر موقعا واحدا » ••

كل واحد من قادة اسرئيل ، بهذه الأساليب الدعائية بعد حرب أكتوبر كان يحاول الدفاع عن نفســه • كان يحاول أن يغطى على تصريحاته المغرورة الســابقة •

موشى ديان كان يقول •• ان مصر لن تحارب قبل عشر ســنوات ، اذا هى فكرت فى الحرب فعلا •• وكان يشفع هذا القول بنكته « واذا حاربت فأننى أعدكم بأننى سأقول لكم لمــاذا حاربت » ! •• ويضحك المســتمعون •

وهو الذى قال : ان الجبهة المصرية لا تستحق من جهد جيش اسرائيل أكثر من ٦٠ دقيقة ! ••

وكان اليعازر رئيس أركان ديان يباهى باليد الطويلة التى تستطيع أن تمتد فى لحظات الى أى موقع فى الأرض العربية ، ثم تتحول الى قبضة قوية تضرب بلا رحمة !

أما جولدا مائير فقد كانت تتحدث فى « تواضع شديد » •• وتتساءل فى دهشة •• اذا كان أنور السادات عاجزا عن الحرب ، واذا كان يعلم تماما أن الهزيمة الساحقة المنكرة هى النتيجة المحتومة •• فلماذا لا يقبل المفاوضــة مع اسرئيل ؟ وهى تقصــد طبعا •• لمــاذا لا يرفع يديه ويستسلم ؟ ••

أما فصيحهم أبا ايبان فقــد كان يعطى محاضرات التاريخ والحكمة والفلسفة •• وينتهى بالتساءل الساخر •• هذه هى أول مرة يســمع فيها أن المنهزم يريد أن يملى شروطه على المنتصر !

وقد روى كيسنجر بعد ذلك وهو فى القاهرة ، أن ابا ايبان كان يزوره يوم ٤ أكتوبر • أى قبل الحرب بيومين • وفى أثاء الحوار بينهما ، قال كيسنجر لأبا ايبان •• أنتم فى وضع قوى ومحصن ١٠٠٪ • ألم يأت الأوان لكى تتقدموا بشىء لحل المشلكة • ان مصر يحكمها رجل معقول ؟ •• ويمكن الوصول الى حل • وكان رد ايبان : ولمـــاذا نقدم حلولا ؟ •• سنبقى على ضفة القناة للخمسين سنة القادمة • ومصر لا قيمة لهـــا • ولن تستطيع مواجهتنا فى يوم من الأيام •

وبعد أقل من ٤٨ ساعة صحا كيسنجر من نومه ، على صوت ابا ايبان يستنجد : لقـــد هجمت مصر وســـوريا •• أرجوك الاتصال بالرئيس نيكســـون •

ويمضى كيسنجر فى روايته الى الرئيس السادات :

ـــ وقتها حزنت عليك • وقلت • بعد ساعتين •• ثلاثة •• سيدمروا الجيش المصرى فى القنال • واسرائيل اذا انتصرت لثـــانى مرة ، فلن يستطيع أحد أن يتحدث معهـــا •

وفى مساء ٦ أكتوبر ، أتصلت جولدا مائير وقالت : ان الحرب ستنتهى بعـــد يومين •

وفى اليوم الثالث اتصل ديان وقال : أعطونا يومين آخرين • ولكن كونوا جاهزين لتعويض المعـــدات •

ويقول كيسنجر :

ـــ وأنتظرنا • وقلقنا عليهم • وصـــور البنتاجون العملية • وقدموا تقريرا بأن اسرائيل خسرت حتى تلك اللحظة ٣٥٠ دبابة ، والمعركة ليست فى صالحها • وبعد ساعتين اتصل ديان يطلب ٤٠٠ دبابة فورا ، بدلا من التى خسرها على الجبهة المصرية •

ويعلق الرئيس السادات على ذلك :

ــ وهنا بدأ التغيير الأمريكى • طلب كيسنجر جولدا مائير وقال لهــا أنها خسرت المعركة استراتيجيا ، ولابد من البحث عن حل سلمى •

هذا هو مبرر تحول الموقف الأمريكى • وجاء كيسنجر الى مصر لجس النبض • ووجد أن النصر لم يلهب رأسى • ولكننى قلت له : لن أتنازل عن بوصة واحدة من الأرض •

* * *

واختلف الجنرالات فى اسرائيل بعد الهزيمة •• ولم يستطيعوا اقناع أحد داخل اسرائيل ، أن العبور الى الغرب ، يعنى أى انتصار • وكانت التصريحات الصهيونية الواقعية تؤكد أن هذا العبور ، هو عملية مسرحية ، دفع فيهــا دم كثير ، بلا مبرر • وقال النائب البريطانى الصــهيونى « كروسمان » فى نداء وجهه الى زعماء اسرائيل « ان القتال فى غرب القناة طنطنة لن تفيد • الأولى بكم أن تواجهوا الواقع » ••

وبدأت فى اسرائيل حرب الجنرالات على صفحات الصحف الاسرائيلية والعــالمية •

وجاء التقرير المبدئى «للجنة اجرانات» للتحقيق فى مسئوليات الهزيمة فاضحا لغرور الجنرالات : وكانت اللجنة مشكلة من : رئيس المحكمة العليــا ، والجنرال يادين ، والجنرال حاييم لاســكوف رئيس الأركان الأسبق ، ومشى لاندوا قاضى المحكمة العليا ، واسحق فنتراحى رئيس لجنة رقابة الدولة •

وتضمن ما نشر من هذا التقرير المبدئى ادانة كاملة للجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى • اتهمته اللجنة بأنه تقاعس عن أى جهد حقيقى لكى يستخلص استنتاجا سليما للموقف كقائد عسكرى ، حتى أنه لم يقم بزيارة الخطوط الأمامية خلال فترة زيادة التوتر فى الأسبوع السابق على بدء القتال • وكانت الدلائل كلها تشير الى أن مصر وسوريا كانتا تستعدان للحرب • وقال التقرير أن المخابرات العسكرية الاسرائيلية طبقت نظريات عفا عليها الزمن ، جعلتها تتجاهل المعلومات الواضحة التى

تدمها قادة الميدان وآخرون فى الأيام السابقة لنشوب الحرب • وقالت أن هذه النظريات البالية هى أن مصر لا يمكن أن تدخل الحرب ، ما لم تقم أولا ، بتجنب نسبة مئوية معينة من قوة سلاح الطيران الاسرائيلى عن طريق ضربها ، وتجاهلوا الحقيقة بأن مصر مزودة بصواريخ سوفيتية حديثة ، تمكنت الى حد كبير من تحييد قوة سلاح الطيران الاسرائيلى •

وقال التقرير : عندما اتفق قادة المخابرات على أن مصر وسوريا سوف تهاجمان يوم ٦ أكتوبر ، فانهم اخطأوا فى حساب الساعة التى ستبدأ فيها الهجوم • لقد حددوا السادسة مساء • وبدأ الهجوم قبل ذلك بأربع ساعات ، مما كلف اسرائيل خسائر فادحة •

ولكن لأسباب سياسية دافعت اللجنة عن موشى ديان ، وقالت انه زار جبهة الجولان قبل نشوب القتال بأسبوع ، ودعا الى أرسال تعزيزات للمواقع اضافة للأوامر التى يصدرها رئيس الأركان •

وطردت اسرائيل رئيس الأركان ، ورئيس المخابرات العسكرية ، وقائد الجبهة الجنوبية ••

وتعالت الأصوات •• ليسوا هؤلاء وحدهم هم المسئولون ••

وطالب الشعب الاسرائيلى بمزيد من الادانات •

وقال اليعازر ان تقرير اللجنة ظالم ، لأنه لا يحكم بميزان واحد •
وطالب آلون باستقالة ديان •

وهاجم اسحق رابين القادة العسكريين •• وقال فى اجتماع حزب العمل وأنا أنقل هنا عن مؤلف الاسرائيليين « عيد الغفران » •• قال رابين « ان موشى ديان ، ورئيس هيئة الأركان ، ومدير المخابرات العسكرية ، كانوا جميعا واقعين تحت نوع من الحصار • كانوا أسرى لاقتناعهم العميق ولتصريحاتهم الخاصة • كان المصريون بالنسبة لهم لا يستطيعون شيئا • وكانوا عاجزين عن أى حرب • وأنهم حتى اذا دخلوا مثل هذه الحرب ، فانهم سوف يسحقون فيها بصورة لا قيام لهم بعدها » ••

وهاجم ديان الجنرال اسحق رابين • وقال أنه كان مصاب بانهيار قبيل حرب الأيام الستة ، عندما كان رئيسا للاركان • ودفع موشى ديان الجنرال عزرا وايزمان رئيس العمليات فى حرب ٦٧ ، أن ينشر وثيقة تدين رابين بأنه لا يصلح لشغل أى منصب قيادى • قالت الوثيقة أن رابين أصيب بأنهيار عصبى حاد قبل وخلال حرب يونيو ، وظل عاجزا عن العمل تماما أكثر من ٣٦ ساعة قبل بدء الحرب مباشرة • وأنه لم يتخذ أى قرار أثناء الحرب • وكان يبدو عليه التوتر والتشاؤم • ولكن الجماهير خدعت فى رابين واعتبرته بطلا قوميا ، بسبب انتصار اسرائيل السريع فى حرب يونيو وهو أمر لا دخل لرابين فيه • وقال وايزمان أن الجنرال رابين استدعاه فى الساعة الثانية من صباح ٢٣ مايو ١٩٦٧ ورجاه أن يتولى عنه منصب رياســة الأركان ، وكان يبدو رجلا محطما تماما • وقال الدكتور جبلوت الطبيب العسكرى الذى كان يتولى علاجه ان رابين يعانى من انهيار عصبى حاد •

ورد رابين ، بان هذه الوثيقة نشرت بايعاز من ديان • وأنه عرض فعلا على ويزمان رياســة الأركان ، بســبب الاجهاد الشــديد الذى أصيب به أثناء الاعداد لحرب يونيو ، ولكنه لم يصب بانهيار عصبى •

ولا أريد أن افيض فى حرب الجنرالات لأنها يمكن أن تستغرق مؤلفا خاصــا • ولكننى أقول أن كل الحركات الدعائية التى قصدتها اسرائيل، من العبور الى الغرب بتضحيات غالية جدا ، لم تحقق أهدافها فى تغطية الهزيمة • وأنتهى الأمر الى انسحابهم • ومنع ديان تصوير الانسحاب ، وقال انه انسحاب من جانب واحــد ، سيكون له أسوأ الأثر على الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى •

ويكفى أن ننقل للقارىء بعض الصور عن كثير جــدا مما كتبته صحافة العــالم عن اسرائيل من الداخل بعد الهزيمة ••

وهذا بعض قليل جدا مما كتب بعــد وقف النــار •• وأثناء وجود القوات الاسرائيلية فى غرب القنــاة :

* **دان جيير : مراسل الاسوتعتدبرس** : « كان الشعب الاسرائيلى ينصت الى الأنباء فى الراديو وأجهزة الترانزستور ، فى هدوء يشــوبه

الغم • مواطن اسرائيلى يقول لى : ان ما تحقق لا يساوى حياة جندى اسرائيلى واحد • وشاب آخر •• كنا نحلم بطردهم من سيناء •• وقال ثالث •• جاء وقف النار فجأة كما جاءت الحرب فجأة » ••

* **مراسل نفس الوكالة فى القدس** : «اختفى الناس من الشوارع المظلمة ، رأيت حاخاما يصلى مع زوجته الأمريكية عند حائط المبكى • وتناقض هذه الصورة تماما منظر الجموع المحتشدة التى تدفقت نحو الحائط فى ١٩٦٧ للصلاة فى أيام الأنتصار » •

* **خبراء عسكريون بريطانيون فى تليفزيون لندن** :« أننا لا نشك مطلقا فى أن مصر بعبـــورها القنـــاة ، وتحطيمها لخط بارليف ، برؤوس جسورها : جاءت بعكس كل التقديرات والتوقعات • وأن تقدم القوات المصرية فى سيناء هو نصر عسكرى ضخم • وأننا نشك تماما ، فى جدوى وجود قوات اسرائيلية غرب القناة ، لأن وجود هذه القوات ، يمكن أن يتحول الى كارثة بالنسبة لاسرائيل » ••

* **الجنرال الأمريكى أيفيل بانجر ـــ يونيتدبرس ـــ لوس انجلوس** :
« أن اسرائيل بقيت قائمة كدولة لأننـــا لم نخنها • فبدون الأســـلحة والنفاثات الأمريكية كان محتوما أن تفنى اسرائيل » •

* مجلة (لانوفيل أوبزرفاتير) الفرنســية : مقال بعنوان (نهاية **دولة اسرائيل الكبرى) بقلم فيكتور سيجلمان** ، يتحدث فيه عن اغانى الانتصـــار التى كانت ترددها اذاعة اسرائيل بعـــد حرب ١٩٦٧ عن (شرم الشيخ) و (القدس الذهبية) •• لقد حلت محلها اليوم فى حرب أكتوبر اغنية تلاحق الاسرائيليين ليل نهـــار من الاذاعة والتليفزيون ، وتقول كلمات الأغنية (باسم الجنود الذين احترقوا أحياء فى دباباتهم •• باسم الطيارين الذين هبطوا والنيران مشتعلة فى اجسادهم •• باسم •• باسم •• باسم •• أعدك يا صغيرتى العزيزة ، أن هذه الحرب ستكون الأخيرة • نعم الأخيرة • الأخيرة • الأخيرة) •• ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : (كانت أغانى ٦٧ تعبر عن فرحة الحياة ، ولذة النصر •• اما اليوم فقد خارت قوى الأبطال ، ولم يسبق فى تاريخ اسرائيل القصير ان شعر الاسرائيليون ، بمثل هذه الشدة والحدة ، بالتعطش الى السلام والهدوء وزوال التوتر) • ثم يتحدث كاتب المقال عن أثر تصريحات ديان وغيره

من العسكريين الاسرائيليين حول الانتصار المزعوم فيقول .. (ان الاسرائيليين أنفسهم لايشعرون بانهم انتصروا على الاطلاق . والظاهرة الغريبة بالفعل ، تتمثل فى أن رجل الشارع الاسرائيلى لا يعبأ بمثل هذه الأمور ، ولا يهمه كثيرا تحديد من الذى انتصر ومن الذى انهزم ، فالشاغل الرئيسى لرجل الشارع الاسرائيلى يتركز الآن فى الانتهاء من هذه الأمور بسرعة ، وفى اعادة الجنود المرابطين على الجبهة ، ووضع حد لقائمة القتلى والمفقودين والجرحى ، لكى يتسنى له أن يلتقط أنفاسه التى كادت تتوقف .. وحينما يقول الجنرال ديان : لسوف نصبح عما قريب ، أقوى بكثير مما كنا قبل الحرب . حينما يقول هذا ، يغضب الاسرائيليون أو يبتسمون باستخفاف .. لقد فقدوا الثقة فى وزرائهم ، وهم يشكون فى جنرالاتهم السياسيين ، الذين يتبادلون الاتهامات) ..

*** ويكتب ميشيل سولومون فى صحيفة تريبيون دى جنيف السويسرية تحت عنوان « كلمة أخطأنا .. على ألسنة جميع اليهود » .. ويقول :**

« تتردد هذه الأيام ، فى عناوين الصحف وفى المحادثات التى تدور بين الناس فى اسرائيل كلمة عبرية هى كلمة ماندال أى الخطأ . تلك الكلمة التى تحمل معنى دينيا الى حد ما والتى وقعت منذ بداية الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة سواء بالنسبة للتأخر فى ادراك خطر الهجوم العربى ، أو فيما يتعلق بالاوضاع السيئة فى الميدان ، ونفس الشىء ينسحب بلا شك على الخلافات التى ثارت بين الجنرالات والتى قامت الصحافة المحلية والعالمية بترديد صداها » .

*** وتنشر التايمز البريطانية تحقيقا عن أزمات مباحثات وقف النار بقلم أريك مارسدن يتناول فى ختامه الوضع العسكرى الاسرائيلى بقوله :**
« ان الادلة تتزايد على وجود حالة من القلق تؤثر على كل الشعب فى اسرائيل وعلى الجنود فى الجبهة ، وقد ظهر التعبير عن قدر من الشعور بخيبة الأمل فى الرسائل التى تلقتها الصحف . ولخص هذا الشعور بخيبة الأمل بصورة عنيفة مقال كتبه زيف شيف فى صحيفة ها آرتس المستقلة . وهو مراسل يتمتع باحترام كبير فى اسرائيل . قال شيف : (ان الجنود يشكون من نقص الذخيرة وعدم كفاية المعدات ، ويقولون بانه ينتابهم

شعور مثير للاحباط ، لأنهم لا يتلقون اجابات عن الأسئلة التى يوجهونها حول الحــرب • ثم كتب « شيف » أنه توصل الى استنتاجات مريرة وغريبة من الأحاديث التى أجراها مع عشرات الضباط والأشخاص الذين يشغلون مواقع المسئولية » ••

** ومقال آخر فى جريدة « ناسيونال تسابتونج بازل » :السويسرية السويسرية تحت عنوان « مزيد من الضحايا بعد ضريبة الدم » •• يقــول الكاتب : « لقد جندت اسرائيل ــ أكثر من مليون شخص ــ منذ اندلاع حرب يوم الغفران ، وسوف يبقى هذا العدد الكبير فى الجيش عدة أشهر على الأقل • ويتكون هذا العدد من الشباب ، والغالبية من القوى العاملة ذات القدرات العملية • وترتب على هذا انخفاض فى الانتاج تصل قيمته الى ٤٠٪ • ومع ذلك فليس هذا أسوأ تأثير اقتصادى نجم عن الحرب • اذا ان التسليح العسكرى الذى تدهور فى الثمانية عشر يوما أثناء الحرب ، تكلف كثيرا من مليارات الجنيهات الاسرائيلية (الجنيه الاسرائيلى يساوى فرنكا سويسريا) ، ويصل اجمالى مرتبات الاحتياطى المستدعى أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى الشهر وهناك صعوبات فى نقل التموين الى السكان المدنيين ، بسبب نقص وسائل النقل ، لأن أغلبية عربات النقل ، وجزءا كبيرا من سيارات الأتوبيس انضمت للخدمة العسكرية • لذلك فقد قررت الحكومة طلب ٢٥٠٠ عربة نقل ثقيلة ، ذات حمولة عشرة اطنان من الخارج • ولكن الأمر يحتاج الى سائقين ، وكانت النتيجة أن كثيرا من المؤسسات الصناعية قد توقفت عن العمل ، لأن بعض العمال ذوى المراكز الكبيرة قد جندوا » ••

** ولم يكن الاسرائيليون ليصدقوا أبدا متحدثهم العسكرى حاييم هيرتزوج مدير مخابرات اسرائيل الســابق • انهم يستمعون اليه منذ سنوات • وهو الذى صرح فى اليوم الأول للقتال ، أن القوات المصرية ستعرف معنى الهلاك والتدمير الكامل •

وهو الذى قال للاسرائيليين وبالتحديد فى ٢٧ فبراير ١٩٧١ أن النظام المصرى سيسقط اذا حارب المصريون •• وقــال « اذا فتحت مصر النيران ، فأننى أحذر المصريين بأن الرد الاسرائيلى سيكون ثقيلا جدا ، وعنيفا جدا ، وليس هذا فقط •• ان الرد الاسرائيلى لن يكون مفاجأة للمصريين وحدهم ، ولكنه سيفاجىء العالم كله » •

وفعلا تحققت المفاجأة للعالم كله .. ولكن بهزيمة اسرائيل !

* ثم قال بعد ذلك : ان أى هجوم مصرى ، مصيره الفشل . هذه حقيقة . ولكن ليعلم المصريون ، أن أى هجوم اسرائيلى ، سيؤثر بغير أدنى شـك ، على هيبة ومركز الرئيس السادات ، ويعرض النظام كله للخطـر .

* ثم قال : ان القيادة الاسرائيلية تتوقع طبعا ، ان يحاول المصريون القيام بعملية عبور للقنـاة ، تحت سـتار المدفعية وحماية الصواريخ أرض ـ جو . ولكننى أقول للمصريين أننا نعد لهم مفاجأة قاصمة .

* وتصريحات أخرى لموشى ديان بالمئات :

* * فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٩ (مؤتمر صحفى) : « أن خط بارليف خط منيع يستحيل اختراقه . أننا أقوياء لدرجة تكفى أن نحتفظ به الى الأبد . ان عمليات العبور المصرية ـ اذا حدثت ـ ستلقى الرد الحاسم ، ولن تؤثر على قبضة اسرائيل الحازمة على خط بارليف » .

* * فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ (فى الكنيست) : « اذا فضل المصريون استخدام القوة وعبور قناة السويس ، فاننى اعلن أن قواتهم ستتحول الى رماد » .

* * فى ٢٦ مايو ١٩٧١ (وكالة أ.ب) : « اذا حـاول المصريون الاقدام على مخاطرة العبـور ، فان هزيمة دموية فى انتظارهم . وحتى اصدقاؤهم ، يعلمون انهم لم يصلوا الى مستوى القتال » .

* * فى ١٩ سبتمبر ١٩٧١ (الوكالة الفرنسـية) : « اذا حاولت مصر عبور القناة فسوف يتم ابادة قواتها .. سيواجه الجيش المصرى كارثة » .

* * فى ٢٨ فبراير ١٩٧٢ (تصريحات صحفية وهو فى واشنطون) : « أننى أحذر المصريين من الهلاك اذا اطلقوا النـار » .



وديان بنفسه هو الذى كان قد تصور أنه سيسحق الهجوم المصرى فى ٦ أكتوبر خلال يومين فقط •

وأننى أترك للاسرائيليين أنفسهم وصف الموقف ، كما سجلوه فى كتاب « عيد الغفران » •• قالوا :

* « حتى مساء ٦ أكتوبر لم يكن أحد أدرك بعد مدى اتساع التغلغل المصرى وأهميته الاستراتيجية • كانت عمليات تخليص المحاصرين باستخدام المدرعات عسيرة • وصل الجنرال جونين الى الموقع الحصين الذى كان معدا ليستخدم بمثابة قيادة عامة لسيناء فى زمن الحرب • استقر الجنرال مندلر بدوره فى موقع متقدم للقوات المدرعة • كان الموقف يشير الى أن ما يقرب من ٥٠٠ دبابة قد اشتبكت بالفعل فى معركة فى الخط الأول • وهى تبذل جهودا يائسة • ادركت القيادة العامة ان الخسائر ستكون فادحة • تمكن المصريون من ابادة ٤٠ دبابة اسرائيلية وعربة مصفحة ، بينما كانت تحاول اخلاء موقع محاصر صغير ، كما أباد المصريون وحدة اسرائيلية كانت تحاول انقاذ ٣٠ رجلا » •

* « بعد ظهر يو م الأحد حضر الجنرال شارون والجنرال أدان الى موقع القيادة المتقدم • اقترح شارون تخليص المواقع الحصينة بفتح ثغرة فى الخطوط المصرية يأخذها من قواته • اقترح موشى ديان حل الموقف هكذا « ليس أمامنا الآن ان نختار • ان الذين يستطيعون الفرار عليهم أن يفعلوا ذلك • أما الآخرين فعليهم البقاء داخل الدشم » • أنه قرار رهيب • ولكن ماذا يمكن عمله غير ذلك ؟ » •

ومن نفس المؤلف الاسرائيلى انقل هذه الفقرة • أنها تعطى الصورة الكاملة على لسانهم ••

* كانت مشكلة اخلاء جنود خط بارليف ، هى التى أرقت ضباط مواقع القيادة المختلفة ، طوال الأيام الثلاثة الأولى من الحرب • وكانت الرسائل التى يتلقونها بليغة كل البلاغة :

« ان ٨٠٠ جندى مصرى يهاجمون » ••

وبعد بضع ثوان من الصمت ، يجىء نداء جديد باللاسلكى :

« انهم فى ساحة الموقع • اننى مضطر الى التراجع للداخل • وهم يطلقون النـــار علينا » •

وبعد ذلك يجىء الاتصال الأخير :

« انهم قريبون جـــدا •• ها هم قد وصلوا • انهم يدخلون الحصن » •

وفى المؤخرة ، وعلى خرائط القيادة ، تمتد ذراع لتضع خطا تشطب به الموقع الذى ســـقط • ويعلو البكاء والنحيب بين رجال الاســـتماع الذين يتلقون الرســـائل •

قال عامل لاسلكى اسرائيلى :

« اننى كنت اسمع صوتا • انها رسالة • ثم يكون الصمت • وعندئذ كنت أقول لنفسى : هذا قتيل آخر • لا تتعب نفسك بالحديث • أنه لن يجيب •

كان ذلك هو الموقف فى مواقع خط بارليف • وفى الوحدات التى كانت تحارب القوات المصرية على طول قناة السويس » •

* * *

وأنقل هنا وصفا لأحداث الثغرة ، وكيف واجهناها على لسان الرئيس أنور الســـادات ••

قال الرئيس أنور الســـادات :

حدث بعد أن القيت خطابى فى مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر ، أن ذهبت مساء الى مكانى فى غرفة العمليات • وكان المشير أحمد اسماعيل الى يمينى والفريق الشاذلى الى يســـارى •وفى هذا الاجتماع ، قلت للشاذلى : عليك أن تكون بعد ساعة ونصف فى الاسماعيلية لتنفيذ المهمة التى اتفقنا عليها ، وهى فرض طوق حول بحيرة الدفرسوار ، بحيث نترك اليهود يدخلون الى هذه المنطقة ، ولكن ليس خارجها ، بعدها تصبح

كل القوة الاسرائيلية فى يدى • كلهم أسرى • عملية الدفرسوار عملية مسرحية • وقد سبق لى أن عممت توجيها محددا وجهته للمجلس الأعلى للقوات المسلحة قبل المعركة بخمسة أيام ، أن يكون قادة الجيش فى منتهى البرود : لأن الاسرائيليين سيلجأون الى عمليات تليفزيونية ، مسرحية • ينزلون فى نقطة منعزلة فى العمق من أجل الارباك ، فى نقطة على البحر الأحمر ــ مثلا ــ فيصطحبون معهم المصورين والتليفزيون ويذيعون على الهواء بأنهم نزلوا واستولوا واحتلوا • مثل هذه الأعمال المسرحية تتم بسرعة على طريقة الحرب الخاطفة ، تهدف الى أحداث انهيار نفسى • فاليهود يعتبرون ان العرب « بتوع فوره » • انهم يعتمدون على نظريات « بلتزكريج » Blitz Krieg التى طبقت فى بداية الحرب العالمية الثانية • والرد على مثل هــذه العمليات معروف • نحن نشــبهها بماكينة مليئة بالتروس ، تدور بسرعة • فلو استطعت أن تضع بين هذه التروس حصاة صغيرة . فستقف الماكينة وتتكسر • هذا تشبيه عسكرى معروف عندنا • وعندما وقعت عملية الدفرسوار ، ادركت منذ البداية انها من هذا النوع • وكان عندى فى القناطر الخيرية آخيرا الجنرال « بوفر » وقد أيد وجهة نظرنا تماما بأن عملية الدفرســوار هى عملية تليفزيونية ، لذلك قلت للشاذلى : خلال ساعة ونصف ، يجب أن تصل الى الاسماعيلية وتمنع أن يتجاوز الاسرائيليون النطاق الذى حددناه لهم • وأنا لا أريد التحدث فى تفاصيل ما وقع خلال الثلاثة أيام الى اعقبت ذلك • والذى حدث ان المشير اسماعيل اتصل بى فى الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١٩ أكتوبر وذهبت وكان رأى الشاذلى أن علينا أن ننسحب من سيناء • ودرست العملية فوجدت أن التوســع الاسرائيلى ليس مخيفا • والدليل أننى استطعت أن أوقف القتال عند خط ٢٢ أكتوبر ، وهو الخط الذى كان يسميه ديان والعسكريون الاسرائيليون « المصيدة » •• لم يكن الشــاذلى يعارض وقف اطلاق النار كما أشيع بعد ذلك • كان يطالب بانسحاب القوات كلها • وهذا هو هدف اسرائيل من عملية الدفرسوار ، أن أنهار وأسحب قواتى الى الشرق • عندئذ ، وبعد أن أخذت قرار اعفاء الشاذلى من منصبه ، عينت مكانه الجمسى رئيسا للأركان ، وأبقيت هذا القرار سرا طيلة شهرين • ليه ؟ لأنه لم يكن جائزا أن أعلن شيئا لا أمام قواتى المسلحة ولا أمام البلد ولا أمام الاسرائيليين • هذه قصة الشاذلى •• وقد عينته سفيرا فى لندن ، لأن الرجل عبر واقتحم خط بارليف • وسوف أذكر دائما أن المراسلين الأجانب كتبوا أيام المعركة أن نظام المرور فى

الجبهة كان أفضل من نظام المرور فى القاهرة • كان هذا جهده • ورأيه فى ضرورة الانسحاب من الشرق لا يخرج عن أن يكون رأيا •

كان القرار المصرى اذن ، مقاومة الثغرة عسكريا ، بدون انسحاب أى جندى مصرى من الشرق الى الغرب •

وهذا هو القرار الذى أتخذ يوم ١٩ أكتوبر بعد عودة الشاذلى الى اجتماع القيادة العامة فى القاهرة ، من الجبهة •

وعاد الرئيس من القيادة الى مكتبه • وأرســل للقوتين الكبيرتين ، استعداده للاستجابة الى وقف النار ، بضمان القوتين ، أن يتم الانسحاب الكامل • وفى نفس الوقت أرسل الرئيس الى دمشق رسالة للرئيس الأسد بها كل تفصيلات الموقف •

وفى ١٢ ديسمبر ٧٣ عين الفريق الجمسى رئيسا للأركان • وعين اللواء سعد مأمون قائدا لجبهة مقاومة الجيب الاسرائيلى •

وكنا جاهزين للقتال وطرد الاسرائيليين فى ٢٤ ديسمبر ، عندما درست الخطة فى اجتماع عسكرى بالقناطر برياسة السادات • وأقرها القائد الأعلى • ولم يبق الا التوقيت •• وكانت الدبابات التى كنا نحتاج اليها ، قد استكمل وصولها من الجزائر •

ثم حدثت اتصالات السلام • وجاء كيسنجر الى القاهرة • وأعلن اتفاق وقف النـــار ••

خطة "شامل" لتدمير الثغرة

قال لى الفريق الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ..
ـ اتخذ القائد الأعلى قرار مقـاومة الثغرة الاسرائيلية عسكريا فى ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

قلت :

وأعلم أنك عينت فى هذا اليوم رئيسـا للأركان ..

قـال :

القرار أعلن بعد ذلك .. لقد ظل سرا حتى ١٢ ديسمبر ..

قلت :

ماذا كانت خطة مقاومة الثغرة ..

قـال :

لقد تم ايقاف النار الفعلى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ، بعد وصول قوات الأمم المتحـدة .

واعتبارا من ٣١ أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب استنزاف مخططة ضد العدو غرب وشرق القنـاة .

كانت أمامنا مهمـة رئيسية وهى ألا نسمح للعـدو أن يتمركز أو يخندق ويثبت أقدامه فى الغرب . كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة ، الى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة ..

وقد وضعت خطة الهجوم الشامل .. نوقشت .. صدق عليها القائد العـام .. وتقرر أن يعين لقواتنا فى الغرب قيادة منفصلة تقود جميع القوات لتصفية الجيب . ونترك قوات بدر فى الشرق تقاتل معركتها . وقوات الجيش الثانى تقاتل معركتها ..

وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة . الطيران الدفاع الجوى . البحرية .. وأختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة . .

وعرضت على السيد الرئيس القائد الأعلى أنور السادات فى ٢٤ ديسمبر وصدق عليها .. ولم يبق الا تحديد الموعد .. بقرار من سيادته ..

وكانت حرب الاستنزاف مستمرة .. طبقا للتخطيط الموضوع لهـا ؛ وهى ضرب قوات العدو غرب وشرق القناة ، وعلى طول المواجهة ، بهدف ايقاع أكبر خسائر فى أرواحه ومعداته ، ومنعه من تحسين مواقعه .

وطبقا لبيانات الأمم المتحدة ، قامت قواتنا بـ ٤٣٩ عملية ضـد العدو ٣٩ عملية فى نوفمبر و ٢١٣ عملية فى ديسمبر .. ومن أول ينـاير الى ١٧ يناير ١٣٣ عملية ..

وهذه هى الخسائر التى أعلنها العدو : ١١ طائرة ، ٤١ دبابة ومدرعة ، ١٠ رشاش ثقيل ، ٣٦ معدة هندسـية ، ١٨٧ قتيلا .

لم يحدث اذن أى توقف فى عملياتنا .. حتى تم اتفاق فك الارتباط . استمرت حرب استنزاف لم تترك للعدو هدوءا ليلا أو نهارا .

* * *

أعود الى خطة تصفية الثغرة .. التى صدق عليها الرئيس فى ٢٤ ديسمبر وهنا يذيع الفريق الجمسى هذه الأسرار :

* لقد سلمت الخطة الى جميع قيادات القوات المسلحة فى ٧ ديسمبر .

* صدرت التعليمات لكل القوات للاستعداد لتنفيذها .. تخطيط . اعداد . تدريب . استكمال .

* كانت ساعة الصفر المقررة أول ضوء يوم ١٨ ديسمبر •

* ولكن طبعا ترك تحديد ساعة الصفر للقائد الأعلى •• لاختيار الوقت المناسب سياسيا • وتم هذا فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برياسة القائد الأعلى السيد الرئيس •• فى ٢٤ ديسمبر • أقر الرئيس الخطة •• وكان أمره •• كانوا جاهزين فى أية لحظة ••

وتم اختيار الاسم الكودى للخطة •• « شـــامل » ••

وسألت الفريق الجمسى :

كيف يتم اختيار اسم الخطط العسكرية ••

قـــال :

قـــد يكون الاسم رقما • وقد يكون تعبيرا عن أهداف الخطة •• كنا قد اخترنا اسم « واصل » لخطة تصفية الثغرة •• بما يعنى أننا سنتصل الى قوات بدر فى الشرق • ثم رأينا أن اسم « شامل » هو الأنسب •• لأنهـــا كانت هجوما شـــاملا ••

* * *

والتقيت بعد ذلك باللواء سعد مأمون الذى أختير لقيادة الهجوم •• وكشف لى بعض أسرار الخطة باذن خاص •

لقد بدأ تكليف اللواء سعد مأمون من المشير أحمد اســماعيل بقيادة الهجوم على الثغرة فى الساعة الثالثة من مساء ١٢ ديسمبر •

استدعاه القائد العام وقال له :

— يبدو يا سعد أنك ستغادرنا وتعود الى الميدان من جديد ، كمندوب للقائد العام لقيادة القوات الرئيسية غر بالقناة لتصفية الثغرة • أنت من الآن مسئول أمام وزير الحربيـــة والقائد العام عن تدمير الجيش الاسرائيلى • وثقتى فيك لا حدود لها • متى يمكن ان تسافر ؟ ••

سعد مأمون :

لن أنسى ما حييت هذه الثقة • وسأحقق المهمة باذن الله •

وسافر الى الجبهة على الفور • وقام بجولة على الحدود الامامية للقوات من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب • قام بتعديل الخطة على الطبيعة وفقا لما رأى •

صدق وزير الحربية على التعديل الأخير • ناقش الرئيس الخطة فى ٢٤ ديسمبر كما ذكرنا • ركز الرئيس فى توجيهاته على أمرين :

* أهمية التعاون المشترك للقوات البرية مع القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى •

* أهمية العمل الحاسم السريع للمدرعات •

ثم يستطرد اللواء سعد مأمون :

كانت الخطة تعتمد على :

١ — تقدير سليم لقدرات العدو •

٢ — تحديد واضح لنقاط ضعفه •

٣ — تحديد سليم لنقاط قوته •

ان العدو فى مصيدة • وكان يجب أن أزيده احساسا بأنه فى مصيدة • كان العدو متخذا أوضاعا دفاعية لا هجومية • كان يدافع فى حالة نفسية سيئة • ويبدو قلقه فى جميع تصرفاته • ان أوضاعه الدفاعية تدل على فزعه • مثلا رص العدو أمامه حوالى ٧٠٠ ألف لغم • حفر خنادق مضادة للدبابات على معظم المواجهة (عرض من ٦ الى ٧ أمتار ، وعمق ٥ أمتار) كان لديه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ دبابة •
وكان شعارى ان نلقن العدو درسا •• أقسى من درس العبور وتحطيم حصون بارليف •

وواقع الحال ان الجيب الاسرائيلى كان هشا .

كل دبابة للعدو فى الغرب . كان يقابلها حوالى دبابتين فى قواتنا ، وقطعتان مضادتان للدبابات .. علاوة على نيران المدفعية والطيران . علاوة على احتياطى القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعة تحت سيطرة المشير .

وقد قدرت خطة « شامل » كافة الاحتمالات ، بطريقة لعلها أحسن من تحضيرات ٦ أكتوبر وكان تفكيرى ان النصر فى هذه العملية لا يحتمل الجدل ولا التجربة . وقمنا بمشروعات حقيقية للخطة على أرض مشابهة .

وكان التقدير :

بالنسبة للوضع العسكرى العام .. أنه تم احتواء العدو تماما فى الغرب .

لقد حاصرنا العدو من كل جانب وله منفذ واحد فى الدفرسوار لا يزيد عرضه على ٦ كيلو مترات . وكان مقررا قفل هذا المنفذ بالقوات فى ساعات قليلة .. وهذه الشريحة كان مخصصا لها اعداد هائلة من القوات .

وسألت اللواء سعد مأمون :

أرجو أن تصرح أكثر ببعض أسرار خطة الهجوم .

قال :

دون أن ادخل بك فى نواحى عسكرية جافة ، أو أفشى سرية .. كان المقرر ان نصفى الجيب الاسرائيلى على ٤ محاور بالتعاون مع كافة أفرع القوات المسلحة . أى أننا كنا سنهاجم من ٤ اتجاهات . وكانوا حقا فى مأزق .

قلت :

لماذا فى مأزق وقد تمكنوا من توسيع رقعتهم ؟ ..

قـــال :

هذا هو المأزق • ان قوات العدو فى ٢٢ أكتوبر تمكنت من عمل رأس شاطىء واحد غرب الدفرسوار بمساحة ٧٠ كيلو مترا مربعا (٧ × ١٠) •• قواتنا فى الشرق كانت قــد عملت رؤوس شواطىء فى الجيوش مساحتها ٧ آلاف كيلو متر مربع • أى مائة ضعف • كان موقف العدو العسكرى حرجا للغاية • لذلك حاول ان يحول هذا الوضع الحرج (لصغر حجم رأس جسره فى الغــرب) الى وضع محتمل بأن ينتشر جنوبا • ثم طور فكرته لأنه أحس ان هذا الانتشار ، فيه نوع من اضعاف قوته فى الكثافة أمام القوات المصرية • حاول دخول السويس • قطع خطوط المواصلات لعزل جزء من الجيش الثالث فى الشرق • والهــدف هو أن يساوم بهذا الوضع الجديد على موقفه الحرج فى الغرب • ولكن وضعه عسكريا هش جــدا •

قلت :

لمـــاذا ؟

قــال :

لا يوجد لدى العدو ما نعبر عنه بالاتزان الاستراتيجى • قوات شبه محصورة فى الغرب • عجز عن زحزحة قواتنا فى الشرق بوصة واحدة على طول المواجهة من عيون موسى جنوبا الى بور فؤاد شمالا • وخلال حرب الاستنزاف اعتبارا من نوفمبر ٧٣ اكتسبنا نحن أرضـــا جديدة غربا وشرقا • ثم انه مجبر على التعبئة الكاملة فى اسرائيل • كل لقمة • كل جرعة ماء • كل دانة مدفعية • كل نقطة بنزين • يجب أن تصل اليه من بعد •• ٣كيلو متر فى الخلف •• من مختنق عرضه ٦ كيلو مترات •

كان التخطيط ان نقفل هذا المر ، ونشعله نارا • فى نفس الوقت الذى ندمر فيه قواته فى الغرب •• واستطيع أن اقول ان هذا كان سيتم فى « لا وقت » ! أى وقت قليل جــدا !

قلت :

ولمـــاذا لا وقت ••

قـــال :

نعلم من خط بارليف ان الدفاع مهما كان حصينا ، يمكن اختراقه . فما بالك بهذا الجيب . قواعد طيراننا قريبة جدا . الدفاع الجوى استطاع أن ينشىء حائطا ثانيا للصواريخ أقوى مما كان . العدو .. ثقته فى نفسه وفى قياداته اهتزت ولا أشك أن العدو بتصويره الجوى لقواتنا فى الغرب أدرك ما يمكن أن يحدث له ، ولذلك فضل الانسحاب فى سلام . وكان من المستحيل أن تنسحب اسرائيل لو كان لديها مجرد أمل فى امكانية البقاء .

الرئيس يعلن الاتفاق

دعا الرئيس أنور السادات رؤساء تحرير الصحف الى اجتماع خاص فى أسوان تم فى الساعة ١١ من مساء يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٧٤ قال الرئيس :

أنا متأسف • أخرتكم • لقد وصلنى من كيسنجر الساعة ٨ مساء أن كل شىء حول اتفاق فصل القوات •• تمام • رأيت قبلكم نواب رئيس الوزراء وأريد الأن أوضح لكم الصورة • ما تم أخيرا وخلفياته •

فى نوفمبر جاء كيسنجر بعد وقف النار • أنتهينا الى النقاط الست • هرج علينا كثيرا بعض العرب وغيرهم على أنهـا تنازلات من جانب مصر • الآن ممكن أن أتكلم فى الوقت المناسب • العمليـة مستمرة • وتجىء مراحل يمكن الافصاح عنها • المراحل المقبلة كثيرة • ومن الخطأ الحكم على جزئية بسيطة فى احدى المراحل •

جـاء كيسنجر • أنهينا الى النقـاط الست • قيل انهـا تنـازل من جانب مصر • هى العقـدة القديمـة قبل ٦ أكتوبر أننـا لن نستطيع عمل شىء • كيسنجر سيضحك عليكم • انا ما حدش يجبرنى آكل لقمة توجع بطنى • آن الآوان أن نرمى هذه العقد • لقد واجهنا عسكريا ، وعلينا أن نواجه سياسيا ولا نخاف • روجوا آن كيسنجر يضحك علينا • حاولوا الاصطياد • ومن بعض اخواننا العرب • بكل آسف مثل ما حدث من وزير خارجية سوريا أخيرا • أرسلت لأول مرة لحافظ الأسد ، رسالة بها كلمات لم اتعود على استخدامها عن تصرف وزير خارجيته • رايح يقول ان مصر اتفقت على حل منفرد • فصل القوات تمهيد للحل المنفرد • ولو كان فيه اتفاق مسبق كما يزعم ، ما كانش كيسنجر يقعد ٨ أيام فى مباحثـات •

اتصل بى حافظ الأسد اليوم ، وطلب تأجيل توقيع الاتفاق • وأن نوقع الاتفاق سويا بعد ان ينتهى اتفاق سوريا • كان رأيى أن أوقع

اتفاقنا ، مادمت قد انتهيت منه ، ثم أوجه كل جهدى مع الرئيس الأسد لأنهاء اتفاق سوريا • أنا ملتزم • حقيقة يجب أن تعرفوها • أننى أعمل وفق مبادىء وقيم لن أتنازل عنها • الرئيس حافظ الاسد له دين فى عنقى الى يوم القيامة ، لن أفرط فيه • انه الرجل الوحيد الذى اتخذ معى قرار ٦ أكتوبر • ان له هذا الدين فى عنقكم جميعا • وفى عنق كل مصرى وكل عربى • لســوء الحظ حصل خلاف حول البدء فى اتفاق فصل السلطات •. كان المفروض أن نبدأ معا • ولكن سوريا رأت ألا تبدأ معنا • ولكننى أكرر لكم ، أن هــذا لا يعنى أى شىء • أكرر أننا يستحيل أن ننسى الاسد كفرد أو كشعب • لا نفرط فيه • ولا نبيعه • ولا ندخل ضده فى أى شىء حتى لو دخل ضدنا • الأسد له دين قومى علينا •• وسوريا يعنى حافظ الأسد • بدون فتح الجبهتين فى وقت واحد ، كانت اسرائيل تتفرد بنا واحدا واحدا كما هى عادتها • وهناك أبعاد كثيرة لمعركة ٦ أكتوبر لم تتضح حتى الآن • أبعاد عميقة ومؤثرة على العــالم كله ••

أقول لكم •• عملنا مع كيسنجر اتفاق النقط الســتة • •وقلنا الانسحاب الى خط ٢٢ أكتوبر فى اطار فك الارتباط بين القوتين •

هذه فكرتى •• لا فكرة كيسنجر •

كيسنجر قــال : خط ٢٢ أكتوبر مأزق لاسرائيل • كان القتال يوم ٢٢أكتوبر فى قمته • وضع الاسرائيليون كل ما عندهم • جاءهم دم جديد من أمريكا •• ونحن أعددنا لتعزيز قواتنا بعد وقف النــار •

قبل أن يجىء كيسنجر ، أرسلت اسماعيل فهمى الى أمريكا • قلت ان خط ٢٢ أكتوبر يشكل مصــيدة لاسرائيل • ولذلك حاولوا أن يأخذوا السويس والاسماعيلية وفشلوا •• نص تقرير لجنة الاعتمادات العسكرية فى الكونجرس الأمريكى على أن الدفرســوار هى محــاولة لحفظ كرامة اسرائيل • سجلوا روعة قتال الجيش المصرى • هذا يكفينى •

اسرائيل كانت استراتيجيا بلا قدمين فى الدفرسوار •

كنت صاحب فكرة فصل القوات • فلن نضيع الوقت فى خط ٢٢ أكتوبر، لأنه مصيدة بالنسبة لهم •

وجاء كيسنجر • وعملنا النقط الستة ؛ وهـذا سبب أننا نصينا على الفصل بين القوات فى هذه النقط •

واقتنع كيسنجر بأنه بدل ان يضـع كل ثقل أمريكا ، فى خط ٢٢ ، يضع كل ثقلها فى فك الارتباط •

وقد أول بعض العرب ، ان مباحثاتى الطويلة مع كيسنجر لن تكون عن فك الارتباط بل كانت عن حل منفرد •• وبكل أسف بعضهم أفهم الرئيس الأسد هذا • فى معركتنا القوى هى : أمريكا ــ الاتحـاد السوفيتى ــ اسرائيل •

أى اتفاق مع أمريكا ينعكس على اسرائيل ؛ لأنها تمدها برغيف العيش والفانتوم • وهذا سبب ذهاب وعودة كيسنجر بين مصر واسرائيل •

قال لى : انت فى أسوان •• أجيلك •

وحضر •

الوقت الطويل الذى مضى ، هو فى تطويع اسرائيل التى تملك قوى تدافع عنها فى أمريكا • فى كل موقع مؤثر سياسى وعسكرى • السياسة الأمريكية الموضوعية منذ عام ١٩٥٨ أنه اذا تحركت مصر يجب أن تضرب • بدليل ان كيسنجر عندما حضر منذ شهر فى القناطر ، كان ملتزما بأن تحارب أمريكا مع اسرائيل اذا بدأنا قتال تصفية الجيب الاسرائيلى •

قلت له :

لمـاذا ؟ ••

قـال :

أنا مقتنع بأن هذا خطأ •نيكسون أيضا مقتنع • ونريد تغيير السياسة

الأمريكية • ولكن هذا لن يتم بين يوم وليلة • حتى يمكن أن نغير السياسة الأمريكية أمامنا جهد كبير أمام القوى السياسية وأمام الرأى العام الأمريكى • أننا متعهدون لاسرائيل بنظرية التوازن التى ترفضونها • كان يجب ان نساعدها عسكريا ، فلم نكن نسمح لأن تهزم اسرائيل هزيمة كاملة بسلاح روسى •

ومضى الرئيس للسادات قائلا :

ومرت الثغرة • ومضت الأيام العصيبة التى عشتها •. الشعب عاش واستمتع بملحمة ٦ أكتوبر الا أنا • كيف أهرب من المسئوليات • أننى صادق مع نفسى • ومر الوقت ، الى أن جاء كيسنجر لفك الارتباط • وهذا موضوع معقد • وانتهينا الى اتفاقية من جملة أشياء • فيه بيان تمهيدى عن اتفاق عسكرى يوقع بين رؤساء الأركان ، لأن ما نحن بصدده عملية عسكرية بحته •

قلت للأمريكان : اختاروا • خط ٢٢ أكتوبر أو فك الارتباط • مش عاوزين فك ارتباط • يرجعوا الى ٢٢ وأنتم وروسيا ضامنين • طبعا اسرائيل رحبت بفك الارتباط حتى تعود الى الشرق ، لأنها تعرف أنها فى مأزق عسكرى •

غدا •• سيوقع الاتفاق فى الساعة ١٢ ظهرا • وسيكون كيسنجر فى أسوان • الخطوط الرئيسية • اسرائيل ترحل من الغرب كاملا • وتدخل الى المضايق ، وتأخذ خط محدد على خريطة محدودة •

خطنا فى الشرق لن يتزحزح •. كان فيه فجوات بنعدلها • يعود خطنا مستقيما • بعض التواءات فى الشمال عدلناها •

الأمم المتحدة فى المنتصف بيننا •

وأكرر أن هذا اتفاق عسكرى بحت ، وليس له أى دخل فى الحل السياسى •. اتفاق يوضح •• احنا فين واليهود فين •

وواضح أن اليهود لو رأوا أنهم يستطيعون البقاء بدون خسائر •• كانوا قعدوا ورفضوا انهم يتزحزحوا •

واضح اذن •• انه لا حل منفرد •• ولا حل جزئى •

أننى لا أشعر بأى عقد فى المواجهة السياسية • ويجب أن نعيش عصرنا • يحدث خلال العمليات العسكرية ، ان يجتمع القادة المتحاربون ، وبعد نصف ساعة تبدأ عمليات • وهكذا ••

العملية عادية • ولا أقبل أن يكون احد أو دولة ولى أمرى •

ولا تهمنى مزايدات من يريدون المزايدة •

ثم قال الرئيس :

ـ النقطة الأولى التى أريد أن أوضحها لكم أنه اتفاق عسكرى • لا دخل له بمؤتمر جنيف وعملية السلام • ولكن كيف نتكلم فى جنيف من غير وقف النار • حتى هذه اللحظة الضرب شغال • ونحن لا نهدأ •

الساعة ١٢ ظهرا غدا سنوقف اطلاق النار •

ونحن نريد السلام فعلا • ونحن واضحون مع أنفسنا • وسياستى هى ألا معارك سياسية مع من يزايدون •• ومع من يتهمون بأن هذا منفرد • لن أدخل فى معارك جانبية مع أحد مهما تسـتغل •

•• قد قال ما هو الوضع بالنسبة لسـوريا •

أننى متعهد بفصل القوات فى سوريا مثلما تم فى مصر • وقد وصلتنى الســاعة السابعة من مساء أمس برقية من الرئيس الاســد يفوضنى رسميا أن أتحدث مع كيسنجر فى فصل القوات •

احنا سلمنا الأسرى • وأنا عارف أنا بأعمل أيه •• أنا تفاديت معركة كانت ستكون مثل معركة ٦ أكتوبر • جهد عسكرى • تخطيط • قتال • خسائر • كنا سنجليهم بالقوة العسكرية • أنا تفاديت كل هذا • واجهنا قليلا من الخسائر فى الأيام الأخيرة • ولكنها ربع خسائر اليهود • لم نتركهم لنوم ليلا أو نهارا • كانت ستكون معركة رهيبة ، أمام السلاح

الأمريكى الحديث الذى لم يستخدم من قبل • تفاديت كل هذا • وحققت هدفا بلا دم • العملية بنيت فوق بعضها طوبة طوبة •

وقد قلت للرئيس الأسـد :

أى شيء أحصل عليه كسـبا لى • هو كسب لسوريا أيضا • لأننى ملتزم معك بفك الارتباط •

وشرح الرئيس السادات الاتفاق :

١ ـ اليهود يخرجون من الغرب بالكامل الى الشرق •

٢ ـ خطنا باقى كما هو وتعدل بأرض زيادة •

٣ ـ العمليات متساوية تماما • متوازية •

٤ ـ خطنا من القناة الى الشرق • خطهم من أمام المضايق الى الخلف
كان هناك خلاف على تحديد القوات • وهنا اقترحت على كيسنجر أنه آن الأوان أن تدخل أمريكا باقتراح proposal أنتم قاعدين تتفرجوا ، والثقة مفقودة مع اسرائيل •

قدم كيسنجر اقتراحا للطرفين • وتمت الموافقة • وهذا ماحدث •

•• الانسحاب سيتم فى ٤٠ يوما • لجان العمل ستراقب •

والوثيقة الثانية فى الاتفاق ، هى مشروع أمريكى قدم لمصر ولاسرائيل، ووقع منى هذه الليلة فقط ، بعد آن وقع من مائير • الليلة فقط • السـاعة التاسعة مسـاء • تخفيف القوات على الخطين • الخط المصرى •• نهاية خطنا فى الشرق • التحديد من نهاية خطنا فى الشرق الى قناة السويس • حددنا المدفعية بعيدة المدى • والتخفيف على الخطين معقول ••

أول تنفيذ للاتفـاق سيكون فك حصار السـويس ، وفرقتى الجيش

الثـــالث • ويوم أن يتم هذا ، علينا أن نعامل أمريكا كما نعامل أوربا فى حظر البترول • أنا وعدت بهذا ، مادام أمريكا قـــد تغير موقفها ، وتبذل جهودا كبيرة من أجل السلام • ممكن ستحدث مزايدات فى هذا من البعض ، ولكن موقفنا واضح اننا نسلك سلوك الأقوياء •

المستقبل •• هل هو صلح ! •• هل هو معاهدة سلام ؟

لا •• لا صلح ولا معاهدة ، وانما اتفاق سلام •

فى المرحلة المقبلة ستدخل سوريا والفلسطينيون مباحثات مؤتمر جنيف •

وفى النهاية لا يصح الا الصحيح • ليس عنـــدى حل أخبئه تحت المنضـــدة • أننى أعمل فى وضوح كامل •

ودارت العجلة •

وتحقق اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية •

والأمة العربية تستعد لمؤتمر جنيف •

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

الفصـــل الثـــالث

الفصـــل الرابع

الفصـــل الخامس

الفصـــل السادس

الفصـــل السابع

الفصـــل الثـــامن

الفصـــل التاسع

الفصـــل العـــاشر

الفصـــل الحادى عشر

الفصـــل الثانى عشر